

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
أطروحة
مقدمة لنيل شهادة
دكتوراه العلوم
التخصص: نحو وظيفي
إعداد الطالب: صافي الدين لعباسة

الفصل والوصل في القرآن الكريم من البنية والوظيفة إلى القوة الإنجازية
- دراسة وظيفية تداولية في سورتي البقرة وآل عمران -

إشراف: أ. د كمال قادي
المركز الجامعي بركة

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة سطيف 2	أستاذ	أ.د. يوسف وسطاني
مشرفا ومقررا	المركز الجامعي بركة	أستاذ	أ.د. كمال قادي
ممتحنا	جامعة باتنة 1	أستاذ	أ.د. عبد الكريم عوفي
ممتحنا	جامعة سطيف 2	أستاذ	أ.د. خالد هدنة
ممتحنا	جامعة سطيف 2	أستاذ محاضر (أ)	د. الجمعي حميدات
ممتحنا	المركز الجامعي بركة	أستاذ محاضر (أ)	د. عمار لعويجي

السنة الجامعية: 2019م / 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

...." وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا طه



إهداء:

يسرني كثيرا أن أهدي ثمرة هذا العمل إلى كل من أمدني بالعون بمختلف أشكاله؛

أبي رحمه الله تعالى، والذي عانى كثيرا من أجلنا، تغمده الله بلطفه ومغفرته ورحمته، وجعله من أهل الجنة،

إلى أمي الحنون التي تعبت كثيرا من أجلنا، أمدها الله تعالى بطول العمر وعمل الخير،

إلى زوجتي التي وقفت إلى جانبي وتحملت معي مشاق العمل، جزاها الله تعالى خيرا،

إلى أبناء الأعمام: أحمد براء وأسيل وأيوب؛ جعلهم الله تعالى ذخرا وفخرا

إلى إخوتي الأعمام وأختي العزيزتين، وكلّ أبنائهم؛

إلى أستاذي الفاضل: كمال قادري، جزاه الله خيرا،

إلى كلّ أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، وكلّ أصدقائي،

صافي الدين

شكرٌ وعرفان

أتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لكلّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع، من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذكر أستاذي الكريم المشرف؛ كمال قادري، الذي قدّم لي كلّ التسهيلات وكلّ النصائح والتوجيهات ولم يبخل عليّ، وكلّ الأساتذة الذين تشرفت بأن تلقّيت على أيديهم معارف كثيرة، كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم هذا العمل وتحملهم تعب مناقشته وتصويب أخطائه وتوجيهه.

أساتذتي؛ أدامكم الله تعالى ذخرا للأمة، وجعل أعمالكم في ميزان الحسنات.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيّدنا محمد وعلى آله المنتجبين وصحبه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تعدّ اللّغة في المقاربة الصّوريّة موضوعاً مجرداً، فهي نظام من العلامات ومجموعة من الجمل تربط بين مكوّناتها علاقات تركيبية صرفية ودلالية، ودراستها العلميّة تكون بالنّظر إليها في ذاتها، بوصفها كيانا مغلقاً له زمان محدّد، معزولاً عن كلّ المؤثرات الخارجيّة، ومن أجل ذاتها؛ باستكشاف واستنباط القوانين التي تحكم وحداتها وكيفية تعالقها، والتراكيب التي تجوّزها أو ترفضها، وموضوعها القدرة اللّغوية التي تمكّن المتكلّم من إنتاج عدد من الجمل الصّحيحة نحوياً.

أمّا حسب المقاربة الوظيفيّة فإنّ اللّغة أداة تسخّر لتحقيق التّواصل داخل المجتمعات، ووسيلة تستخدم لتأديّة وظائف تبليغيّة معيّنة، وتُقارب خصائصها البنيويّة على هذا الأساس، أي القدرة التبليغيّة بدل القدرة اللّغويّة التي صار ينظر إليها على أنّها إحدى مكوّناتها فقط، ولا قيمة للّغة ككيان مستقلّ، فهي ليست قوالب وصيغاً وتراكيب مقصودة لذاتها؛ وإنّما هي موجودة للتّعبير عن الوظائف المختلفة؛ كالطلب والترجّي والأمر والنّهي...

وقسمت النّظريّات التي اعتمدت المقاربة الوظيفيّة إلى اتّجاهين؛ اتّجاه بنيوي وظيفي يرى أنّ دراسة اللّغة باعتبار الوظيفة يكون من خلال الوظائف اللّغويّة الدّاخلية لمكوّناتها، وذلك بتحديد وظائف بنية الجملة التّركيبية والصّوتية؛ وقد يتعدّى هذا إلى الاهتمام بتمثيل الوظائف الدّلالية، وأبرز من مثّل هذا الاتّجاه مدرسة براغ، والوظيفية الفرنسيّة بزعامة أندري مارتيني، وهي لم تدرج في وصفها مستوى لتمثيل الخصائص المقاميّة التّداوليّة، بل ركّزت على الأشكال البنيويّة ذات الطّابع الماديّ الذي يسهل حصره وضبطه ودراسته دراسة علميّة، ووصف خصائص اللّغة بربطها بوظيفة التّعبير عن الفكر، وعدّها الخطاب نظاماً تعمل أجزاءه من أجل تحقيق التّواصل والإبلاغ.

والإتجاه الثاني وظيفي تداولي؛ ظهر في نهاية السبعينات كردّة فعل جديدة ضدّ المدّ التوليدي التحويلي، ويتمثّل في نظريّة النحو الوظيفي التداولي؛ بزعامة سيمون ديك الهولندي، حيث مثّل للجانب التداولي، ووسّع النّظر نحو بناء نحوٍ يربط بين البنية والوظيفة، على أساس أنّ الوظيفة تحدّد البنية، ونظر إلى الأبعاد التداوليّة على أنّها علاقات قائمة بين مكونات الجملة، على غرار العلاقات التركيبيّة والدلاليّة، ويكون المكوّن الدلالي والتداولي سابقين للمكوّن الصّرفي التركيبي، وعليه ينبغي عند تحليل الجملة أن يكون ثمة تمثيل للوظائف التداوليّة كما للوظائف التركيبيّة والصّوتيّة والدلاليّة، فيتّسع الكلام ليشمل الظروف الخارجيّة المحيطة إلى جانب الارتباطات اللّغويّة الداخليّة، فالباحث لا يستطيع أن يقدّم تقريراً شاملاً عن معنى جملة دون أن يبيّن الصّلات التي تربط الجمل بالسياق، وبذلك أعيد الاعتبار للنّظريات السياقية التي تؤكّد أنّ المعنى لا يعتمد على الأصوات والكلمات والأبنيّة فحسب، بل يعتمد كذلك على السياق، فدخلت مبادئها مجال اللسانيات بقوة، وتمّ ربط العبارات اللّغويّة بوظائف تداوليّة؛ تحكّمها سياقات مقامية معيّنة، وشبكة من العلاقات الاجتماعيّة المنظّمة لمقاصد المتخاطبين، والعلاقات المنطقيّة التي تتضمّن محاوراتهم، فتخرج اللّغة من محيطها السّاكن إلى محيط الكلام المتحرّك.

وبعدّ مبدأ؛ (الوظيفة تحدّد جزئياً أو كلياً بنية اللّغات الطّبيعيّة)، أهمّ مبدأ في هذه النّظريّة إجراء، وأكثرها استثماراً وأقواها حضوراً في التّطبيق على بنيات اللّغات، ومفاده أنّه لا يمكن رصد خصائص العبارة اللّغوية إلّا إذا ربطت بنيتها بوظيفتها التّواصلية، والوظائف الأخرى.

وبهذا فلا تمييز بين قدرة نحويّة وقدرة تداوليّة، وإنّما هي قدرة تواصلية، تضاف لها معرفة النّسق اللّغوي والمعارف السياقيّة، فيستحضر المتكلّم/ السّامع أثناء إنتاج عبارات لغته أو فهمها كلّ هذه المعارف، وتقوم المعرفة النّحويّة بالدور المركزي.

وفي هذا الإطار يرى أحمد المتوكّل أنّه يجب النّظر إلى اللّغة على أنّها أداة لفهم وظيفتها، ولا يكون ذلك إلّا في إطار عوامل رئيسيّة ينتظمها الموقف الكلامي، وهي المتكلم والمستمع والأشياء، ويقوم الرّمز اللّغوي على التّواؤم مع هذه العوامل.

فسعى أصحاب هذا الاتّجاه إلى إضافة المكوّن التّداولي إلى جنب المكوّن التركيبي والدّلالي، واتّخذ هذا المكوّن التّداولي وضعا قاعديًا؛ أسهم في إمداد مكوّنات العبارة بما تحتاجه لتحقيق الكفاية التّفسيرية والتّواصلية.

إنّ إدخال المكوّن التّداولي في تحليل العبارات اللّغويّة من شأنه تفسير دلالة الكثير من البنيات اللّغويّة التي يفهم حسب المقام الذي أنتجت فيه أنّها تحتمل تفسيرين، تفسيرًا مباشرًا يظهر على سطح العبارة، ويؤشّر له بمؤشّرات بنيويّة، وتفسيرًا غير مباشر يفهم من المقام، وليس له مؤشّرات بنيويّة، وهذا ما جعل أصحاب هذه النّظرية يذهبون إلى القول بأنّ النّظرية اللّغويّة لا يمكن أن تهتمّ هذه الظّاهرة التي يلاحظ بمقتضاها وجود جمل تحتمل تأويلين دلاليين، مستفيدين في ذلك من تحليلات فلاسفة اللّغات الطّبيعيّة في محاولاتهم إدخال السياق والمقام في دراسة العبارات اللّغويّة لفهم الحمولة الدّلاليّة للعبارة اللّغويّة، وتمييزهم بين دالتين مباشرة وغير مباشرة.

وقد اصطلح هؤلاء الفلاسفة على تسمية هذه الظّاهرة بالاستلزام الحواري، واصطلحوا على الحمولة الدّلالة للعبارة بالقوّة الإنجازيّة، لأنّنا عندما نقول فنحن في الوقت نفسه نفعل أشياء أو ننجز أعمالًا، وأصبح يميّز في إطار ما أسموه بنظرية (الأفعال الكلاميّة) بين قوتين، القوّة الإنجازيّة الحرفيّة المدركة مقالياً، والتي يدلّ عليها بصيغة الفعل أو الأداة أو التّثغيم، والقوّة الإنجازيّة المستلزمة المدركة مقامياً، والتي تستلزمها الجملة في طبقات مقامية معيّنة، ولا قرائن بنيويّة تدلّ عليها في صورة الجملة.

وقد ساق فلاسفة اللّغة العاديّة والوظيفيون زمرة من الاستدلالات للبرهنة على أنّ القوتين الإنجازيتين الحرفيّة والمستلزمة تسهمان معا في تحديد الخصائص الدلاليّة والتركيبيّة والتنغيميّة للعبارة اللّغويّة، وتشكّل القوّة الإنجازيّة المستلزمة جانبا هامّا من دلالة العبارة اللّغويّة.

والمطلّع على التّراث العربي اللّغوي؛ النّحوي والبلاغي والأصولي؛ يجد أنّ ثمة قدرا معقولا من توافق النّظر مع هذه الدّراسات، خاصّة ضرورة الرّبط بين بنية المقال ومقتضيات المقام، واحتمال العبارة اللّغويّة دلالتين، ولا يخفى علينا ما طرحوه من أوصاف بنيويّة لظاهرة القصر والتّقديم والتّأخير، والفصل والوصل وغيرها، والتي تتخذ بنياتها أشكالا ثلاثم المقام والأغراض والوظائف، ففسّروا بنياتها انطلاقا من مقاماتها، فإسناد إحدى هذه الوظائف إلى مكوّنات الجملة يفسّر بنيتها، وقد أطلقوا مبادئ توكّد وظيفيّتهم؛ منها: لكلّ مقام مقال، مطابقة الكلام لمقتضى الحال، الوجوه والفروق، مراعاة سياق الحال، مقتضى الظّاهر وما خرج عنه...

فهذا الطّرح الذي جاء به علماء التّراث لا يبتعد كثيرا عن الطّرح الذي جاء به المحدثون من فلاسفة اللّغة وعلماء النّحو الوظيفي المعاصر من أنّ ثمة ارتباطا بين الخصائص البنيويّة للعبارة اللّغويّة والأغراض التّواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها، والمقام الذي أنجزت فيه، وبهذا يسهم المقام والوظيفة التّواصلية في تحديد الخصائص الصّوريّة للعبارة اللّغويّة، وتعدّ معلومة (واردة) يتوسّل بها في رصد وتفسير زمرة من القواعد النّحويّة المتعلّقة بإحدى الظّواهر المقاميّة التّداوليّة؛ كظاهرة الفصل والوصل؛ ومن قواعدها:

قاعدة في الوصل؛ وهي العطف بين حملين تواكبهما نفس القوّة الإنجازيّة، أو بين حملين تتباين قوّتهما الإنجازيتان الحرفيتان، لكنّ القوّة الإنجازيّة المستلزمة للحمل المعطوف عليه تماثل القوّة الإنجازيّة الحرفيّة للحمل المعطوف؛ كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ﴾ المائدة، إذ جاز عطف الأمر (وَاتَّقُوا) على الخبر (وَحُرْمٌ)، رغم اختلاف الفعلين،

لأنّ قوله: (وَاتَّقُوا) فعل إنجازيّ مباشر قوّته الإنجازيّة الحرفيّة الطّلب بالأمر، وقوله: (وَحُرِّمَ) فعل إنجازي غير مباشر قوّته الإنجازيّة المستلزمة الطّلب بالتّرك، فرغم تباين الحملين خبرا وإنشاء جاز العطف بينهما لوجود جهة جامعة هي الطّلب، ويعدّ هذا مبرّرا تداوليّا للعطف بين الحملين، ولأنّ الفصل هنا يوهم خلاف المقصود.

ومن ذلك قاعدة في الفصل بين حملين ليس بينهما رابط شكليّ، ومع ذلك يأتي الخطاب منسجما، فيقدّر سؤال يقتضيه مقام المحاورّة، ويكون مبرّرا تداوليّا للفصل بين الحملين، حيث يأتي الحمل الثّانيّ جوابا عن سؤال يفهم من الأوّل؛ كقوله تعالى: ﴿... وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ...﴾ هود، فقوله: "قَالُوا لَا تَخَفْ" فصل عن قوله: "وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً"، لأنّ الثّانيّ جواب لسؤال يفهم من الأوّل، كأنّ سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحسّ منهم خوفا؟ فأجيب: "قَالُوا لَا تَخَفْ".

وهذا التقارب التّداولي بين علماء التّراث العربيّ واللّسانيين المحدثين؛ يسمح لنا بإقامة حوار تقارضيّ بينهما في تحليل وتقريب هذه الظّواهر اللّغويّة، وفي هذا المجال يندرج هذا العمل المعنون ب: الفصل والوصل في القرآن الكريم من البنية والوظيفة إلى القوّة الإنجازيّة - دراسة وظيفيّة تداوليّة في سورتي البقرة وآل عمران - والذي أحاول من خلاله تتبع نظرة علماء العرب القدامى لهذا الموضوع، ثمّ مقارنته بما جاءت به نظريّة النّحو الوظيفي المعاصر، ومن منظور ومقولات التّداوليين، في تحليل ما توفّر من بنياته في القرآن الكريم في السورتين.

وقد آثرت موضوع الفصل والوصل لأسباب كثيرة منها:

شيوخ هذا النّمط التّعبيري في الاستعمال، وارتباطه بوظائف تواصلية وكفايات لغويّة كثيرة، ولما له من أثر في المتخاطبين، ومجيئه في كافة سياقات القرآن - تقريبا - ولما له من دور بارز في أساليب الحوار، ومن ثمّ إمكانيّة دراسته دراسة وظيفيّة تداوليّة، تبرز القيم

التربوية العلمية والجمالية، والولوج من خلاله أبواب البحث العلمي في النظرية الوظيفية والتداولية، ودافع آخر يتمثل في معرفة سبب تحدي القرآن الكريم للعرب في النظم والمعنى.

ويهدف البحث إلى الوصل بين النظرية اللغوية التراثية والاتجاهات الحديثة، وتبيين مدى أهمية الرّبط بين الفكرين اللسانيين، ومدّ الجسر بينهما في مقارنة ظواهر اللغة العربية وتحليل بنياتها وفق مفاهيم وأوصاف لسانية عالمية، وتقريب هذا الموضوع المتناول في الدرس البلاغي النحوي القديم بمنظور النحو الوظيفي المعاصر، الذي سلكه سيمون ديك وأحمد المتوكّل وغيرهم.

ومحاولة الكشف عن العلاقة بين بنية جمل الفصل والوصل؛ وحمولتها الدلالية ووظائفها التواصليّة التي تؤدّيها، وإثبات مدى قدرة العربيّة على التّجاوب مع الدّراسات اللّسانية الحديثة.

ويستهدف البحث في هذا الموضوع المناسبات بين المعاني، وتحديد صلات بعضها ببعض، وتدبر أعطاف الجملة والجمل، لمعرفة ما بينها وبين جيرانها من علاقات، كما يتناول مقاطع الكلام ومفاصله، وذلك بتحديد الخيط الرفيع والغائر في ضمير الكلام والجمع بينهما (القوة الإنجازية والاستلزام الحواري)، ومعرفة دور النحو الوظيفي في تحليل طريقة الكلام في بناء هذه الجمل بهذا الأسلوب ووظائفها.

ولا يكون ذلك إلا إذا ربطت عبارات اللغة بمقاماتها، إذ لا قيمة لها ككيان مستقلّ، لأنّها بنيات لها مواضع خاصّة تلتحم لتعبّر عن معانٍ مشتركة، يفسّر بعضها بعضاً أو يؤكّده أو يفصله، ولها دلالات حرفيّة تنبع من مفرداتها، وأخرى يستلزمها الموقف الكلامي، وهنا يكمن الإشكال الذي نطرحه في التّساؤل التّالي: ما هي الآليات المتوسّلة بها لتقريب موضوع الفصل والوصل من حيث بنيته ووظيفته والانتقال من الفعل اللّغوي المباشر إلى الفعل اللّغوي غير المباشر ومن ثمة التعرّف على الحمولة الدلالية لبنياته؟

ويندرج ضمن ذلك مجموعة من الأسئلة منها ما يتعلّق بالجانب النحوي البلاغي منها: كيف ساغ أن تلتقي هذه الجملة بتلك؟ ولم عطفت ولم فصلت؟ وما نوع الصّلات؟ وما دور السياق في الجمع بينها؟ ومنها ما يتعلّق بالجانب الوظيفي التّداولي ومنها: ما الأبعاد التّداوليّة التي تعدّ علاقات قائمة بين مكوّنات الجملة، على غرار العلاقات التّركيبية والدّلائية؟ ماذا نقصد بالبنية والوظيفة والحمولة الدّلائية، وما العلاقة بينها؟ كيف يتمّ تحويل القوّة الإنجازيّة الحرفيّة إلى قوّة مستلزمة؟ وهل للمتكلّم والسّامع والظّروف المحيطة دور في تحديد شكلها؟ فيم تتمثّل الوظائف الإبلاغيّة التّواصلية للغة عامّة وللفصل والوصل خاصّة؟

وللإجابة على الإشكاليّة والأسئلة وضعت الفرضيّة الآتية:

- لا يمكن أن تحقّق العبارة اللّغويّة كفاياتها، ويفهم معناها ودلالاتها من خلال مستوياتها التّركيبية والدّلائية المعجميّة، بمعزل عن قواعد استعمالها، فكلّ من السياق وقصد المتكلّم وحال السّامع والظّروف المحيطة دور في صياغتها وفهمها وتأويلها، وكلّ هذا خاضع لوظيفتها التّواصلية.

ومثل هذه البحوث تحتاج إلى العودة إلى إحدى المدوّنات المعتمدة لدى العلماء العرب لاستقراءها وتحليلها ومن ثمّة الإجابة على كلّ التّساؤلات، والمنهج الذي اتّبعتّه في ذلك هو المنهج الوصفي والوظيفي، متكلّماً على استقراء وتحليلات العلماء خاصّة المفسّرين والبلاغيين، ومستعملاً ما أمكن من مبادئ الوظيفيّة، التي اعتمدها النّحويّون الوظيفيون المعاصرون، ومن أهمّ الكتب التي اعتمدها: التّحرير والتّأويل لمحمّد الطّاهر بن عاشور، وتفسير الزّمخشري، وكتاب الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة لصباح عبيد درّاز، ودلالات التّراكيب لمحمّد محمّد أبي موسى، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ومفتاح العلوم للسّكاكي، وكتاب سيبويه، وكتب أحمد المتوكّل وغيرها.

وأشير هنا إلى أنّ هذا الموضوع درسه الكثير من البلاغيين القدامى؛ من أمثال: عبد القاهر الجرجاني، والزّمخشري وابن الأثير، وعدد من المتأخّرين والمعاصرين، ومن الدّراسات الحديثة: كتاب أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة ل: صباح عبيد درّاز، عن كليّة اللّغة

العربيّة جامعة الأزهر، ورسالة: - الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة ل: حسن هادي نور،
عن جامعة المنثى . كلية التربيّة، قسم علوم القرآن، وأطروحة دكتوراه: الفصل والوصل بين علم
القراءات وعلم النّحو - دراسة صوتيّة - ل: الطاهر محمّد المدني علي، عن كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنيّة.

وهذه الدّراسات ركّزت على الجانب البلاغي لموضوع الفصل والوصل، ولم تهتمّ بالجوانب
الوظيفة الأخرى، كما أنّها لم تستعمل مبادئ النّحو الوظيفي المعاصر، ولم تقاربه بهذه النظريّة
الجديدة، وهو الجانب الذي يختلف فيه بحثي عنها.

وبعون الله تعالى اهتديت في دراسة هذا الموضوع باعتماد الخطة الآتية:

بعد المقدّمة مدخل، يليه ثلاثة فصول، ثمّ خاتمة ففهرس ثمّ قائمة المصادر والمراجع.

ابتدأت المدخل بتوطئة، ثمّ تحدّثت عن الأسس النظريّة لمفهوم الفصل والوصل، وأتبعته
بأقوال وملاحظات عنه في العصور القديمة، ثمّ الفصل والوصل عند العلماء القدامى، النّحويين
والأصوليين ومصطلحاتهم حوله، ثمّ الفصل والوصل عند البلاغيين وفي النّسق القرآني.

ثمّ انتقلت إلى الفصل الأوّل؛ وعنوته ب: الرّبط والارتباط في النّحو العربي مقابل للفصل
والوصل في البلاغة، تطرّقت فيه لموضوع الرّبط والارتباط في النّحو العربي عند النّحاة
المحدثين خاصّة كمقابل للفصل والوصل، وركّزت فيه على علاقات الارتباط في مقابل الفصل،
وأدوات الرّبط في مقابل الوصل.

يليه الفصل الثّاني بعنوان: الفصل والوصل عند البلاغيين، تحدّثت فيه عن مفهومها لغة
واصطلاحاً، ثمّ تحدّثت عن العطف الذي هو مداره، وشروط تحقّقه، وركّزت على العطف
بالواو، والفصل والوصل بين المفردات في القرآن الكريم، وأسرارها البلاغيّة، وموضعها في
سورتي البقرة وآل عمران، ثمّ موضعها في الجمل، وتحدّثت أيضاً عن الجامع بين الجمل
والمفردات، وأسس ضبط هذا الباب، وختمت الفصل بالحديث عن محاسن الوصل وعيوبه.

وبعدها انتقلت إلى الفصل الثالث بعنوان: الفصل والوصل من منظور الاتجاه الوظيفي؛ البنيوي والتداولي؛ استهلته بتمهيد عن الفصل والوصل من منظور اللسانيات الحديثة، ثم تحدّثت عن الفصل والوصل من منظور مدرسة براغ وأندري مارتيني، مركزاً على البنية والوظيفة مفهوماً وإجراءً، ثم تحدّثت عن وظائف اللّغة، بعدها انتقلت للحديث عن بنية ووظيفة الفصل والوصل من منظور وظيفي تداولي، مركزاً على تبعيّة البنية للوظيفة والقوّة الإنجازيّة، والمبادئ التّداوليّة التي تحكمهما، وختمته بالحديث عن العطف باب الفصل والوصل الأكبر عند المتوكّل.

ثمّ خاتمة ذكرت فيها أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد واجهت أثناء البحث بعض الصّعوبات، تمثّلت في صعوبة الموضوع وربطه بالقرآن الكريم والخوف من الزّلل، وقلة المراجع فيما يتعلّق بدراسته دراسة وظيفيّة تداوليّة، ولكن بعون الله تعالى وتوفيقه، ثمّ إرشادات الأستاذ المشرف تمكّنت من تجاوزها، كما وجدت صعوبة كبيرة في إحصاء الآيات التي وقع فيها الفصل والوصل، واستأنست عندها بالتّفسير وكتب الإعراب؛ خاصّة تفسير ابن عاشور، وكتاب الجدول في إعراب القرآن، فتجاوزت هذه المشكلة والحمد لله.

ولا يفوتني في الأخير وبعد حمد الله تعالى وشكره على منّه وتوفيقه، أن أتوجّه بالشّكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ كمال قادري على صبره معي ومدّه لي يد المساعدة وتوجيهه، وإلى الأساتذة المناقشين على تحمّلهم وعلى قبولهم مناقشتي، راجياً من الله تعالى أن يتقبّل منّا هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لي ولكم في ميزان الحسنات، وأن يعفو عنّا في كلّ خطأ أو سهو أو نسيان علمناه أو لم نعلمه، كما أستسمح الأساتذة الكرام عن الأخطاء الموجودة في البحث والتي لم أتعدها، والحمد لله ربّ العالمين.

مـدـخـل:

الفصل والوصل بين الإدراك والتّـنظير

مدخل: الفصل والوصل بين الإدراك والتّظهير.

- 1 . الأسس النظرية لمفهوم الفصل والوصل
- 2 . إدراك العرب القدامى مواطن الفصل والوصل
- 3 . الفصل والوصل عند العلماء القدامى
 - أ / الفصل والوصل عند النّحاة
 - ب / الفصل والوصل عند الأصوليين
 - ج / الفصل والوصل عند علماء البلاغة
- 4 . الوصل والفصل بين الجمل في النّسق القرآني

توطئة:

موضوع الفصل والوصل واحد من موضوعات علم المعاني، بل من أهمّ موضوعات البلاغة وأدقّ أبوابها، يتميّز بلطف المدخل ودقّة المسلك ومعرفة بوجوه الكلام، وما يكون عليه من الاتّصال أو الانفصال، ومعرفة أمر ضروريّ في لغة القرآن الكريم، إذ تتضح من خلاله الكثير من المعاني والأحكام، ويظهر الإيجاز، وهو من المباحث المتعلقة بمقتضيات المقام، لأنّه بحث في المناسبات بين المعاني، وتحديد صلوات بعضها ببعض، وكيف ساغ أن تلتقي هذه بتلك؟ ولم عطف ولم فصلت؟ وما نوع الصّلات؟ وما درجتها؟

ولا يحيط علما بموضعها إلّا من أوتي حظًا في فهم كلام العرب وذوقا في إدراك أسرارها، ولذلك يرى أبو هلال العسكري أنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بموضعها كانت كاللّلكيّ بلا نظام، وقد جعل عبد القاهر الجرجاني العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف أو تركه والمجيء بها منثورة مستأنفة من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى إلّا للخّص من الأعراب.

والوصل والفصل في النّسق القرآني أشمل وأعمّ من الوصل والفصل بمعناه البلاغي، إذ يشملان كلّ وسائل الاتّصال والاتّحام بين الأساليب التّعبيّريّة، ووسائل الأداء كأدوات الرّبط والشّروط والتّقابل بين المعاني أو التّناظر أو التّقريع، ومن هنا تتضح أهميّة الموضوع وصعوبته، خاصّة عند التّطبيق حيث تظهر دلالات كثيرة تتبع من سياقات جملة.

1 . الأسس النّظريّة لمفهوم الفصل والوصل:

يعدّ موضوع الفصل والوصل من أهمّ المواضيع التي تطرقت إليها الدّراسات اللّسانيّة القديمة والحديثة، فتناوله الدّارسون القدامى من جوانب نحوية وبلاغيّة، والمحدثون من جوانب معنويّة وبرغماتيّة، وهذا المصطلح أكثر استعمالا عند البلاغيين العرب، وهو ليس بنفس المفهوم والاستعمال عند اللّسانيين الغرب والعرب المحدثين، حيث هو عندهم أقرب إلى مفهوم الرّبط والقطع عند النّحاة العرب القدامى¹، ونحاول من خلال هذا العمل ضبط مجالات

¹ ينظر: خليفة الميساوي، الوسائل في تحليل المحادّثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،

الدّراسات فيه، من خلال ما توصل إليه الدّرس العربي القديم والمعاصر في هذا المجال، وتقريبه من خلال ما توصلت إليه الدّراسات اللّسانيّة الغربيّة والعربيّة المعاصرة من مقاربات تساهم في ضبطه، ونظرا لانتّساع مجال الدّراسة سنقتصر على المقاربات الوظيفيّة والتّداوليّة، وأهمّ الإجراءات التي تعتمد عليها، راجين من المولى عزّ وجلّ أن يسدّدنا ويوفّقنا في ذلك.

2. إدراك العرب القدامى مواطن الفصل والوصل:

معرفة الوصل والفصل وإدراك مواطنهما عند العرب كان سليقة يجري في التّعبير على نحو تلقائيّ، يعبر عن وجدانهم وفكرهم، بلغة ذات نظام نحويّ وبلاغيّ متكامل، يمثل عبقرية هذه اللّغة التي هي نهج حياة كاملة، تُصوّر عواطفهم وأحاسيسهم وتفكيرهم، فإدراك العرب لأساليب التّعبير كان حسّا وجدانياً ونظاماً عقلياً.

ومن الصّعب معرفة البداية الحقيقيّة لهذا الفنّ فهي ضاربة في جذور الزّمن، ومركوزة في أذواق النّاس وطباعهم، ومن أوائل ما وصل من ملاحظات في هذا الشّأن ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه الصّناعتين عن أكتّم بن صيفي (أحد حكام العرب في الجاهليّة)، أنّه كان إذا كاتب الملوك يقول لكتّابه: **إفصلوا بين كلّ معنى مُنقَضٍ، وصلوا إذا كان الكلام معجوباً بعضه ببعض...،** وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكتّابه المرقش: **إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فأفصل بينه وبين تبعه من الألفاظ، فإنّك إن مدّقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمّدق به نفرت القلوب عن وعيها، وملّته الأسماع واستنقذته الرواة¹.**

ولم تكن هذه المقولات مجرد تنظير لما يجب أن يكون عليه الكلام، بل تعدّت إلى التّطبيق العملي، ومن أمثلتها قول أكتّم بن صيفي: **والدنيا دُولٌ فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد ليس له دواء، والشّماتة تعقب، ومن برّ يوماً برّ به...،** فقوله

¹ ينظر: كتاب الصّناعتين، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، تح: علي محمد البجاوي، ط1، 1952م، دار إحياء الكتب العربيّة، ص: 440.

والدّنيا دول؛ جملة تحتاج إلى تفسير وإيضاح فوصلت بما بعدها، وقوله: ما كان لك أذاك... كلام معجون بعضه ببعض ففصل بينه¹.

وبدأت الملاحظات تكثر مع مجيء الإسلام، لنرى بعض الأثر الدالّ على نحو هذا الفنّ في كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وصحابته رضي الله عنهم، وقد كان للقرآن الكريم الأثر الأقوى في حسن سبك أقوالهم، ومن ذلك قوله صلّى الله عليه وسلّم: "لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فَلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ مَا شَاءَ فَلَانٌ"، ويتّضح من الحديث أولى قواعد استعمال حروف النّسق، وكيفيّات الوصل في الكلام على معاني الحروف؛ فلا بدّ أن تتمّ على مقتضى ما يتطلّب المعنى الذي يحدّده المقام، فاستعمال حرف الواو مكان ثمّ يؤدّي إلى تغيير في المعنى، ولا يصل إلى المقصود على الوجه الأكمل، وفي حديث آخر أنّ رجلاً خطب عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فقال: مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعَصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ وَمَنْ يَعَصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ...". فالجمع بين الله ورسوله بضمير التّثنية فيه من عدم التّأدّب مع الله تعالى، فلا بدّ من إعادة الاسم بلفظه إجلالاً وإكباراً، فاهتمامه صلّى الله عليه وسلّم بمقاطع الكلام وفصله ووصله ظاهر، وكذلك ما جاء في الأثر أنّ رجلاً سأله أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه: (أَتَبِيعُ هَذَا الثُّوبَ؟) فَقَالَ: لَا عَافَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، هَلَّا قُلْتَ لَا وَعَافَاكَ اللَّهُ، فقد أدرك أنّ كلام الرّجل يوهم عكس المقصود فأنكر عليه لفظه، ففصل بالواو بين جملة الجواب المنفي وجملة الدّعاء، فحذف الواو يوهم تحوّل المعنى إلى الدّعاء عليه، وهو عكس ما يتطلّبه المقام، فالواو بيّنت المعنى وأبعدت اللبس والخطأ، وقد صورها الصّاحب بن عبّاد حين سمع هذه الحكاية بأنّها أحسن من واوات الأصداغ في خدود الملاح؛ يقصد خصلات الشّعر الملتوية على أصداغ الحسان وتكون مثل الواو على الخدود (الوجنة)، وفي هذا بعد جماليّ فني²،

¹ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، رسالة دكتوراه، يوسف عزّاد سالم القماز، جامعة السّند جامشورو، باكستان، ص: 34، 35.

² ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998م، 1/ 261/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباّح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، ط1، 1986م، مصر، ص: 9، و123/ وكتاب درّة الغواص في أوهام الخواص، الحريري أبو محمّد القاسم بن علي، ط1 مطبعة الجوائب،

وسمّي هذا النوع فيما بعد في باب الفصل والوصل بكمال الانقطاع مع الإيهام، وهذه الملاحظات أُعتمد عليها لمعرفة التّناسب بين أجزاء الآيات وفواصلها، وهي قضية أساسية في الفصل والوصل¹.

إنّ ما ذكره أبو هلال وغيره من روايات في أمر فصل الكلام ووصله قريب ممّا يقرّره القرّاء في الوصل والوقف في قراءة كتاب الله، وإذا أردنا أن نتتبّع نشأة البحث في الفصل والوصل بحثاً علمياً، كما هو مقرّر في كتب البلاغة فلن نجد شيئاً قبل القرن الخامس يمكن أن يعتدّ به²، لأنّ أكثر ما ذكر قبل ذلك يرجع إلى موضوع الوقف والابتداء أو القطع والاستئناف في آيات الذّكر الحكيم، وهو تابع لعلم القراءات القرآنية، ولا يمكن إدخاله في هذا الباب بالمفهوم العلمي المحدّد³.

3 . الفصل والوصل عند العلماء القدامى:

تحدّث القدماء كثيراً عن الفصل والوصل وأهميته وصعوبته، وكان الجاحظ من أوائل من تكلموا عنه في كتبهم، ووقف عنده أبو هلال العسكري وقفة طويلة، وذكر أقوالاً كثيرة تدلّ على أهميّة هذا الأسلوب، وبحثه عبد القاهر بحثاً مفصّلاً يقوم على التّقسيم والتّحديد، وبخاصّة ما تذكر فيه الواو وما تترك في الجمل التي لا محلّ لها، لأنّها مواطن تحتاج قدراً من الفكر وإعمال الذّهن، فوضع قوانين اعتمدها المتأخرون، واهتدى إلى جوانب منها الرّمخشري والسّكاكي والسّهيلي والرّازي وأبو حيّان، وعنهم أخذ الزّمكاني والعلوي والسّبكي، وأصحاب التّقارير، وبقيت أسرار بلاغية كامنة وراء العطف أو تركه؛ كقضية عطف الخبر على الإنشاء، وعطف المؤكّد، وحتّى في المفردات أو الصّفات التي جاءت في مواطن متواليّة دون عطف

قسطنطينية 1299هـ، ص: 14/ والقطع والانتناف، النّحاس أبو جعفر أحمد بن محمّد، تح عبد الرّحمان بن إبراهيم المطرودي، ط1 دار عالم الكتب الرياض 1992م، ص: 16.

¹. ينظر: النّكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 44، 45.

². ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الرّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمّد محمّد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط2، 1988م، القاهرة، ص: 175، 176.

³. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، شكر محمود عبد الله، دار دجلة، ط1، 2009م، الأردن، ص: 37.

وفي أخرى معطوفة بالواو، وغير ذلك من القضايا، وقد تناوله المحدثون بحذر شديد فنقلوا عن القدماء الشّواهد والمواضع ذاتها¹.

أ / الفصل والوصل عند النّحاة:

توجد إشارات بلاغية ضمن مباحث علماء النّحو، فرضتها الصّلات الشّديدة بين علوم العربيّة، وتداخل الموضوعات واختلاطها؛ خاصّة عند العلماء المتقدّمين، فصفة الشّمول تغلب على مؤلّقاتهم، ومن المباحث المشتركة بينها مثلاً: عطف الجمل، والمفردات والاستئناف والجمل الحاليّة، والبدل والبيان والقطع، والمناسبة والتّناسب وغير ذلك ممّا صار أصولاً تقوم عليها دراسة الفصل والوصل، فنجد هذه الموضوعات تناولتها كتب البلاغة والنّحو واللّغة والتّفسير، والذي يعنينا هنا مبحث الوصل والفصل، هذا المصطلح لم يستعمله النّحاة في تحليلاتهم النّحويّة بلفظه ودلالته التي استعملها البلاغيّون، ولكنهم ذكروه بمعناه في تصوّره لنظريّة الرّبط، وقد اعتمدوا على مبدأ الإعراب كمبدأ أساسيّ في تصوّره، فحاولوا إخضاع كلّ بنية لفظيّة إلى مفهوم العلاقات الإعرابيّة داخل مكّونات الجملة أو الرّبط بين الجمل، ففسّروا علاقات الرّبط من خلال البنية العامليّة التي تشكّل المعنى الإعرابي الذي يسببه توارد الكلام، وهذا جعلهم يبحثون ويكتبون أبواباً في كفيّة الرّبط بين مكّونات الجملة الواحدة، أو بين الجمل المتعدّدة، وتحدّثوا عن أدوات الرّبط المناسبة لتواصل الكلام، ومواضع استعمالها والعلاقات الأخرى الرّابطة بين الجمل بعيداً عن هذه الأدوات والحروف، والأمور التي توجب الانقطاع²، وهذا صلب موضوع أسلوب الفصل والوصل بالمعنى الاصطلاحي الذي شاع في كتب البلاغيّين، ممّا يدلّ على أنّه موضوع قديم في العربيّة.

ويلحظ الدّارس أنّ النّحاة انطلقوا في دراساتهم بناء الجملة من المبنى للوصول إلى المعنى، فعكفوا على دراسة المبنى لاستنباط قواعدهم، من خلال استقراء كلام العرب، لغرض

¹ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1987م، 3/ 118 والفصل والوصل في القرآن الكريم (سورتي النّبا وعيس أنموذجاً)، عبد القادر عبد الله فتحي، مقال، مجلّة أبحاث كليّة التّربيّة الأساسيّة، مج: 8، العدد: 4، ص: 137/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 6.

² ينظر: الوسائل في تحليل المحادّثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 14/ والبلاغة القرآنيّة في تفسير الرّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية، محمّد محمّد أبو موسى، ص: 177.

إعانة المتلقّي على تجنّب الخطأ في فهم المعنى، وإعانة المتكلّم على انتحاء تلك القواعد، أي في اتجاه معاكس لما يسير عليه نظام الحدث الكلامي في عملية الاتّصال اللّغوي حسب النظرة الحديثة، وكذلك لما سار فيه عبد القاهر في نظريّة النّظم¹.

أ. 1. الفصل والوصل عند سيبويه:

يشتمل كتاب سيبويه (ت180هـ) على إشارات كثيرة يمكن إدخالها ضمن نظام الفصل والوصل، وإن لم يذكر هذا المصطلح البلاغي باسمه ولا بموضوعاته، لا في عمومه ولا في خصوصه، لأنّ ذلك لم يكن معهودا في زمنه، وإنّما عرف فيما بعد على يد الفراء²، ولكنّه تحدّث عن هذا المصطلح من خلال الأمثلة التي ذكرها في كتابه عند حديثه عن الفواصل في باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف، ويفهم من كلامه والأمثلة أنّ الفاصلة عنده تقع عند تمام الكلام، فتقع في رؤوس الآي وفي غير رؤوس الآي، كما في قوله تعالى: "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ" فأرتدّا على آثارهما قصصا ﴿٦٤﴾ الكهف، فقوله تعالى: "ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ" فاصلة، وهي بهذا؛ بمعنى الفصل تماما الذي عناه البلاغيون، وهو أن يكون الكلام منفصلا عمّا بعده لسبب من الأسباب، وفي هذه الآية الكريمة ينفصل ما بعد هذا المقطع أي قوله تعالى: "فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا" ينفصل عنها بفاء الاستئناف³، وممّا ذكره سيبويه في هذا الفنّ "ما يفيد شبه كمال الاتّصال" وإن لم يصرّح باسمه⁴، ومن ذلك ما ذكره في باب بدل المعرفة من النّكرة والمعرفة من المعرفة، وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة؛ يقول: (أمّا بدل المعرفة من النّكرة فقولك: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ، كأنّه قيل له: بِمَنْ مَرَرْتُ؟ أو ظنّ أنّه يقال له ذلك، فأبدل مكانه ما هو أعرف منه)، وفي تعليقه على بيت المهلهل:

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص: 20.

² ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة، 1998م، دط، القاهرة، ص: 97.

³ ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام هارون، ط2، 1982م، مكتبة الخانجي، القاهرة،

185/4 والنّكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 93.

⁴ ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 97.

وَلَقَدْ حَبَطْنَ بِيُوتَ يَشْكُرَ حَبْطَةً أَخْوَالَنَا وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ

يقول: (كأنه حين قال: حَبَطْنَ بِيُوتَ يَشْكُرَ قيل له: وما هم؟ فقال: أَخْوَالَنَا وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ)¹، وذكره في موضع آخر من الكتاب في تقدير السّؤال والإجابة؛ في تعليقه على قول: إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقُ الْعَاقِلِ اللَّيْبِ، يقول: (العَاقِلُ اللَّيْبُ يرتفع على وجهين: على الاسم المضمّر في منطلق، كأنه بدل منه، فيصيرُ كقولك: مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ إذا أردت جوابِ بِمَنْ مَرَرْتُ؟ فكأنه قيل له: مَنْ يَنْطَلِقُ؟ فقال: زَيْدُ الْعَاقِلِ اللَّيْبِ، وإن شاء رفعه على: مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ، إذا كان جوابِ مَنْ هُوَ؟ فتقول: زَيْدٌ، كأنه قيل له: مَنْ هُوَ؟ فَقال: الْعَاقِلُ اللَّيْبِ، وإن شاء نصبه على الاسم الأوّل المنصوب)²، فقد ضَمَّنَ الجملة الأولى سؤالاً، وجعل الجملة التّانيّة جواباً لهذا السّؤال المقدّر، بل نصّ في تعليق آخر على أنّ الجملة التّانيّة استئناف؛ يقول: (وتقول: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ الْأَسَدِ شِدَّةً، كَأَنَّكَ قَلْتَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَامِلٍ، لأنّك أردت أن ترفع من شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟)³، وهذا أحد مواضع الفصل، ويسمّى: شبه كمال الاتّصال، ويسمّونه استئنافاً.

ويتحدّث عنه في موضع آخر؛ يقول: (وأما قولهم: نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، فهو بمنزلة: ذَهَبَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ، عَمِلَ نِعَمٌ فِي الرَّجُلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِي عَبْدِ اللَّهِ، وإذا قال: عَبْدُ اللَّهِ نِعَمَ الرَّجُلِ، فهو بمنزلة: عَبْدُ اللَّهِ ذَهَبَ أَخُوهُ؛ كأنه قال: نِعَمَ الرَّجُلِ، ففيل له: مَنْ هُوَ؟ فقال: عَبْدُ اللَّهِ، وإذا قال: عَبْدُ اللَّهِ، فكأنه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نِعَمَ الرَّجُلِ)⁴، ويظهر من قوله إنّ (نِعَمَ) تعمل في الرّجل ولا تعمل في عبد الله، وأنّ العامل في عبد الله مضمّر، وجملة نعم الرّجل مفصولة عن عبد الله، ليس انفصالا تاماً، بل هناك علاقة رابطة في كون المسند إليه في الجملتين واحداً، ويبين نوع هذا الفصل والمناسبة بينهما بقوله: (فَعَبْدُ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ نِعَمٍ فِي شَيْءٍ، والرّجل هو عبد الله ولكنّه منفصل منه كأنفصال الأخ منه إذا قلت: عَبْدُ اللَّهِ ذَهَبَ أَخُوهُ، فهذا تقديره وليس معناه

¹. ينظر: الكتاب، 2 / 14 . 16.

². ينظر: المصدر السابق، 2 / 147.

³. المصدر السابق، 2 / 17.

⁴. المصدر السابق، 2 / 176، 177.

كمعناه¹، ويسمى هذا استئنفا بيانياً، حيث تنفصل الجملة التّانيّة عن الأولى مع وجود علاقة بينهما، كعلاقة السّؤال بالجواب، وهذا ما يريده سيبويه في هذا المثال، وقد نصّ على تقدير السّؤال الناتج عن الجملة الأولى، بقوله: ما شأنه؟ وما هو؟ وذكره في باب حذف الفعل لكثرتّه في الكلام؛ يقول: (وقد يجوز أن تقول: ألا رجلٌ إمّا زيدٌ وإمّا عمرو، كأنّه قيلَ له: مَنْ هَذَا الْمُتَمَنِّي؟ فقال: زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو)².

وقد أثار سيبويه مسألة على جانب من الأهمية، لها ارتباط وثيق بفنّ الفصل والوصل، وهي قضية عطف الإنشاء على الخبر، أو ما يعبر عنه البلاغيون بكمال الانقطاع بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فقد جوّز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر؛ نحو: هَذَا زَيْدٌ وَمَنْ عَمْرُو؟ وشاهده من القرآن الكريم قوله تعالى: "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا

لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ... ﴿١١﴾ الأنعام، وأهل هذا الفنّ متّفقون على منعه، وإذا وجدوا شيئاً من ذلك أولوه وقدّروا عطف خبر على خبر أو إنشاء على إنشاء³، وقد ذكر أسئلة كثيرة في الكتاب توضّح هذه النّقطة، ففي باب ما ينصب فيه الاسم لأتّه لا سبيل له أن يكون صفة؛ يقول: (واعلم أنّه لا يجوز: مَنْ عَبْدُ اللَّهِ وَهَذَا زَيْدُ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحِينَ، رفعت أو نصبت؛ لأنّك لا تثني إلّا على من أثبتّه وعلمته، ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لا تعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة، وإنّما الصّفَةُ عَلَمٌ فيمن قد علمته)⁴، فقوله (لا يجوز) نصب الصّفَة على التّثنية، لأنّ الموصوفين أحدهما معروف والآخر غير معروف، وليس لأنّ الجملة: هذا زيد خبريّة، معطوفة على الجملة الإنشائيّة: من عبد الله؟ وهذا دليل إجازته لعطف الخبر على الإنشاء⁵، ومن أدلّة جواز عطف الخبر على الإنشاء ما ذكره في باب الأمر والنّهي؛ قوله: (وقد يحسن ويستقيم أن

¹. الكتاب، 2/ 178.

². المصدر السابق، 1/ 289.

³. ينظر: حاشية السيّد على المطول، سعد الدّين التّفّازاني، مطبعة الحاج محرم، 1310، ص: 12، 263/ والبلاغة العالّية، علم المعاني، عبد المتعال الصّعيدي، مكتبة الآداب ط2، 1991م، ص: 106/ وأثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 98.

⁴. الكتاب، 2/ 60.

⁵. ينظر: النّكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 87.

تقول: عبدُ اللهِ فَاضْرِبُهُ، إذا كان مبنياً على مبتدأ مُظْهِرٍ أو مُضْمَرٍ، فأما في المظهر فقولك: هَذَا زَيْدٌ فَاضْرِبُهُ، وإن شئت لم تُظْهِرْ "هذا" ويعمل كعمله إذا أظهرته¹، فالخلاصة في هذا أنّ جملة: هذا زيد خبرية لفظا ومعنى عطف على جملة: اضربه وهي جملة إنشائية لفظا ومعنى.

وتحدّث عن كمال الانقطاع أيضا من خلال أمثلة ذكرها في ثنايا الكتاب؛ منها قوله: (وسألته . أي الخليل . هل يكون: إن تَأْتَيْتَنَا نَسَأَلْنَا نُعْطِكَ؟ فقال: هذا يجوز على غير أن يكون مثل الأوّل، لأنّ الأوّل الفعلُ الآخرُ تفسيرا له، وهو هو، والسؤال لا يكون الإتيان، ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتداركُ كَلَامَهُ²، وواضح من قوله أنّ جملة (تأتنا) لا علاقة لها بجملة (تسألنا)، لأنّ الإتيان غير السؤال؛ فلا ارتباط بين الجملتين فبينهما كمال الانقطاع بسبب الغلط³.

وكذلك قوله: (وتقول: إِنْتَبِي آتِكَ، فتجزم على ما وصفنا، وإن شئت رفعت على أن لا تجعله معلقا بالأوّل، ولكنك تبدئه وتجعل الأوّل مستغنيا عنه، كأنه يقول: إِنْتَبِي أَنَا آتِيكَ، ومثل ذلك قول الأخطل:

وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلَهَا فَكُلُّ حَنْفٍ أَمْرِي يَمْضِي لِمِقْدَارٍ⁴

فجملة (نزاولها) بالرفع منفصلة عن جملة (أرسوا) لكمال الانقطاع بين الجملتين، فالأولى إنشائية، والثانية خبرية.

وتحدّث عن الجملة التفسيرية وعطف البيان عند الحديث عن قوله تعالى: "... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ الفرقان، وسأل الخليل عنها فقال: (هذا كالأوّل؛ لأنّ مضاعفة العذاب هو لُقْيُ الآثام، ومثل ذلك من الكلام: إن تَأْتَيْتَنَا

¹. الكتاب، 1/ 138.

². المصدر السابق، 3/ 87.

³. ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 88.

⁴. الكتاب، 3/ 95 . 97.

نُحْسِنُ إِلَيْكَ نُعْطِكَ وَنَحْمِلُكَ، تفسّر الإحسان بشيء هو هو، وتجعل الآخر بدلاً من الأول¹، فقله: "يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ" تفسير للآثام، وعطف بيان، لأنّ الآثام ليست شيئاً آخر سوى مضاعفة العذاب والخلود فيه، ومثله: نُعْطِكَ في المثال الثاني، ومن الشّعْر قول الحطيئة:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزْلاً وَنَارًا تَأَجَّجًا

فيجعل قوله: (تُلْمِمُ) بدلاً من الفعل الأول، ففسّر الإتيان بالإلمام، ونظيره في الأسماء: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عَبْدِ اللَّهِ، فسّر الاسم الأول بالاسم الآخر².

أ . 2 . الفصل والوصل عند الفراء:

ثمّ جاء الفراء (ت207هـ) وهو من علماء الكوفة، واشتمل كتابه (معاني القرآن) على تعقيبات تؤكّد أنه تناول الفصل والوصل، ونصّ على ذلك في أكثر من موضع، وقد لاحظ أنّ بعض الآيات القرآنيّة تأتي مرّة على سبيل الاتّصال، وأخرى على سبيل الانفصال، وهذا ما كان يدور على ألسنة البلاغيين³؛ مثل قوله تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ... ﴿٤٩﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ... ﴿٦٠﴾" إبراهيم، فكلّمة (يُدَبِّحُونَ) جاءت مرّة بالواو متّصلة بما قبلها، وأخرى بدون الواو منفصلة عمّا قبلها، ويفسّر الفراء الفرق بين الأسلوبين في حديث صريح يدلّ على أسلوب الفصل والوصل؛ يقول: (فمعنى الواو أنّهم يمسهّم العذاب غير التّدبيح، كأنّه قال: يعدّبونكم بغير الدّبح وبالذّبّح، ومعنى طرح الواو كأنّه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثّواب مجملاً في كلمة ثمّ فسّرتّه فاجعله بغير الواو، وإذا كان أوّله غير آخره فبالواو، فمن المجمل قول الله

¹. الكتاب، 3/ 87

². ينظر: الكتاب، 3/ 86 والنكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 90.

³. ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 145، 146.

عز وجلّ: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^{٦٩} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ الفرقان، فالأثم فيه نيّة العذاب قليلة وكثيره، ثمّ فسره بغير الواو فقال: "يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ... ﴿٦٨﴾ الفرقان، ولو كان غير مجمل لم يكن ما ليس به تفسيراً له)¹، ثمّ يضرب مثالا مفسّراً وشارحا ومحلّلا لتقريب الفهم والقياس عليه، يقول: (ألا ترى أنّك تقول: عِنْدِي دَابَّتَانِ بَعْلٌ وَبِرْدُونٌ، ولا يجوز عِنْدِي دَابَّتَانِ وَيَعْلٌ وَبِرْدُونٌ، وأنّك تريد تفسير الدابّتين بالبعل والبردون)²، والملاحظ في تفسيره أنّ الجملة إذا كانت بيانا لمجمل معنى الأولى، فإنّ الواو تطرح، ويسمّي البلاغيّون هذا بكمال الاتّصال، فالذّبح توضيح للعذاب وتفسير له، ولا يقع حرف العطف بين التّفسير والمفسّر، وإذا كان مقصود التّانيّة غير الأولى يكون الوصل بينهما بالواو؛ باعتبار أنّ الذّبح شيء غير سوم العذاب، ومن هذا التّفسير الرّائع استقى البلاغيّون حديثهم واستشهدوا بهذه الآية في كتبهم³، ونجد في كتابه أمثلة كثيرة تدلّ على ما ذهب إليه الفراء في هذا الخصوص؛ فمن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ عبس، أنّ من قرأ (أنا) بالفتح كعاصم؛ يجعلها في موضع خفض وتفسير للطّعام، والمعنى: فلينظر إلى صَبَبْنَا الْمَاءَ، وفعلنا كذا وكذا، فتكون الجملة التّانيّة مفسّرة لما في الجملة الأولى، ومن قرأ (إنا) بالكسر كأهل الحجاز؛ يستأنف وتكون الجملة خبرا عن صفة الطّعام⁴، ويفهم من كلامه أنّه بالفتح تنفصل الجملة التّانيّة عن الأولى لكمال الاتّصال، لأنّها تأتي للبيان والتّفسير، وبالكسر تنقطع التّانيّة عن الأولى، لكمال الانقطاع، لأنّ الجملة الأولى إنشائيّة والتّانيّة عندئذ خبريّة.

¹. معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 2/ 68، 69.

². المصدر السابق، 2/ 69، والبردون يُطلق على غير العربي من الخيل والبغال، من الفصيحة الخيلية، قوي الأرجل.

³. ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 146.

⁴. ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/ 238 والنكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم، ص: 108.

وفي موضع آخر من كتابه نصّ على هذا الفنّ؛ وذكر ما يفيد شبه كمال الاتّصال، وذلك عند حديثه في قوله تعالى: "... قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا^ط قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ البقرة، يقول عندما لاحظ إسقاط الواو من "قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ": (وهذا في القرآن كثير بغير الفاء، وذلك لأنّه جواب يَسْتَعْنِي أَوْلُهُ عن آخِرِهِ بِالْوَقْفَةِ عَلَيْهِ، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا؛ فَكَأَنَّ حُسْنَ السُّكُوتِ يَجُوزُ بِهِ طَرْحُ الْفَاءِ، وأنت تراه . أي الفصل . في رؤوس الآيات . لأنّها فصولٌ . حَسَنًا)¹، ومثّل بآيات من القرآن الكريم، ثم بأبيات شعر، ليستدلّ على صحّة ما ذكره، ويقول في موضع آخر مصرّحاً بأن هذا الأمر أمر أسلوب في الكلام: (ولو كان على كلمة واحدة لم تُسقط العرب منه الفاء، من ذلك: قُمْتُ فَفَعَلْتُ، لا يقولون: قُمْتُ فَعَلْتُ، ولا قُلْتُ قَالَ، حتّى يقولوا: قُلْتُ فَقَالَ، وَقُمْتُ فَقَامَ، لأنّها نَسَقٌ وليست باستفهام يوقف عليه)²، ويصرّح بأنّ مثل ذلك ممّا لا يحصيه كثير في كتاب الله تعالى، وأنّه جاء بالواو وبغير الواو، فالفرّاء هنا ينصّ على التّسميّة بأنّ رؤوس الآيات إذا جاءت منفصلة عمّا قبلها فهي فواصل، كأنّها واقعة جوابا لسؤال مقدّر، فتتفصل عمّا قبلها، كما يفصل الجواب عن السؤال، وهذا ما يسمّيه البلاغيّون بشبه كمال الاتّصال، وفي آخر تفسير الآية السّابقة يضع قاعدة للفصل عندما يقول: (فاعرف بما جرى تفسير ما بقي، فإنّه لا يأتي إلّا على الذي أنبأتك به من الفصول أو الكلام المكتفي، يأتي له جواب)³.

ويتحدّث عن هذا النوع (شبه كمال الاتّصال) في تفسير قوله تعالى: "... إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ^{١١} هود، يقول: (لمّا أتوا لوطا أخبروه أنّ قومهم هالكون من غد في الصّبح، فقال لهم لوط: الآن الآن، فقالت الملائكة: أليس الصّبح بقریب)⁴، ويفهم من كلام

¹. معاني القرآن، 1/ 43، 44.

². المصدر السابق، 1/ 44.

³. المصدر السابق، 2/ 44.

⁴. المصدر السابق، 2/ 24.

الفراء أنّ جملة: "أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ" جواب عن سؤال ناتج من الجملة الأولى: "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ"، ذلك أنّ الظرف: الآن؛ يحتمل أن يكون معمولاً لسؤال مقدر: لِمَ لا ينزل العذاب بهم الآن؟ ففصل بين الجملتين لشبه كمال الاتّصال، ويمكن تقدير عامل الظرف جملة طلبية، وتقديره: افعّلوا الآن، فيكون الفصل بين الخبر والإنشاء في المعنى¹، وهذا من كمال الانقطاع والله أعلم، وقد عبّر عن هذا النوع في مواضع بالقطع وفي غيرها بالاستئناف والمعنى واحد، ومن ذلك قوله عند تفسيره قوله تعالى: "...وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِاللَّزْلِمْ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ... المائدة، (والكلام منقطع عند الفسق، و"الْيَوْمَ" منصوب بـ"يَئِسَ" لا بالفسق)²، فالكلام منفصل تمام الانفصال عن سابقه، وليس هناك رابط نحوي بين الجملتين، لكنّ الرّابط المعنوي يبقى قائماً، ويقول في تفسير قوله تعالى: "وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً... يونس، (المعنى الاستئناف، ولم يقولوا هم ذاك، فيكون حكاية)³، وهذا التعبير صريح جدّاً عن كمال الانقطاع، فالجملة الثانية "إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً" منقطعة عن الأولى "وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ"، لأنّها ليست من مقولهم، ولو كانت من مقولهم لبطل المعنى، ثمّ إنّ الأولى إنشائية والثانية خبرية، كما أنّ المسند إليه في الأولى غير المسند إليه في الثانية. وبهذا يكون الفراء قد نصّ على كمال الانقطاع، وإن لم يذكره بالاسم.

وتعرّض الفراء للمناسبة أو الجامع بين الجمل في كتابه؛ يقول: (فإذا رأيت الفعل منصوباً وبعده فعلٌ قد نسقَ عليه بواوٍ أو فاءٍ أو ثمّ أو أو فإن كان يُشاكلُ معنى الفعل الذي قبله نسقتهُ عليه، وإن رأيتُهُ غيرَ مُشاكلٍ لمعناه استأنفتهُ فرفعتُهُ)⁴، فمن المنقطع المستأنف قول الله تعالى:

¹. ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 106.

². معاني القرآن، 1/ 301.

³. المصدر السابق، 1/ 471.

⁴. المصدر السابق، 2/ 68.

"وَاللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ النساء، فَإِنَّ " وَيُرِيدُ الَّذِينَ " رُفِعَتْ لِأَنَّهَا لَا تُشَاكِلُ " أَنْ يَتُوبَ "، (ألا ترى أنّ ضمك إياهما لا يجوز، فاستأنفت أو رددته على قوله: "وَاللّٰهُ يُرِيدُ"، ومثله: "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ التوبة، فيأبى في موضع رفع لا يجوز إلا ذلك)¹، ومن كلامه نفهم أنّ حروف العطف تفيد العطف حيث يكون تشابه بين الجملتين ومناسبة تجمع بينهما، فإن لم يكن هناك تشابه أو تشاكل كما قال الفراء؛ كانت هذه الحروف حروف استئناف، ويقع حينها فصل بين الجملتين سواء وقع بحرف استئناف كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى: "...لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٥﴾ الحج، قال الفراء في تفسيرها: (استأنف "وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ" ولم يرددها على "لِنُبَيِّنَ")²، وقد يستأنف من غير حرف كما في قوله تعالى: "وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا... ﴿١٥﴾ يونس.

وتحدّث عن اختلاف الجملتين المتعاطفتين، وذلك عند تفسيره قول الله عزّ وجلّ: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ... ﴿١٥﴾ الحج، قال: (رُدَّ يفعلون . يريد المضارع . على فعلوا . الماضي . لأنّ معناهما كالواحد في الذي وغير الذي، ولو قيل: إنّ الذين كفروا وصدّوا لم يكن فيها ما يُسألُ عنه، وردّك يفعلون على فعلوا لأنك أردت: إنّ الذين كفروا يصدّون بكفرهم، وإدخالك الواو كقوله: "... وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا... ﴿١٣﴾ الأنعام، أضمرت فعلاً في الواو مع الصدّ كما أضمرته ها هنا)³، واختير لهم يصدّون لأنّه كالدائم منهم، ويفهم من كلامه بعد ذلك أنّه من الأحسن عطف المضارع على المضارع والماضي على الماضي، والجملّة الاسميّة على الاسميّة، ولا بأس أن تردّ فعلاً على يفعل، وأن تردّ يفعل على فعل، وحتى يكون العطف

¹ معاني القرآن، 2/ 68.

² المصدر السابق، 2/ 216.

³ المصدر السابق، 2/ 220، 221.

متجانسا هنا يُقدّر الكلام على إضمار فعل كأن يقول: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَخَالِفُونَ وَيَصْدُونَ...¹، وهذا الذي ذكره الفراء يعدّ من أهمّ قضايا الفصل والوصل عند البلاغيين إذ جعلوا التّجانس بين الجملتين المتعاطفتين من محاسن الوصل، فإذا كان هناك خروج عن ذلك فلعلّة أو غرض بلاغيّ، وهو الذي أشار إليه الفراء عندما علّل اختيار الفعل المضارع لأنّه الأنسب للتّعبير عن صدّهم الدائم، واستمراريّة وقوعه منهم، ومثّل على ذلك أيضا بآيات أخرى من القرآن الكريم.

يبدو أنّ الفراء كان أكثر وضوحا وأقرب في الحديث عن هذا الموضوع من سيبويه، وإن لم يذكره بصريح لفظه كما هو عند البلاغيين المتأخّرين، وأوّل حديث عن الفصل والوصل نجده عند الجاحظ (ت255هـ)، إذ يقول: وقيل للفارسي ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل من الوصل²، لكنّه اكتفى بذكر المصطلح ولم يتناوله بالشرح والتّوضيح والبيان، في حين أنّ سيبويه والفراء تحدّثا عن بعض الصّور المنطويّة تحت هذا الباب، ولم يصرّحا بالاسم³.

أ. 3. الفصل والوصل عند الأخفش:

وكذلك فعل الأخفش (ت215هـ) في (معاني القرآن)، الذي يشتمل على إشارات هي من مواضع هذا الباب؛ من ذلك تعليقه حين ذكر قول الله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ... ﴿١١٣﴾ الأنعام، قال: (على البدل، وَرَفَعَ عَلَى "هُمُ شَيْطَانٌ" كَأَنَّهُ إِذَا رَفَعَ قِيلَ لَهُ، أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: مَا هُمْ؟ أَوْ مَنْ هُمْ؟ فقال: هم كذا وكذا)⁴، وقال في قوله تعالى: "قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ... ﴿٥١﴾ آل عمران، (كأنّه قيل لهم: ماذا لهم؟ وما ذاك؟ فقيل: هو كذا وكذا)⁵،

¹ ينظر: معاني القرآن، 2/ 221 مع حاشية الصّفحة/ والنكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد، ص: 112.

² ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 147/ والبيان والتّبيين، الجاحظ، 1/ 88.

³ ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 35.

⁴ معاني القرآن، الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، تح: هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م، 1/ 211.

⁵ المصدر السابق، 1/ 212.

ومعنى قوله: كأنّ الجملة الأولى تتضمّن سؤالاً مقدّراً، والجملة الثّانية جواباً له، وهذا ما يسمّيه البلاغيّون بشبه كمال الاتّصال أو الاستئناف البياني.

أ . 4 . الفصل والوصل عند المبرّد:

تناول المبرّد (ت285هـ) إمام أهل بغداد في النّحو؛ قضايا لها علاقة بموضوع الفصل والوصل؛ فقد تحدّث عمّا يسمّيه البلاغيّون بشبه كمال الاتّصال، وتحدّث عن كمال الانقطاع، وعن عطف البيان بين الجمل والمفردات، وعن أهميّة الواو، وذكر أمثلة لها في ثنايا كتابيه المقتضب والكمال¹.

ومن ذلك حديثه عن واو الابتداء، ومواطن وجوب ذكرها أو جوازها، فإذا وقعت الجملة بعد نكرة أو معرفة وفيها ضمير يرجع إلى الكلام السّابق، فذكر الواو هنا ليس حتماً، ففي الكلام اكتفاء بذكر الضمير الذي يربط الكلام ببعده ببعض، فيجوز ألاّ تعلّقه به بحرف العطف، وإنّ علّقه به فجيد، ويمثّل بقوله: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ، وَجَاءَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ يُكَلِّمُهُ، بغير الواو، وإن شئت قلت: وَزَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ، وَأَبُوهُ يُكَلِّمُهُ بالواو، فإذا لم يكن في الجملة شيء يرجع إلى الأوّل فلا بدّ من حرف العطف، وذلك مثل: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ عَمْرُو فِي الدَّارِ، فهو محال، إلاّ على قطع خبر واستئناف آخر، فإن جعلته كلاماً واحداً قلت: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرُو فِي الدَّارِ، وهذه الواو كما يقول هي التي يسمّيها النّحويّون واو الابتداء²، وواضح من عبارته أنّه يتحدّث عمّا يسمّيه البلاغيّون كمال الانقطاع، وعن التوسّط بين الكمالين، وتعليقه على جملة: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ عَمْرُو فِي الدَّارِ؛ بقوله: (فإن جعلته كلاماً واحداً)، أي إذا كان بين المرور بزويد ووجود عمرو في الدار صلة ما، أو ما يسمّونه جهة جامعة تصحّح العطف؛ فلا بدّ من ذكر الواو، للرّبط بين الجملتين حتّى يكون الكلام متّصلاً ببعضه، فإذا لم تذكر الواو كان الكلام مستحيلاً، ويرى عبد القادر حسين أنّ ذكر الواو هنا يسمّى التوسّط بين الكمالين، أمّا إذا لم تكن هناك صلة بين مرور زيد ووجود عمرو في الدار، فهذا يعني أنّ القائل قال: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، ثمّ قطع

¹ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 95.

² ينظر: المقتضب، المبرّد أبو العباس محمّد بن يزيد، تح: محمّد عبد الخالق عضية، ط2، مطابع الأهرام القاهرة، 1994م، 4/ 125.

الكلام، واستأنف كلاما جديدا، وعندها لا بدّ من حذف الواو؛ لعدم الصّلة بين الجملتين، ويسمّي البلاغيّون هذا بكمال الانقطاع¹، وإذا أمعنا النّظر في الجملة وتعليق المبرّد عليها يظهر لنا أنّه تحدّث عن كمال الانقطاع، ولم يرد التوسّط بين الكمالين، وذلك لأنّه عبّر عن الواو بواو الابتداء، وهي عنده بمعنى إذ، فالمقصود بها واو الحال، فتكون وما بعدها قيّدا للفعل السّابق، وقد ذكر محقّق المقتضب في الحاشية أن الواو واو الحال، فالقول بأنّ الواو للعطف لا أساس له².

ويتحدّث في موضع آخر عن شبه كمال الاتّصال وإن لم يذكره باسمه، وذلك حينما يكون الكلام جوابا لسؤال مقدّر، يقول: (فإن قلت: هَذَا دِرْهَمٌ ضَرَبُ الْأَمِيرِ، لم يجر أن يكون نعتا، لأنّ النّكرة لا تتعت بالمعرفة ولكن بيّنت، كأنك جعلته جوابا، لمّا قلت: هَذَا ثَوْبٌ، وَهَذَا دِرْهَمٌ، قيل: ما هو؟ فقلت: ضَرَبُ الْأَمِيرِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ)³، فجملة: (ضَرَبُ الْأَمِيرِ) خبر لمبتدأ محذوف، والجملة بذلك منفصلة عن الأولى، كانفصال الجواب عن السؤال، وهذا شبه كمال الاتّصال عند البلاغيّين، ويتحدّث عن ذلك أيضا في باب (ما وقع من الأفعال للجنس على معناه) في قول القائل: نِعَمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ، (وأما قولك: زَيْدٌ، وما أشبهه، فإنّ رفعه على ضربين: أحدهما: أنك لمّا قلت: نِعَمَ الرَّجُلُ؛ فكأنّ معناه مَحْمُودٌ فِي الرَّجَالِ، قلت: زَيْدٌ عَلَى التّفسير، كأنّه قيل: مَنْ هَذَا الْمَحْمُودُ؟ فقلت: هُوَ زَيْدٌ)⁴، وينصّ عليه في موضع آخر ويسمّيه استئنافا؛ وذلك في حديثه عن قوله تعالى: "... لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ... ^ط البقرة، قال: (وقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: "لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ" هو تمام الكلام، ثمّ استأنف فقال: "عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ")⁵، فقوله: تمام الكلام عند قوله: "وَلَا بَكْرٌ" يتضمّن سؤالا هو: إذا لم تكن

¹ ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص ص: 208، 209.

² ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص ص: 101، 102.

³ المقتضب، 4/ 304.

⁴ المصدر السّابق، 2/ 139.

⁵ الكامل في اللّغة والأدب، المبرّد، تع: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، 1997م، القاهرة، 1/ 160.

فَارِضًا وَلَا بَكْرًا فَمَاذَا تَكُونُ؟ فيأتي الجواب: "عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ"، وهذا هو شبه كمال الاتّصال؛ أو كما سمّاه الاستئناف¹.

وتحدّث عن الجملة التّفسيريّة، وهي من مواطن كمال الاتّصال، عند قوله تعالى: "... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ الفرقان، يقول: (ثمّ فسّر فقال: "يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَخَلَّدَ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٨﴾ الفرقان، فجزم "يُضَعَفُ" لأنّه بدل من قوله: "يَلْقَى أَثَامًا"، إذ كان إيّاه في المعنى)²، وتحدّث عن البدل وعطف البيان في المفردات؛ يقول: (ومنهم من ينشد: يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا، يجعل الثاني بدلا من الأوّل، وينصب الثاني على التّبيين، فكأنّه قال: يَا نَصْرُ نَصْرًا)³، وفي موضع آخر يقول: (فالأجود في هذا أن تقول: يَا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ، فترفع الأوّل لأنّه مفرد وتتصب الثاني لأنّه مضاف، وإن شئت كان بدلا من الأوّل، وإن شئت كان عطا عليه عطف البيان فهذا أحسن الوجهين)⁴، وقد تحدّث عن هذا الباب كثيرا في كتابيه، ونكتفي بهذا القدر هنا لنقول: إنّ عطف البيان في الجمل، هو قياس على وجوده في المفردات، لننتقل إلى الحديث عن عنصر آخر له علاقة بموضوع الفصل والوصل، ويتعلّق الأمر بالجمل التي لها محلّ من الإعراب والجمل العاريّة من موضع الإعراب، وقد وجدنا حديثا للمبرّد عن ذلك في تعليقه على بيت كعب بن جعيل:

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِيْنَا

قال المبرّد: (وقول ابن جعيل: وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِيْنَا، محمول على "أرى"، ومن قال: أَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا، فالرّفح من وجهين: أحدهما قَطْعٌ وابتداءً، ثمّ عَطْفَ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ بِالْوَاوِ، ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك: كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا، وَعَمَرُو مُنْطَلِقُ السَّاعَةِ، خَبَّرَتْ بِخَبْرٍ بَعْدَ خَبْرٍ، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا)⁵، فقوله: ثمّ عطف جملة على

¹ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 96.

² الكامل في اللّغة والأدب، 3/ 24.

³ المقتضب، 4/ 210.

⁴ المصدر السابق، 4/ 227.

⁵ الكامل في اللّغة والأدب، 1/ 258، 259.

جملة بالواو، بالرّفْع يفيد أنّ العطف وقع بين جملتين لا محلّ لهما من الإعراب، وهما جملة: أرى الشّام، والثّانية: أهل العراق، فالأولى ابتدائية لا محلّ لها، والثّانية معطوفة على ابتدائية، والعطف عندها كأنك تخبر خبراً بعد خبر بينهما مناسبة ما، وأمّا قوله: ولم يحمله على أرى فمفادها أنّه في حالة حمل الجملة على (الشّام تكره) تكون من باب عطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وهو النّصب على المفعولية لجملة (أرى) والواو عاطفة وجملة أهل العراق... . بالنّصب . معطوفة على جملة الشّام، والمعطوف على المنصوب منصوب، والأولى لها محلّ من الإعراب أشركت الثّانية فيه، ولوجود مناسبة بينهما تعدّ الجملتان من باب التّشريك بين الجمل، وهذا موطن من مواطن الوصل بين الجمل¹.

وتحدّث عن العطف بين الجمل في باب (الفعل بعد أن وانقطاع الآخر من الأوّل)، قال: (اعلم أنّك إذا أردت بالثّاني ما أردت بالأوّل من الإجراء على الحرف، لم يكن إلّا منسوقاً عليه؛ تقول: أريدُ أنّ تقومَ فنضربَ زيداً، وأريدُ أنّ تأتيَنِي وتكرمني، وأريدُ أنّ تجلسَ ثمّ تتحدّثَ يا فتى)²، ومعنى ذلك: أنّنا إذا أردنا أن نشرك الجملة الثّانية في حكم الجملة الأولى عطفنا عليها بالواو أو أيّ حرف نسق، وإن لم نرد ذلك؛ وجب ترك العطف والمجيء به مقطوعاً مستأنفاً، قال: (فإن كان الثّاني خارجاً عن معنى الأوّل كان مقطوعاً مستأنفاً؛ وذلك قولك: أريدُ أنّ تأتيَنِي فتفعدُ عني؟، وأريدُ أنّ تكرمَ زيداً، فتُهيئُهُ؟ فالمعنى أنّه لم يرد الإهانة، إنّما أراد الإكرام، فكأنّه في التّمثيل: أريدُ أنّ تكرمَ زيداً فإذا أنّت تُهيئُهُ، وأريدُ أنّ تأتيَنِي فإذا أنّت تفعدُ عني...)³.

وتحدّث عن قضية من أهمّ قضايا الفصل والوصل، وهي قضية عطف الجمل المتعدّدة، أي إذا توالى عدّة جمل بينها عطف، فالقاعدة أن تعطف الجملة على التي قبلها، ولكن إذا أمعنا النّظر وجدنا أنّ الأساس في عطفها يرجع إلى المعنى والتّناسب، وليس إلى ترتيبها، وهذا ما يفهم من كلامه، يقول في حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا

¹ ينظر: النّكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص ص: 98، 99.

² المقتضب، 2/ 32.

³ المصدر السابق، 2/ 32.

أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلُ رَسُولًا... ﴿الشورى﴾، (فإنّ النّحويين يزعمون أنّ الكلام ليس محمولاً على أنّ يكلمه الله، ولو كان "يُرْسَلُ" محمولاً على ذلك لبطل المعنى، لأنّه كان يكون: ما كان لبشر أنّ يكلمه الله أو يرسل، أي: ما كان لبشر أنّ يرسل الله إليه رسولا، فهذا لا يكون، ولكنّ المعنى . والله أعلم . ما كان لبشر أنّ يكلمه إلّا وحيا، أي: إلّا أنّ يوحى، أو يرسل، فهو محمول على قوله "وَحَيًّا"، أي: إلّا وحيا، أو إرسالا)¹.

وعن التّناسب في العطف بين المفردات يذكر في كتابه الكامل . في موضوع حول نقد الشعر . أنّ نُصيباً عاب الكميّة بن زَيْدٍ في قوله:
وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً بِيضًا تَكَامَلُ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

والشّاهد هنا قول أبي العباس: (والذي عابه نصيبٌ من قوله: تَكَامَلُ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ، قبيح جدّاً، وذلك أنّ الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يُشاكلها، وأوّل ما يحتاج إليه القول أنّ يُنظَمَ عَلَى نَسْقٍ، وأن يوضع على رسم المشاكلة)²، ويتّضح من كلام المبرّد أنّ الكميّة تباعد في عطف الشّنْب على الدلّ، ذلك أنّ الدلّ من الدّلال، والشّنْب عذوبة الأسنان ورقنتها، فكأنّه لا تتناسب ولا جامع بينهما، فيكون العطف غير مناسب.

وتحدّث عن حرف العطف الواو، ويتبيّن من كلامه والأمثلة التي ساقها؛ أنّ الواو لمطلق الجمع، ولا يفيد التّرتيب، يقول: (فإذا قلت: أَدْخُلُوا الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، فالرّفْع؛ لأنّ معناه: أَدْخُلُوا كُلُّكُمْ، فهذا لا يكون إلّا مرفوعاً، ولا يكون إلّا بالواو؛ لأنّ الفاء تجعل شيئاً بعد شيء، والواو تتصل على معنى قولك: كُلُّكُمْ، ألا ترى أنّك تقول: مَرَرْتُ بِرَيْدٍ أَخِيكَ، وَصَاحِبِكَ، فتدخل الواو على حدّ قولك: رَيْدٌ الْعَاقِلُ الْكَرِيمُ، وكذلك رَيْدٌ الْعَاقِلُ، وَالْكَرِيمُ، ولو قلت: الْعَاقِلُ فَالْكَرِيمُ، أو الْعَاقِلُ ثُمَّ الْكَرِيمُ، لَخَبَّرْتَ أنّه استوجب شيئاً بعد شيء)³.

¹ المقتضب، 2/ 33.

² الكامل في اللّغة والأدب، 2/ 119.

³ المقتضب، 3/ 272.

أ . 5 . مصطلحات النّحاة التي تتعلّق بالفصل والوصل:

تردّدت مصطلحات كانت سببا في تحديد مواضع الفصل والوصل فيما بعد؛ منها (القطع) و(الابتداء) و(الاستئناف)، في كتاب سيبويه، و(معاني القرآن) للأخفش، ومنها؛ قول سيبويه في باب ما ينتصب على التّعظيم والمدح¹: (وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأوّل، وإن شئت قطعته فابتدأته، وذلك قولك: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ هُوَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَهْلَ الْحَمْدِ، وَالْمُلْكُ لِلَّهِ أَهْلَ الْمُلْكِ، وَلَوْ ابْتَدَأْتَهُ فَرَفَعْتَهُ كَانَ حَسَنًا)، ثمّ يستشهد بآيات وأبيات شعر وأقوال العرب الدالّة على صحّة ما ذهب إليه، ويذكر أقوال علماء زمانه، ومنها: (وزعم يونس أن من العرب من يقول: النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ وَالطَّيِّبِينَ، فهذا مثل: "وَالصَّابِرِينَ" ومن العرب من يقول: الظَّاعِنُونَ وَالْقَائِلِينَ... وإن شئت أجريت هذا كلّ على الاسم الأوّل، وإن شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على الابتداء).

وفي موضع آخر من الكتاب يستشهد البيتين للتّابغة:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهِيْنِ لَقَدْ نَطَقْتُ بَطْلًا عَلَيَّ الْأَقَارِعُ
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ

يقول: (وزعم يونس أنك إن شئت رفعت البيتين جميعا على الابتداء، تضرر في نفسك شيئا لو أظهرته لم يكن ما بعده إلا رفعا)²، الشّاهد نصب (وجوه) على الذمّ ولو رفعه على القطع لجاز. وذكر سيبويه (القطع) في باب اشتراك الفعل الآخر وانقطاعه من الأوّل الذي عمل فيه أن، والحروف التي تشرك هي الواو والفاء وثمّ وأو، فبالنّصب تشرك الآخر من الأوّل في الحكم وتقيد السّبب، وعند الرّفيع ينقطع من الأوّل ويحمل الكلام على الابتداء ولا يحمل على أن³.

وجاء مصطلح الاستئناف عند الفراء في مواطن كثيرة؛ منها قوله حين ذكر قوله تعالى:

"صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرَجِعُونَ" البقرة، (رُفِعْنَ وَأَسْمَاوَهُنَّ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ مَنْصُوبَةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ

تَمَّ وَانْقَضَتْ بِهِ آيَةٌ، ثُمَّ اسْتَوْنَفَتْ "صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ" فِي آيَةٍ أُخْرَى، فَكَانَ أَقْوَى لِلِاسْتَنْتَافِ، وَلَوْ تَمَّ

¹. الكتاب، ط3، 2/ 62، 65.

² المصدر السابق، 2/ 70، 71.

³. ينظر: المصدر السابق، 3/ 52 . 56.

الكلام ولم تكن آية لجاز أيضا الاستئناف، قال الله تبارك وتعالى: "رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" ﴿١٧﴾ النبأ، "الرَّحْمَنُ" يرفع ويخفض في الإعراب، وليس الذي قبله بآخر آية، فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفا فكثير¹.

وهناك مصطلح آخر أكثر مجيئا عند البلاغيين في تقسيمهم لمواضع الفصل وهو مصطلح (التّوضيح والبيان)، ويقابله عند النّحاة مصطلح (التّفسير)، ومنه ما جاء في قول الفراء في قوله تعالى: "فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ" ﴿٥١﴾ النمل، أنها تقرأ بالكسر "إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ" على الاستئناف مثل قوله: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ" ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا" ﴿١٥﴾ عبس، تقرأ "إِنَّا صَبَبْنَا"، وقال في ذلك: (يستأنف وهو يفسر ما قبله)².

والعطف دعامة الفصل والوصل العظمى، وقد استعمل النّحاة مصطلحات دالة عليه وأخرى متفرّعة عنه؛ منها: مصطلح الجمع ومصطلح التّنثية الذي يفيد ضمّ مفرد إلى مثله في اللفظ؛ غيره في المعنى، ومصطلح التّكرار الذي يفيد ضمّ لفظ إلى لفظ مثله في المعنى لغرض التّأكيد والتّقرير، فهذه المصطلحات تفيد معنى العطف والوصل رغم اختلاف شروط استعمالها³.

وقد عالجه سيبويه في مواضع متفرّقة تتوزّع الكتاب كلّه دون الوصول إلى نظرية واحدة مقرّرة فيه، فهو يتحدّث عنه بحسب مناسبة الحديث عن حروفه أو أحوال الإعراب، دون أن يسمّيه بالاسم إلا نادرا، من ذلك حديثه عن العطف تحت باب من أبواب الجرّ؛ عنوانه: هذا باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه، كما أشرك بينهما في النّعت فجريا على المنعوت⁴، واستعمل مصطلح (عطف) في حديثه عن حمل الكلام على الابتداء في العطف بالواو⁵، وذكر معناه في (باب اشتراك الفعل في أن وانقطاع الآخر من الأول الذي

¹. معاني القرآن، 1/ 16.

². المصدر السابق، 2/ 296.

³. ينظر: الوسائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 15.

⁴. ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، عفت الشّرقاوي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1981م، دط، ص: 54، 55.

⁵. ينظر: الكتاب، 1/ 90.

عمل فيه أن¹، واستعمل مصطلحات أخرى دالة على الرّبط والعطف مثل: الشّريك والشّركة في باب حديثه عن مشاركة المبدل المبدل منه في حكم الجرّ، والقياس على العطف².

نستشفّ ممّا سبق أنّ الفضل الأوّل في نشأة البلاغة بما فيها أسلوب الفصل والوصل كان لإشارات النّحاة القدماء، فهم من نبّه إلى تلك الملاحظات التي يأتي عليها الكلام، وكانت نظرات متناثرة ومختلطة بالمباحث النّحويّة، ثمّ جاء البلاغيّون وجعلوا من تلك النّظرات أساسا لمباحثهم البلاغيّة، لاسيما هذا الباب الذي ربطه عبد القاهر بباب العطف، وربط البلاغة بمعاني النّحو، وجعل النّظم توخيّا له، وليست معاني النّحو إلّا علم المعاني، الذي أطلقه السّكاكي وبوّب ورتّب موضوعاته، وجعل الفصل والوصل منها، ويؤكّد عبد الفتّاح لاشين أنّ النّحاة القدامى جاءوا بالصّور المنطويّة تحت هذا الباب، وإن لم يذكروها بالاسم، وأنّ الجاحظ قام بنقل الاصطلاح من غير بيان المقصود منه³.

أ. 6. دور المعنى والمناسبة في العطف عند النّحاة:

من المسائل التي بحثها النّحاة في باب العطف شروط قيامه أو عدم قيامه، وقادهم ذلك إلى تفسير بعض الظواهر الإنسانيّة التي يأتي عليها كلام العرب، معتمدين على العلاقة الرّابطة بين أجزائه، فبحثوا مسائل معنويّة مع انشغالهم باللفظ، وأدى بهم ذلك إلى البحث في العلاقات بين الجمل على أساس مبدأ العطف بنوعيه المتّصل والمنفصل، ووضعوا شروطا لقيام هذه العلاقات؛ منها: أصل موضع العطف وفائدته ومناسبته أو مقبوليّته، ففسّروا العطف دون أداة (عطف البيان) بالمناسبة بين المكوّنات المعطوفة مفردات وجمل، وجعلوا التّناسب بين المعطوفات شرطا ضروريّا لتكوين العلاقة الرّابطة بالأداة أو دونها، وهذا من الظواهر المعنويّة التي تدلّ على ارتباط العمل النّحوي بالمعنى، وأنّ الظواهر اللّغويّة لا تفسّر ظاهريّا فحسب، بل للمعنى دخل في تفسيرها، واستعملوا مصطلحات معبّرة عن ذلك؛ منها الالتباس والمعادلة والمشاكله، فسّروا بها بعض الظواهر الإعرابيّة ووظفوها لشرح وتعليل طرق الرّبط المتجاوزة

¹. ينظر: الكتاب، 3/ 52 . 56.

². ينظر: المصدر السّابق، 1/ 440، 441 وما قبلها.

³. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 35.

للبنية الإعرابيّة والعلاقات التّركيبية القائمة بين الجمل، كما ركّزوا على الحروف العاملة في المكوّنات المتّصلة بها، وهي عندهم تستعمل للتّعليق بين مكوّنات الجملة أو الجمل، وهناك من النّحاة من تجاوز هذا الفهم كابن جنّي وربط عمل هذه الأدوات والعلاقات الرّابطة بدور المتكّم في استعمالها أو الاعتماد على الرّابط المعنوي لغرض عند المتكّم نفسه، وهذه العلاقات الرّابطة هي ما يتوخّاه المتكّم للتّعبير عن الأفكار المجرّدة التي تتحوّل إلى معانٍ نحوية تصل إلى المتلقّي فيدركها من خلال عمليّة الرّبط، وتتحقّق بذلك الفائدة¹.

أ. 7. العطف ومعنى التّشريك في الحكم:

بحث النّحاة مسألة العطف في حدود معنى التّشريك في اللفظ والحكم، أمّا التّشريك في اللفظ، فهو أن يأتي الثّاني محمولاً على الأوّل في الإعراب ومثنيّاً إليه، أي المتابعة الإعرابيّة بين المعطوف والمعطوف عليه، وأمّا التّشريك في الحكم؛ فهو يدور حول فكرة الإسناد، وإثبات العلاقة المنطقيّة بين الموضوع والمحمول، وهي فكرة تتّصل بالصّورة المنطقيّة للعبارة كما تتّصل بإيحائها الفنّي والجمالي، فليس كلّ مشاركة لفظيّة في الفاعليّة مثلاً تقتضي معنى المساواة فيها من حيث ماهيّة الفعل أو رتبة هذه الفاعليّة، فقولنا: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) لا يعني المساواة بين علم الله تعالى وعلم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فالعطف هنا لا يفيد معنى التّشريك المطلق، ولكنّه يفيد التّشريك في الحكم على سبيل الاشتراك المعنوي، وهو الاشتراك الذي يقصد به الفلاسفة في مباحث الألفاظ الكليّة: الاشتراك مع الاختلاف في الرتبة والدرجة، فإسناد العلم في هذه العبارة ومثلها لا يكون على السّواء بين المعطوف والمعطوف عليه، بل على الاختلاف في المرتبة والدرجة، وذلك راجع لاختلاف حقائق المعطوفات، ومع ذلك فإنّ العطف يلقي بظلال خاصّة على المتعاطفين من حيث صلة النّبوة بالألوهيّة، وتلك دلالة بلاغيّة، بصرف النّظر عن معنى التّشريك في الحكم الذي وقف عنده النّحاة وألّحوا عليه لأسباب تتعلّق بإثبات علاقة الإسناد للمعطوف والمعطوف عليه على السّواء؛ وشبيه بذلك قوله تعالى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ" ... ﴿١٨﴾ آل عمران،

¹ ينظر: الوسائل في تحليل المحادّثة، خليفة الميساوي، ص: 16، 17.

فالعطف هنا يجب أن يفهم في إطار غير فكرة التّشريك المطلق في الحكم، وقد رأى بعض المفسّرين أن شهادة الله تعالى هي من باب الاستعارة، لأنّ ما نصبه الله تعالى من الدلائل في الآفاق وفي الأنفس على توحّيده، وما أوحاه إلى أنبيائه يشبه شهادة الشّاهد بالشّيء في إظهاره وإثباته، وشهادة الملائكة إقرارهم بذلك، وشهادة أولي العلم إيمانهم به واحتجاجهم عليه، ومع ذلك فهناك مفسّرون آخرون أخذوا معنى العطف على أساس التّشريك المطلق في الحكم كما يفعل النّحاة، فقالوا: إنّ الشّهادة من كلّ بمعنى واحدٍ لأنّها إمّا عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم، وإمّا عبارة عن الإظهار والبيان، وذلك حاصل من الله تعالى والملائكة، وأولي العلم، فالله تعالى أخبر بتوحّيده ملائكته ورسله عن علم وبيّنه لهم، والملائكة أخبروا الرّسل وبيّنوا لهم، وأولو العلم أخبروا بذلك وبيّنوه عالمين به، وإصرار النّحاة على فكرة التّشريك المطلق في الحكم اضطرّهم إلى التّأويل والتّفكير والقول بالزيادة والحذف في كثير من تحليلهم الإعرابي لآيات القرآن الكريم حتّى يستقيم لهم تطبيق النصّ القرآني على ما يحدّدون من معاني النّحو، وبذلك يتمّ خضوع التّعبير الفنّي المتجدّد المطلق للتّأويل أي للتّمط النّحوي المقرّر، وفي ذلك تضيق لأساليب الخلق والإبداع¹.

ومن خلال ما سبق نستخلص من كلام النّحاة وعيهم بمبدأ الإفادة أو المناسبة وهو مبدأ بات مشهورا في اللسانيّات الغربيّة، وكذلك نستشفّ مفهوما لمبدأ الرّبط القائم على الإسناد المقصود أي المناسب، الذي تحدّثوا عنه أثناء البحث في محاسن الرّبط بين الجمل، بأن تكون الجملتان متناسبتين في الاسميّة والفعليّة، والبحث في الجامع بين الجمل في العطف، وهذا كلّه يدلّ على عمق نظرهم لهذه المسألة التي شكّلت بداية لنظريّة متكاملة، بعد إضافات البلاغيّين والأصوليين².

ب . الفصل والوصل عند الأصوليين:

لم يجعل الأصوليون مبحثا خاصّا لظاهرة الفصل والوصل، كما فعل البلاغيّون، إلّا أنّنا نلمس لهم حديثا عنه برؤية أخرى تتعلّق بالدلالة، حيث ذكروا بعض قواعده ضمن اهتمامهم

¹ ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم، عفت الشّرقاوي، ص: 54 . 65.

² ينظر: الوسائل في تحليل المحادّثة، خليفة الميساوي، ص: 17.

بمبحث الوقف والابتداء، ومبحث مخصّصات الدّلالة التّركيبية العامّة، أين اعتنوا بالمعاني المبنوثة في الخطاب وهو مقصودهم الأعظم كما يصرّح الشّاطبي، وضمن اهتمامهم بالتّراكيب والكلمات المفردة والدّور الذي تلعبه لتحقيق الإفادة، كما تحدّثوا عن العطف وهو عندهم يعني القدر المشترك بين المعية والتّرتيب، وربطوا حديثهم عنه بالدّلالة التي يؤدّيها في التّخصيص، فجاءت مباحثهم حوله متداخلة، والسّبب راجع إلى تفصيلهم القول في أنواع الدّلالات وأقسامها، ونظرتهم إليها من زاويتين: زاوية اللفظ المسوق للإفهام، وزاوية المتكلّم والسّامع باعتبارهما الطّرف الآخر في تحقّق الغاية من العمليّة الكلاميّة¹.

وقد تحدّثوا عن العطف ضمن تقسيمهم الجملة باعتبار التّمam والنّقصان إلى جملة تامّة؛ غير مفتقرة إلى ما يتمّ به المعنى، فإذا عطفت على جملة أخرى لا محلّ لها من الإعراب اشتركت معها في مجرّد النّبوت والتّحقيق، لاستقلالها بالحكم، كقوله تعالى: "وَأَتَّقُوا اللَّهَ^ط وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ^ط " البقرة، فجملة "وَأَتَّقُوا اللَّهَ" تامّة عطفت على سابقتها، وجملة "وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ^ط" ابتدائية لا محلّ لها من الإعراب وليس بينهما اشتراك في الحكم².

وجملة ناقصة؛ مفتقرة في تمامها إلى ما تمّت به الأولى، وهي نوعان؛ الأوّل؛ تكون تامّة من حيث الشّكل ناقصة من حيث المعنى والغرض، فإذا عطفت على جملة لها محلّ من الإعراب اشتركت معها في موقعها الإعرابي، وتشاركها في الإخبار عن خبر المبتدأ مثلا، أو تشاركها في التّعليق بفعل الجزاء في الشّروط؛ نحو: إِنْ يَنْفِذِ الْمَاءُ فَالْحَيَوَانُ هَالِكٌ وَالزَّرْعُ ذَابِلٌ، فالثّانية تامّة شكلا ناقصة تعليقا، والنّوع الثّاني؛ أن تكون الجملة ناقصة شكلا ومعنى، وذلك عند عطف المفرد، وهنا يكون المعطوف مشاركا للمعطوف عليه في الشّكل والمعنى، نحو: جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو³.

¹ ينظر: الدّلالة التّركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللّسانيّات الحديثة، محمّد علي فالح مقابلة، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، 2006م، ص: 26، 27/ ومباحث التّخصيص عند الأصوليين، عمر بن عبد العزيز الشيلخاني، دار أسامة للنشر والتّوزيع، الأردن عمّان، ط1، 2000م، ص: 307 وما بعدها.

² ينظر: دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، موسى بن مصطفى العبيدان، ط1 الأوائل للنشر والتّوزيع دمشق 2002م، ص: 19، 21.

³ ينظر: المرجع السّابق، ص: 21، 22.

ومن مسألتهم في باب تخصيص الدلالة بالتّعاطف¹:

مسألة عطف الخاصّ على العامّ، هل يدلّ ذكر الخاصّ على أنّه غير مراد باللفظ العامّ أم لا؟ كقوله تعالى: "حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ... ﴿٢٣٨﴾ البقرة، وقد اختلفوا بين قائل بعدم دخوله تحت العامّ، لأنّ إدخاله تحته لا يجعل لإفراده بالذّكر فائدة، ويفهم من ذلك . والله أعلم . أنّهم يقصدون القطع والاستثناء، بدليل أنّ العطف يقتضي المغايرة، ومنهم من قال بدخول المخصوص بالذكر تحت العموم، وفائدته التأكيد، وكأنّه ذكر مرّة بالعموم ومرّة بالخصوص، وهذا الظاهر، ويفهم من كلامهم والله أعلم أنّ الواو هنا للوصل، وفائدتها التأكيد.

ومسألة تخصيص المعطوف عليه بالمعطوف الخاصّ، هل يقتضيه أم لا؟ اختلفوا فيها بين من يوجبه ومن لا يوجبه، وبين قائل بالتسوية بين المعطوفين، وقائل بعدم اقتضاء العطف الاشتراك بينهما من كلّ وجه، وقائل بمجيء الجملة المعطوفة مستأنفة، وبأحث عن وجه الارتباط بين الجملتين، والمناسبة بينهما، ممّا يدلّ على اهتمامهم بالجامع والمناسبة في باب العطف.

وذكروا في عطف الجمل أنّه إذا عطفت جملة على جملة فإن كانتا تامّتين كانت المشاركة في أصل الحكم، لا في جميع صفاته، وقد لا تقتضي المشاركة أصلاً، وهي التي تسمّى (واو الاستثناء)؛ كقوله تعالى: "...فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تَحْتَمِرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ... ﴿٦٥﴾ الشورى، فإنّ قوله: "وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ" جملة مستأنفة، لا تعلق لها بما قبلها، ولا هي داخلة في جواب الشرط².

وتحدّث أبو الحسين البصري عن العوامل التي تتحكّم في المخصّص بعد جمل متعاطفة؛ فيتعيّن الفصل أو الوصل، وهذه العوامل هي³:

¹. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشوكاني محمد بن علي، تح: أبو حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، ط1، 2000م، الرياض، 1/ 604، 605.

². ينظر: المرجع السابق، 2/ 1015.

³. ينظر: الدراسات التركيبيّة لدى الأصوليين في ضوء اللسانيّات الحديثة، محمد علي فالح مقابلة، ص: 63.

قصد المتكلم: فقد يكون للجمل المتعاطفة قصد واحد ينتظمها، وقد يكون لكلّ جملة قصد فيفصلها عن سابقتها أو لاحقتها، ومثال الوصل وعدم الانفصال: سَلَّمَ عَلَى رَيْبَعَةَ وَاسْتَأْجَرَهُمْ إِلَّا مَنْ قَامَ، ومثال الانفصال: سَلَّمَ عَلَى رَيْبَعَةَ وَاسْتَأْجَرِ بَنِي تَمِيمٍ إِلَّا مَنْ قَامَ. السياق بنوعيه: المباشر وغير المباشر، ويدخل في ذلك علاقة الكلمات بعضها ببعض، وعود الضّمائر في الجمل وما إلى ذلك.

الوظيفة النّحويّة لحرف العطف (الواو): قد يشمل المخصّص الجملتين السابقتين إذا لم تكن الجملة الأخيرة إضرابا عن الأولى، وإذا كانت إضرابا عنها فالتخصيص يتّصل بالجملة الثّانية دون الأولى، وذلك في مواقع:

- أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء، مثل: أَكْرَمَ رَيْبَعَةَ، وَالْعُلَمَاءُ هُمُ الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَّا أَهْلَ الْبُلْدَةِ، فالمخصّص هنا يتّصل بالثّانية، لأنّ المتكلم قد استوفى الكلام في الأولى، وعدل عنها إلى الثّانية.

- أن تكون الجملة الثّانية من نوع الجملة الأولى في الخبريّة أو الإنشائيّة، غير أنّ الأولى تباين الثّانية في الاسم والحكم؛ مثل: إِضْرِبْ بَنِي تَمِيمٍ وَأَكْرِمِ رَيْبَعَةَ إِلَّا الطَّوَالَ. - أن تشترك الجملتان في حكم ظاهر فيهما فقط؛ مثل: سَلَّمَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ وَسَلَّمَ عَلَى رَيْبَعَةَ إِلَّا الطَّوَالَ.

كما عقدوا مباحث لحروف العطف ومعانيها، وهي ذات المعاني التي تحدّث عنها النّحاة والبلاغيون، إلّا حرف الواو، فقد اختلفوا في اقتضائه الجمع والتشريك بين المذكورين، من غير ترتيب في الزّمان، واقتضائه للترتيب حيث يستحيل الجمع كقوله تعالى: "...أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا... الحج، وفي احتماله ثلاثة معان: المعية والترتيب وعدمه¹، وذكر بعضهم أنّ المواضع التي

جاء فيها وقامت الدّلالة على أنّ فيها ترتيبا، لم يكن ذلك التّرتيب للواو².

¹ ينظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول، الغرناطي المالكي أبو القاسم محمّد بن أحمد بن جزي الكلبي، تح: محمّد المختار بن محمّد الأمين الشنقيطي، ط2، 2002م، المدينة المنورة، ص: 193، 194.

² ينظر: الواضح في أصول الفقه، ابن عقيل البغدادي أبو الوفاء عليّ بن عقيل، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1999م، بيروت لبنان، 1/ 114.

وكان لكلّ فريق منهم حججه، ويرى الشّوكاني (ت1255هـ) أنّ القائلين بإفادة الواو للترتيب لم يأتوا بشيء يصلح للاستدلال به، ويستدعي الجواب عنه، وأنها لمطلق الجمع من دون ترتيب ولا معيّة¹.

كما نجد لهم حديثاً عن الفصل والوصل بين الجمل، في باب الفواصل القرآنيّة، والفاصل يَكُنْ رؤوس آي وغيرها، وكلامهم عنها يشمل الحديث عن الفصل الذي هو ترك العطف². وربطوا حديثهم عن الفاصلة بالحديث عن الوقف والابتداء، وذكر السيوطي (ت911هـ) أنّ الوقف يتعيّن حيث يتعيّن ابتداء ما بعده، ويجب ألا يكون ذلك ممّا يحيل المعنى، ولا يخلّ بالفهم³.

ويفهم من كلامهم أنّ موضوع الوقف والابتداء له ارتباط وثيق بموضوع الفصل والوصل، ومن ذلك ما ذكره الأنباري (ت328هـ)، في (باب ما لا يتمّ الوقف عليه)، حيث تحدّث عن مواضع امتناع الوقف، أي ما يجب فيه وصل الكلام، لا قطعه بالوقف، ومنها: امتناع الوقف على المنعوت دون النّعت؛ كقوله تعالى: "...هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ... ﴿٢٠٣﴾" البقرة، ولا على المؤكّد دون التوكيد؛ كقوله تعالى: "...قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ... ﴿١٥٤﴾" آل عمران، ولا على المنسوق دون ما نسقته عليه؛ كقوله تعالى: "هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾" آل عمران، فالوقف على "بَيَانٌ" غير تامّ وعلى "هُدًى" غير تامّ، ولا على المفسّر عنه دون التفسير؛ كقوله تعالى: "...وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ... ﴿١٨٤﴾" البقرة، فلا يوقف على "فِدْيَةٌ" دون "طَعَامُ مَسْكِينٍ"، ولا على حروف العطف دون المعطوف⁴.

¹ ينظر: إرشاد الفحول، 1/ 165.

² ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين محمّد بن عبد الله، تح: أبو الفضل الدّمياطي، دار الحديث، 2006م، ص: 50.

³ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين، تح مركز الدراسات القرآنيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط2، 541.

⁴ ينظر: كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، الأنباري أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشار، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، تح: محيي الدين عبد الرّحمان رمضان، دمشق 1971م، ص: 116. 149.

وذكروا أنّ الوقف يأتي جائزا بين الفصل والوصل؛ كما في قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ^ط فَلَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ البقرة، فيجوز الوقف على: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ^ط"، على اعتبار استئناف الفعل، ويجوز الوصل لأنّ الفاء في قوله: "فَلَا تُخَفَّفُ" تقتضي التسبب والجزاء¹.

وتحدّثوا عنهما في باب تخصيص العامّ بقرائن لفظيّة، متّصلة ومنفصلة، والتّخصيص بهذه الألفاظ يشمل عدّة أنواع منها الصّفة والحال والتّمييز والبدل، وغيرها².

وتحدّثوا عن القطع والاستئناف بالواو، وربطوه بتمام الغرض من الكلام الأوّل، فالمتكلم لا ينتقل من الجملة الأولى إلى جملة ثانية مستقلّة بنفسها إلّا وقد تمّ غرضه، ومؤشّره السكوت الذي يدلّ على استكمال الغرض؛ مثل: أَطْعِمِ رَبِيعَةَ، وَأَخْلَعْ عَلَى مُضَرَ إِلَّا الطَّوَالَ³، وتحدّثوا عن القطع بين الجمل المتتاليّة في الاستثناء، إذا كان الكلام على أنواع مختلفة، وكانت القضية واحدة؛ نحو: "...فَأَجَلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا..." التور، فالجملة الأولى أمر، والثانية نهي، والثالثة خبر، وكلّ جملة مستقلّة بنفسها، كما تحدّثوا عن عطف قضيّة على قضيّة نحو: أَكْرَمُ رَبِيعَةَ، وَالْعُلَمَاءُ هُمُ الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَّا أَهْلَ الْبَلَدَةِ الْفُلَانِيَّةِ، فالجملة الثانية مقطوعة عن الأولى، لاستقلال كلّ واحدة بنفسها⁴.

وفرق الأصوليون بين واو الوصل وواو الابتداء، في التّخصيص بالاستثناء؛ نحو: أَكْرَمُ بَنِي تَمِيمٍ، وَالنَّحَاةُ الْبَصْرِيُّونَ إِلَّا الْبَعَادِدَةَ، فَإِنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ يَخْتَصُّ بِالْآخِرَةِ، لِأَنَّ كَوْنَ الْوَاوِ لِلْاِبْتِدَاءِ هُوَ مَانِعٌ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْجَمِيعِ⁵.

¹. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، 2/ 547.

². ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمّودة، الدار الجامعيّة، دط، دت، الاسكندريّة، ص: 39، 40/ والدراسات التركيبيّة لدى الأصوليين في ضوء اللسانيّات الحديثة، محمّد علي فالح مقابلة، ص: 64.

³. ينظر: المحصول في علم أصول الفقه، الزازي فخر الدّين محمّد بن عمر، نح: طه جابر فياض العلواني، مؤسّسة الرّسالة، دط، دت، 2/ 44، 50.

⁴. ينظر: المرجع السّابق، 3/ 44، 45.

⁵. ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشوكاني، 2/ 664.

وتحدّثوا عن المناسبة والجامع في مجيء الأمر عقب الأمر بحرف العطف وبغير حرف العطف، فإذا كان الأمر الثاني معطوفاً على الأوّل اشترط فيه التّغاير، ليفيد غير ما يفيد الأوّل، لأنّ الشّيء لا يعطف على نفسه، فإن جاء الثّاني معطوفاً على الأوّل ومعرّفاً؛ نحو: صَلِّ رَكَعَتَيْنِ وَصَلِّ الصَّلَاةَ، فيحتمل حمل الثّاني على الأوّل لأجل لام التّعريف، ويمكن حمله على صلاة أخرى لأجل العطف، وحمله على العطف أولى، ويمتنع العطف بين الأمرين لعدم وجود جامع بينهما، وقد يجيء الأمر الثاني مفصّلاً عن الأمر الأوّل لغرض التّأكيد¹.

كما تحدّثوا عن فائدة الأسماء المؤكّدة بأنّها تفيد تقويّة المؤكّد، أو لدفع توهم التجوّز أو السّهو، أو عدم الشّمول².

ونلاحظ أنّ الأصوليين لم يفرّدوا أبواباً خاصّة للعطف أو الوصل والفصل، لا بين المفردات ولا بين الجمل، إنّما حديثهم عن ذلك جاء بين ثنايا أقسام الأبواب التي تطرّقوا إليها، وذلك راجع إلى عنايتهم بالدّلالة أكثر من عنايتهم بالتركيب والأسلوب، وإن كانوا يعتمدون عليهما ويستدلّون على صحّة ما ذهبوا إليه في كثير من المسائل التي اختلفوا فيها بآراء النّحاة في تلك القضايا، فنجدهم يستندون إلى أقوال سيبويه وابن جنّي لتوجيه تلك الدّلالة.

ج . الفصل والوصل عند علماء البلاغة:

ج . 1 . علاقة الفصل والوصل بالبلاغة:

مبحث الفصل والوصل من المباحث التي تتحكّم البلاغة بمواضعها المتعلّقة بمقتضيات المقام، ولا يحيط بهما علماً إلّا من أوتي حظّاً في فهم كلام العرب وذوقاً في إدراك أسرارها، والبلاغة كما يقول أبو هلال العسكري (ت395هـ): (إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللّالي بلا نظام)³، ومما أثر عن الجاحظ قوله: (قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل)⁴، وقد جعل عبد القاهر الجرجاني العلم بما ينبغي أن يصنع

¹. ينظر: المحصول في علم أصول الفقه، الزّازي فخر الدّين، 2/ 150 . 155.

². ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشّوكاني، 1/ 123.

³. كتاب الصّناعتين، ص: 438.

⁴. البيان والتّبيين، 1/ 88/ وكتاب الصّناعتين، ص: 438.

في الجمل من عطف أو تركه والمجيء بها منثورة مستأنفة من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى إلا للخّص من الأعراب¹، لأنّه باب من أدقّ أبواب البلاغة يقتضي معارف لغويّة أخرى، ويتميّز بلطف المدخل ودقّة المسلك ومعرفة وجوه الكلام، وما يكون عليه من الاتّصال أو الانفصال².

فمعرفة العطف وتركه يستدعي خبرة بموقعهما من الكلام، وليس المقصود جهة الإعراب في رفع أو نصب أو جرّ المعطوف على المعطوف عليه، والأمر مشترك بين المفرد والجملة، بل هناك ميزة أخرى تتعلّق بخضوعهما للدّوق والفترة في اكتشاف أسرارهما، ومتى يستعملان ليكسبا النصّ عذوبة لا نلتمسها من خلال النّحو، بل من خلال التّركيب الفنّي وتناسقه³.

يقول عبد القاهر: (واعلم أنّهُ ما مِنْ عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ أَنْتَ تَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ خَفِيٌّ غَامِضٌ، وَدَقِيقٌ صَعْبٌ، إِلَّا وَعِلْمٌ هَذَا الْبَابِ أَغْمَضُ وَأَخْفَى، وَأَدَقُّ وَأَصْعَبُ)⁴، ويرى الخطيب القزويني أنّ تمييز الفصل من الوصل فنّ عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المآخذ، لا يعرفه على وجهه إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزقَ في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً، وأنّ أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان⁵، ويصف إبراهيم أنيس اللّغة العربيّة بأنّها لغة الوصل، وأنّ الفصل والوصل في اللّغات لا يعدو أن يكون أمر أسلوب، ومن هنا تتّضح أهميّة الموضوع وصعوبته، وضرورة معرفته خاصّة في لغة القرآن الكريم، إذ تتّضح من خلاله كثير من المعاني والأحكام⁶.

¹ دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرّحمان، تع: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص: 222.

² في البلاغة العربيّة، علم المعاني. البيان. البديع، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، دط، دت، ص: 154، 155/ وبلاغة التّراكيب، دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب، مطبعة العمرانيّة، القاهرة، 1991، ص: 163.

³ ينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمّد حسين علي الصّغير، دار المؤرّخ العربي، بيروت لبنان، ط1، 1999م، ص: 211. 214.

⁴ دلائل الإعجاز، ص: 231.

⁵ ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، دط، دت، ص: 151.

⁶ ينظر: من أسرار اللّغة، ص: 327/ والفصل والوصل في القرآن الكريم، عبد القادر عبد الله فتحي، ص: 136.

ج . 2 . الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني:

اعتمد هذا المبحث على الذّوق قبل وضع قواعده، وعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) أوّل من كشف عن أسراره في كتابه (دلائل الإعجاز)، وله السّبق في إثرائه بأمثلة لها علاقة بالسّليقة وحقيقة البيان العربي، والذّين جاءوا من بعده لهم ميزة التّرتيب والتّبويب، يقول بدوي طبانة: (ولعلّ بحث الفصل والوصل أهمّ بحث انفرد به عبد القاهر ونقله من كتابيه البلاغيّون من بعده)¹، ويذكر أحمد مطلوب أنّ دراسة أبي هلال وغيره من البلاغيّين والنّقاد لهذا الموضوع تختلف عن دراسة البلاغيّين المتأخّرين، ثمّ يقول: (ولعلّ عبد القاهر الجرجاني كان من أوائل الذّين بحثوه بحثاً مفصّلاً يقوم على النّقسيم والتّحديد والتّعليل والتّحليل وربطه بباب العطف)².

وارتبطت دراسته في مسألة الوصل والفصل بنظريّة النّظم عامّة، حيث يعدّ هذا الباب جزءاً منها، وأقام معالجته لها على ضربين: ضرب يقوم على الأساس النّحوي، وضرب يقوم على الأساس المعنوي، فامتزجت فيها قواعد النّحو الشّكلي بالتّحليل الدّلالي للأساليب، فإذا كان النّاس يقتنعون إذا رأوا جملة قد ترك العطف فيها بأن يقولوا: إنّ الكلام قد استؤنّف وقطع عمّا قبله، فإنّه لا يرتضي هذا المنطق، بل يحاول النّفاد إلى تفسير لغويّ فتيّ يحتكم إلى قواعد اللّغة بقدر ما يحتكم إلى معقوليّة الدّلالة³.

ويبدأ حديثه عن الفصل والوصل ببيان أهمّيته وخطورته، وأنّ معرفته من أسرار البلاغة؛ يقول: (اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة؛ تُستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، وممّا لا يتأتّى لتمام الصّواب فيه إلّا الأعراب الخلّص، وإلّا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّاً للبلاغة

¹ البيان العربي؛ دراسة تاريخيّة فنيّة في أصول البلاغة العربيّة، ط2، مطبعة الرّسالة، 1958، ص: 141.

² البلاغة والتّطبيق، ط2، 1999م، ص: 154.

³ ينظر: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، شفيع السيّد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص: 206/ ودلائل

الإعجاز، الجرجاني، ص: 231.

... ذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة¹.

وقد اتّخذ عبد القاهر من عطف المفردات سبيلا للحديث عن عطف الجمل، ويدلّ هذا على أنّ الفصل والوصل عنده يشمل المفردات أيضا²، يقول عبد القادر حسين: (ولم يفهم من كلام عبد القاهر تصريحاً أو تلويحاً ما يدلّ على نفي الفصل والوصل بين المفردات)³، حيث انطلق فيه ممّا توصّل إليه النّحاة في دراسة العطف، ومن حكم العطف في المفرد، يقول: (واعلم أنّ سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثمّ نعود إلى الجملة، فننظر فيها ونتعرّف حالها، ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثّاني في إعراب الأوّل، وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب)⁴، وجعل هذا الحكم مبدأ عامّاً ليقيس عليه عطف الجمل، فجعلها قسمين⁵:

الأوّل يضمّ الجمل التي تجري مجرى عطف المفرد، فحكمها حكم المفرد؛ وهي الجمل التي لها موضع من الإعراب، ولا إشكال في ذلك، فهذا النوع أمره هيّن، والحاجة إلى الواو ظاهرة، فهي للإشراك في الحكم الإعرابي بين الثّانية والأولى، ومثّل لذلك ب: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خُلْفُهُ حَسَنٌ وَخُلْفُهُ قَبِيحٌ، فالجملة الثّانية: خُلْفُهُ قَبِيحٌ اشتركت في حكم الأولى: خُلْفُهُ حَسَنٌ، كونها في موضع جرّ بأنّها صفة لرجل.

والثّاني يضمّ الجمل عارية الموضع من الإعراب، ويقع الإشكال في عطفها، لذلك ركّز كلامه عليها، ومثّل لذلك بقول القائل: زَيْدٌ قَائِمٌ وَعَمْرٌو قَاعِدٌ، فالجملة الأولى ليس لها موقع من الإعراب عطف عليها جملة أخرى، ولا سبيل لادّعاء أنّ الواو هنا اشتركت الثّانية في إعراب وجب للأولى، فما المطلوب والمغزى من هذا العطف، ولمّ لا يستوي العطف وتركه؟ فالواو

¹. دلائل الإعجاز، ص: 222.

². ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عبّاس، دار الفرقان، ط4، 1997م، ص: 393/ والواصلات في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 18.

³. أثر النّحاة في البحث البلاغي، ص: 100.

⁴. دلائل الإعجاز، ص: 222.

⁵. ينظر: المصدر السابق، ص: 223، 224.

ليست للتشريك النّحوي، ولا بدّ من البحث عن المقاصد البيانيّة لوجود العطف هنا، ومعرفة ذلك راجع إلى المتكلّم، وغرضه من عطف الجملتين، وأنّ عمراً له صلة بزَيْدٍ، بحيث أنّ السّامع إذا عرف حال الأوّل عناه أن يعرف حال الثّاني.

ويجعل الإشكال هنا متعلّقاً بالواو دون غيرها من الحروف، على اعتبار أنّ الحروف الأخرى تفيد مع الإشراف معانيّ أخرى، كالترتيب والترّخي والتّعقيب والتّعيين، ففائدة العطف بها ظاهرة، بعكس الواو التي تفيد الإشراف في الحكم الإعرابي، فإذا لم يكن للجمله موضع من الإعراب؛ وقع الإشكال، وينبغي حينها أن يكون هناك جامع بين هذه الجمل حتّى تشترك، أي يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراف فيه، فتعطف الثّانية على الأولى لوجود ذلك المعنى الذي يجمع بينهما¹، ويقصد بالمعنى الذي يقع فيه ذلك الإشراف المناسبة، أو الجامع الذي يصحّ العطف، لأنّ الجملة إذا ضمّت إلى أخرى دون مناسبة كان الكلام فاسداً؛ يقول: (ولا يتصوّر اشتراك شيئين حتّى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراف فيه)²، والمناسبة تكون بين المسند والمسند إليه في الجملتين.

ويؤصّل عبد القاهر لهذا الباب بتشبيهه للمعاني بالأشخاص، ويومئ إلى أنّ الواو في المعاني كالوسيط في الرّجال، فإذا كان بين الرّجلين تضامّ شديد لا يحتاجان إلى ما يصل بينهما، لأنّ العلاقة بينهما قويّة، وإذا تنافرا لم يحتاجا في وصلهما إلى وسيط، لأنّ وجوده بينهما عبث، وإنّما يكون الوسيط في الحالة بين بين، وهذه أحوال تشبه كلامهم، لأنّ الكلام تشكيل للطّباع، فإذا قويت العلاقة بين الجملتين اتّصلتا من ذات نفسيهما، ودخول الواو عندها يفسد، وعلى هذا تدرك الصّلة بين المعاني، ويبرهن على ذلك باعتماده الفصل الذي يقوم على علاقة التّأكيد دون الحاجة إلى واصله تصل بين الجملتين أو بين المكوّنين، وكالصّفة التي

¹ ينظر: دلائل الإعجاز، ص: 224.

² المصدر السّابق، ص: 224.

تتّصل بالموصوف دون واصلة، فكذاك يكون في الجمل ما تتّصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها¹.

وقد أجمل ضروب الفصل والوصل في أمور ثلاثة هي: كمال الاتّصال، وكمال الانقطاع، وما يكون بين هذا وذاك، وإن لم يذكر هذه التّسميات، وترتكز جميع هذه الصّور على أساس كون الجملة الأولى لها محلّ من الإعراب، أو ليس لها، وكلّها تدخل في هذا النّطاق النّحوي، وقد عقد لها فصلا كاملا لتأكيد هذه العلاقة النّحويّة في هذا الباب، يقول بعد حديثه عن أمثلتها وتخريجها: (وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها، فاعلم أنّا قد حصلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصّفة مع الموصوف، والتّأكيد مع المؤكّد، فلا يكون فيها العطف البتّة، لشبه العطف فيها . لو عُطفت . بعطف الشّيء على نفسه، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلّا أنّه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه، فيكون حقّها العطف، وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إيّاه، ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلّا بأمر ينفرد به... وحقّ هذا ترك العطف)²، فترك العطف أي الفصل يكون للاتّصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف أي الوصل يكون لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين، ومثّل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم، والشّعر العربي³.

وقد كانت تحليلاته مبنية على منطق النّظر العقلي، وما هو جار على العرف بين النّاس؛ أو كما يقول على ما يقع في أنفس المخلوقين⁴.

¹ ينظر: دلالات التراكيب . دراسة بلاغيّة . محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط 2، 1987م، ص: 294، 295/ ودلائل

الإعجاز، الجرجاني، ص: 226، 227.

² دلالات الإعجاز، ص: 243.

³ ينظر: المصدر السّابق، ص: 227.

⁴ ينظر: المصدر السّابق، ص: 229، 230.

وجاء علماء البلاغة من بعده فاختصروا بحوثه وبوّبوا وضبطوها وقيدوا قواعدها، والسّكاكي من أشهر من اتّبعوه، واستفاد القزويني وشرّح التّخخيص من عبد القاهر والسّكاكي وجمعوا بين تحديد القاعدة والشرّح والتّحليل، وقد التقط المتأخرون فكرة عبد القاهر وأصوله الثّلاثة، ووافقوه على عدم العطف في حالتي كمال الاتّصال وكمال الانقطاع، وفرّعا عليهما حالتين هما: شبه كمال الاتّصال وشبه كمال الانقطاع، وبقيت حالة ما بين الكمالين هي الحالة الخامسة لحالات الفصل¹.

وحالة التوسّط أوقعتهم في الاضطراب، نتيجة حرصهم الشّديد على التّقسيم والتّفريع، فنجدهم يمثّلون لشبه كمال الانقطاع بقوله تعالى: " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ البقرة، كما يمثّلون بها لحالة التوسّط، ويمثّلون بها لشبه كمال الاتّصال، وبذلك يبقى باب شبه كمال الانقطاع فارغا من أيّ شاهد²، ويفرّق أحمد مصطفى المراغي بين حالة الوصل وحالة الفصل للتوسّط بين الكمالين، بأنّ حالة الوصل لا يوجد فيها مانع يمنع العطف، بخلاف حالة التوسّط التي يوجد فيها مانع في الكلام السّابق يمنع ذلك، ويفرّق بينها وبين شبه كمال الانقطاع بأنّ القطع في شبه كمال الانقطاع للاحتياط، لأنّ الكلام الذي يسبق الجملة الثّانية فيه ما يمنع العطف، وفيه ما لا يمنع، أمّا حالة التوسّط فالقطع واجب، لأنّ الكلام السّابق يشتمل على ما يمنع العطف³.

ومن القضايا التي أثارها عبد القاهر والتي لها صلة وثيقة بمبحث الفصل والوصل؛ الجملة الحاليّة، وبعد أن بيّن أنّها تأتي مفردة، وتأتي جملة، ركّز حديثه على الحال الجملة، وذكر أنّها ترتبط بصاحبها بالواو أو بالضمير أو بهما معا، وتميّز ذلك فيه صعوبة⁴، وأنّها تأتي اسميّة كما تأتي فعليّة، وارتباطها بالواو وعدمه له حالات بين المنع والوجوب والتّرجيح بينهما، وهذه الحالات سنذكرها في موقعها.

¹. ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 181/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة، أحمد مطلوب، ص: 119، 120 وما بعدها.

². ينظر: دلالات التّراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 321.

³. ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 182.

⁴. ينظر: دلالات الإعجاز، ص: 202.

وبيّن أن الجملة الحاليّة إذا كانت خاليّة من الواو؛ فهي بمثابة القيد للجملة الأولى، والفعل الواقع في صدرها مضموم إلى الفعل الأوّل، وكلّ جملة حاليّة اقتضت الواو، فهي في حكم المنفصلة والمستأنفة لخبر، ولا يقصد ضمّها إلى الفعل الأوّل، ولمّا كان المعنى على استئناف الإثبات، احتيج إلى ما يربط الجملة الثّانيّة بالأولى، فجاء بالواو¹، وأنّ الأصل في الجملة الاسميّة الحاليّة أن تأتي بالواو، وما جاء خلاف ذلك فهو نوع من التّشبيه بالمفرد².

ويختتم هذا الفصل بالحديث عن الفرق بين مجيء الواو وتركها في مثل قولك: جَاءَنِي زَيْدٌ وَالسَّيْفُ عَلَى كَتِفِهِ، أو السَّيْفُ عَلَى كَتِفِهِ، من دون الواو، فيجعل الكلام بالواو حسنا وهو يفيد الوصل، ومن دون الواو هو كلام نافر، أو أنّه في حكم ابتداء خبر واستئناف كلام³.

ج . 3 . الفصل والوصل عند السّكاكي:

تحدّث السّكاكي (ت626هـ) عنه في الفنّ الرّابع: في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والإيجاز والإطناب، من الفصل الأوّل: ضبط معاهد علم المعاني والكلام فيه، وبدأ حديثه عنه بتوضيح أهمّيّته وأنّه من مركزات الأذهان، وذكر ما يكون بين الجملتين من اتّحاد بحكم ما بينهما من ارتباط، وما بينهما من تباين لانقطاع الوشائج، وأنّهما قد تكونان بين بين فيتوسّط حالهما بين الأولى والثّانيّة، ثمّ شرع في التّعريف بالفصل والوصل؛ فجعل مداره ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وجعل التّمييز بينهما دليلا على الإبداع، ولا يكون إلّا لمنقذ البصيرة، ومتفاضل الأنظار، وأنّهما محكّ البلاغة، ومضمار النّظار، ومعيار قدر الفهم⁴.

والأصل في هذا الفنّ هو تمييز موضع العطف من غير موضعه في الجمل، وهو عنده نوعان: نوع يقرب تناوله وتعاطيه، ونوع يبعد ويدقّ، ومدار القريب العطف بغير الواو، أو بالواو

¹. دلائل الإعجاز، ص: 213، 214.

². ينظر: المصدر السّابق، ص: 218، 219.

³. ينظر: المصدر السّابق، ص: 221.

⁴. مفتاح العلوم، السّكاكي أبو يعقوب يوسف، تح أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرّسالة بغداد، ط1، 1982م، ص: 459.

بشرط أن يكون للمعطوف عليها محلّ من الإعراب، فتعامل معاملة المفرد، وليس في الأمر صعوبة، ومدار البعيد عطف الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب بالواو¹.

ويوضّح أنّ العطف بالواو بين الجمل التي لها محلّ من الإعراب بيّن، وأمّا توسيطها بين جمل لا محلّ للمعطوف عليها من الإعراب فيبعد، لأنّ أصول العطف غير ممهّدة، وذلك هو السرّ في أن دقّ مسلكه².

ثمّ يبدأ ببيان مواطن الفصل موضّحا أنّ الجملة: (متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارئة عن المعطوف عليها كما إذا أريد بها القطع عمّا قبلها، أو أريد بها البدل عن سابقه عليها، لم تكن موضعا لدخول الواو، وكذا متى نزلت من الأولى منزلة نفسها لكمال اتّصالها بها، مثل ما إذا كانت موضحة لها ومبيّنة أو مؤكّدة لها ومقرّرة لم تكن موضعا لدخول الواو، وكذا متى لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها، لم يكن أيضا موضعا لدخول الواو...)³، ويبين أنّ الوصل بالواو يكون في حالة التوسّط بين الكمالين، ويشرع بعدها في التّوضيح والاستشهاد بالقرآن الكريم والشّعر.

بعدها ينتقل للحديث عن الجامع العقلي والوهمي والخيالي بين الجمل، ويحدّد خصائص كلّ جامع⁴، ويختم حديثه عن الفصل والوصل بذكر محاسن الوصل من تناسب الجملتين في الاسميّة أو الفعلية بما يلائم المقام، وهذه أشياء لم يتحدّث عنها الجرجاني، واستشهد بآيات⁵.

وبعد تلخيصه للكلام في الفصل والوصل ألحق به الكلام في الحال التي تكون جملة، لمجيئها تارة مع الواو وأخرى دونها، واستهلّ حديثه بتمهيد عن الحال المفردة، وأنّها نوعان؛ حال مؤكّدة تأتي وصفا ثابتا، نحو: ذَاكَ حَاتِمٌ سَخِيًّا جَوَادًا، وحال بالإطلاق تأتي وصفا غير ثابت من الصّفات الجارية؛ نحو: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا، وحقّ النّوعين أن لا يدخلهما الواو، لأنّ

¹. ينظر: مفتاح العلوم، ص: 459.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 462.

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 463.

⁴. ينظر: المرجع السابق، ص ص: 464 . 469.

⁵. ينظر: المرجع السابق، ص ص: 486، 487.

إعرابهما ليس بتبع، والحال وصاحبها في حكم الخبر والمخبر عنه، فهما ليس موضعاً لدخول الواو، لما بين الكلمات من تعلق معنوي يغني عن تعلق آخر بالواو¹.

ثم يذكر قواعد اقتران جملة الحال بالواو، وقواعد مجيئها من غير الواو، والملاحظ أنّها نفس القواعد التي ذكرها الجرجاني، والفرق بينهما أنّ الجرجاني كان أكثر وضوحاً، والسّكاكي كان أكثر غموضاً وتعقيداً²، والأمثلة التي ذكرها معروفة عند الجرجاني.

ج . 4 . موازنة بين الجرجاني والسّكاكي من حيث المنهج والمادّة العلميّة:

من حيث المنهج نجد أنّ من أهمّ معالم منهج الجرجاني في تناوله هذا الموضوع³:

. عدم اهتمامه بالتّقييد ووضع تعريفات محدّدة لما تناوله من عناصر .

. عدم الإكثار من التّقسيمات والتّفريعات إلّا القليل، كتقسيمه لعطف الجمل من حيث موضعها من الإعراب أو عدمه، فذكر العطف على الجمل التي لها محلّ من الإعراب، والعمارة من الإعراب، وتحدّث عن الاستئناف، وعن عطف الجمل على الجمل، وعن الجملة تعطف لا على التي قبلها، بل على جملة بينها وبين المعطوف عليها جملة أو جملتان .

. ابتعد عن المصطلحات والتّعابير الغامضة وعبارات الفلسفة والجدل، واعتمد ما يشبه الحوار البناء، واعتمد على الذّوق والإحساس البلاغي في العرض .

معالم منهج السّكاكي في تناوله الموضوع:

. الاعتناء بوضع القواعد، وهذا يظهر من أوّل جملة في الموضوع، وفي تقعيده لموجبات الفصل والوصل والجامع بين الجمل .

¹. ينظر: مفتاح العلوم، ص: 487، 488.

². ينظر: المرجع السابق، ص ص: 488 . 492.

³. ينظر: قضايا الفصل والوصل بين الجرجاني والسّكاكي، جهاد محمّد فيصل النصيرات، وهديل فايز محمّد منصور، مقال، الجامعة الأردنيّة، ص: 23 . 24.

. الاعتماد على الفلسفة والجدل لا سيما في حديثه عن الجامع العقلي والوهمي والخيالي.

. استعمال مصطلحات وتعابير غامضة، نحو: قسمة الغلطي، والسّطل والرّبي، والبهرج، والعفص، ودسكرة ...، واصطلاح على الاتّصال إلى الغاية بكمال الاتّصال، والانفصال إلى الغاية بكمال الانقطاع، والتوسّط بين الكمالين.

. كثرة التّفريعات والتّقسيمات، فقد قسّم العطف إلى قسمين: قريب التّعاطي وبعيد التّعاطي، وذكر ثلاثة أصول لها، وذكر صنفين الإعراب، وبيّن حالات القطع وحالات الوصل، وحالة الإبدال، وحالة الإيضاح، وحالات كمال الانقطاع، وأنواع الجامع، وحالات التوسّط ومحسّنات الوصل.

. التّدخل والتّكرار: أو الاستطراد، فقد تحدّث عن حالات الوصل والقطع في البداية، ثمّ أعادها في النهاية.

ومن حيث المادّة العلميّة نلاحظ اتّفاقهما في¹:

. التحدّث عن أهميّة هذا الباب وغموضه ودقّة مسلكه.

. اختيار الشّواهد: فما اختاره الجرجاني من شواهد قرآنيّة أو شعريّة أعادها السّكاكي ولكن بأسلوبه الخاص، وخالفه فيها وزاد عليه بعض الأمور.

. تقسيم الجمل إلى ثلاثة أضرب: اتّصال إلى الغاية أو كمال الاتّصال/ انفصال إلى الغاية أو كمال الانقطاع/ التوسّط بين الكمالين.

. تقسيم الجمل المعطوفة على بعض إلى: جمل لها محلّ من الإعراب وهي عند الجرجاني من عطف المفرد على المفرد، وعند السّكاكي التي يقرب تعاطيه/ وجمل لا محلّ لها من الإعراب وهذا القسم عند الجرجاني هو الذي يشكل، وعند السّكاكي الذي يبعد تعاطيه.

. الاتّفاق على حصول الفائدة بحروف العطف دون إشكال من غير الواو، لدلالة معاني هذه الحروف.

¹. ينظر: قضايا الفصل والوصل بين الجرجاني والسّكاكي، جهاد محمّد، وهديل فايز، ص: 25.

- . التحدّث على ضرورة وجود جامع أو مناسبة تصحّح عطف الجمل.
- . زيادة الاشتباك والاقتران في عطف المتضادّين، نحو: هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَأُحْسِنُ وَيُسِيءُ.
- . من شروط العطف بين الجمل الاتّفاق في الخبريّة أو الإنشائيّة في المعنى.
- . الاستثناء البياني من موانع الوصل.
- . قد تعطف الجملة لا على سابقتها، بل على جملة بينها وبين التي قبلها جملة أو جملتان.
- . ترك العطف يكون لاختلاف الجملتين في الخبريّة والإنشائيّة، وعدم الاشتراك في الحكم الإعرابي، وعدم وجود الجامع.

وفي مقابل ذلك كان لكلّ واحد منهما انفراد وخصوصيّات؛ منها¹:

- . انطلق الجرجاني من العطف لبحث هذا الفنّ، والسّكاكي انطلق من الفصل.
- . ركّز الجرجاني على عطف الجمل العاريّة من الإعراب، بالواو خاصّة لأنّها التي تشكل، وتجاوز بحث الجمل ذات المحلّ الإعرابي وعطف المفردات، والعطف بالفاء وثمّ وغيرها من الحروف، لأنّ أمرها واضح، يتكفّل به علم النّحو.
- . يرى السّكاكي أنّ الفصل والوصل يأتي في الجمل والمفردات بالواو وغيرها، واعتبر أنّ القرب والبعد في التّعاطي هو الذي جعل العطف بالواو وبغيرها بين الجمل ذات المحلّ الإعرابي قريب التّعاطي، وجعل العطف بين الجمل عاريّة الإعراب بعيد التّعاطي، ولم ير أنّه مشكل.
- . تحدّث السّكاكي عن أصول ثلاثة في عطف الجمل، وتحدّث الجرجاني عن إشكال عطف الجمل عاريّة الموضع من الإعراب، وأنّه ينبغي معرفة المغزى والمطلوب من عطفها.
- . ذكر الجرجاني من حروف العطف ومعانيها: الفاء وثمّ، وأو، وزاد عليها السّكاكي حتّى وبل، ولكن، وأمّ، وأمّا، وأي، ولم يتحدّث عن معانيها.
- . تحدّث السّكاكي عن قطع الجملة المعطوفة عن الجملة المعطوف عليها للاحتياط أو الوجوب ولم يمثّل لها، بينما الجرجاني لم يتحدّث عنها.

¹. ينظر: قضايا الفصل والوصل بين الجرجاني والسّكاكي، جهاد محمّد، وهديل فايز، ص: 26 . 27.

. تحدّث الجرجاني عن وجوب ترك العطف لاتّصال الجملة التّانيّة بالأولى لكونها صفة أو توكيدا للأولى، وزاد السّكاكي عطف البيان والبدل وتحدّث عن أنواع البدل.

. تحدّث السّكاكي عن التّقديم والتّأخير في الجمل المعطوفة في مبحث الفصل والوصل، ولم يعرض الجرجاني لذلك.

. قسّم السّكاكي الإعراب إلى تبع وغير تبع، ولم يعرض الجرجاني لذلك.

. تحدّث الجرجاني عن التّناسب في عطف الجمل، واشترط الاشتراك في الحكم الإعرابي بين المفردات، ولم يعرض لأنواع الجامع، بينما تحدّث السّكاكي عن الجامع في عطف المفردات والجمل وأنواعه.

. قام السّكاكي بتوجيه بعض الشّواهد التي ذكرها الجرجاني توجيهها آخر إضافيًا أو مخالفاً؛ من ذلك توجيهه لترك العطف في قول الشّاعر:

رَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِفٌّ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافٌ

فالجرجاني أرجعه للاستئناف، بينما أضاف السّكاكي وجهاً آخر؛ وهو: خشية أن يظنّ أنّ العطف على (إخوتكم قريش)، فيفسد معنى البيت.

. فصّل الجرجاني الحديث في عطف الجمل بعضها على بعض بحسب ما يفهم من معانيها، ولم يعرض السّكاكي لذلك.

. تحدّث السّكاكي عن محسنات الوصل، ولم يفعل الجرجاني ذلك.

ومما سبق نستخلص أنّ للجرجاني فضل السّبق في تذوّق هذا الفنّ، وشرح وتحليل شواهد، كما له السّبق في اختيار النّماذج المعبّرة عن كلّ موضع من مواضع الفصل والوصل، وكلّ من جاء بعده تبع له، ولا نرى لهم خروجاً كثيراً عن شواهد، أمّا السّكاكي فله فضل تنظيم وتبويب هذا الفنّ، وتحرير قواعده ومسائله تحريراً لا مجال للشكّ في دقّته، ومع أنّ الفخر الرّازي قد

لخصّ الفصل والوصل قبله، إلا أننا نجد السّكاكي أكثر دقّة من الفخر الرّازي الذي اعتمد أسلوب الإيجاز، ومن أهمّ ما تميّز به السّكاكي توسّعه في قضيّة الجامع وتقسيماته على منهج الفلاسفة والمتكلّمين، علماً أنّ عبد القاهر لم ينصّ إلا على الجامع بين الجملتين، ولعلّ البحث في الجامع بهذه الصّورة له دور كبير في إخراج البلاغة العربيّة من طور الدّوق إلى طور القواعد والقوانين.

وجاء الخطيب القزويني (739هـ) بكتابه (التّليخ) الذي أوجز فيه القسم الثّالث من كتاب (مفتاح العلوم)، وشرحه بكتابه (الإيضاح)، وبحث موضوع الفصل والوصل بحثاً أكثر ترتيباً وطلاوة من بحث السّكاكي، وردّ عليه في عدّة مواضع، واستفاد من عبد القاهر والسّكاكي، وقصر بحثه في هذا الباب على الجملة دون المفرد، وجاء العلوي (739هـ) وعقد في كتابه (الطراز) فصلاً بعنوان: في أحوال الفصل والوصل، ذكر فيه أنّ هذا الأسلوب قاعدته العظمى حروف العطف، وتبع هؤلاء شراح التّليخ، وأقدمهم بهاء الدّين السّبكي (773هـ) بكتابه (عروس الأفراح) الذي خالف فيه عبد القاهر والقزويني في جعله الفصل والوصل عامّاً في المفردات والجمل، والتّقنازاني (791هـ) بكتابه (المطوّل والمختصر) في شرح التّليخ والقسم الثّالث من المفتاح، والسّيّد الشريف (816هـ) بكتابه (شرح القسم الثّالث من مفتاح العلوم، وحاشيّة على المطوّل على التّليخ)، ومن هؤلاء عصام الدّين الاسفراييني (951هـ) صاحب كتاب (الأطول) الذي تبعهم في تحقيقات الفصل والوصل، ومنهم ابن يعقوب المغربي (1110هـ) بكتابه (مواهب الفتّاح في شرح المفتاح) وقد اقتفى أثر التّقنازاني، ولم يخرج عن منهج السّكاكي والقزويني، وجاء بعدهم محمّد بن عرفة الدّسوقي (1230هـ) ووضع حاشيّة على مختصر السّعد على تلخيص المفتاح، وكان يوافق القزويني تارة ويعارضه أخرى¹.

هؤلاء الشّراح أولوا موضوع الفصل والوصل عناية فائقة إلى أن انتهى إلى صورته الّتي نجدها اليوم في كتب البلاغة، حيث نجد البلاغيّين المحدثين يحاولون تجديد هذا الباب وتيسيره وإخراجه في ثوب أكثر قرباً من روح العصر والواقع.

¹ ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 40 . 42.

4 . الفصل والوصل بين الجمل في النّسق القرآني:

هذا الباب في القرآن الكريم أشمل وأعمّ من الفصل والوصل بمعناه البلاغي، وهما من وسائل الاتّصال والأداء والالتحام بين الأساليب التّعبيريّة، كأدوات الرّبط والشّروط والتّقابل بين المعاني أو التّناظر أو التّقريع، وحين يجمعها القرآن الكريم يبرزها في صورة مؤتلفة، ويجعل من اختلافها وتقابلها وتجاورها قواما لائتلافها، وإجابة لحاجات النّفوس البشريّة التي تتداعى فيها تلك المعاني¹، وعند تجاورهما في نسق واحد تتلاحم الجمل وتتداخل، وتتدفّق المعاني وتتشابك، فقد تتجاور الآيات دون وصل، أو توصل دون فصل، وقد تذكر في القرآن طائفة من المعاني، ثمّ يذكر طائفة أخرى تقابلها، فيكون الحسن، وملاك ذلك النّظر إلى النّظام المجموعي للسّورة، ولو أردنا تحديد موضع الوصل لصعب علينا تحديده بقاعدة علميّة، على أنّه لو خّلينا وجداننا يتّصل بهذا الموضع تلاوة لأحسّسنا بروح الاتّصال، وحلاوة الانتقال، قبل معرفة علّته، وقد يثار الجانب العقلي والعاطفي معا وكلّ المواهب والطّاقات الإنسانيّة لمعرفته².

وتتنوّع حروف العطف بين الآيات المتشابهات لتدلّ على شأن عظيم؛ سواء كان اختلاف الحرف في داخل الآية والنّسق، أو في بدئها، فقد تأتي الواو في آية والفاء في مثلتها، أو الفاء في آية وثمّ في أختها أو تأتي بالواو في نسق وبدون واو في نسق آخر، في دقّة معجزة وتلاؤم خارق تبعا لما يقتضيه المقام وما يوافق النّسق ويتناسب مع ما قبل هذه الحروف وما بعدها³.

وتوزيع حرف العطف في القرآن الكريم من الواو أو الفاء أو ثمّ واقع موقعه من الدقّة والتّلاؤم والإعجاز، وتبادل الواو مع الفاء في عديد من الآيات التي تدخل تحت المتشابه والمتناظر يحتاج ذكاء خاصا في بيان أسرارها، وبحثا عميقا ومراجعة دقيقة⁴.

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صَبّاح عبيد دراز، ص ص: 12، 13.

². ينظر: المرجع السابق، ص ص: 70، 71.

³. ينظر: المرجع السابق، ص ص: 23، 28.

⁴. ينظر: المرجع السابق، ص ص: 17، 18.

الفصل الأول:

الرّبط والارتباط في النّحو العربي مقابل للفصل والوصل في البلاغة.

الفصل الأول: الرّبط والارتباط في النّحو العربي مقابل للفصل والوصل في البلاغة.

- 1 . الفصل والوصل عند النّحاة واللّغويين المحدثين
- 2 . مفهوم الرّبط والارتباط والقطع: أ . مفهوم الرّبط/ ب . مفهوم الارتباط / ج . القطع
- 3 . مواضع الارتباط وعلاقاته
- 4 . أدوات الرّبط
أ/ الرّبط بالضّمير البارز وما يجري مجراه
ب/ الرّبط بالأدوات والحروف ومواضعه
- 5 . أدوات القطع
- 6 . تشابك علاقات الارتباط والرّبط

1 . الفصل والوصل عند النّحاة واللّغويين المحدثين:

درس النّحاة الجملة باعتبارها بنية عامليّة، وجعلهم ذلك يصنّفون أنواعا من العلاقات الرّابطة بين مكوّناتها على أساس المحلّ الإعرابي، وما يجمع بين أجزاء الجملة من شروط، معتمدين على ورود الأداة الرّابطة وتوسّطها بين المكوّنات أو غيابها، وتوصّلوا إلى أنّ ما يجمع بين مكوّناتها من علاقات ضربان، أحدهما ينشأ على مفهوم (التّفسير والبيان والإسناد) ويتعلّق بالرّبط بينها دون أداة، ويشمل عدّة مركّبات كالخبر المفرد والنّعت المفرد والبدل وعطف البيان، وما شابه ذلك، والثّاني ينشأ على مفهوم الرّبط بالأداة كالرّبط بالضمير والعطف النّسقي والشّرط والجزاء وما شابهه، واعتنوا بالعامل كشرط يساهم في ديناميكيّة عناصر الجملة، فتغيّره يُتبع بتغيير في حركات أواخر الكلمات¹، ويعدّ ابن السراج (ت316هـ) من أقدم العلماء الّذين ألّمحوا إلى الرّبط بالحرف ودوره في الوصل؛ يقول: (حروف الجرّ تصل ما قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم)²، وحروف الرّبط كما ذكرها هي: حروف الجرّ، والعطف وأدوات الشّرط والتّفسير والجواب والإنكار والمصدر، وحدّد ابن هشام هذه الأدوات في عشرة؛ الضمير والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه أو بمعناه، وفاء السببيّة، والعطف بالواو، وال النّائبة عن الضمير، وحدّد المواضع الّتي يكون فيها الرّبط بأحد عشر تركيبا؛ هي: جملة الخبر، وجملة الصّفة وجملة الصّلة، وجملة الحال والجملة المفسّرة، وجملة بدل البعض وبدل الاشتمال، ومعمول الصّفة المشبّهة، وجملة الشّرط، والتّنازع، وألّفاظ التّوكيد³.

ومن الحقائق الّتي توصّل إليها الدّرس العربيّ الحديث أنّ الوصل والفصل في اللّغات لا يعدو أن يكون أمر أسلوب ربط في التّعبير، وأنّ اللّغة العربيّة لغة الوصل، ففيها من أدوات الرّبط ما لا نكاد نراه في غيرها، من حروف عطف وجرّ وأدوات شرط وتوكيد واستثناء، ولها

¹. ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 16.

². الأصول في النّحو، ابن السراج أبو بكر محمّد بن سهل، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1996م، بيروت، 1/ 408.

³. ينظر: أنظمة الرّبط في العربيّة، دراسة في التراكيب السّطحيّة بين النّحاة والنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، حسام البهنساوي،

ط1، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، 2003م، ص: 10 . 15.

طرق أخرى تكون سببا وعلّة في ربط الكلام ببعضه، أو قطعه، والغاية من هذه الأدوات أمن اللّبس في فهم الانفصال، ووضوح المعنى الكامن خلف الألفاظ¹.

والغرض من البحث في ما يربط الكلام عند النّحاة المحدثين . وحتى القدامى كما يفهم من مؤلفاتهم . معرفة كيفية عمل اللّغة لبلوغ وظيفتها، هذه الوظيفة التي لا تتحقّق إلاّ بوصل الكلام ببعضه ببعض، وقد أشاروا إلى أنّ بناء الجملة يكون بإبراز العلاقات السياقية بين المعاني الوظيفية الجزئية لمكوناتها، والتي تنشأ من خلال تفاعل المعاني داخل الجملة وبين الجمل، فيتكوّن معنى دلاليّ تفيد الجملة، ويجري هذا التّفاعل من خلال ثلاثة أنظمة؛ هي: الارتباط والرّبط والانفصال، وهي تمثّل قانون الوصل والفصل الذي ذكره الجرجاني، والذي يلخّص على التّرتيب في: الاتّصال والانفصال والعطف، فيتحقّق الارتباط من خلال العلاقات السياقية بين مكونات الجملة، ويتحقّق الرّبط من خلال قرائن لفظية تعين على إبراز العلاقات السياقية النّحوية بين المكونات، وتلجأ إليه اللّغة ليكون وسيطا بين الارتباط والانفصال، ويقوم على أدوات وضمائر بارزة، ويدخل تحت الأداة كلّ أداة تربط بين مكونات الجملة أو بين الجمل، وتُنشئ علاقة سياقية نحوية بينها، وتؤدّي وظيفتها التركيبية في بناء الجملة والنصّ، وإيصال المعنى².

وقد أطلق النّحاة القدامى مصطلحات المقاطع والاستئناف والانفصال، وذلك أقرب للتعبير عن المقصود بالفصل والوصل، ويقابلها عند المحدثين مصطلحات الرّبط والارتباط والانفصال، يقول مصطفى حميدة: (ويمكن إيجاز الأضرب الثلاثة في ثلاثة مصطلحات استعملها عبد القاهر؛ هي: الاتّصال، الانفصال، العطف، وهي تقابل . بالتّرتيب نفسه . المصطلحات الآتية: الارتباط، الانفصال، الرّبط)³، فالارتباط ينشأ بين المعنيين في الجملة، أو بين جملتين، إذا كانت العلاقة بينهما وثيقة كعلاقة الشيء بنفسه، فلا يحتاج إلى أداة، والانفصال يعني انعدام

¹. ينظر: من أسرار اللّغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط6، 1978م، ص: 327/ وأنظمة الرّبط في

العربية، حسام البهنساوي، ص: 7.

². ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص، ص: 156، 157، 158.

³. المرجع السابق، ص: 146.

العلاقة بين المعنيين، أو بين الجمل، أو بين المكوّنين ولا يحتاج إلى أداة، والرّبط واسطة بين الضّريين السّابقين، تلجأ إليه اللّغة لاصطناع علاقة داخل الجملة أو بين الجمل إذا كان بين الطّرفين علاقة لكنّها غير وثيقة، فيؤتى بالرّابط لأمن اللّبس في فهم معنى غير مقصود¹.

والغرض من نظام الرّبط والارتباط تحقيق الائتلاف بين مكوّنات الجملة، وبين الجمل بعضها ببعض، حتّى ينشأ المعنى الدّلالي العام المستفاد، ولهذا يعدّ نظام الرّبط والارتباط تعبيراً مقابلاً لقانون الوصل والفصل، ومعبّراً عمّا كان يقصده عبد القاهر بمصطلح الاتّصال²، فيكون الرّبط بالأداة مقابلاً للوصل، والرّبط دون أداة أي الارتباط مع البيان والتّوضيح مقابلاً للفصل، وبناء عليه يكون باب الفصل والوصل في علم المعاني داخلاً في باب الرّبط في علم النّحو³، فيكون الوصل نحواً هو: الرّبط بوساطة أداة لفظيّة لغرض أمن اللّبس في فهم الانفصال، والفصل هو: الارتباط دون أداة أو القطع أو الاستئناف لغرض بلاغي⁴، والارتباط أقوى من الرّبط، لأنّ سبيله العلاقة المعنويّة، وسبيل الرّبط اصطناع العلاقة المعنويّة برابط لفظي.

2 . مفهوم الرّبط والارتباط والقطع:

أ . مفهوم الرّبط:

اصطناع علاقة نحويّة سياقيّة بطريق اللفظ بين معنيين باستعمال واسطة تتمثّل في أداة رابطة تدلّ على تلك العلاقة، أي أنّه قرينة لفظيّة موجودة بالفعل؛ مثل: حروف العطف وحروف الجرّ، والظّروف، والضمير البارز، وغير ذلك، وتلجأ العربيّة إلى الرّبط لأمن اللّبس في فهم الانفصال بين المعنيين، أو لأمن اللّبس في فهم الارتباط بين المعنيين، وعلى ذلك يكون الرّبط الحلقة الوسطى بين الارتباط والانفصال، أي أنّه علاقة تصطنعها اللّغة اصطناعاً لفظياً بطريق الأدوات أو الضّمائر، لسدّ ثغرة تنشأ من انفصال غير مرغوب فيه، أو لفصم عروة تنشأ من

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 146.

² ينظر: المرجع السابق، المقدّمة.

³ ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 26.

⁴ ينظر: بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن، مسرت جمال، مقال، مجلّة الدّاعي، دار العلوم جامعة بشاور، العدد 6،

ارتباط غير مرغوب فيه¹، والرّبط بهذا المفهوم يعني الوصل، والانفصال يعني القطع والاستئناف والابتداء، وهذا يمكن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقيّة التي تحصل في الكلام².

ب . مفهوم الارتباط:

نشوء علاقة نحوية سياقية دلالية وثيقة بين معنيين تعني عن اللّجوء إلى واسطة لفظية تُعلّق أحدهما بالآخر، فهي أشبه بعلاقة الشّيء بنفسه، أو هو علاقات تلاؤمية أفقية تنشأ بين دلالات مكوّنات الجملة، أي أنّ قرينة معنوية موجودة بالقوة، ويتمثّل الارتباط في علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل، وبين المبتدأ والخبر، وعلاقة الإضافة، وعلاقة التّعديّة، والحذف والإحالة، والحركة الإعرابية، وقد يتمّ بظواهر صوتية: كالتنغيم والوقف، والابتداء وغيرها³، فشدة التعلّق بين هذه العلاقات لا حاجة معها إلى واسطة، لأنّ الانعقاد بينها كالانعقاد بين الحرف وحركته من حيث شدة الاتّصال، فكأنّهما مركّب واحد، فالمحلّ الإعرابي مثلا وشيجة ورابطة بين كلمة وكلمة، كالرّابطة التي بين الصّفة والموصوف والبدل والمبدل منه، حيث تجد فيه الكلمات ممسكا ضروريّا فيتعالق بعضها ببعض⁴، والارتباط بهذا المفهوم يعني الفصل، وينشأ بين معنيين كانا في حالة انفصال، ولا يحتاج إلى وسيط لفظي.

وهناك من لا يفرّق بينهما وجمعهما في مصطلح الرّبط، باعتبار ما يفيدانه من ائتلاف وصلة واتّحاد في أجزاء الكلام والجملة، سواء كانت هذه الأجزاء عناصر أساسية في بنائهما أو غير أساسية، وذلك بوسائل معنوية أو لفظية⁵.

¹. ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، المقدّمة، ص: 144، 152.

². ينظر: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، الثّوّاتي بن الثّوّاتي، دار الوعي، 2015م، الجزائر، ص: 100.

³. ينظر: النّحو العربي بين نحو الجملة ونحو النّصّ، مثل من كتاب سيويوه، يوسف سليمان عليان، مقال، المجلة الأردنية في اللّغة

العربية وآدابها، مج 7، عدد 1، 2011م، ص: 195/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 152.

⁴. ينظر: ضوابط الفكر النّحوي، دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النّحاة آراءهم، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، نق: عبده الرّاجحي، دار البصائر، 2006م، القاهرة، دط، ج2، حاشية ص، ص: 129، 148.

⁵. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 26.

ج . مفهوم القطع:

يطلق عند علماء النّحو على انفصال التّراكيب اللّغويّة بعضها عن بعض، ويدلّ على التحوّل من حالة إعرابيّة إلى أخرى، وعند علماء القراءة يطلق على مطلق الوقف، أو قطع الكلام مهما كان سببه، كما يطلق على المواضع التي يمكن عندها فصل الآيات القرآنيّة بعضها عن بعض¹.

ومن هنا نجد أنّ مصطلحات الرّبط والوقف والابتداء والانفصال والقطع والارتباط والاستئناف؛ كلّها مرتبطة بموضوع الدّراسة، ونحاول ذكرها في موقعها، مع التّركيز في هذا الفصل على الرّبط والارتباط والانفصال، في مقابل الوصل والفصل والقطع.

3 . مواضع الارتباط وعلاقاته:

وضع النّحاة للجملة النّحويّة نمطا جعلوا فيه للمفردات داخل الجملة درجات متفاوتة من الارتباط، وجعلوا أقوى الرّوابط بين الكلمتين رابطة التّلازم، ثمّ جعلوا لمفردات الجملة ميزة انتمائها إلى الجملة، وجعلوا كلّ ما لا ينتمي إلى الجملة أجنبيّا عنها، وكرهوا الفصل بين المتلازمين بأجنبيّ، إلّا الجملة المعترضة لما لها من استقلال في الفهم، وذلك خشية أن يحيط بالكلام لبس يؤدّي إلى تشتت الفهم، ومما يوصف بلفظ المتلازمين؛ الأداة ومدخولها، والفعل والفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه، والمنعوت ونعته، والحال المفردة، وبصورة عامّة المتبوع وتابعه وما أشبه ذلك²، وهذا ما أشار إليه ابن جنّي (ت392هـ) بقوله: (وحروف الجرّ لا يمكن تعليقها عن المجرور ولا الوقوف عليها دونه)³، ويضيف في حديثه عن (أن): (وهذه لا يوقف عليها لأنّها من عوامل الأفعال، وعوامل الأفعال أضعف من عوامل الأسماء... فلما ضعفت أن النّاصبة للفعل عن فصلها واقتطاعها عمّا بعدها لم يحسن الوقوف عليها...).

¹. ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النّحو، دراسة صوتيّة، الطّاهر محمّد المدني علي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، 2004م، ص: 1.

². ينظر: البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة وأسلوبية للنصّ القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، 1993م، ط1، القاهرة، ص: 176.

³. ينظر: سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداي، دط، دت، 2/ 681.

وهو أنّ ما بعدها من الفعل صلة لها، والوقوف على الموصول دون صلته قبيح مع الأسماء القويّة، فكيف به مع الحروف الضّعيفة)، ويذكر أنّه لا يفصل بينها وبين الفعل إلّا بـ(لا)؛ نحو: أحبّ أن لا تقوم، وذكر أيضا عدم جواز الوقوف على المضاف دون المضاف إليه، وعلى أداة الاستفهام دون ما بعده، وكذلك أن التّفسيّريّة¹، فالتعلّق المعنويّ شديد بين طرفي الكلام، ويمتنع الوقف قبل تمام البنية التّركيبية، لأنّه يؤدّي إلى القطع بين أجزائها وفساد المعنى.

وعلاقات الارتباط تنشأ بين المعاني بلا واسطة لفظية، تعتمد على عمليّة تداعي المعاني في العقل البشريّ وتفهم بمجرد ائتلافها، وهي علاقات متعدّدة بين وحدات التّركيب في الجملة، ومعان تطلق على حاصل ارتباط بين وحدتين من وحدات التّركيب بوساطة طرق تدور مع مدار معاني النّحو الخاصّة؛ كالفاعلية والمفعولية والإضافة، ويمكن جعل هذه العلاقات والطّرق فيما يلي²:

علاقة الإسناد: بين الفعل والفاعل أو نائبه، والمبتدأ والخبر المفرد، والتّاسخ واسمه وخبره المفرد، وبين كلّ ما يعمل عمل الفعل وفاعله أو نائب فاعله، كالمصدر والمشتقّات العاملة واسم الفعل.

علاقة التّعديّة: بين الفعل المتعدّي والمفعول / **علاقة الإضافة:** بين المضاف والمضاف إليه.

علاقة الملازمة: بين الحال المفردة وصاحبها / **علاقة الظرفيّة:** بين الفعل والظرف بنوعيه.

علاقة التّحديد: بين الفعل والمفعول المطلق المبيّن للنّوع والعدد.

علاقة السببيّة: بين الفعل والمفعول لأجله / **علاقة التّمييز:** بين التّمييز والمميّز.

علاقة الوصفية: بين التّعت المفرد ومنعوته / **علاقة الإبدال:** بين البديل والمبدل منه.

علاقة التّأكيد: بين التّأكيد والمؤكّد، وبين الفعل والمفعول المطلق المؤكّد له.

ويمكن اختصار هذه العلاقات إلى خمس؛ هي:

¹ ينظر: سرّ صناعة الإعراب، 2/ 685.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 161، 163 / وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبويّ الشّريف، زهر كرشو، مقال، جامعة حمه لخصر، الوادي، ص: 38.

أ / الارتباط بعلاقة الإسناد:

هو بؤرة الجملة أو نواتها، والإسناد هو أن تسند كلمة إلى أخرى حتى يتم المعنى المقصود، وهو القاعدة الأساسية للكلام الذي شرطه الإفادة، وهو وحده كاف لإنشاء جملة بسيطة تامّة نحوياً ودلالياً، قابلة للتوسّع بإنشاء علاقات ارتباط أخرى، واصطناع علاقات ربط تزيد من فائدتها وتغيّر من دلالتها، ويرجع ذلك إلى المقام وغرض المتكلم، والارتباط الإسنادي علاقة وثيقة يرتبط بها معنيان بلا واسطة لفظية، كعلاقة الشيء بنفسه، والإسناد رابط معنوي أقوى من الرّابط الحرفي، يتّصل به المسند بالمسند إليه لفظاً ومعنى، فيمنع وقوعه لغيره، ولا يفصل بينهما، وهو إمّا إسناد فعليّ، يعبر عنه بالجملة الفعلية، ويتألّف من المسند الفعل، والمسند إليه الفاعل أو نائبه، وعلاقة الإسناد التي هي علاقة ذهنية؛ ومثاله قوله تعالى: " وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ البقرة، المسند هنا: اتقى، تجزى، يقبل، يؤخذ، ينصر، والمسند إليه: (نفس، شفاعة، عدل، وواو الجماعة)، أو إسناد اسمي، يعبر عنه بالجملة الاسمية ويتألّف من مسند إليه (المبتدأ) ومسند (الخبر المفرد، أو الخبر جملة فعلية) يربط بينهما ضمير مستتر، معقول لا يشير إليه لفظ فهو قرينة معنوية¹، كقوله تعالى: "...وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٢﴾ آل عمران.

ويندرج النعت السببي ضمن علاقة الارتباط الإسنادي بطريق الجملة الاسمية، لأنّه يرفع اسماً ظاهراً، فيكون حكمه حكم الفعل إذا رفع اسماً ظاهراً؛ نحو: مررت برجال حسنة وجوهم، والتقدير: مررت برجال وجوهم حسنة، فالعلاقة بين النعت (حسنة) ومرفوعه علاقة إسنادية².

ب / الارتباط المفعولي وعلاقاته: يضمّ أربع علاقات بحسب نوع المفعول؛ وجامعها دوران المفاعيل حول الفعل، وهي:

¹. ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 164، 165، 196/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 41، 42/ وتحليل النصّ؛ دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصّي، محمود عكاشة، ط1، مكتبة الرشد، 2014م، ص: 86، 99.

². ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 184.

ب 1 . علاقة التّعديّة:

تنشأ من علاقة الفعل المتعدّي بمفعوله، والمفعول به اسم يقع عليه الفعل فتتمّ دلالته، ويتعلّق به وبالفاعل معنوياً بالعلاقة الإسناديّة؛ كقوله تعالى: "... وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ... ﴿١١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ آل عمران، وتضع رتبته في الجملة لسياق المقام وغرض المتكلّم، فقد يتقدّم لغرض بلاغي كالتخصيص؛ كقوله تعالى: "... وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٤﴾ البقرة، ويأتي جملة في ثلاثة مواضع؛ إحداها المحكيّة بالقول أو ما يرادفه، وتقع بعد الفعل قال، وما يتصرّف منه، أو ما يشبه القول ويتضمّن معناه لا لفظه؛ فيتعلّق بفعله؛ كقوله تعالى: "... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ... ﴿٧٧﴾ آل عمران، وتنوع جملة مقول القول بين جمل فعلية واسميّة مجردة واسميّة منسوخة، وبين خبريّة وإنشائيّة، وهذا التنوع يجلب انتباه المتلقّي ويدفعه إلى التّركيز¹، كقوله تعالى: "... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بَقَرَةً ۗ ... ﴿١٧٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ البقرة، فقوله: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ..." في محلّ نصب مفعول به للفعل "وَصَّىٰ"، والثانيّة الواقعة مفعولا ثانياً لأفعال الظنّ واليقين؛ كقوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ... ﴿١٢٢﴾ البقرة، ف"الأرض" مفعول به أوّل، و"فراشا" مفعول به ثان للفعل جعل، والثالثة؛ الواقعة في باب الأفعال المعلقة عن العمل، والتعليق هو وجود لفظ له الصّدارة يمنع الفعل المتعدّي إلى مفعولين أو ثلاثة من العمل الظاهر، فلا يأخذ المفعولين ظاهرين، أو أحدهما، فيعمل اللفظ المتصدّر، ويسدّ مع معموله مسدّ المفعولين؛ كقوله تعالى: "الَّذِينَ يَظُنُّونَ

¹ ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 44/ ونظام الارتباط والرّبط في

تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 168.

أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٦٦﴾ البقرة، فقوله: "أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبِّهِمْ" في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي يظنّ، والذي نقصده هنا هي جملة مقول القول التي تتعلّق بعاملها علاقة معنويّة دون أداة لفظيّة، ودون عاطف بينها وبين فعلها¹، كقوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ... ﴿١٢﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "... وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴿١٧٧﴾ آل عمران.

ويدخل المنادى مع المفعول به، لأنّ أصله مفعولا حذف فعله، ومما ذكر في القرآن الكريم المنادى بلفظ الجلالة "اللّهم"، وهذا التّشكيل يأتي في حالة المناجاة، ويدلّ على الارتباط بين العبد وربّه، ولفظ "اللّهم" أصله: يا الله، والميم بدل من يا، وعند إسقاط الميم يجب ذكر يا، والميم تعبير عن المنادي، وتدلّ على قرينه من الله تعالى إلى الحدّ الذي لا تتوسّط فيه أداة النّداء بين المنادي والمنادى، وهذا التّمط من الدّعاء يصدر عن الدّاعي بأنّ الذي يناجيه ليس بعيدا بل قريب².

ب2 . علاقة الظرفيّة:

ترتبط حدث الفعل بزمنه أو مكانه الذي وقع فيه، ويطلق اسم المفعول فيه على ذلك الاسم الذي يرتبط بفعله، وهو اسم منصوب فضلة يرتبط بفعله ارتباطا منطقيّا وثيقا، يتمسك به كأنه جزء منه، لا يكتمل إلّا به، فيتمّ معناهما بهذا التعلّق المقيد، لأنّ الفعل حدث ولا يخلو الحدث من زمان ومكان³، كقوله تعالى: "...قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ... ﴿٦١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ... ﴿٥٠﴾ آل عمران، ولولا هذان القيّدان لبقى الحدث ناقص الدّلالة، وكلّما أضفت قيودا كانت الدّلالة أدقّ وأكمل، وهنا تظهر أهميّة العلاقة بين الظرف

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، دار الحارث، ط1، 1997م، دمشق، ص: 99 . 103/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 310.

² ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 45.

³ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 174/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 45.

والحدث، وما بينهما من تأثير متبادل، في إيضاح المعنى وتكميله، وهذا التأثير يطلق عليه النّحاة تعليقا وارتباطا¹.

ب3 . علاقة السببية:

من علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، تربط بين الفعل والمفعول له الذي لا يكون إلا مصدرا عامله فعل قبله من غير لفظه، ويذكر في سياق يقتضي من المتكلم أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معناها له على بيان علة وعذر وقوع الفعل، والمفعول لأجله مصدر قلبي؛ منشأه الحواس الباطنة كالتعظيم والخوف، دالّ على الحدث المجرد، والفعل يتضمّن دلالة على الحدث أيضا، ومن المنطق أن يكون الحدث سببا في وقوع حدث آخر، فالسعادة سبب في وقوع الابتسام، ومن المنطقي ألا يكون المفعول لأجله مصوغا من أحرف الفعل المراد بيان سبب وقوعه، لئلا يدلّ الحدث على سبب في وقوع نفسه فيقع في التناقض، وقد يدخل على المفعول لأجله حرف الجرّ اللام حين تضعف العلاقة بين الطرفين، فيصطنع علاقة ربط بينهما²، ومما يزيد ارتباط المفعول له بالجملة مشاركته الفعل في الزمان والفاعل من غير أداة؛ نحو: سافرت رغبة في العلم، فرغبة مصدر قلبي بين علة السفر، وشاركه في الزمان والفاعل³، ومنه قوله تعالى: "...تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ...^{١٦} البقرة، وقوله تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ...^{٢٧} البقرة، وقوله تعالى: "...وَلَا دَخَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ...^{١٥٥} آل عمران.

ب4 . علاقة التحديد:

تربط الفعل بالمفعول المطلق، وهو مصدر فضلة مؤكّد لعامله أو مبين لنوعه أو لعدده، وسمي مطلقا لأنه يقع عليه اسم المفعول المطلق بلا قيد، ويراد به هنا المفعول المطلق المبين

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، ط5، 1989م، ص، ص: 271، 273، وما بعدها.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 177/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في

تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 45.

³ ينظر: جامع الدروس العربية؛ موسوعة في ثلاثة أجزاء، مصطفى الغلاييني، دار ابن الهيثم، ط1، 2005م، القاهرة، ص:

للتّوع أو العدد دون المؤكّد، لأنّ المؤكّد يشكّل ارتباطاً وحده في علاقة التّأكيد التّابعة لعلاقة التّبعية¹؛ كقوله تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً... البقرة، ﴿٢٤٥﴾ وقوله تعالى: "...يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ... آل عمران، ﴿١٥٤﴾" وقوله تعالى: "...فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً... النساء، ﴿١٢﴾" والمفعول المطلق مصدر دالّ على حدث، في حين يدلّ الفعل على حدث وزمن، ووجه الارتباط بين الفعل والمفعول المطلق تحديد وتبيين الحدث الكامن في الفعل، وإزالة الإبهام عنه بوصفه أو بإضافته، أو ببيان عدد مرّات حدوثه، وليس ذلك من خصائص الفعل بل من خصائص الاسم، والمصدر صالح للتعبير على ذلك، فجيء به من لفظ الفعل تأكيدا له وقرينة على نشوء علاقة الارتباط، ثمّ جيء ببيانه ووصفه وإضافته وعدده².

ج/ الارتباط التّبعي وعلاقاته:

ويشمل التّوابع من غير العطف، وتضمّ علاقة الوصف والبدل والتّأكيد، وجامعها وثيقة الصّلة بين التّابع والمتبوع، وارتباط الملابسة والتّمييز، ويضمّ الحال والتّمييز، وجامعها العلامة الإعرابيّة، والتّعريف بالمجهول، فصاحب الحال مجهولة هيئته حتّى يؤتى بالحال لتبيّنه، والمميّز مجهول فيؤتى بالتّمييز لتوضيحه، وارتباط إضافي ويشمل علاقة الإضافة³.

ج 1. علاقة الوصفية:

هي علاقة وثيقة تربط بين التّعت والمنعوت، وتؤدّي إلى إزالة ما في المنعوت من إبهام، ببيان معنى فيه، لا بيان حقيقته، لأنّ التّعت تابع يدلّ على معنى في متبوعه مطلقا، وفائدته التّخصيص في التّكرات، كقوله تعالى: "...وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ... البقرة، ﴿٢٥﴾" والتّوضيح في المعارف؛ كقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... آل عمران، ﴿١٢﴾" والتّعت أعمّ من المنعوت

¹ ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشّريف، لزهرة كرشو، ص: 46.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 176.

³ ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشّريف، لزهرة كرشو، ص: 39، 40.

في التّعريف أو مساويًا له، وقد يأتي لمجرّد الثّناء والتّعظيم؛ نحو: أتاني زيد الفاضل، ولمجرّد الذمّ والتّحقير؛ نحو: أتاني خالد الفاسق، وذلك إذا كان الموصوف فيهما معلوما عند المخاطب، والمقصود بالنّعت هنا النّعت المفرد الحقيقي لا السببي؛ كقوله تعالى: "... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۗ... ﴿١٧٧﴾ البقرة، والنّعت شبه الجملة، والنّعت الجملة الذي يرتبط بمنعوته بضمير مستتر؛ كقوله تعالى: "...إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ۗ... ﴿٧٦﴾ البقرة، والنّعت الجملة جزء جملة، يحتاج إلى الجزء الذي يتمّ به الكلام، وهو المنعوت¹، ومن أمثلة النّعت المفرد؛ قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... ﴿٧٦﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "... قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۗ... ﴿٢٨﴾ آل عمران.

ج 2 . علاقة الإبدال:

علاقة وثيقة تربط البديل بالمبدل منه، كعلاقة الشّيء بنفسه، والبديل تابع مقصود بالحكم، والمبدل منه يذكر توطئة وتمهيدا له، ليستفاد بمجموعهما فضل توكيد وبيان وتوضيح لا يكون في أحدهما دون الآخر، ولو حذف المبدل منه لاستقلّ الكلام، ونعني به هنا البديل المطابق لأنّ البديل والمبدل منه يتطابقان في علامة الإعراب والمعنى، لذلك يستغنيان عن رابط لفظي بينهما، وعلاقة الإبدال بالبديل المطابق تشبه علاقة النّعت بمنعوته، إلّا أنّ البديل يكشف المبدل منه ببيان حقيقته، والنّعت يكشف المنعوت ببيان معنى فيه؛ كقوله تعالى: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ﴿٧٦﴾ الفاتحة، فالعلاقة بين (صراط) الأولى و(صراط)

¹. ينظر: أسرار النّحو، ابن كمال باشا، شمس الدّين أحمد، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط2، 2002م، ص: 163،

164/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 182/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في

تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 47.

الثّانيّة علاقة ارتباط معنويّة، بالبدل المطابق لغرض فهم المعنى الدّلالي؛ وكقوله تعالى: "...وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ..." ﴿١٤٤﴾ البقرة، وقوله عزّ وجلّ: "ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا..." ﴿١٤٥﴾ آل عمران، ويأتي هذا البدل بعد اسم الإشارة فيزيل إبهامه، ويوضّح حقيقة الاسم المشار إليه¹، كقوله تعالى: "...وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ..." ﴿١٢٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ..." ﴿١٤٦﴾ آل عمران.

وهناك من يضيف قسماً آخر لهذا البدل هو البدل المباين، وفيه ثلاثة أنواع: بدل الغلط ويكون بدلاً من اللفظ الذي سبق إليه اللسان؛ فذكر غلطاً؛ نحو: جاء عليّ، زيد، وبدل النسيان ويتعلّق بالجنان حيث تبين لك بعد ذكره فساد قصدك فأبدلت؛ نحو: سافر عليّ إلى دمشق، بعلبك، وبدل الإضراب؛ ويكون حيث تقصد العدول عن قصد المبدل منه إلى قصد البدل؛ نحو: خذ الورقة، القلم، والبدل المباين لا يقع في كلام البلغاء، وإن وقع شيء منه أتى بين البدل والمبدل منه بكلمة (بل) دلالة على الغلط أو النسيان أو الإضراب².

ويندرج عطف البيان ضمن علاقة الإبدال، وهو تابع مبيّن للمتبوع، يشبه الصّفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله، يرتبط به بلا واسطة، ويكون من المعارف عند البصريين، وأجاز الكوفيون التّبعية في التّكثير، فيوضّح متبوعه إن كان معرفة؛ ويخصّصه إن كان نكرة، كقوله تعالى: "...وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ..." ﴿١٢٢﴾ البقرة، هاروت عطف بيان³، وقوله تعالى: "...قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا

¹. ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 47/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 187.

². ينظر: جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 560.

³. ينظر: أسرار النّحو، ابن كمال باشا، ص: 168/ ونحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة دار العروبة، ج4، ط1، 2001م، الكويت، ص: 228، 229/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد بن إبراهيم الحفظي، ق1، مج1، هجر للطباعة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، 1993م، دط، ص: 1093، 1094.

وَاحِدًا... ﴿١٣٣﴾ البقرة، ("إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ" عطف بيان لآبائك)¹، وقوله تعالى: "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ... ﴿١١﴾ آل عمران، عطف بيان لقوله تعالى: "... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا... ﴿١٥﴾ آل عمران، وصفهم بالنّقوى وبالتوجّه إلى الله تعالى بطلب المغفرة²، ومن أمثلة مجيء عطف البيان ومتبوعه نكرتين قوله تعالى: "...يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ... ﴿٢٥﴾ النور، فزيتونة عطف بيان لشجرة³.

وهناك من النّحاة من عدّ عطف البيان والبدل المطابق شيئاً واحداً، والتّفريق بينهما تكلف⁴، وليس هذا موضوعنا، لذلك نترك البحث فيه.

ج 3 . علاقة التأكيد:

علاقة تنشأ بين التأكيد اللفظي والمؤكّد، تغني عن الرّبط بين الطرفين بأداة، والتوكيد اللفظي تابع يقرّر أمر المتبوع، ويكون بتكرير اللفظ الأوّل أو بمرادفه، ويكون اسماً ظاهراً أو ضميراً أو فعلاً، أو حرفاً، أو جملة، ومنه قوله تعالى: "هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ المؤمنون، ومن تأكيد الضمير قوله تعالى: "... أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴿٢٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ... ﴿٢٤٦﴾ البقرة، فالضمير البارز هنا لم يستخدم للرّبط، وإنما العلاقة بين الضميرين علاقة ارتباط، وفائدة التأكيد اللفظي إزالة الشكّ عن السامع، وتقرير المؤكّد وتمكينه في نفسه أو تقويته⁵.

¹ الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التّأويل، الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود، نح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1998م، 1/ 331.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، ابن عاشور محمّد الطّاهر، الدّار التّونسيّة، 1984م، دط، 3/ 184.

³ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله، ط20، دار التّراث، القاهرة، 1980م، 3/ 220.

⁴ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 188.

⁵ ينظر: أسرار النّحو، ابن كمال باشا، ص: 165، 166/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 558، 559.

ويدخل في نطاق التّأكيد اللفظي تأكيد الفعل بمصدره في باب المفعول المطلق المؤكّد لفعله؛ لأنّ الغرض تأكيد الحدث الكامن في الفعل دون الزّمن، والمصدر دالٌّ على ذلك¹، كقوله تعالى: "...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴿٢٧﴾ البقرة، المصدر (إحساناً) مفعول مطلق مؤكّد لفعله، (والنّقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً)²، وقوله تعالى: "... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً... ﴿٢٨﴾ آل عمران، تأكيد بالمفعول المطلق.

ومن التّأكيد اللفظي؛ تأكيد الجملة لمضمون الجملة الأولى، وهي بمنزلة الصّفة لها، لا يدخل العاطف بينهما، لتعلّق الجملة الثّانيّة بمعنى الأولى، فالمعنى فيهما واحد؛ كقوله تعالى: "...ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ البقرة، فجملة "لَا رَيْبَ فِيهِ" تؤكد لما قبلها وزيادة تثبيت، وقوله: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" تأكيد ثان، وحذف العاطف لاستغناء الجملة عنه بصلة المعنى³.

د/ ارتباط الملايسة والتّمييز:

ارتباط يجمع الحال والتّمييز في علاقة واحدة، لاشتراكهما في أنّهما فضلتان نكرتان منصوبان مفسّران لما قبلهما، فالحال مبيّن للهئية، والتّمييز مبيّن للذّوات⁴، والارتباط بعلاقة الملايسة حاصل ارتباط الحال المفردة بصاحبها زمن الفعل، والحال وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه أو تأكيده، وليس معنى كونه فضلة أنّه يمكن الاستغناء عنه، فهذا البيان ضروريّ لفهم معنى الجملة؛ كقوله تعالى: "...وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا... ﴿٣٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ... ﴿٤١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

¹. ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 188، 189.

². تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 583.

³. ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 308.

⁴. ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 179.

مُحَضَّرًا... ﴿٤٦﴾ آل عمران، وحكم الحال النّصب وقد تجرّ لفظاً بالباء الزّائدة بعد النّفي، وتأتي الحال مفردة وجملة وشبه جملة¹، وترتبط بصاحبها بعلاقة ارتباط إذا كانت بضمير مستتر؛ نحو: جاء الرّجل يسعي، للدّلالة على أنّهما مضمومان في إثبات واحد²، وكقوله تعالى: "... وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ... ﴿٤٤﴾ آل عمران، جملة الحال: "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ" وصاحبها الفاعل في "ءَامَنَّا" في قوله تعالى: "قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا..."، ومثال الحال شبه جملة؛ قوله تعالى: "... وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ آل عمران.

أمّا علاقة التّمييز، فهي حاصل ارتباط بين التّمييز والمميّز على سبيل البيان وإزالة الإبهام، والتّمييز نكرة فضلة منصوب، يقال له التّبيين والتّفسير، وهو رفع الإبهام في جملة أو مفرد وإزالة اللبس، والعامل فيه الفعل أو معنى الفعل، ولفظه لفظ المفعول، وهو في المعنى فاعل، وهو قسمان؛ تمييز ذات يفسّر اسما مبهما ملفوظا، كقوله تعالى: "وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... ﴿٢١﴾ البقرة، وتمييز نسبة ويفسّر جملة مبهما النسبة³، كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا... ﴿٦٠﴾ آل عمران، ولا يكون جملة، ويعتري علاقة الارتباط بالإسناد بين أطراف الجملة، والارتباط بعلاقته يتيح للمتكلّم إفادة معنى جديد هو معنى الشّمول، الذي لا تستطيع علاقة الإسناد والتّعدية الوفاء به⁴، ففرق بين قوله تعالى: "...وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا... ﴿٦٠﴾ مريم، وقولنا: اشتعل شيب الرأس، ومن أمثلته قوله تعالى: "...فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ

¹ ينظر: جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 449، 465.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 171.

³ ينظر: الأصول في النّحو، ابن السّراج، 1/ 222، 223/ وجامع الدروس، مصطفى الغلاييني، ص: 474، 475.

⁴ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 171، 178/ وأنسجة الارتباط وآليات

الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزه كرشو، ص: 47.

اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا... ﴿١٦﴾ البقرة، وقوله عزّ وجلّ: "...فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً... ﴿٧٤﴾ البقرة، وقوله:

"صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً... ﴿١٧٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا... ﴿٨٥﴾ آل عمران.

هـ/ الارتباط الإضافي:

علاقة وثيقة تربط بين المضاف والمضاف إليه، والإضافة إسناد اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأوّل منزلة تنويه، ولهذا يجردّ المضاف من التّنوين، والإضافة على ضربين؛ إضافة بمعنى اللّام؛ نحو: غلام زيد، وذلك إذا كان المضاف إليه معرفة، وهي تكسب المضاف التّعريف، وإضافة بمعنى (من)؛ نحو: خاتم فضّة، وذلك إذا كان المضاف إليه نكرة، وهي تكسب المضاف التّخصيص، وقد يأتي المضاف إليه جملة فعلية أو اسمية دون رابط؛ كقوله تعالى: "... ثُمَّ تُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ... ﴿٧٥﴾ البقرة، مضافة إلى مبهم؛ لترفع عنه الإبهام، ووقوعها مضافا إلى اسم غالبا ما يكون ظرفا يجعلها بحاجة إلى ما يتمّ به الكلام¹، وتقدر بمصدر وإن لم يكن معها حرف مصدري، فهي بمنزلة الاسم المضاف، والمضاف لا يقطع عن المضاف إليه؛ فتعلّق به²، كقوله تعالى: "...وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ... ﴿١٦﴾ آل عمران، فجملة "جَاءَهُمُ الْعِلْمُ" المقترنة (بما المصدرية) تامة وهي مستقلة بنفسها، وموقعها هنا؛ جعلها غير مستقلة، ارتبطت بما قبلها لتعريفه وتوضيحه وتخصيصه، وإزالة الغموض عنه، وجملة المضاف إليه تضاف إلى اسم زمان مبهم، أو ظرف لا يتّضح معناه إلا بما يضاف إليه؛ نحو: إذ، إذا، منذ، يوم، حين، ساعة...³، لدلالة الفعل على أحد الأزمنة، وبذلك يكون تناسب بين المضاف والمضاف إليه في الدلالة على الزّمان،

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 170/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 48.

² ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط2، 2007م، الأردن، ص: 148/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 183.

³ ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 184 وما بعدها.

فإذا كانت اسميّة استفيد الزّمان من خبرها بكونه جملة فعليّة، أو مشتقاً يتضمّن الدّلالة على الزّمان؛ كقوله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ ... ﴿١٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ... ﴿١٥﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانِ ... ﴿١٥٥﴾ آل عمران، أو بكون مضمونها مشهور الوقوع في زمن معيّن؛ نحو: أتيتك إذ الخليفة عبد الملك¹.

4 . أدوات الرّبط:

الأصل في الرّابط بين المعنيين هو الضّمير البارز منفصلاً أو متّصلاً، وما يجري مجراه من العناصر الإشاريّة؛ كالاسم الموصول واسم الإشارة، وضمير الفصل وضمير الشّأن، ثمّ كل أداة تصل بين المفردات أو الجمل ليستقيم المعنى، وتأتي في مقدمتها حروف العطف لأصالتها في المضمار، وحروف الجرّ وغيرها²، ويمكن تقسيم الرّوابط إلى قسمين:

أ/ الرّبط بالضّمير البارز وما يجري مجراه:

يستخدم الضّمير البارز للرّبط فيصبح في حكم الأداة، فيؤدّي هذه الوظيفة كما تؤدّيها أدوات المعاني الرّابطة، إلّا أنّ وظيفته ناشئة ممّا فيه من إعادة الذّكر، بينما تعتمد حروف المعاني على معانيها الوظيفيّة التي تحدّد نوع العلاقة كأدوات الشّروط والعطف والجرّ، نحو: محمّد أخوه مسافر، فجملة: أخوه مسافر تحتاج إلى ما يبيّن مرجع الضّمير وهو المبتدأ، والهاء ضمير ربط بين الخبر الجملة والمبتدأ، والبنية المضمرة هي: محمّد أخو محمّد مسافر، فوجود الضّمير يشير إلى تعلق الجملة الثّانية بصاحب الضّمير، ولولا الضّمير لنشأ فهم آخر في لفظة محمّد ولّفهم أنّه شخص آخر، بينما لو كان الضّمير للمتكلّم أو المخاطب فإنّه لا يحتاج إلى ما يوضّحه لأنّ المرجع معلوم، واشترط البارز دون المستتر لأنّ البارز ملفوظ فهو رابط بنيويّ، والمستتر معقول لا يشير إليه لفظ فهو قرينة معنويّة³ تدلّ على نشوء ارتباط بين الطّرفين؛

¹. ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 199.

² ينظر: بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن، مسرت جمال، ص: 2/ وأنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص:

15، 16.

³. ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 196.

نحو: جاء رجل يسعى، فالضمير المستتر في يسعى قرينة معنويّة عقلية تشير إلى ارتباط الجملة الحاليّة بصاحب الحال الرّجل، وهي علاقة وثيقة بين الجملتين لا تحتاج إلى اصطناع رابط، ولو قيل: جاء الرّجل هو يسعى لأدى إلى لبس في فهم انفصال بين الجملتين، لأنّ الضمير (هو) فصح علاقة الارتباط بين الحال وصاحبها، فينشأ احتمال فهم أنّ (هو) يشير إلى فرد آخر غير الرّجل، فيقع صدع وانفصال في البنية، ولرأبه يؤتى بواو الحال قبله فيقال: جاء الرّجل وهو يسعى، وعلى هذا يكون الضمير البارز قرينة لفظية على نشوء ربط بين المعنيين فتحكمه حكم أدوات الرّبط¹.

والضمير البارز اسم مبهم يحتاج إلى ما يفسّره، والمفسّر اسم متقدّم أو متأخّر، ويشير إلى ذات أو عين أو مضمون قول، والأصل فيه الإخفاء، وهو المفهوم من لفظه، ويأتي مضمرًا في المفرد لعلم السّامع أنّ الفعل له فاعل، ويظهر في المثني والجمع، لأنّ السّامع لا يعلمه ولا يظهر له إلّا بدليل، والضّمائر تشير إلى حضور أو غائب، وتعدّ أساسًا في الرّبط النصّي الداخلي، إذ تربط اللاحق بالسّابق، وتربط بين اسم واسم وجملة وجملة، واسم وجملة، وتربط النصّ بالعالم الخارجي، وهي أقوى عناصر الرّبط لا يمكن الاستغناء عنها، تصل بين الألفاظ فتجعل منها بنية متماسكة لفظًا ومعنى، والغرض منها الاختصار وتجنّب التكرار، ودفع لبس اختلاط الكلام بغيره، ولبس انفصال الجملتين، لدلالاتها على أسماء ومعان سابقة أو لاحقة في النصّ أو خارجه².

أ1/ مواضع الرّبط بالضمير البارز:

أ1.1 / الخبر الجملة:

جملة تامّة تأتي فعلية واسميّة، تابعة لما أفادت عنه معنى، أي ليست مستقلة عنه، بل للإفادة عنه وتمام معناه، ولا يستغنى عنها لأنّها ركن أساسي، ليست مقصودة لذاتها، فهي

¹. ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السّامرائي، ص: 147/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة

العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 153.

². ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 222، 223.

إخبار عن المبتدأ ومنتمة لمعنى الجملة، ولأنّه ليس فيها ما في الخبر المفرد من الصّلاحيّة للارتباط، فهي تفتقد إلى قرائن لفظيّة تربطها بالمبتدأ، كالعلامة الإعرابيّة والمطابقة والبنية الصّرفيّة، وبسبب تكوينها التّركيبي من مسند ومسند إليه، وتضمّنها معنى مفيدا؛ أصبحت عرضة للبس انفصالها عن المبتدأ، فاحتاجت إلى اصطناع علاقة ربط بينها وبين المبتدأ، تتمّ بوساطة ضمير عائد عليه، مطابق له، يفيد معنى فيه، فهو بمنزلة الخبر المفرد في الإفادة عنه، يكون ظاهرا في الأفعال أو مضافا في الأسماء، وهو أساس ربط الخبر الجملة بالمبتدأ، ويغني عن تكرار اللفظ؛ كقوله تعالى: "الْم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة، جملة "لَا رَيْبَ فِيهِ" خبر عن ذلك، استغنت عن حرف العطف، لأنّ المعنى متّصل، والغرض التّعظيم والمدح والتّخصيص، وبها ضمير يعود على الكتاب، ويربط الجملة بما قبلها، يضاف إلى الارتباط المعنوي المتمثّل في المضمون، وقوله تعالى: "ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ... ﴿٥٥﴾ البقرة، والرّابط هو الضمير البارز (واو الجماعة، وكم) العائد على المبتدأ (أنتم)، وجاء مطابقا للمبتدأ في المعنى ليعوّض الجملة عن حرمانها من قرينة المطابقة كما هي في الخبر المفرد¹، كقوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ... ﴿٥٧﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ... ﴿١٠﴾ آل عمران.

ومثلها الواقعة خبرا للناسخ كان وأخواتها، أو إنّ وأخواتها، أو كاد وأخواتها، فهي تشتمل على ضمير يعود على ما يقوم مقام المبتدأ²، كقوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢٠٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "...كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴿٣١٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "يَكَادُ

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 165، 166، 197/ وتحليل النصّ،

محمود عكاشة، ص: 100/ وأنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص: 17.

² ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 81، وما بعدها.

الْبَرْقُ تَحَطَّفُ أَبْصَرَهُمْ^ط ... البقرة، وقوله تعالى: "كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" البقرة، وقوله تعالى: "... فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" آل عمران.

وعدّ بعضهم الضمير المستتر في الخبر الفعلي إن كان المبتدأ مفرداً رابطاً، لأنّه يشير إلى مفسّر مذكور في السياق؛ كقوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ..." البقرة.

أ. 1 / 2 / النّعت الجملة:

جملة النّعت جملة خبرية فضلة، تتبع منقّداً نكرة، وتحتاج إلى رابط يربطها بالمنعوت، إذا لم تكن تشتمل على ضمير مستتر يغيها عن اصطناع الرّبط، فتشتمل على ضمير بارز، ويصحّ تأويلها بمفرد نكرة، ويؤتى بها لتعريف المخاطب بالموصوف المبهم وتخصيصه، وتقويته ورفع الإبهام عنه، وهي تابعة له في الإعراب؛ كقوله تعالى: "وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا^ط ..." البقرة، وقوله تعالى: "... أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلاَءَ وَلَا شَفِيعَةً ..." البقرة، وصف "يوم" بالجملة التي بعده، وقد اشتملت على ضمير بارز يربطها بالمنعوت هو الهاء في "فيه"، وقوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ..." آل عمران، وقد يكون الضمير مقدّراً في جملة النّعت؛ كقوله تعالى: "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا^ط... البقرة، أي: لا تجزي فيه نفس¹، وقوله تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ^ط ... البقرة، فجملة "تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" في محلّ نصب نعت، وقوله تعالى: "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ..." آل عمران، فجملة "يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ" في محلّ رفع نعت، وقوله تعالى: "... وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 250/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة،

مصطفى حميدة، ص: 198/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 125، 126.

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤٦﴾ البقرة، فجملة: "يَعْقِلُونَ" في محلّ جرّ نعت لـ"قَوْمٍ"، وقد تسبق جملة النّعت بمنعوت معرّف لفظا لا معنى؛ نحو: أمرّ على اللّئيم يسبّني فأمضي قائلا لا يعنيني، وقد تقع طلبية محكية بقول محذوف هو النّعت في الحقيقة؛ نحو: لقيت زيدا اضربه، أي: مقول في حقّه هذا القول¹، وعدّ بعض النّحاة الضّمير المستتر فيها رابطا يربطها بالمنعوت.

أ 3. الحال الجملة:

جملة خبرية أصلها الاستقلال، ليست تابعة ولا عمدة، وإذا جاءت ضمن جملة أخرى في موقع تعبيرية يقتضيها لا تستقلّ؛ فتدلّ على هيئة في صاحبها، وتقع بعد معرفة، في موضع نصب، فتحتاج إلى عامل يعمل فيها وإلى صاحب، وإلى رابط يربطها بصاحبها²، وترتبط به بالضّمير البارز، أو بواو الحال، أو بهما معا إذا لم تشتمل على ضمير مستتر يغنيها عن اصطناع هذا الرّابط اللفظي، لأنّها تجيء فضلة بعد تمام الكلام، فاحتيج إلى زيادة ربط، فتتضمّن ما هو موضوع للرّبط، وقد يذكر هذا الرّابط في أوّل الجملة أو وسطها أو آخرها وهو الأضعف والأقلّ، ليؤدّن أنّ الجملة لم تبق على الاستقلال، والغرض أمن اللبس في فهم انفصال تلك الجملة عن صاحبها، فتتصل به ولا تقطع عنه في المعنى³، والذي يعنينا هنا الضّمير البارز.

والجملة الحالية تأتي فعلية أو اسمية، فإن كانت اسمية ترتبط بصاحبها بالضّمير إن لم يكن المبتدأ ضمير صاحب الحال؛ كقوله تعالى: "وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" ﴿١٤٦﴾ البقرة، جملة الحال: "بعضكم لبعض عدو"، وصاحبها (الواو في اهبطوا)، والرّابط الضّمير البارز (كم)، وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ... ﴿٧٧﴾ آل عمران، جملة

¹ ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد بن إبراهيم الحفطي، ق 1، 1/ 983 . 986.

² ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص: 148.

³ ينظر: نحو العربية، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 3/ 403/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، ق 1، 1/ 673/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 198/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 129 . 134.

الحال: "منه آيات"، وصاحبها: "الكتاب"، والرّابط: (الهاء في منه)، وقد تخلو الاسميّة من الرّابطين عند ظهور الملابس نحو: خرجت زيد على الباب، وهو قليل¹.

وإن كانت فعلية وكان فعلها مضارعاً مثبتاً، ترتبط بصاحبها بالضّمير وحده، لتناسبه؛ كقوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْرِيهُم وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" ﴿٤٥﴾ البقرة، جملة "يَعْمَهُونَ" في محلّ نصب حال، ارتبطت بصاحبها "هم" بالضّمير البارز (واو الجماعة)، وقوله تعالى: "وَإِذْ

نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ... ﴿٤٤﴾ البقرة، جملة "يَسُومُونَكُمْ" حال من

"آلِ فِرْعَوْنَ"، وقوله تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ... ﴿٤٤﴾ آل عمران، جملة الحال:

"نُوحِيهِ إِلَيْكَ"، وصاحبها "الغيب" والضّمير الرّابط: (الهاء في نوحيه)، ويشترط في المضارع

خلوه من حروف الاستقبال كالسّين ولن، لأنّ ذلك ليس في زمان التكلّم، أي لتناقض الحال

والاستقبال، وإذا انتفى بلم أو ما أو لا لم يدخله الواو ولزمه الضّمير؛ كقوله تعالى: "فَأَنْقَلِبُوا

بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ ... ﴿١٧٤﴾ آل عمران، جملة الحال: "لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ"،

ونحو: جاءني زيد لا يركب أي غير راكب، فهو واقع موقع المفرد².

وإذا كان فعلها ماضياً اقترن بقدر ظاهرة أو مقدرة، ولفظة (قد) تقرّب الماضي من حال

التكلّم، وذهب أبو حيّان وابن مالك والأخفش إلى جواز ذلك من غير تقدير؛ ومن شواهد قوله

تعالى: "... أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ... ﴿٦٠﴾ النساء، وإذا كان الماضي بعد إلا فاكتفاه

بالضّمير من دون الواو أكثر؛ نحو: ما لقيته إلا أكرمني، فهو بتأويل إلا مكرماً لي، فصار

¹ ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 3/ 403/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، ق1، 1/ 674 . 677/ والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحويّة هامّة، محمود صافي، طبعة مزيدة، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان، 1992م، 1/ 106، و2/ 112.

² ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد الخطيب، وسعد مصلوح، 3/ 404/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، ق1، 1/ 677 وما بعدها/ والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 1/ 57، 124، و2/ 179، 378.

كالمضارع المثبت¹، ويجوز أن تخلو منه إذا عطف عليها ما يصلح أن يكون حالا مع اشتماله على ذلك الضّمير؛ نحو: عهدي بك يخطئ الصّديق فتعفو عنه، وإذا كان بعدها جملة شرطية محذوفة الجواب، وفيها ذلك الضّمير يجوز أن تخلو منه؛ نحو: ما لكم يضيع الحقّ إن حكمت².

وعدّ بعض النّحاة الضّمير المستتر في الجملة الحالية رابطا لها بصاحبها؛ لأنّ به يعلم من صاحبها؛ كقوله تعالى: "قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ... ﴿٤٤﴾ آل عمران، جملة "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ" في محلّ نصب حال، صاحبها الفاعل في "ءَامَنَّا"، والرّابط الضّمير المستتر في "نُفَرِّقُ" العائد على صاحب الحال.

أ . 1 . 4 . جملة الاشتغال:

جملة تتضمّن ضميرا يربط المشغول به بالمشغول عنه، وهو اسم متقدّم على الجملة؛ قد يرفع على الابتداء أو الإخبار، وقد ينصب بعامل محذوف يدلّ عليه المذكور العامل في ضميره، فالأصل فيه جملتان، ويحذف الفعل الأوّل اكتفاء بدلالة الثاني عليه، المفسّر له، ويراد به اشتغال المحلّ بضمير يعود على المشغول عنه، ويقوم الضّمير البارز المذكور في الثاني بربط الجملة بالاسم المنصوب المتقدّم لئلا يكون أجنبيّا عنه؛ كقوله تعالى: "وَاللّٰهُمَّ خَلَقَهَا لَكُمْ ... ﴿٥٠﴾ النحل، الأنعام منصوبة بفعل محذوف، والضّمير في "خلقها" ضمير الاشتغال رابط، والأصل: واذكروا الأنعام خلقها لكم، وكقوله تعالى: "وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ... ﴿٦٧﴾ يس، فالرّابط الضّمير الذي يتضمّنه الفعل (قدّرناه) وهو عنصر عائد وعامل فيما قبله، حيث جعله

¹ ينظر: نحو العربية، عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، 3/ 404، 407/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، ق1، 1/ 677 . 682.

² ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 194.

مفعولاً به لفعل محذوف، لانشغال الفعل (قدّر) بالعمل فيما بعده، وحذفه يترك فراغاً في التّركيب، ويحدث لبساً في فهم الانقطاع، ويجوز أن يكون هذا الضّمير في أيّ جزء ممّا يتعلّق به الفعل العامل¹.

أ 1 . 5 . التوكيد المعنوي:

هو التّوكيد بألفاظ محصورة؛ من مثل: نفس، وكلّ، وأجمع، ولا بدّ من اتّصال ضمير بالموكّد ليحصل الرّبط بينه وبين متبوعه، والغرض أمن اللّبس في فهم انفصال التّأكيد عن المؤكّد؛ نحو: جاء زيد نفسه، ومنه قوله تعالى: "وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... ﴿١٦١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ البقرة، وقوله عزّ وجلّ: "...قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ... ﴿١٥٤﴾ آل عمران، ويجب الضّمير هنا لغياب الواو، وفائدة التّأكيد المعنوي دفع توهم السّامع أنّ المتكلّم تكلمّ بطريق المجاز، ورفع احتمال أن يكون في الكلام سهو أو نسيان².

أ 1 . 6 . الجملة التفسيرية:

هي الفصلة الكاشفة لحقيقة ما تليه، تأتي بعد جملة لتوضّح مبهما فيها، ولا تكون إلّا إذا كان معها ما تفسّره، فهي لا تستقلّ بنفسها، واقتضاؤها إيّاه هو رابط معنويّ أقوى من الرّابط البنوي الظاهر، ذلك أنّها تستدعيه من تلقاء ذاتها، وتشتمل على ضمير يربطها بما قبلها؛ كقوله تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ آل عمران، فجملة: "خَلَقَهُ" تفسير للمثل، اشتملت على ضمير رابط يعود على متقدّم، يؤدّي إلى

¹ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 153، 154/ أنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص: 19.

² ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 228/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 559.

تماسك أجزاء الكلام¹، ولا تحتاج جملة التفسير إلى عاطف، لاتّصال مضمونها بالمفسّر، ولئلاّ تحمل معنى آخر غير التفسير، وهي بمنزلة الصّفة من موصوفها²، وتكون على نوعين:

تفسيرية مجردة من حرف التفسير:

وتكون اسمية وفعلية، خبرية أو إنشائية؛ كقوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ...^٣ البقرة، "مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ" تفسير لـ"مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا"، والملاحظ أنّ الجملة التفسيرية إذا كانت مجردة غالبا ما يكون لها وجه آخر في الإعراب، فيحتمل أن تكون في محلّ نصب حال³.

تفسيرية مقترنة بحرف تفسير:

وللتفسير حرفان هما: أن، وأي، وتكون الجملة المفسرة بعدهما مسبوقه بجملة فيها معنى القول خالية من التصريح بلفظ القول؛ كقوله تعالى: "...وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ^٤ البقرة، فجملة: "أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ..." تفسير لقوله: "عَهْدَنَا"، اشتملت على ضمير يربطها بما قبلها، وقوله تعالى: "رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا^٥ آل عمران، فقوله: "أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ .." تفسير لقوله: "يُنَادِي"، وقد أجاز بعضهم وقوع (أن) المفسرة بعد لفظ القول⁴، (لأنّها تأتي ليعبر بها

¹ ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 437/ الإعراب عن قواعد الإعراب، ابن هشام الأنصاري، تح: علي فودة نيل، ط1، 1981م، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ص: 46/ والجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص: 189/ ومغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1991م، بيروت، 2/ 459.

² ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 229، 310.

³ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 85، 86/ وإعراب الجمل، شوقي المعمرى، ص: 40.

⁴ ينظر: تفسير الكشّاف، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م، هامش تعليقات الانتصاف، 7/

316/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 159.

وبما بعدها عن معنى الفعل الذي قبلها، فالكلام شديد الحاجة إلى ما بعدها ليفسر به ما قبلها)¹.

ولم ترد (أي) في القرآن الكريم، ومن شواهد ما قول الشاعر:

وَتَرْمِينِي بِالطَّرْفِ أَيَّ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

وقوله: (ترميني بالطرف)؛ بمعنى تنظرين إليّ نظرة، وهو قول مبهم متضمن لمعنى: تقولين لي، و(أي) حرف تفسير، و(أنت مذنب) جملة مفسرة².

أ 1. 7. جملة جواب الشرط:

هي الرّكن الثاني من الشرط، ولا يصحّ إلا بوجودها، وهي بمنزلة الخبر من المبتدأ، ترتبط بمعناه وتتم الفائدة بها، لذلك هي أكثر التراكيب تلازماً، والرّبط فيها يكون على مستوى الشكل والمعنى، لتضمّنها روابط لفظية كالفاء وإذا والضمير، وروابط معنوية كحاجة الجملة الأولى لها لتتم الفائدة، وتشتمل على ضمير يربطها بجملة الشرط إذا كانت تحتل معنى مستقلاً أو تحتل الانقطاع، ويكون الضمير ظاهراً أو مقدّراً؛ فمن الظاهر قوله تعالى: "...وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ..." البقرة، وقوله تعالى: "قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ..." آل عمران، ربط ضمير المفعول جملة الجزاء بجملة الشرط، وهو يعود على متقدّم، وقد قوى ارتباط الجملتين، فلا يقطع بينهما في المعنى لحاجة الضمير إلى مفسّر، ومن المقدّر قوله تعالى: "...فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ..." البقرة، والتقدير: فلا شيء من ذلك يجوز منه أو في حجه³.

¹. ينظر: سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، 2/ 685.

². ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 438 وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 37.

³. ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 165، 166.

ويشترط لربطها بجملة الشّرط بالضمير فقط دون رابط لفظيّ آخر، أن يكون فعلها خبرياً متصرفاً، غير مقترن بقَد أو لَن أو لا، أو ما، أو السين أو سوف¹، ومنه قوله تعالى: "...وَإِنْ تَبُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ... ﴿٢٤٤﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...إِنْ تَأْمَنَّهُ بِيَقْنَطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ... ﴿٧٥﴾ آل عمران.

ويلحق بجملة جواب الشّرط جملة جواب الطّلب، وهي على تقدير الشّرط، وقيل الأصل فيها جملة شرطية حذف منها الشّرط وذكر جوابه لدلالة الكلام عليه، نحو: أعطني تستدم مودّتي، والمعنى: إن تعطني تستدم مودّتي، وكقوله تعالى: "قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ... ﴿٧٠﴾ البقرة، والطّلب يشمل الأمر والنّهي والدّعاء والاستفهام، والعرض والتّحضيض، والتّمني والترجّي².

أ. 8. 1. في التّنازع:

يتعلّق بالعمل النّحوي، وهو اشتراك عاملين أو أكثر في معمول واحد أو أكثر، والمنتازع فيه هو الرّابط بين العاملين؛ كقوله تعالى: "... قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ الكهف، أي: أتوني بقطر أفرغ عليه قطرا، وللضمير دور في ربط الكلام السّابق باللاحق، حيث يعود الضمير في التّنازع على متأخر، أي على الفاعل أو المفعول المنتازع عليه من الجملتين³.

أ. 9. 1. معمول بعض الصيغ الصرفية:

كالصّفة المشبّهة: نحو: زيد حسن خلقه، ففاعل الصّفة معمولها (خلق)، ارتبط بها بالضمير البارز (الهاء)، ووجوده حتميّ لعدم وجود رابط آخر، وبه يأمن من لبس فهم الانقطاع، وكاسم الفاعل؛ كقوله تعالى: "...رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُهَا... ﴿٧٥﴾ النساء، ومثل المصدر؛

¹ ينظر: جامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 295.

² ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السّامرائي، ص: 178، 179/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 103/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 119.

³ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 152، وهامش ص: 222، 229.

كقوله تعالى: "...إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ..." البقرة، فالضمير فاعل للمصدر

وهو رابط، والعجل: مفعول به، واسم المفعول؛ نحو: البرّ محمودة عواقبه، والله أعلى وأعلم¹.

أ 10 . بدل البعض وبدل الاشتمال:

البدل تابع مقصود بالحكم، ولا بدّ لبدل البعض وبدل الاشتمال من ضمير يربطهما بالبدل

وعائد إليه؛ كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..." البقرة، فقله: (قِتَالٍ) بدل

اشتمال من الشهر الحرام، والضمير البارز (الهاء) في (فيه) المتعلق ب(قتال) يعود على المبدل

منه (الشهر الحرام)، وقوله تعالى: "فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ..." آل عمران، "مقام" بدل

اشتمال من آيات مرفوع مثله، والرّابط مقدّر أي منها، وقوله تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا..." آل عمران، ف(مَنْ) بدل بعض من النّاس، اسم موصول في محلّ

جرّ، والرّابط مقدّر أي: استطاع منهم، وقد يأتي البدل فعلا أو جملة؛ ومنه قوله تعالى:

"وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ..." البقرة، فقله: (أن يوصل) مصدر مؤول في محلّ جرّ

بدل من الهاء في (به)، أي: يقطعون ما أمر الله بوصله، وقوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً

لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا..." البقرة، فقله: (أن تبرّوا) بدل من (أيمان)²، وقيل لا يقع البدل

جملة لا من مفرد ولا من جملة، وهناك من التحوّيين من أثبتها كابن مالك الذي علّق بأنّ كلّ

جملة فيها كيف فهي بدل من اسم مفرد³، كقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ..." البقرة

الفرقان .

¹. ينظر: تحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 229.

². ينظر: جامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 560 . 563 / وتحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 229 /

والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، ج2 / 253، 254، ج1 / 88.

³. ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 128.

وقوله تعالى: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... ١٦٨" ال

عمران، ولا تخلو من هذا الضمير العائد إلا إذا كانت جملة قسم والضمير في جوابها؛ كقوله

تعالى: "أَهْتُوْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ... ١٦٩" الأعراف، أو كانت معطوفة على

جملة متضمنة لذلك الضمير؛ نحو: أنت من يضلّ النَّاسَ فترشدهم، أو كان بعدها جملة شرطية

محذوفة الجواب، ومتضمنة ذلك الضمير؛ نحو: أنت الذي ينصت النَّاسَ إن تكلم، وتأتي جملة

الصلة فعلية واسمية وشرطية وظرفية، والرابط في الجملة الشرطية يأتي في جملة الشرط أو

جملة الجزاء؛ نحو: جاء الذي إن تأته يأتك عمرو¹.

ويجوز حذف الضمير الرابط إذا كان متصلاً في موضع المفعول المنصوب، وكان دليل

على حذفه، فيقدّر دون التباس بغيره، ؛ نحو: أعطيته المال الذي وعدت، أي: الذي وعدته، أو

كان مبتدأ بعد الموصول؛ نحو: جاء الذي ضارب زيدا، والتقدير: الذي هو ضارب، كما يجوز

حذفه للعلم به؛ كقوله تعالى: "...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٢٠١" البقرة، والتقدير: الذي رزقناهموه

ينفقونه، ويجوز: رزقناهم إياه².

أ2 / ما يجري مجرى الضمير البارز:

أ2 . 1 . ضمير الشأن والقصة:

سمي ضمير الشأن والقصة لأنه إضمار للشأن المعهود في الذهن، يأتي مبتدأ في الجملة

الكبرى، يتصدرها فتكتفي به رابطاً، يحيل إلى متأخر في اللفظ، وهذا المتأخر هو المفسر له،

ولا تتحقق وظيفته إلا بتقديمه، ثم تليه جملة تفسره، ويكون مفرداً غائباً، يتقدم لمعنى التعظيم

والتأكيد والتنبية، ويقدر اسم من معنى الجملة لتفسيره، وبذلك يربط بين الجملة الخبرية بعده

والاسم المقدر، كقوله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١" الإخلاص، (هو) رفع بالابتداء، و(الله تعالى)

خبره، وتقدم ضمير الشأن ثناء على الله تعالى، وهو خالص له سبحانه، ف(هو) ضمير الشأن،

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط، مصطفى حميدة، ص: 199/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 140 . 142.

² ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 144، 145.

(الله أحد) هو الشّأن، بمعنى: الشّأن هذا، وهو أنّ الله واحد لا ثاني له، وقيل إنّ الآية نزلت في سياق سؤال عن وصف الله تعالى، فجاءت الآية جواباً له، يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى، و(أحد) خبر لمبتدأ تقديره: هو، وقيل بمعنى: قل: الأمر والشّأن الله أحد، وكقوله تعالى: "... أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ... ﴿١٧﴾ آل عمران، ضمير الشّأن محذوف (اسم أنّ المخففة من أنّ) هو الرّابط، يعود على متأخر¹.

أ. 2. 2. ضمير الفصل:

يقع بين المبتدأ (وما كان أصله مبتدأ) والخبر، لأمن اللبس في فهم علاقة الوصفية بين المبتدأ وما بعد ضمير الفصل، عند إرادة إنشاء علاقة إسناد بين اسمين كلاهما معرفة وبينهما مطابقة، فيؤتى به للإيدان بأنّ ما بعده خبر لا نعت، فيعود الضمير على المبتدأ ويؤكد وقوع ما بعده خبراً²، ويأتي مرفوعاً منفصلاً مطابقاً للمبتدأ في العدد والجنس وتكلماً وخطاباً وغيبية، كقوله تعالى: "... وَأَوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ البقرة، قال الزّمخشرى: ("هُمُ" فصل، وفائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره)³، وقد تدخل عليه لام التوكيد؛ كقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... ﴿١٣﴾ آل عمران.

ويفيد ضمير الفصل ضرباً من التأكيد، لأنّه تكرير لمعنى المبتدأ، ويؤنث على معنى القصة إذا كان في الجملة المفسرة بعده مؤنث غير فضلة، ولا يكون إلا مفرداً غائباً، ويأتي في معرض التعظيم، فيذكر مبهما ثم مفسراً له وقع في النفس، ولا يعطف عليه، ولا يأتي البدل عنه، ولا عطف البيان، ولا التأكيد ولا الوصف، ويكون متصلاً ومنفصلاً، ومستتراً وبارزاً⁴؛ ومن أمثله قوله تعالى: "... إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... فَأَوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾ البقرة.

¹. ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 121، 224، 225.

². ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط، ص: 199/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 120، 227.

³. الكشاف، 1/ 161.

⁴. ينظر: أسرار النّحو، ابن كمال باشا، ص: 177، 179.

آل عمران، وفي حذفه يتحوّل التّركيب إلى تركيب غير مستقلّ ينحصر في الوصفية، فيحتاج إلى ركن إسناد يتمّه، فهو يحصر العلاقة في الإسناد الخبري¹، كقوله تعالى: "...وَالْكَافِرُونَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ البقرة.

أ. 2. 3. الاسم الموصول:

يعدّ الاسم الموصول رابطاً بين الجمل، يؤتى به لغرض تركيبى كوصف المعرفة بجملته، حتّى لا يُتوهّم أنّها حال، وتظهر عليه العلامة الإعرابية لتكون قرينة لفظية على أنّه وما بعده صفة للموصوف قبله، ويجري مجرى الضّمير في الرّبط، وله غرض دلاليّ هو أمن لبس الانفصال بين المعنيين؛ كقوله تعالى: "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ... ﴿٢٥٤﴾

البقرة، والموصول رابط بين المعرفة وجملته الوصف لها، وهذه الجملة حلّت محلّ المفرد، ولو كان الموصوف نكرة لأمكن وصفه بجملته دون اللّجوء إلى ربطه بالاسم الموصول، وقد أشار النّحاة كابن جنّي إلى أنّ الموصول موضوع لوصل المعارف بالجملة²، وقد تسند إليه وظيفة تركيبية أخرى ويبقى غرضه تحقيق الرّبط؛ كقوله تعالى: "...وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٢٥٤﴾

... ﴿٢٥٤﴾ آل عمران.

أ. 2. 4. اسم الإشارة:

يغني عن الضّمير، ويجري مجراه في الرّبط، وينوب عن تكرار اللفظ، والأصل فيه أن يحيل إلى معهود متقدّم مشار إليه في العالم الخارجى، ويكون في الخطاب المباشر، وهو كالضّمير مبهم يفسّره مشار إليه، متعلّق به؛ كقوله تعالى: "بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ

خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٢٥٤﴾ البقرة، فاسم الإشارة (أولئك) يعود على (من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته)، وقام بربط المسند إليه بالمسند، فربط جملة الخبر بالمبتدأ (من)،

¹ ينظر: أنظمة الرّبط في العربية، حسام البهنساوي، ص: 19.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 151، 152.

وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ... ^ط البقرة، وأسماء الإشارة منها ما يدلّ على المعاني والدّوات عامّة؛ نحو: هذا، وذلك، وهؤلاء وأخواتها؛ كقوله تعالى: "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... ^{٧٤} البقرة، وقوله تعالى: "قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ^{١٢٧} هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ^{١٢٨} آل عمران، ومنها ما يشير إلى المكان؛ نحو: هنا وهناك وهنالك، وكلّها موجهة إلى المتلقّي، لذلك تسبق كثيرا ب(ها) التّنبية التي تعني: تنبّه أيها المخاطب، والأصل فيها أن تدلّ على مسمّى في العالم الخارجيّ، ثمّ دلّت عليه في اللفظ، وتحيل إلى سابق متقدّم في الكلام وهو الأصل؛ كقوله تعالى: "...وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ^ج... ^{١٢٩} البقرة، وقوله تعالى: "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^{١٣٠} آل عمران، فاسم الإشارة "ذَٰلِكُمْ" رابط عائد إلى المقال المذكور في الآية السّابقة، أو عائد إلى لفظ النّاس المذكور سابقا، وقوله تعالى: "ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ^{١٣١} آل عمران، يحيل اسم الإشارة إلى الكلام السّابق من قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ... ^{١٣٢} وقد يشير اسم الإشارة إلى لاحق؛ كقوله تعالى: "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ^{١٣٣} البقرة، للتّأكيد عليه وتعظيمه، وقوله تعالى: "تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ^ج... ^{١٣٤} البقرة، وقد تكون الإشارة إلى ما تضمّنته القصص الماضيّة وما فيها من عبر، وفي مواضع أخرى أشار فيها اسم الإشارة إلى لاحق لأغراض أخرى منها الاستهزاء¹، وقد يستغنى باسم الإشارة عن ذكر المشار إليه، إذا كان المقصود به حاضرا واقعا ومفهوما من الكلام؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ

¹ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص ص: 121، 237، 240/ وتفسير التّحرير والتّشوير، 4/ 171، 172، و2/

إِبْرَاهِمُ رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا... ﴿١١١﴾ البقرة، (عدل هنا عن بيان المشار إليه اكتفاء عنه بما هو الواقع عند الدّعاء، فإنّ إبراهيم دعا دعوته وهو في الموضع الذي بنى فيه الكعبة ... لمّا جعل البلد مفعولاً ثانيّاً استغنى عن بيان اسم الإشارة)¹. وقد يستخدم الرّبط باسم الإشارة في النّداء؛ نحو: يا هذا الرّجل².

أ3 / ما ينوب عن الضّمير: قد يغني عن الضّمير رابط آخر في الجملة؛ هو:

أ3. 1. تكرار لفظ المبتدأ:

يكرّر المبتدأ في الخبر الجملة في مقامات معيّنة؛ كمقام التّعظيم في قوله تعالى: "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ" الواقعة، أو مقام التّهويل في قوله تعالى: "الْحَاقَّةُ" ﴿١٠١﴾ الحاقّة، وتكرار اللفظ أقوى في الرّبط من الضّمير لأنّ الضّمير مبهم ويحتمل وقوعه لغيره، إلّا أنّه أغنى عن إعادة اللفظ المذكور³، والتكرار من الرّوابط اللفظيّة، ويعني دلالة اللفظ على المعنى مكرّراً لتأكيدّه وتبنيه المتلقّي إليه، والتأثير فيه وإقناعه، وأمن الوقوع في الالتباس، ويأتي على نوعين؛ تكرار لفظي، وتكرار معنوي، فقد تكرّر بنية اللفظ؛ كقوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" الواقعة، أو يكرّر جذر اللفظ دون البنية؛ كقوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الفاتحة، أو يأتي عقب لفظ آخر في معناه فيؤكّده؛ كقوله تعالى "وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" ﴿١٤﴾ آل عمران، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إلى الخير، ويقع التكرار في المباني والأبنيّة الصّرفيّة وشكل الجمل والمعاني⁴.

¹ تفسير التحرير والتّنوير، 1/ 714.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 200/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشّريف، لزه كرشو، ص، ص: 40، 49/ أنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص: 21.

³ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 81/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 120، 121.

⁴ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 318 وما بعدها.

أ3 . 2 . (ال) التّعريف النَّائبة عن الضّمير: تدخل على المبتدأ في الخبر الجملة، فتنوب عن الضّمير الرّابط؛ نحو: كتابي العلم علم وافر، وتقدير الكلام: كتابي علمه علم وافر¹.

ب/ الرّبط بالأدوات والحروف ومواضعه:

اعتنى النّحاة بالحروف والأدوات التي تصل بين مكوّنات الجملة، وبين الجمل، وصنّفوها وخصّصوا لكلّ حرف معنى أو عدّة معان حسب طبيعة العلاقة الرّابطة، وقد استعملوا عدّة مصطلحات للتعبير عن الرّبط؛ منها: العطف والشريك والشركة، وجعل الشّيين شرعا واحدا، وأثنى عليه، والجمع والتبعية، والوصل والمقاطع والفصل والاستئناف²، والوصل نوع من الرّبط ويقابله في النّحو باب العطف، والعطف الذي نقصده هو عطف النّسق³، لكن في إطار نظريّة الرّبط نجد أنّ الأمر لا يتوقّف عند العطف، بل يتعدّاه إلى أدوات أخرى من شأنها ربط كلام بكلام آخر حتّى يستقيم المعنى ويتمّ، ومن دونها يتحول الكلام إلى جمل متقطعة، لا يستقيم لها معنى، ذلك أنّ وظيفة الرّبط بالأداة ناشئة من تلخيصها لمعنى نحوي، كالعطف والشّرط والاستثناء، وهي تمثّل وصلات داخل الجملة تصل بين أجزائها وتؤدّي معنى في سياقها، ولا تؤدّي معنى في ذاتها، ويختلف معناها باختلاف سياقها اللّغوي⁴، ومن أدوات الرّبط ما يلي:

ب1/ . عطف النّسق:

يطلق النّحاة مصطلح العطف على اسم يتبع ما قبله، ويشاركه في الإعراب، ويراد به اشتراك التّابع والمتبوع في تأثير العامل، وقد تتبّع النّحاة دقائق هذه المسألة وخصوصيّاتها الإعرابيّة والمعنويّة ووقفوا عند اختلافات استعمالها، ووجدوا أنّ العطف في مستوى ما دون الجملة يقوم على الرّبط بالأداة وسمّوه (عطف النّسق)، كما يقوم على الرّبط بغير الأداة وسمّوه (عطف البيان)، وعندما أجروا ذلك التّصنيف بين الجمل التّامة أبقوا على العطف متى كان

¹. ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 122.

². ينظر: الوسائل في تحليل المحادّثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 14.

³. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 27.

⁴. ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 110.

الرّبط بالأداة وهذا معنى الوصل عند علماء البلاغة، أي عطف الجمل بعضها على بعض، وإذا تعلّق الأمر بالرّبط بين الجمل التّامة دون أداة، وكان المعنى قائماً على البيان والتّوضيح فإنّهم لم يعتبروه من العطف، بل ألحقوه بالمقاطع والاستئناف، وهذا معنى الفصل وهو تتابع الجمل دون عاطف¹، وقد يأتي حرف العطف خاصّة الواو بين الجمل ولا يفيد العطف لاختلاف شرط من شروط العطف واعتبروا ذلك من الانقطاع والاستئناف والابتداء، ويدخل عطف النّسق في باب الرّبط بأداة.

وعطف النّسق أو العطف بالحروف هي تسمية كوفيّة والفراء أول من أطلقها، وهو تابع مقصود بالنّسبة مع متبوعه، بشرط توسّط أحد حروف العطف بينه وبين متبوعه، فيرجع إلى الأوّل لينسّق عليه ما جاء به معطوفاً بواسطة حرف؛ لعلاقتها في الحكم المسند إليه، نحو: جاءني زيد وعمرو، فعمرو تابع إلى زيد قصد نسبة المجيء إليه بنسبة المجيء الواقع إلى زيد، وتختلف هذه العلاقة باختلاف الحرف العاطف، وسمّي نسقاً لمساواة المعطوف للمعطوف عليه في الإعراب، فجاء به على نسق الأوّل²؛ ويسمّى الشّركة لمشاركة الثاني الأوّل في حكمه، كقوله تعالى: "وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا... ﴿١٠٣﴾ البقرة، وقوله تعالى:

"..وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٠٤﴾ آل عمران، ويعرّفه ابن عصفور بقوله: (هو حمل الاسم على الاسم،

أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسّط حرف بينهما من الحروف الموضوعية لذلك)³، وقولهم: المتوسّط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف يخرج بقيّة التّوابع⁴.

ب1.1. حروف العطف:

حروف العطف روابط ملفوظة، تصل بين الكلام فلا ينقطع بعضه عن بعض، ولكلّ حرف معنى خاصّ، والغرض منها أمن لبس الانفصال، فهي دليل على اتّصال الألفاظ، وبها

¹ ينظر: الواصلات في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 15.

² ينظر: أسرار النّحو، ابن كمال باشا، ص: 159/ ونحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد مصلوح، 4/ 232/ وشرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، ق1، ج1/ 1019.

³ المقرب، ابن عصفور علي بن مؤمن، تح أحمد عبد السّتار الجوّاري، وعبد الله الجبوري، ط1، 1972م، 1/ 229.

⁴ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، 3/ 224.

يقوى الرّبط، فيغني عن إعادة العامل؛ كقوله تعالى: "وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴿١٠٠﴾ البقرة،

وقوله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ... ﴿١٦٦﴾ آل عمران، وقد تكون قرينة لأمن اللبس في فهم

الارتباط؛ نحو: جاء أبو عبد الله ومحمّد، فلو حذف حرف العطف لنشأت علاقة ارتباط بالبدلية بين الطرفين، وعلى هذا يكون الرّبط بالعطف توسّط بين كمال الارتباط وكمال الانفصال، فهو قرينة على انعدام الارتباط لأنّه يؤدّي معنى المغايرة، وقرينة على انعدام الانفصال بين المتعاطفين بما يفيد كلاً حرف وما يؤدّي من معنى وظيفي في سياقه¹.

وتأتي حروف العطف بين أشياء بينها جامع مقبول عقلاً، فيكون بينها اتّحاد في التّصور أو تماثل أو علاقة سببية كما بين العلة والمعلول، أو تكون بينهما علاقة وهمية كأن يكون بينهما شبه أو تضادّ أو شبه تضادّ كما في الألوان وغيرها، وقد يكون الجامع متخيلاً².

وتعدّ حروف العطف من حروف المعاني تدلّ على معان في غيرها، وتأتي على قسمين³:

الأول: ما يشرك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقاً؛ أي لفظاً وحكماً؛ وهي: الواو والفاء وثمّ، وحتىّ، وأمّ، وأو؛ نحو: جَاءَ زَيْدٌ وَعَمْرُو، أو فَعَمَّرُو، أو ثَمَّ عَمَّرُو، وَقَدِمَ الْحُجَّاجُ حَتَّى الْمَشَاةِ، وَأَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عَمَّرُو؟، وجَاءَ زَيْدٌ أَوْ عَمَّرُو.

والثاني: يشركهما لفظاً؛ أي في إعرابه، لا في حكمه؛ وهي: بل، ولا، ولكن؛ نحو: مَا قَامَ زَيْدٌ بَلْ عَمَّرُو، وجَاءَ زَيْدٌ لَا عَمَّرُو، وَلَا تَضْرِبْ زَيْدًا لَكُنْ عَمْرًا.

ب 1 . 2 . معاني حروف العطف وأحكامها:

(الواو): لمطلق الاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين من غير تقيّد بزمن في الأفعال أو ترتيب في الأسماء، ولا تقيّد الدلالة على ترتيب زمني بين المتعاطفين وقت وقوع المعنى، ولا على مصاحبة، ولا تعقيب، أو مهلة، ولا على خسة أو شرف⁴، فقولك: جَاءَنِي زَيْدٌ

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 200، 201/ وأنسجة الارتباط وآليات

الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشّريف، لزهرة كرشو، ص: 49.

² ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 245 . 247.

³ ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 3/ 225.

⁴ ينظر: النّحو الوافي، حسن عبّاس، ط3، دار المعارف، مصر، 3/ 558/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 262.

وَعَمَّرُو، أي: حصل الفعل من كليهما في زمان واحد، وكونه حصل من زيد أولاً أو من عمرو، لا دليل في الواو عليه، ويعطف بها اللّاحق والسّابق والمصاحب¹، وذهب الكوفيّون إلى أنّ العطف بها يفيد التّرتيب، ورُدَّ عليهم بأنّ التّرتيب ليس مقصوداً فيها، وإنّما يستفاد من السياق، ويتبيّن بالقرينة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرَّوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ البقرة، التّرتيب قائم على اللفظ والقرينة وليس على الواو، فوضع اللفظ في الكلام أساس التّرتيب، والواو نسق جامع بينهما، والمعاني التي تأتي في الكلام معانٍ سياقيّة، تأتي من وضعها في سياقها اللّغويّ، فهي لا تقتضي ترتيباً على الأرحج².

ويعطف بها حيث يقتضي العطف المشاركة، فتجمع بين الشّيء وصاحبه؛ نحو: اِخْتَصَمَ/ اصْطَفَى/ تَشَارَكَ عَبْدُ اللَّهِ وَخَالِدٌ، فكلّ فعل يقتضي المشاركة بين متعاطفين، ولا يحسن السّكوت على واحد، ولا بدّ من العطف بها دون غيرها³، وتستعمل مرّة لجمع وإشراك اسمين فصاعداً في فعل واحد، ومرّة تجمع فعلين فصاعداً في اسم واحد؛ كقوله تعالى: "...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾ البقرة، ومرّة تجمع مضموني جملتين فصاعداً في الحصول⁴، كقوله تعالى: "يَوْمَ

تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ...﴾ آل عمران، وتسمّى الواو العاطفة للجمل، ولو لم تجئ بالواو في عطفها لعلم حصول مضموني الجملتين، لكن يحتمل أن يكون الكلام الأوّل غلطاً، ويحتمل حصول أحد المضمونين منهما؛ وبالواو صار نصّاً على حصول المضمونين معاً؛ ومنه قوله تعالى: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" آل عمران، والواو لا تقتضي المشاركة في كلّ شيء،

¹. ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري، الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، جامعة الإمام محمّد بن

سعود الإسلاميّة، ط1، 1996م، ق2، ج1/1304، 1305/ وشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، 3/ 226.

². ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 234، 235/ وشرح ابن عقيل على ألفيّة

ابن مالك، 3/ 226/ وتحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص ص: 263، 272.

³. ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 236/ وشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، 3/ 227.

⁴. ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري ق2، ج1/ 1306.

فقد تكتفي بالمشاركة في الإعراب والمعاني المتقاربة¹، كقوله تعالى: " ... فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكْبَرُوا ... " ﴿١٤٦﴾ آل عمران.

وفي العطف بها على المنفي، فالأكثر فيه استعمال (لا) بعد الواو، دفعا لتوهم أن يكون مقصود المتكلم نفي الاجتماع في وقت، كقوله تعالى: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... " ﴿١١٢﴾ البقرة، التصريح بلا النافية بعد حرف العطف في قوله: " وَلَا النَّصَارَىٰ "

للتخصيص على استقلالهم بالنفي، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ... " ﴿١١٦﴾ آل عمران، كرر حرف النفي مع المعطوف في قوله: " وَلَا أَوْلَادُهُمْ "

لتأكيد عدم غناء أولادهم عنهم لدفع توهم ما هو متعارف من أن الأولاد لا يقعدون عن الذبّ (الدفع) عن آبائهم²، وإذا أريد نفي بعض الاحتمالات دون بعض، فلا بدّ من قيد؛ نحو: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْلًا وَعَمْرُو تَانِيًا، وعند تكرير العامل؛ نحو: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ، وَمَا جَاءَنِي عَمْرُو، فهو نفي للمجيبين، المنقطع أحدهما عن الآخر، كأنّ المخاطب توهم أنه حصل مجيء كلّ واحد منهما، لكن منقطعا عن مجيء الآخر، فرفعت بهذا الكلام وهمه³.

وتختصّ الواو بجمع الخاصّ على العامّ وعكسه، وجمع المرادف على مرادفه؛ كقوله تعالى: "... وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ... " ﴿٩٨﴾ البقرة، ويؤتى بها للدلالة على التعدّد والاختلاف والتضادّ في المعاني⁴، كقوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ... " ﴿١١٥﴾ البقرة، وقوله تعالى:

"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... " ﴿١١٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ... " ﴿١١٦﴾ آل عمران.

¹ ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: يحيى بشير، ق2، ج1/1306/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 267.

² تفسير التحرير والتنوير، 1/ 693، و4/ 60.

³ ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: يحيى بشير، ق2، ج1/1306، 1307/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 263.

⁴ ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص ص: 268، 273، 275.

(الفاء): تدلّ على التّرتيب والتّعقيب والفور، أي تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متّصلاً به، ويعطف بها اسم على اسم أو فعل على فعل أو جملة على جملة؛ نحو: دَخَلَ زَيْدٌ فَعَمَّرُوهُ، وَزَيْدٌ أَكَلَ فَشَرِبَ، وقوله تعالى: "أَسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ...^{١٧} البقرة، وقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ"^{٣٨} فنادته المَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...^{٣٦} آل عمران، وقوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابُ...^{٨١} البقرة، وقوله تعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...^{١٤٤} البقرة، الفاء في "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ" للتّعقيب لتأكيد الوعد¹، والتّعقيب نسبي، ويكون بحسب المقام، كقوله تعالى: "وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ...^{٢٢} البقرة، فالأرض تخرج الثّبات بنزول الماء عليها من السّماء، والمدة متراخية بين إنزال الماء وإخراج الأرض الثّمرات، وقد تكون الفاء لمعنى التّسبب والتّرتيب، وهما راجعان إلى معنى التّعقيب، والسيّاق اللّغوي هو الذي يقضي في دلالتها التي تزيد على معنى التّعقيب؛ كقوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ...^{٣٧} البقرة، جاء بالفاء الأولى إيذاناً بمبادرة آدم بطلب العفو، وعطف "فتاب" بالفاء للتّسبب، وقوله تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا...^{١٠} البقرة، والمراد بالمرض معناه المجازي تلك الأخلاق الذميمة التي اتّصف بها المنافقون، والتي من شأنها إذا تمكّنت أن تتزايد بتزايد الأيام، فسبب توغّلهم في الفساد لأنّ في قلوبهم مرض، والله أعلم، وقوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَاحَتْ جَحْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ...^{١١} البقرة، ربّبت الفاء عدم الرّيح وعدم الاهتداء على اشتراء الضلالة بالهدى فأشبهه العلة الغائيّة².

¹. تفسير التحرير والتّوير، 1/ 592، و2/ 28.

². ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 237/ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 3/ 227، 228/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 276، 277، 283/ وتفسير التحرير والتّوير، 4/ 171، 199، و1/ 333، 437، 299.

وقد تحذف الفاء مع معطوفها لدليل الفاء الفصيحة، وهي ما أفصحت عن مقدّر معلوم محذوف لوجود دليل يعين على تقدير المحذوف؛ كقوله تعالى: "...فَقُلْنَا أَصْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ... ﴿٦١﴾ البقرة، والتقدير: فاضرب فانفجرت، وقوله تعالى: "...فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴿١٤٤﴾ البقرة، والتقدير: فأفطر فعليه عدّة من أيّام أخر، ولا يقع مثل هذا الأسلوب إلا في عطف الجمل¹.

(ثمّ): حرف عطف يفيد التّرتيب والمهلة أو التّراخي، أي تأخّر المعطوف عن المعطوف عليه متراخيًا عنه، وتعطف بين الألفاظ والجمل وتفيد التّشريك في الحكم والتّرتيب في المعنى²، كقوله تعالى: "...ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ... ﴿٦٦﴾ البقرة، (عطف "ثمّ" جملة "استوى" على جملة خلق لكم، ولدلالة "ثمّ" على التّرتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرّتبة، وهي مهلة تخيلية في الأصل تشير إلى أنّ المعطوف بثمّ أغرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها)³، وقوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ... ﴿٣١﴾ البقرة، قيل عطفه بثمّ لأنّ بين ابتداء التّعليم والعرض مهلة وهي مدّة تلقين الأسماء لآدم أو مدّة إلهامه وضع الأسماء للأشياء، والأظهر أنّها للتّراخي الرّبّي كشأنها في عطفها الجمل، وقوله تعالى: "...يُدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ... ﴿١٢٢﴾ آل عمران، ثمّ عاطفة جملة على جملة للدّلالة على التّراخي⁴.

¹. ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 266/ وتفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 556.

². ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 238/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 284.

³. تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 382.

⁴. ينظر: المرجع السابق، 1/ 411، و3/ 210.

وقد تفيد التّرتيب دون التّراخي؛ كما في قوله تعالى: "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... ﴿٧١﴾ البقرة، ثمّ للتّرتيب الرّتبي، لأنّ هذا القول ليس متراخياً عن كتابتهم ما كتبوه في الرّمان بل هما متقارنان، وقوله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَعَبُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أذًى ... ﴿٢١٢﴾ البقرة، عطف بثمّ مع أنّ الظّاهر أن يعطف بالواو، لإظهار التّفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وتركهما خير من نفس الإنفاق، وثمّ للتّرتيب لا للمهلة الزّمنيّة ترفيعاً لرتبة ترك المنّ والأذى على رتبة الصدّقة¹، وقد تفيد ثمّ التّشريك لا التّرتيب؛ نحو: زيد عالم، ثمّ هو كريم، وقوله تعالى: "...فَالْيَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ يونس، ثمّ لا تقتضي التّرتيب في المعنى، فهي بمعنى الواو، والمعنى: الله شهيد على محاربة المشركين وتكذيبهم إياك، ثمّ إلينا مرجعهم².

(حتّى): حرف يدلّ على أنّ ما بعدها غاية لما قبلها، ولهذا جاز العطف بها، وهي بمعنى الواو، تعطف اسماً ظاهراً على اسم ظاهر، أو على ضمير؛ نحو: أكرمنا الضّيوف حتّى أطفالهم، ولا يعطف بها مضمر على مضمر، ولا جملة على جملة، ويشترط في العطف بها أن يكون معطوفها جزءاً من متبوعه، نحو: قدم الحجّاج حتّى المشاة، وأن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص، فتعطف الأعلى على الأدنى، والأدنى على الأعلى³؛ كقول الشّاعر:

فَهَرْنَاكُمْ حَتَّى الْكُمَاءِ فَإِنَّكُمْ لَتَخْشَوْنَنَا حَتَّى بَنِيْنَا الْأَصَاغِرَا

والعطف بها قد يعني القوّة أو الضّعف، أو التّحقير أو التّعظيم؛ نحو: جَاءَ النَّاسُ حَتَّى الْأَمِيرِ، للتّعظيم، وَحَضَرَ الْعَامَّةُ حَتَّى الرَّعَاعِ، للتّحقير، وهذه معان سياقيّة من مجموع الكلام⁴.

¹. ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 575، و3/ 42.

². ينظر: تحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 284.

³. ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 239، 240/ وشرح الرّضي لكافيّة ابن

الحاجب، تح: يحيى بشير، ق2، ج1/ 1304.

⁴. ينظر: تحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 301.

(أم): حرف عطف مختصّ بالاستفهام والتّسويّة، وتأتي على نوعين؛ متّصلة ومنقطعة، وهي من حروف العطف كيفما وقعت¹.

أم المتّصلة²: تأتي عاطفة، فيكون ما بعدها متّصلاً بما قبلها ومشاركاً له في الحكم، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر، ويعطف بها على المشهور بعد همزة الاستفهام لإفادة المعادلة بين أمرين متساويين، على معنى أيهما وأيهم؟ وتقع بين مفردين أو جملتين في تقدير مفردين، ويطلب بها تعيين أحدهما؛ كقولك: أزيدُ عندَكَ أم عمّرو؟ وأزيداً لقيتَ أم بشراً؟ فأنت مدّع أنّ عنده أحدهما، ولقي أحدهما، إلّا أنّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيهما هو، وتقديم الاسم أحسن في هذا المعنى، لأنّه أراد أحد الاسمين، وحاجته أحدهما، ولا يسأل عن اللّقى، وتقول: أقامَ زيدٌ أم قعداً؟ إذا كنت مدّعياً أحد الفعلين ولا تدري أيهما هو، ومنه قوله تعالى: "... قلّ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ... ﴿١٤٠﴾ البقرة، وقد يسبق المعطوف عليه بهمزة التّسويّة، كقوله تعالى: "إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ البقرة، وقد تحذف همزة الاستفهام لفظاً عند أمن اللبس؛ كقول عمر بن أبي ربيعة:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمَرِ أَمْ بِثَمَانِ

والتّقدير: أَسْبَعِ.

أم المنقطعة: تأتي لقطع الكلام الأوّل، واستئناف ما بعدها، وهي بمعنى (بل) التي تفيد الإضراب عمّا سبق، والانتقال إلى أمر جديد مستأنف، وهذا معنى الانقطاع، وهي لا تسبق بهمزة الاستفهام ولا بهمزة التّسويّة، وتسبق غالباً بخبر أو بكلام في معنى الخبر والانتقال إلى استفهام ملازم لما بعدها، ولا تدخل على المفردات، وقيل هي خارجة عن باب العطف؛ كقوله تعالى: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا

¹ ينظر: تفسير التّحرير والتّشوير، 1/ 665، 730.

² ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 241/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى

الغلاييني، ص: 568/ والكتاب، 3/ 169، 170.

نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ... ﴿١٨﴾ البقرة، (أم) هنا

منقطعة لأنّ الاستفهام قبلها في معنى الخبر للتّقرير¹، وقد تتضمّن (أم) مع الإضراب استفهاماً إنكارياً؛ كقوله تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ... ﴿١٣٢﴾ البقرة، معطوفة على قوله

تعالى: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ... ﴿١٣٢﴾ البقرة، منقطعة للانتقال من الخبر عن إبراهيم

ويعقوب إلى مجادلة من اعتقدوا خلاف ذلك الخبر، والاستفهام هنا غير حقيقي غرضه الإنكار، موجّه لليهود لاعتقادهم أنّ يعقوب عليه السّلام مات على اليهوديّة وأوصى بها فلزمت ذريّته، وهم لم يشهدوا احتضاره، فكان الإنكار عليهم واضحاً، وهو أنّهم ادّعوا ما لا قبل لهم بعلمه، والمعنى: ما كنتم شهداء احتضار يعقوب، وقوله تعالى: "أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ... ﴿١٤٠﴾ البقرة، أم منقطعة بمعنى بل،

وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض، وفيها تقدير استفهام للتّوبيخ والإنكار لزعمهم أنّ إبراهيم وأبناءه كانوا على اليهوديّة أو على النّصرانيّة، وما أنزلت التّوراة والإنجيل إلّا من بعده، وقوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّابِرِينَ

﴿١٥٧﴾ آل عمران، (أم) هنا منقطعة، بمعنى (بل) الانتقاليّة، فهذا الكلام انتقال من غرض إلى غرض

آخر، والجملة معطوفة على قوله تعالى: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا... ﴿١٦٦﴾ آل عمران، والاستفهام المقدر

بعد (أم) غرضه التّغليط والنّهي².

(أو): حرف عطف موضوعة لأحد شيئين أو لأشياء، ويكون المعنى لواحد منها، فيتولّد منها معنى التّسويّة، والأصل فيها أنّها للتّخيير، وتقع بعد الطّلب، ولا يمكن الجمع بين ما قبلها وما بعدها³، تقول: جَالِسٌ عَمْرًا أَوْ خَالِدًا أَوْ بَشْرًا، كأنك قلت جالس أحد هؤلاء، وفي ذلك دليل

¹ ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، 4/ 242/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 568/ وشرح

ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، 3/ 231/ وتفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 665.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 730، 747، و4/ 105، 106.

³ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 286.

على أنّ كلّهم أهلٌ لأن يجالس، وإن نفيت هذا قلت: لا تُجالِسَ عمراً أو خالداً أو بشراً، كأنك قلت لا تجالسهم كلّهم¹، كقوله تعالى: "...فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ..." البقرة، وقوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ... ٢٥٩ البقرة، معناه: أو رأيت مثل الذي مرّ، فحذف لدلالة "ألم تر" عليه، فهي معطوفة على قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ..." البقرة، فد(أو) أفادت التّخيير في التّشبيه على طريقة تكرير التّشبيه، حيث حمل على المعنى دون اللفظ، كأنه قيل: رأيت كالذي حاجّ أو كالذي مرّ²، وقوله تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ..." البقرة، عطف على التّمثيل السّابق وهو قوله: "كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ..." البقرة، عطف لفظ (صيّب) على (الذي استوقد) بتقدير (مَثَل) بين الكاف و(صيّب) وتقديره: أو كفريق ذي صيب، أو كقوم، وإعادة حرف التّشبيه مع حرف العطف يغني عن إعادة العامل³.

وقد تدخل عليها معان مستفادة من سياق الكلام، فتفيد أحد الشّيئين مع جواز الجمع؛ كقوله تعالى: "مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ..." البقرة، وكالشكّ الذي يكون بعد كلام خبري، يتردّد فيه المتكلّم بين أمرين من غير ترجيح أحدهما، ممّا يدلّ على جهله بالأمر، فالشكّ يأتيها ممّا جاورها؛ كقوله تعالى: "...قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ..." البقرة، فالشكّ منه وليس منها، وقد تأتي بعد كلام خبري، يكون عن علم من المتكلّم بالأمر، وجهل من السّامع فتفيد الإبهام؛ كقوله تعالى: "... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٤ سبأ، وقد تقع بعد طلب، ويكون الجمع بين ما قبلها وما بعدها ممكناً فتفيد الإباحة، كقوله تعالى: "...فَأُكْرِمَهُ رَقَبَةً ٢٢ أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ٢٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ

¹. ينظر: الكتاب، 3/ 184.

². ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 3/ 34 والكشاف، 1/ 489.

³. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 314، 316.

﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ البند، وقد تفيد التّقسيم والتّنوّيع بعد كلام خبريّ؛ كقوله تعالى: " لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ .. ﴿١٧٧﴾ آل عمران، " لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧٨﴾ آل عمران، (أو) بين هذه الأفعال للتّقسيم، ففريق قُتِلُوا، وفريق كُتِبُوا، وفريق من الله عليهم بالإسلام، وفريق عذبوا، وقد تفيد التّفصيل بعد الإجمال؛ كقوله تعالى: "...قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿١٧٩﴾ الذّارِيَات، وتأتي مثل (بل) فتفيد الإضراب والانتقال؛ كقوله تعالى: "...فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿١٨٠﴾ البقرة، (أو) هنا بمعنى بل الانتقاليّة لتوفّر شرطها وهو كون معطوفها جملة، فشبهه القلوب بالحجارة ثمّ عقب بالترقيّ إلى التّفصيل في وجه الشّبه، وقد تستعمل (أو) بمعنى الواو عند أمن اللّبس وعدم وقوع السّامع فيه، ويفهم ذلك بالارتكاز على المعنى¹.

(لا): تفيد مع النّفي العطف، وتفيد إثبات الحكم لما قبلها ونفيه عمّا بعدها، أي: يعطف بها لإخراج المعطوف بعدها من حكم المعطوف عليه قبلها، وتعطف الأسماء والجمل فتشرك بين المعطوفين في الإعراب، وتخالف بينهما في المعنى، ويكون العطف بها بعد التّداء؛ نحو: يَا كَاسِبَ الْحَمْدِ لَا كَاسِبَ الْمَالِ رِيحَتْ، وبعد الأمر؛ نحو: سَلِ اللَّهَ لَا الْبَشَرَ، وبعد الإثبات في الأسلوب الخبري؛ نحو: أَفْلَحَ الصَّادِقُ لَا الْمُنَافِقُ²، ويشترط للعطف بها أن لا تسبق بنفي، وأن يتضمّن الكلام قبلها مفهوما مناسباً لنفي عمّا بعدها، فيجوز: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَا امْرَأَةً، ولا يجوز: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَا زَيْدٍ، لأنّ الثّاني لا يجوز أن ينفي عنه حكم الأوّل لعدم جواز وقوع خلافه له، وأن لا تأتي بمعنى (غير) لاحتمالها الوصف؛ نحو: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَا جَاهِلٍ، أي: غير جاهل³.

¹ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 286/ وتفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 563، 659، 660، و3/ 282، و4/

79/ ونحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 244 . 247/ وجامع الدّروس العربيّة،

مصطفى الغلاييني، ص: 567 . 568/ وشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، 3/ 232، 234.

² ينظر: عبد اللّطيف محمّد، وسعد مصلوح، نحو العربيّة، 4/ 247، 248/ ومصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة، ص: 570.

³ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 296.

(لكن): حرف عطف يقع بين كلامين متنافيين، يفيد الاستدراك، أي رفع أمر توهمه السّامع من كلام سابق، وينبغي أن يكون معطوفها مفردا، وأن تكون مسبوقه بنفي أو نهي؛ نحو: مَا قَرَأْتُ الْبَحْثَ لَكِنِ الْمُلْحَصَ، لَا تَقْرَأُ الْبَحْثَ لَكِنِ الْمُلْحَصَ، فهي مثل (بل)، تفيد إثبات النّفي أو النّهي لما قبلها، وجعل ضده لما بعدها، وتأتي (لكن) مقرونة بالواو وعندها لا تكون عاطفة، بل حرف ابتداء يفيد الاستدراك، والعطف يقع بالواو؛ كقوله تعالى: "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" البقرة، وقوله تعالى: "وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ" آل عمران، وكذلك إن وقعت بعد إيجاب؛ فهي حرف ابتداء؛ نحو: قام خليل لكن عليّ، فعليّ مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: لكن عليّ لم يقم، وإذا وقعت بين جملتين تكون لمعنى الاستدراك دون العطف¹؛ كقوله تعالى: "لَكِن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ..." آل عمران، لكن حرف استدراك أفادت أنّ مضمون جملتها ضد الكلام الذي قبلها، "لا يغرّنك..." لأنّ معناه وصف ما هم فيه².

(بل): حرف يعطف مفردا على مفرد، ويفيد الإضراب والعدول عن شيء إلى غيره إذا جاء بعد كلام مثبت، أي سلب الحكم عمّا قبلها كأنه مسكوت عنه وجعله لما بعدها؛ نحو: حَفِظْتُ الْقَصِيدَةَ بَلِ السُّورَةَ، وإذا جاءت بعد نفي أو نهي أفادت الاستدراك والإضراب، وكانت بمعنى لكن العاطفة؛ نحو: مَا قَرَأْتُ الْكِتَابَ بَلْ فَصَلًا مِنْهُ، وتزاد (لا) قبل (بل) توكيدا للإضراب؛ نحو: وَجْهَكَ الْبَدْرُ لَا بَلِ الشَّمْسُ، وإذا وقعت بين جملتين لم تكن للعطف، بل تكون حرف ابتداء مفيدا للإضراب الإبطالي أو الإضراب الانتقالي؛ أي العدول من موضوع إلى موضوع، وإبطال حكم ما قبلها، ويكون ما بعدها كلاما مستأنفا، لا محلّ له من الإعراب³، ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا..." البقرة،

¹ ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 248، 249/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 569.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 4/ 206.

³ ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 250، 251/ وجامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 568، 569.

(بل) إضراب إبطال، أي: أضربوا عن قول الرّسول: اتّبعوا ما أنزل الله، إضراب إعراض بدون حجة إلاّ بأنه مخالف لما ألفوا عليه آباءهم¹، وقد يتضمّن ما بعدها مفهوما ومعنى مخالفا لما قبلها؛ كقوله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى" ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ الأعلى، وقد تفيد التّقرير بعد النّفي؛ كقوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ" ﴿١١٦﴾ آل عمران، وقد تفيد الإضراب والخروج من قصّة إلى قصّة؛ كقوله تعالى: "بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمُ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ" ﴿٥﴾ الأنبياء.

إمّا مكسورة الهمزة: اختلف في شأنها بين العطف والشرط، وقيل حرف عطف تعطف مفردا على مفرد أو جملة على جملة وتسبق الاسم؛ نحو: جَاءَ إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَلِيٌّ، وتفيد الإبهام والتعمية، والواو التي تقترن بها ليست للعطف، لأنّها لا تفيد التّشريك، وتفيد التّخيير في الجملة الطّليّة؛ نحو: كُلُّ إِمَّا سَمَكًا وَإِمَّا جُبْنًا، أو تفيد الإباحة؛ نحو قوله تعالى: "...فَأِمَّا مَتًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً" ﴿٤﴾ محمد، ولها معنيان في الجملة الخبريّة؛ الشك؛ نحو: اِنْتَصَرَ إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَلِيٌّ، والإبهام؛ نحو: أَرَى إِمَّا طَائِرَةً وَإِمَّا طَائِرًا، وذلك في المقام الذي يريد فيه المتكلم الاستبهام على السّامع².

ب 1 . 3 . أضرب عطف النّسق: ضربان؛ عطف مفرد على مفرد وعطف جملة على جملة.

ب 1 . 3 . عطف المفردات وصوره:

يكون في الألفاظ التي تجتمع لحكم واحد، ويحصل بمشاركة الثاني للأول في الإعراب ليعلم أنّه مثل الأول في فاعليّته أو مفعوليّته، أو حكم خاصّ من دون غيره، فكلّ حكم يجب للمعطوف عليه بالنّظر إلى ما قبله، يجب ثبوته للمعطوف³، كقوله تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ"

¹ ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، ج2، ص: 106.

² ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص ص: 299، 300.

³ ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 247/ شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: الحفظي، ق1، ج1/ 1027.

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ۗ ﴿١٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "الصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحٰرِ ﴿١٧﴾ آل عمران، ولعطف المفردات صور تختلف بحسب نوع المعاطيف على الوجوه التّاليّة¹:

عطف ظاهر على ظاهر: كقوله تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ۗ ﴿١٦﴾

البقرة، وقوله تعالى: "...وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢٤١﴾ آل عمران.

عطف اسم ظاهر على ضمير:

وقد يكون الضمير بارزا أو مستترا، وقد يكون ضمير رفع أو نصب، أو جرّ، كقوله تعالى:

"...فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ... ﴿٢٤١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ۗ ﴿٢٤٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَكُفْرًا بِهِ ۗ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴿٢٤٧﴾ البقرة.

عطف ضمير على اسم ظاهر: مثاله: مَا فَازَ إِلَّا طَالِبُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ.

عطف ضمير على ضمير: مثاله: مَا فَازَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَا.

ب 1 . 3 ب . العطف بين الجمل ومواضعه:

الغرض منه ربط الجملة بالجملة، فتتصل بها لفظا ومعنى، فيتماسك النصّ، ويكون

العطف بين الجمل المتّقة في النوع والزّمن، كعطف الجملة الفعلية على الفعلية؛ كقوله تعالى:

"نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢٤٧﴾ آل عمران،

والاتّفاق في الزّمن يوحد الإعراب، وارتباط الفعل الثّاني بعامل الأوّل يزيد من تماسك الجملتين

لتعلّقهما بعاملهما²، ويشترط التّناسب بين الجملتين ليصح العطف بينهما، فيكون للجملة

¹. ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد مصلوح، ج4، ص: 253 . 256/ وجامع الدّروس العربيّة،

مصطفى الغلاييني، ص: 570/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: الحفطي، ق1، ج1/ 1020 . 1026.

². ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 249.

المعطوفة تعلق معنويّ بالجملة المعطوف عليها، فإن لم يكن لم يجز، إلا أن يتعلّق المضمون بالمضمون، فيعلم الاقتران من قرينة الحال¹، ويمكن تلخيص مواضع الجمع بين الجمل في:

. اتفاق الجملتين في النوع:

فتكونان اسميتين أو فعليتين؛ كقوله تعالى: "وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ" ^ط... البقرة، وقوله تعالى: "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" ^ج... البقرة، وقوله تعالى: "...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ" ^ط... آل عمران، وقوله تعالى: "...رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" ^ط... آل عمران، وقوله تعالى: "...قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" ^ط... آل عمران، الجملة الثانية متصلة بالأولى غير منقطعة عنها، وهذا إيذان باتصال الخطاب في المعنى، فزمن الأولى هو زمن الثانية، فالواو رابطة بينهما، وهي هنا واجبة لأنّ الثانية ليست ملتبسة بالأولى كالصفة والحال، ويمكنها أن تستقلّ في المعنى²، وقد اشترط ابن مالك في عطفهما اتحاد الزمان، فلا يعطف مضارع على ماضٍ، ولا ماضٍ على مضارع، وأن يعطف الخبر على الخبر، والإنشاء على الإنشاء؛ كقوله تعالى: "... اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" ^ط... آل عمران، وخلافاً لذلك جوز آخرون عطف الماضي على المضارع، والخبر على الإنشاء والإنشاء على الخبر³؛ كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ...^ط الأعراف، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ

¹. ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 1032.

². ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 250.

³. ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 259/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب،

تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 1046، 1047.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... ﴿١٥﴾ الحج، وقوله تعالى: "...ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ" ﴿٥٦﴾ آل عمران، ومن عطف الجملة الاسميّة على الجملة الاسميّة قوله تعالى: "...فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" ﴿٢٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" ﴿٤٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ" ﴿١٧٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" ﴿٦٢﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ" ﴿٥٦﴾ آل عمران، وقد اختلف العلماء في عطف الجملة الاسميّة على الفعلية وبالعكس بين الجواز والمنع، ومنهم من قال بجوازه في الواو دون الفاء وأخواتها، لأصالة الواو في العطف¹، ومنه قوله تعالى: "... لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ" ﴿١١٢﴾ البقرة، جملة "هُم يُنظَرُونَ" معطوفة على جملة "لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ"، وقوله تعالى: "وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ" ﴿٤٠﴾ آل عمران، جملة "أُمْرَأَتِي عَاقِرٌ" معطوفة على جملة "بَلَغَنِي الْكِبَرُ".

. اتّفاق الجمل في الخبر والإنشاء:

فتعطف الخبريّة على الخبريّة، والطلبية على الطلبية، فتتفقان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى؛ فمن الخبر قوله تعالى: "... وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" ﴿٢٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" ﴿١١﴾ آل عمران، ومن الإنشاء قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" ﴿٤٢﴾ البقرة، وقوله تعالى: "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً" ﴿٨٠﴾ آل عمران، وما خالف ذلك

¹ ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/1047/ ونحو العربية، عبد اللّطيف

محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 261.

قدّر فيه محذوف؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
 إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىً... البقرة، قدّر العلماء محذوفاً، والمعنى: وقلنا لهم اتّخذوا ... فالجملة بعد
 الواو ليست معطوفة على الماضي قبلها، بل على معمول محذوف مقدّر ماضياً (قلنا)،
 والمحذوف يقدر على معنى ما تقدّم، فلا يحسن عطف الإنشاء على الخبر ولا العكس، وقد رده
 بعض العلماء إلى العطف على كلام محكيّ، وجوّزه آخرون إذا أمكن تأويل إحدى الجملتين
 بالأخرى، وفي ذلك توسعة وتبيين¹.

. العطف على معمولي عامل واحد:

كقوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ... البقرة،
 وذلك لأنّ حرف العطف كالعامل يجوز أن يعمل عمليّن أو ثلاثة أو أكثر، أو أن يكون الفاعل
 أو المفعول في الجملتين واحداً²، ومنه قوله تعالى: "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ... البقرة،
 وقد يحذف العامل ويبقى الم معمول، وهذا الموضع تختصّ به الواو، ومنه قوله تعالى: "...لَا
 تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ... البقرة، أي: ولا يأخذه نوم، فذكر العامل في الأول وحذف في
 الثاني³.

. أن تكون بين الجملتين مناسبة:

كالدلالة على التنوّع والمقارنة؛ كقوله تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ
 ... البقرة، فالله تعالى يزيد الذين اهتدوا هدى، ويعكسهم الذين اختاروا الكفر لم يهتدوا فهم في

¹ ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 260، 261.

² ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: الحفظي، ق1، ج1/1039/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 261.

³ ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/265/ وشرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب،
 تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/1029/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 256.

ضلال، وقوله تعالى: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ^ط وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا...^{٢١٨} البقرة، عطف الجملة "وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً..." على جملة "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ" لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما تدعو إليه أوامر الله تعالى، وقوله تعالى: "...فِعْمَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ^ع ...^{١٣} آل عمران، والفتتان هما المسلمون والمشركون يوم بدر¹.

. أن تتفق الجملتان في المعنى:

فتكون الثانية في معنى الأولى؛ كقوله تعالى: "...وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ^{٤١} آل عمران، فالتسبيح نوع من الذكر، والذكر أعم، لذلك لم يجعل للذكر وقتا، وخصّص في التسبيح وقتا²، فالثانية في معنى الأولى، أو تكون الأولى سببا للثانية؛ كقوله تعالى: "...وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ^ط مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ...^{١١} البقرة، فالأرض تخرج النبات بنزول الماء عليها من السماء³، وقوله تعالى: "...فَاتَّبَعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...^٦ آل عمران، ومحبة الله سبب في غفران الذنوب والله أعلم، أو تكون الثانية تفرّيعا للأولى؛ كقوله تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ^ط وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...^٦ البقرة، قوله: "فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ" تفرّيع عن الإزال بناء على أنّ الضمير للشجرة، أو تفرّيع المفصل عن المجمل إن كان الضمير في "عنها" عائدا إلى الجنة⁴.

¹. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 3/ 30، 60، 176.

². ينظر: الفرق بين الذكر والتسبيح، فاضل صالح السامرائي، مقال نشر على موقع روائع البيان القرآني،

<http://albayanalqurany.com/clause>

³. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 333.

⁴. ينظر: المرجع السابق، 3/ 433، 434.

ب1. ج3. عطف الجملة على المفرد وبالعكس:

جوّز النّحاة عطف الجملة على المفرد وبالعكس، وذلك إذا تجانسا بالتأويل، وعطف الجملة على المفرد أولى، لكونها فرعا عليه في الإعراب؛ كقوله تعالى: "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ البقرة، جملة "أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ..." معطوفة على "نِعْمَتِيَ"، وقد جاء عطف الجملة الفعلية على الاسم في المواضع التي يشبه فيها الاسم الفعل كأن يكون من المشتقات العاملة، كقوله تعالى: "...وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ ... ﴿٤٦﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "...تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ... ﴿٦٥﴾ الأنعام، عطف اسم الفاعل (مُخْرِجُ) على الفعل (تُخْرِجُ)، وعلة جواز العطف هنا وحدة العمل الإعرابي بين المعطوفين، ولأنّ في الاسم معنى الفعل¹.

ب2/ أدوات الشرط:

تتألف الجملة الشرطية من جملتين تسمى الأولى جملة الشرط، وتكون سببا وشرطا في ورود جملة ثانية هي جملة جواب الشرط وجزاؤه، وهما من الجمل التي تقتضي شيئا ينعقد به الكلام، وقد تكون كلّ واحدة منهما مستقلة بنفسها، غير أنّ دخول الأداة يجعل كلّ واحدة منهما بحاجة إلى غيرها؛ فتكون بذلك غير مستقلة، وتصيران بمنزلة الجملة الواحدة التامة، تجمع بينهما أداة الشرط وروابط بنويّة أخرى ظاهرة أو مستترة كالفاء والضّمائر، مضافة إلى الرّبط المعنوي المتمثل فيما يتحقّق عن تلازمهما من معنى²، فأساس علاقة الشرط قائمة على معنى الاستلزام، فوجود أدوات الشرط يقتضي ورود جملتين متّصلتين ببعضهما، تربط بينهما أداة

¹. ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 1046، 1047/ وتحليل النّص، محمود

عكاشة، ص: 251/ ونحو العربية، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 264.

². ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص، ص: 53، 209/ والجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل

صالح السّامرائي، ص: 149/ وتحليل النّص، محمود عكاشة، ص ص: 115، 116، 164

الشّرط، وتعلّق الجملة الثّانية بالأولى، فهي كالابتداء العامل في الجزعين¹، والأصل في جمليّتي الشّرط والجزاء أن تكونا فعليّتين، ويجوز أن تكونا غير ذلك²، فقد تكونان جمليّتين فعليّتين فعلاهما مضارعان؛ كقوله تعالى: "...وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ...

البقرة، ﴿٢٨٤﴾ وقوله تعالى: "...إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

كُفْرِينَ ﴿١٠٤﴾ آل عمران، أو ماضيان؛ كقوله تعالى: "...كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشْوَءٌ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ

قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ... ﴿٢٠٤﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...أَفَلَا يَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ... ﴿١٤٤﴾ آل عمران، أو مختلفان؛ كقوله تعالى: "...فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيُصِمْهُ ... ﴿١٨٥﴾ البقرة، كما تأتي جملة الشّرط فعليّة وجملة الجواب اسميّة؛ كقوله تعالى: "...فَمَنْ

تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢٨﴾ البقرة، وقوله عزّ وجلّ: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٢﴾ آل عمران، وقد تأتي غير ذلك؛ كقوله عزّ وجلّ: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا

نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ... ﴿١٢٢﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا

لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ البقرة.

وأدوات الشّرط قسمان: حروف وأسماء، وهي على نوعين؛ جازمة وغير جازمة، وهي كيفما كانت تقوم بوظيفة ربط جمل الشّرط بجوابها، وهذه الأدوات هي: إن، إذما، ومن، وما، ومهما، ومتى، وأيّان، وأين، وأنى، وحيثما، وأيّ، وإذا، وكيفما، ولو، ولولا، وأمّا، وسنركّز كلامنا فيما له علاقة بالرّبط والارتباط.

¹ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 202

² نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 1/ 174، 180، 182.

ب2 . 1 . أدوات الشرط الجازمة: منها ما يكون حرفاً ومنها ما يكون اسماً. ما يجزم من الحروف:

(إن): حرف شرط للاستقبال سواء دخلت على المضارع أو الماضي¹، وتستخدم عند النّحاة فيما كان محتملاً، فلا يعلّق عليها محقّق، غير أنّ هذا الكلام ليس مطلقاً في القرآن الكريم، فما كان من الله تعالى فليس محتملاً أو مشكوكاً فيه، وما كان من النّاس فيه شكّ واحتمال؛ كقوله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ... البقرة، فهم في شكّ، وقوله تعالى: "فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ... البقرة، والله على يقين، فأكد يقينه بجملة²: "وَلَنْ تَفْعَلُوا"، وقوله تعالى: "قُلْ إِنْ تُحْضِرُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ... آل عمران.

(إنما): قيل إنّ أصلها (إذ) الظرفيّة، زيدت عليها (ما) وجوباً في حالة الشرط، فوقع الجزم بها، نحو: إِذْمَا تَأْتِ مَا أَنْتَ أَمْرٌ بِهِ تُلْفِ مَنْ إِيَّاهُ تَأْمُرُ آتِيًّا فقد جازمت الأداة (إنما) فعلي الشرط والجواب: تأت، وتلف، وعلامة الجزم حذف حرف العلة³.
ما يجزم من أسماء الشرط: من، ما ومهما، متى وأيّان، وأين وأينما وأنىّ وحيثما، وأيّ، وقيل هي أسماء مبهمة يزول عنها الإبهام بجملة الشرط بعدها، فتكتسب شيئاً من التّخصيص⁴.

ب2 . 2 . معاني أسماء الشرط الجازمة⁵:

من: اسم شرط جازم لفعلين، ويدلّ على العاقل؛ كقوله تعالى: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ... آل عمران، ففعل الشرط (تَدْخِلِ)، وجملة الجواب في محلّ جزم جواب الشرط،

¹ ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري، ق2، ج1/1397.

² ينظر: تحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 244.

³ ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، ج1/174، 175.

⁴ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص، ص: 209.

⁵ ينظر: نحو العربيّة، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، ج1/175، 179.

ومنه قوله تعالى: "...مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ... ۝ النّساء، جزم اسم الشرط (من) فعل الشرط (يَعْمَلْ) وعلامة جزمه السّكون الظّاهر، وفعل الجواب (يُجْزَ) وعلامة جزمه حذف حرف العلة.

ما ومهما: اسما شرط للدلالة على غير العاقل، يجزمان فعلين؛ كقوله تعالى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ... ۝ البقرة، وقوله تعالى: "وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۗ... ۝ الأعراف.

متى وأيان: اسما شرط يدلّان على الزّمان، نحو: متى تأتته تجد خير نارٍ عندها خير موقدٍ/ أيان نؤمّنك تأمن غيرنا.

أين (أينما)، أنى، حيثما: تدلّ على المكان، و(أينما) اسم مركّب من (أين) زيدت لها (ما) للتوكيد كقوله تعالى: "... أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا... ۝ البقرة، وقوله تعالى: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ... ۝ آل عمران، ونحو: أتى تأت تجد أخا كريماً/ وقوله تعالى: "... وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ۝ البقرة.

كيفما: تدلّ على الحال، ويشترط في فعلها أن يكونا متّفقي اللفظ والمعنى؛ نحو: كيفما تجلس أجلس، وكيفما تكن أكن.

أي: تصلح لجميع المعاني السابقة بحسب ما يضاف إليها، وقد تأتي بعدها (ما)؛ كقوله تعالى: "... أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ... ۝ الإسراء.

ب2 . 3 . أدوات الشرط غير الجازمة: لو، لولا، لوما، كلّما، أمّا، لمّا، إذ، إذا.

لو: للمضيّ سواء دخلت على الماضي أو المضارع، وقيل أنّها تستعمل في المستقبل على قلة، وهي حرف امتناع الثّاني لامتناع الأوّل، وقيل العكس؛ امتناع الشرط لأجل امتناع الجزاء¹؛

¹ ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري، ق2، ج1/ 1397، 1398.

ومنه قوله تعالى: "... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ^ج ... ﴿٢٥١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا^ط ... ﴿١١٨﴾ آل عمران.

لولا ولوما: حرفا امتناع شيء لوجود غيره، وتلزمان الدخول على المبتدأ والخبر، والخبر يحذف وجوبا في أكثر التراكيب¹، كقوله تعالى: "... وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ... ﴿٢٥١﴾ البقرة.

أما: قائمة مقام أداة الشرط وفعل الشرط، والمذكور بعدها جواب الشرط، موضوعة للتفصيل؛ وهو مقتض تكررهما، وهي بمعنى: إن يكن، أي: مهما يك من شيء فإنّ، وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها، وإقامة جزء الجزاء موقعه لتخفيف الكلام²، كقوله تعالى: "... فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ^ط وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ... ﴿١٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ^ط ... ﴿٧٧﴾ آل عمران.

لما: تدلّ على وجود شيء لوجود غيره، ولذلك تسمى حرف وجود لوجود، وحرف وجوب لوجوب، ومن العلماء من يجعلها ظرفا للزمان بمعنى حين، تختصّ بالفعل الماضي في الشرط والجواب، ولا يليها المفرد³، كقوله تعالى: "... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ^ج ... ﴿٨٩﴾ البقرة، وقوله تعالى: " فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ^ط ... ﴿٥٢﴾ آل عمران.

¹ ينظر: جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 576.

² ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: يحيى بشير مصري، ق2، ج1/ 1418 . 1431.

³ ينظر: جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 577/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 50.

إذا: ظرف لما يستقبل من الزّمن خافض لشروطه متعلّق بجوابه¹، كقوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا...﴿٧٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ...﴿١١٩﴾ آل عمران.

إذا: هي ك(إذا) ظرفية شرطية غير جازمة متعلّقة بجوابها²، كقوله تعالى: "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ...﴿٥٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴿١٣﴾ آل عمران.

كلّما: ظرفية شرطية غير جازمة متعلّقة بجوابها، كقوله تعالى: "...كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ...﴿٣٥﴾ البقرة، فجملة (قالوا) جواب كلّما لا محلّ لها³، وقوله تعالى: "...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا...﴿١٧٧﴾ آل عمران.

ب2 . 4 . الفاء في جواب الشرط الجازم:

الأصل في جواب الشرط الجازم أن يكون فعلا مضارعاً، لأنّ أدوات الشرط تجزم الأفعال، وعندها لا تدخل الفاء أو إذا عليها اكتفاء بعمل أداة الشرط فيها؛ كقوله تعالى: "...وَإِن يَأْتُوكُمْ أَسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ...﴿٨٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ...﴿١٣٠﴾ آل عمران، وإذا كان جواب الشرط غير فعل فإنّ أداة الشرط لا تعمل في لفظ الجواب، وتكون جملة الجواب غير صالحة للجزم، فيكون الرّبط بأداة الشرط لا ضعيفاً، وعندها يقترن الجواب بالفاء الرّابطة، وتسمّى فاء الجواب أو الجزاء، فنقوي الصّلة

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 49.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 50.

³ ينظر: المرجع السابق، ص: 51.

بينهما وتعلّقهما ببعضهما، فيتّصل أوّل الكلام بآخره، وخصّت الفاء لما فيها من معنى السببيّة والتّعقيب ومناسبتها للجزء¹، يقول ابن جنّي: (فإن قيل: وما كانت الحاجة إلى الفاء في جواب الشرّط؟ فالجواب: أنّه إنّما دخلت الفاء في جواب الشرّط توصّلاً إلى المجازاة بالجملة المركّبة من المبتدأ والخبر، أو الكلام الذي يجوز أن يبتدأ به، فالجملة في نحو قولك: إن تحسن إليّ فالله يكَافئكَ، لولا الفاء لم يرتبط أوّل الكلام بآخره)²، فيجب ربط جملة الجزء برابط إذا كانت تحتمل معنى مستقلاً، وتصلح للابتداء بها على الاستئناف، فيظنّ أنّها ليست جزءاً ممّا قبلها، فتفتقر عندها إلى ما يربطها به، فتأتي الفاء فيؤدّن ذلك بأنّ ما بعدها تابع إلى ما قبلها؛ كقوله تعالى: "... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ البقرة، وقيل الفاء حرف عطف يربط الجزء بالشرّط³.

وزيادة الفاء في جواب الشرّط يقوّي الرّابط الذّهنيّ بينهما، ويقوى توظيفها في الخطاب الإقناعي، لمحاكاتها أحكام العقل المنطقيّة، ولا يقتضي الجواب الرّبط بالعاطف الواو لأنّه (الجواب) أشدّ اتّصالاً بشرطه وأقوى من الوصل بالواو⁴، كقوله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ... ﴿٢٣﴾ البقرة، وقوله تعالى: "فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ... ﴿١٢٨﴾ آل عمران.

ب2 . 5 . مواضع ربط جواب الشرط الجازم بالفاء:

يجب ربط جملة الجواب بالفاء بعد أدوات الشرّط الجازمة إذا كانت غير صالحة للجزم، في المواضع الآتيّة⁵:

¹. ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 51/ وتحليل النصّ، محمود

عكاشة، ص: 280/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 237.

². سر صناعة الإعراب، ص: 252، 253.

³. ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 280.

⁴. ينظر: المرجع السابق، ص: 115، 116، 164.

⁵. ينظر: جامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 296، 297/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 165، 166.

- إذا كانت جملة الجواب فعلية فعلها مقترن ب(ما، لن، لا، قد، السين، سوف)؛ كقوله تعالى:
 "إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ" ... ﴿١٤﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ" ... ﴿١٥﴾ آل عمران.

- إذا كانت مبتدئة ب(ربّما، كأنّما)؛ كقوله تعالى: "...وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"
 ... ﴿١٦﴾ المائدة.

- إذا كانت فعلية فعلها طلبي؛ كقوله تعالى: ". وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" ... ﴿١٧﴾
 البقرة، وقوله تعالى: "فَإِنَّ حَاجُوكَ فَقُلْ أَصَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ" ... ﴿١٨﴾ آل عمران.

- إذا كانت اسمية؛ كقوله تعالى: "...فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" ... ﴿١٩﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَمَا
 تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" ... ﴿٢٠﴾ آل عمران.

- إذا كان فعلها جامدا (ليس، عسى، نعم، حبّذا، بنس)؛ كقوله تعالى: "...فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
 مِنِّي" ... ﴿٢١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا
 مِنْهُمْ تُقَنَّةً" ... ﴿٢٢﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "إِنْ تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتُمْ فَنِعْمًا هِيَ" ... ﴿٢٣﴾ البقرة.

- إذا كانت مبتدئة بأداة شرط؛ كقوله تعالى: "وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ
 تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِنَايَةٍ" ... ﴿٢٤﴾ الأنعام.

ب2 . 6 . ربط جملة الجواب بإذا الفجائية:

إذا الفجائية حرف يقع موقع الفاء، وتدخل على الجملة الاسمية فقط، إذا كانت أداة
 الشرط (إن) أو (إذا)، وكانت جملة الجواب جملة اسمية خبرية مجردة مثبتة¹، كقوله تعالى:

¹ ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص: 297.

"...وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٤٧﴾ الزّوم، وقوله تعالى: "...فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ الزّوم.

ب2 . 7 . ربط الجزاء بالشرط بعد أداة غير جازمة¹:

- بعد (لو) يجوز أن يرتبط جوابها باللام أو يتجرّد منها؛ كقوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ... ﴿١٢٣﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ... ﴿١٥٤﴾ آل عمران، ويجوز أن يفترن بالفاء؛ كقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ أَتَبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَنَتَّبِعُ لَنَا مَنَّهُمْ... ﴿١١٧﴾ البقرة.

- بعد (لولا، لوما) يكثر اقترانها باللام إذا كان فعلها ماضيًا مثبتًا، ويتجرّد إذا كان منفيًا، ولا تفتن بالفاء أو إذا؛ كقوله تعالى: "...فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ البقرة.

- بعد (لما) يرتبط جوابها بإذا أو بالفاء إذا كان جملة اسمية؛ كقوله تعالى: "...فَأَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ تَخَشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً... ﴿٧٧﴾ النساء، وقوله تعالى: "...فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ... ﴿١٢٦﴾ لقمان، وإذا كان فعلا يرتبط مباشرة دون أداة.

- بعد (كلّما) ترتبط مباشرة، ولا تفتن بالفاء أو إذا ويكون فعلها ماضيًا.

- بعد (إذا) يجوز ربطها مباشرة كما يجوز ربطها بالفاء؛ كقوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴿١٨٦﴾ البقرة" وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ... ﴿١٢٥﴾ آل عمران.

¹ ينظر: جامع الدروس، مصطفى الغلاييني، ص: 575 . 577/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، ص: 98.

. بعد (أما) التفصيليّة: يرتبط جوابها بالفاء؛ كقوله تعالى: "... فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ

أَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ... ﴿١٦﴾ البقرة، الفاء

جواب (أما) وليست عاطفة، ويجوز حذف الفاء مع القول بعدها؛ كقوله تعالى: "... فَأَمَّا الَّذِينَ

أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۗ... ﴿١٦﴾ آل عمران، أي: فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم¹.

ويلحق بالشرط بعض الجمل التي فيها معنى الشرط، إلا أنه لا يصح أن تقع شرطا، لأنّ

الجملة الثانيّة فيها لا ترتبط بالأولى على معنى الشرط، فيستعان برابط هو الفاء، على إيقاعها جوابا، ومن ذلك الجمل الواقعة جوابا للموصول الذي وقع مبتدأ وصلته جملة فعليّة؛ كقوله

تعالى: "وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ أَلْفَحِشَّةً مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ۗ... ﴿١٥﴾ النساء،

ربطت الفاء الجواب الخبر (فاستشهدوا...) بشبه الشرط المبتدأ اللّاتي، ويجوز إثبات الفاء في

الخبر إذا كان المبتدأ نكرة موصوفة؛ نحو: كلّ رجل يجيبني فله جائزة، ويجوز: له جائزة،

وذكرت الفاء لأنّ الجملة تضمّنت معنى الشرط، فالجائزة جزاء الإجابة².

ب3/. فاء السببيّة:

تأتي في الكلام لمجرّد السببيّة والرّبط، حيث تأتي الجملة الأولى سببا في حدوث الثانيّة،

وقيل تأتي عند عطف الطلب على الخبر³، كقوله تعالى: "... وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ البقرة، وتسمّى الجملة بعدها تعليليّة، لأنّها تقع تعليلا لما قبلها، وبسببه، وهي

جملة لا محلّ لها من الإعراب، وقد تقترن هذه الجملة ب(إنّ) لا بالفاء أو بهما معا؛ كقوله

تعالى: "... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ... ﴿١٢﴾ التوبة، فالجملة الثانيّة تعليل للأولى على

تقدير سؤال محذوف، وقوله تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

¹. ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 177.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 180، 181..

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 281.

رَحِيمٌ ﴿٨١﴾ آل عمران، الجملة الثّانية تعليل للأولى على تقدير سؤال محذوف، بمعنى: فالله يغفر لهم، وبين الجملتين علاقة ارتباط هي السببية، وعلاقة ربط بواسطة الفاء والحرف (إن)، ويقوي هذه العلاقة بين هذه الجمل امتناع العطف، بسبب المخالفة بين الجملتين، فالأولى فعلية والثانية اسمية، فإن اتفقتا في ذلك ربطت بينهما فاء السببية¹.

ب4/. واو الحال:

واو يكون ما بعدها جملة حالا تبين هيئة صاحبها قبلها، فتربطها به، ويرجح مجيئها قبل الجملة الاسمية التي أصلها الاستقلال، لتقوية اتصالها بصاحبها، فإن كان المبتدأ ضمير صاحب الحال، تجتمع الواو والضمير، والرّبط بالواو أضعف من الرّبط بالضمير، فنقوم بمساعدته على الرّبط لئلا تلتبس جملة الحال بجملة الخبر والصفة²؛ كقوله تعالى: "أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا.... ﴿٢٥١﴾ البقرة وقوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ.. ﴿٢٥٢﴾ البقرة، جملة الحال: "هم أُلُوفٌ" وصاحبها: "الذين خرجوا"، والرّابط: الواو والضمير البارز (هم) العائد على صاحب الحال، وقد لا تتضمن جملة الحال الاسمية ضميرا وتتصدّر بالواو، ويكون معنى الجملة في ظاهره منقطعا عما قبله، غير أنّ الواو تصله، ولولاها لأشكل على المتلقي فهمها، لأنها لا تبين في ظاهرها هيئة شيء تقدّم؛ نحو: جَاءَ زَيْدٌ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ³، يقول ابن جني: (وإنما جاز استغناء هذه الجملة عن ضمير يعود منها إلى صاحب الحال من قبل أنّ الواو ربطت ما بعدها بما قبلها، فلم تحتج إلى أن يعود منها ضمير على الأول ليرتبط به آخر الكلام بأوله، وإن جنّت به فحسن جميل؛ لأنّ فيه تأكيدا لارتباط الجملة بما قبلها)⁴.

¹. ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص: 597/ وتحليل النص، محمود عكاشة، ص: 192، 193/

والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، ج1/ 104، ج2/ 243.

². ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 201/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهة كرشو، ص: 51.

³. ينظر: نظام الارتباط والرّبط، مصطفى حميدة، ص: 198/ وتحليل النص، محمود عكاشة، ص: 129 . 134.

⁴. سر صناعة الإعراب، ص: 641، 642.

كما يجوز حذفها إن تقدّم الخبر على المبتدأ، أو تصدرت الجملة بليس، ويضمّر الضمير فيها؛ نحو: جَاءَ زَيْدٌ لَيْسَ رَاكِبًا.

وتربط واو الحال الجملة الفعلية بصاحبها أيضا؛ كقوله تعالى: "... وَأَلَامَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ" البقرة، وتكون واجبة إذا كان الفعل مضارعا سبقَ ب (قد)؛ كقوله

تعالى: "...يَقَوْمٍ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۗ" الصّف، وقد يأتي فعلها مضارعا منفيا بلم ولا بدّ فيه من الواو لأنّ معناه معنى الماضي، يحتاج إلى الواو لما لم تصلح معه (قد)¹، كقوله تعالى: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۗ" آل عمران.

كما تأتي واو الحال قبل الفعل الماضي المجرد والمقترن بقد، ولفظة (قد) تقرّب الماضي من حال التكلّم²، كقوله تعالى: "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ" آل

عمران، وقوله تعالى: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۗ" البقرة، وقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۗ" آل عمران.

ب/5. واو المعية:

واو بمعنى مع، مسبوقة بجملة، معناها محكوم بسياق الجملة، وهي تدلّ على المكان نحو: سِرْتُ وَالنَّهْرَ، وعلى الزّمان؛ نحو: جَاءَ زَيْدٌ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ³. وما بعدها هو المفعول معه يدلّ على شيء حصل الفعل بمصاحبتة؛ أي معه، بلا قصد إلى إشراكه في حكم ما قبله، وهذه الواو تدلّ على أنّ ما بعدها قد لازم اسما قبلها في زمن حصول الفعل، فتربط بينهما؛ كقوله تعالى: "فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ۗ" يونس، فلو عطف "شُرَكَاءَكُمْ" على: "أَمْرَكُمْ" لم يجز، لأنّه يقال: أجمع أمره وعلى أمره، ولا يقال أجمع الشّركاء، بل: جمعهم، ويجوز أن تكون الواو

¹ ينظر: نحو العربية، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 3/ 404/ وشرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 677.

² ينظر: شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 682.

³ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 201.

عاطفة وما بعدها مفعول به لفعل محذوف تقديره: ادعوا واجمعوا، ويجوز عطفه على تضمين الفعل أجمعوا معنى هَيئُوا¹، وواو المعية أداة وصل الفعل المنتهي إلى المحلّ الاسمي، ولا يوجد في الحروف ما يدلّ على معنى المصاحبة والملازمة والمقارنة للتوسّط بين الفعل وما صاحبه غيرها، وإلى جانب ذلك فهي تجعل الاسم في المعنى كمجرور مع، وفي اللفظ كمنصوب فعل متعدّد².

ب/6 . الحروف المصدرية:

حروف تربط ما بعدها في تأويل مصدر بما قبلها، بحسب وظيفته النّحويّة في التّركيب، والحروف المصدرية هي: ما، إن، أن، كي، ولو، وأنّ، ويندرج ضمن ذلك ما بعد حتّى ولام التعليل وفاء السببية وواو المعية العاطفة، ولام الجود، لأنّ ما بعدها مضارع منصوب بأن مضمرة، وتختصّ (أنّ) بربط الجملة الاسميّة، أمّا الحروف الأخرى فتختصّ بالجملة الفعلية³، وتقع بعد أحد الحروف المصدرية جملة صلة، تسمّى مصدرا مؤوّلا، وتكون خبرية غالبا، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب، قد ترد مستقلة، فإذا اتّصل بها أحد هذه الحروف انفقرت إلى كلام يتمّها، والصلة مع الموصول الحرفي تؤوّل بمصدر يعرب بحسب موقعه في الجملة، ولا تشتمل صلة الموصول الحرفي على عائد إلى الحرف، غير أنّ الحرف المصدرية يسبك مع ما بعده فيشكّل مصدرا مؤوّلا له محلّ من الإعراب⁴، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ... ﴾ البقرة، المصدر المؤوّل " أَنْ يَضْرِبَ " في محلّ نصب مفعول به، والصلة " يَضْرِبَ " لا محلّ لها، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ ... ﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿ ... يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ

¹ ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ص: 446، 447/ والنحو الوافي، حسن عباس، 2/ 304.

² ينظر: ضوابط الفكر النحوي، محمّد عبد الفتاح الخطيب، 2/ 151.

³ ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 201/ وأنسجة الارتباط وآليات الرّبط في

تركيب الحديث النبوي الشّريف، لزهرة كرشو، ص: 51.

⁴ ينظر: إعراب الجمل، شوقي المعمرى، ص ص: 69، 70، 74/ تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 145، 146.

يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ^ق... ﴿٣٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: ... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ^ط ... ﴿١٨٤﴾ البقرة، المصدر المؤوّل "أَنْ تَصُومُوا" في محلّ رفع مبتدأ، وقوله تعالى: "... فَأَثْبِكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِّكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ^ع ... ﴿١٥٢﴾ آل عمران.

ب/7 . حروف الجرّ:

تصل ما قبلها بما بعدها، فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم، فهي روابط تختصّ بالأسماء بعدها فتجرّها، وتسحبها إلى الأفعال أو ما يشبهها، فتربط الأسماء بعدها بما قبلها من الأفعال أو ما يشبهها، وتلجأ اللّغة إلى حرف الجرّ عند عجز الفعل عن الوصول إلى الارتباط بهذه الأسماء، وهذه الحروف هي: من، وإلى، وعن، وعلى، والباء، واللام، وفي، والكاف، وحتىّ، كقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ... ﴿١١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَآ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ^ع... ﴿٢٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: "كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^ع ... ﴿١١﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ^ط حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ... ﴿١٥٢﴾ آل عمران، حتىّ حرف انتهاء وغاية، تربط بين الجمل، ويفيد أنّ مضمون الجملة بعدها غاية لمضمون الجملة قبلها، فالمعنى: إذ تقتلونهم بتيسير الله، واستمرّ قتلكم إيّاهم إلى حصول الفشل لكم والتنازع بينكم، وحتىّ هنا جازة و"إذا" مجرور بها¹، وقوله تعالى: "وَقَسَبُوا لَهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ^ط... ﴿١١٣﴾ البقرة، وتنوّع حروف الجرّ يترجم ثراء المعاني التي تساعد الإسناد الفعلي في تشكيل المعنى الدلالي للجمل، وقد يعدل المتكلّم عن حرف مشهور إلى غيره لمعنى أبلغ

¹. ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 4/ 127، 2/ 207.

يؤدّيه السيّاق اللّغوي؛ كقوله تعالى: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ... ﴿٧٥﴾ آل عمران،

الباء بمعنى: على قنطار¹.

ب8 . أدوات الاستثناء:

الاستثناء إخراج ما بعد إلّا أو إحدى أخواتها من حكم ما قبله، وطرح المستثنى من المستثنى منه، ويتمّ بأدوات تربط بينهما؛ وهي: إلّا، غير، سوى، وليس، ولا يكون، وعداء، وخلا، وحاشا، وبيد، ورغم اختلاف هذه الأدوات في أحكام استعمالها؛ إلّا أنّها تتفق في ربط ما قبلها بما بعدها²، ذلك أنّ جمل الاستثناء غير مستقلة وغير تامّة حتّى يأتي معها بما يستثنى منه ليتمّ معناها، حتّى وإن تألّفت من مسند ومسند إليه؛ تقول: جاءني القوم إلّا زيدا، فجاءني القوم: كلام تامّ، وذكر زيد بعد هذا الكلام بغير حرف الاستثناء لا معنى له، لذلك توسّطت إلّا ليكون الاستثناء، ويتمّ وصل الفعل إلى ما بعد إلّا، فهي أداة تعين الفعل العامل لتوصله إلى اسمه، وتحقق دلالة الإخراج والطرح والسلب، وبذلك يكون المستثنى بعض المستثنى منه، فزيد من القوم، وهو بعضهم، فكأنك قلت: أستثنى زيدا، و(إلّا) تخرج الثاني ممّا دخل فيه الأوّل، فتشبه حرف النّفي، فإذا قلت: قام القوم إلّا زيدا، فالمعنى: قام القوم لا زيد، إلّا أنّ الفرق بين الاستثناء والعطف أنّ الاستثناء لا يكون إلّا بعضا من كلّ، والمعطوف يكون غير الأوّل، ويجوز في المعطوف أن تعطف على واحد، نحو: قام زيد لا عمرو، ولا يجوز أن تقول في الاستثناء: قام زيد إلّا عمرو³، ويأتي الاستثناء متصلا ومنقطعا، ولكلّ قسم منهما حالات وقواعد⁴، وركّزنا في بحثنا على المتصل لأنّه أصل الباب، ويفيد هذا النّوع التّخصيص بعد التّعميم، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: "...ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ... ﴿٨٣﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...لِعَلَّا يَكُونَ

¹ ينظر: أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، لزهرة كرشو، ص: 50/ وتحليل النصّ، محمود عكاشة، ص ص: 105، 112، 301.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 202.

³ ينظر: الأصول في النّحو، ابن السّراج، 1/ 281/ وضوابط الفكر النّحوي، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، ص: 152.

⁴ ينظر: جامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 483، 484.

لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ﴿١٥٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ...﴾ ﴿١٣﴾ آل عمران.

ومجيء المستثنى جملة فيه خلاف، وجمهور النّحاة لم يذكروه مع الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وذكرها بعض المتأخّرين، ومنه قوله تعالى: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿١٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿١٤﴾ الغاشية، إذا جعلت "من" اسما موصولا مبتدأ، خبره جملة "يعذبّه الله" والفاء زائدة، فالجملة كلّها في محلّ نصب على الاستثناء، والمعنى: غير أنّ الله يعذب من تولى وكفر، والتقدير: لست عليهم بمسيطرٍ إلاّ تعذيب الله من تولى وكفر¹، والرباط في الاستثناء (إلا)، فهي قرينة على أنّ ما بعدها كان بعضا من الأوّل أو يدخل فيه فأخرجته منه، ولولاها لدخل الثّاني في الأوّل، والجملة المستثناة تابعة لما قبلها فأخرجتها (إلا) منها، ف(إلا) رابطة بين الجملتين لإفادتها خروج الثّانية (المستثنى) من الأولى (المستثنى منه)، وبذلك فالثّانية تابعة للأولى، يضاف إلى ذلك دور الاستثناء في ترابط الجملتين².

ب9/. ربط القسم بجوابه:

جملة القسم جملة ترتبط بجملة أخرى بالأصالة، لأنّه لا يتمّ معناها إلاّ بالجواب، مع أنّها جملة مؤلّفة من مبتدأ وخبر محذوف وجوبا³، وهي جملة لا محلّ لها من الإعراب، تأتي بقسم صريح، يكون باللفظ؛ أقسم، أحلف... كقوله تعالى: "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ... ﴿٢٨﴾ النحل، أو تأتي بقسم مقدّر، يكون بحرف من حروف القسم التي تغني عن ذكر فعل لفظه، وهي: اللّام والباء والواو والتّاء، نحو: لعمرى، وايمان الله، وبالله وتالله، كقوله تعالى: "وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٢﴾ الأنعام، وقوله تعالى: "قَالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٥﴾"

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 197.

² ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 194، 195.

³ ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السّامرائي، ص: 147.

يوسف، والجملة التي ترتبط بالقسم هي جملة جواب القسم، وهي جملة متممة لمعناها، وهذا رابط معنويّ لازم يحتاج إلى رابط لفظيّ يؤكّد اتّصال الجواب بالقسم، ويجعل الجواب في حكم الكلام المستأنف، الذي يوجب ربط الجملتين، ويعلم المتلقّي بأنّ الجواب للاستقبال أو في معناه وليس للحال، فتأتي (لام الموطّئة) و(إنّ) في حال الإثبات، و(ما) و(لا) في النفي، وهي قرائن لفظية تدلّ على الجواب وتربطه بالقسم؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ... ﴿٨١﴾ آل عمران، اللّام في "لما" موطّئة للقسم، تأتي للإيذان بأنّ الكلام بعدها مبنيّ على قسم مقدّر؛ لأنّ أخذ الميثاق في معنى اليمين، واللّام في "لَتُؤْمِنُنَّ" لام جواب القسم، وقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ﴿١٦٣﴾ البقرة، فالجملة "لا تَعْبُدُونَ" جواب قسم مخفيّ

تضمّنه أخذ الميثاق، وذلك لأنّ أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف والعهد والقسم، وقد يضمّر القسم وتبقى اللّام في الجواب دليلاً عليه وذلك جائز إن زال الشك¹، كقوله تعالى: "﴿

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ... ﴿١٨٦﴾ آل عمران، ومن القرائن الدالّة على القسم تصدرّ الجملة الاسميّة ب(إنّ) ودخول لام التوكيد على خبرها؛ نحو: إنّ الرّسول لنور يستضاء به، بمعنى: والله إنّ الرّسول لنور يستضاء به، وكذلك وقوع (لقد) في الجواب؛ كقوله تعالى: "وَلَقَدْ

أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... ﴿١١٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ... ﴿١٥٢﴾ آل

عمران، وذلك إذا كان الكلام لا يحتمل الشك².

¹ ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 90 . 92/ وتفسير التّحرير والتّوير، 3/ 298/ وتحليل النّصّ، محمود عكاشة، ص: 188.

² ينظر: الإعراب عن قواعد الإعراب، ابن هشام الأنصاري، ص: 48/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 79/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 42، 44، 45/ وتحليل النّصّ، محمود عكاشة، هامش ص: 118، ص: 186، 187، 190، 191.

5 . أدوات القطع هي: واو الاستئناف، ثم، الفاء، أم المنقطعة، بل، الاستثناء، الجملة المعترضة.

أ . القطع والاستئناف في حروف العطف:

القطع والاستئناف مصطلح نحوي يقصد به عدم التعلّق الإعرابي بين الجملتين، والانتقال من معنى إلى معنى آخر، ولا يعني ذلك عدم وجود أيّ ارتباط معنوي بين الجملتين، ولذلك يجوز توسّط الواو أو الفاء الاستئنافيتين بين الجملتين، لقصد ربط جملة الاستئناف بما قبلها في معنى ومناسبة معيّنة، وليس لتشريكها في الإعراب¹، ولئلا يتوهّم أنّ ما بعدها معطوف على ما قبلها؛ كقوله تعالى: "إِنْ تَبَدُّوا أَلصَّدَقَاتِ فَبِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِنْ تُخَفُّوهَا وَتَوْتُوهَا أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^ج وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ^ط... البقرة، الواو في "وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ" للاستئناف والقطع، وقوله تعالى: "ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ... ^ط آل عمران، جعله وقتا في قوله: "وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ" ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنّما هي واو الابتداء²، والجملة بعدها استئنافية منقطعة عن الكلام التام قبلها.

والقطع عند النّحاة يتعلّق بالتّابع والمتبوع، وبابه المعطوفات والصّفات، فلا يشارك فيها الثّاني الأوّل في إعرابه، وإنّما يقدر له عامل يناسبه، والمعطوف والنّعت يخرجان في القطع عن التّبعيّة صورة، لكنّهما تابعان له حقيقة، ومتعلّقان بما قبلهما³، ولمصطلح القطع والاستئناف في حروف العطف معنيان عند النّحاة:

أحدهما: يقصد به إخراج المعطوف عن معنى الأوّل، فلا يشاركه في إعرابه، لأنّه لم يوافق في المعنى، فوجب قطعه، وإن كان ما بعد حرف العطف جملة معطوفة على ما قبلها؛

¹. ينظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن قاسم، تح: فخر الدّين قباوة، ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1، 1992م، ص: 76.

². ينظر: الكتاب، 1/ 90.

³. ينظر: ضوابط الفكر النّحوي، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، 2/ 142.

فهذا ليس من عطف المفردات، بل من عطف الجمل، وفائدته ربط الجمل بعضها ببعض، والإيدان بأنّ المتكلم لم يرد قطع الجملة الثّانية من الأولى، والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء، ولكنه أراد وصل الثّانية بالأولى من غير التباس، غير أنّه جاء بجملة تعدّ أجنبيّة صناعة عن الأولى، ولم يجد بداً من الواو لربطها بها¹، وضابطه هنا أن يدخل حرف العطف من غير بل ولا ولكن، على مضارع مرفوع، سبق بأمر أو بمضارع منصوب أو بمضارع مجزوم، فيرى في ظاهر الحال أنّه لا يصحّ العطف، فيدّعي أنّ الجملة الثّانية استثنائية لا محلّ لها من الإعراب، ويسمّى الحرف الرّابط حرف استئناف²، ومثال ذلك قوله تعالى: "... وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... البقرة، ﴿٢٢٢﴾ فلو كان الواو حرف عطف للزم عطف الخبر على الأمر، وقد ذكر سيبويه معناه (القطع) في (باب اشتراك الفعل في أن وانقطاع الآخر من الأوّل الذي عمل فيه أن)، وذكر الحروف التي تشرك وهي الواو والفاء وثمّ وأو، فبالنّصب تشرك الآخر من الأوّل في الحكم وتفيد السبب، وعند الرّفيع ينقطع من الأوّل ويحمل الكلام على الابتداء ولا يحمل على أن؛ نحو: أريدُ أن تأتيَنِي ثمّ تُحدّثني، كأنك قلت: أريدُ إتيانَكَ ثمّ تُحدّثني، وتقول: أريدُ أن تأتيَنِي فَتَسْتَمُنِي، لم ترد السّتيمة، لأنّ معنى كلامك: كَلَمَّا أَرَدْتُ إِيْتَانَكَ سَتَمَنْتِي، ولذلك انقطع من أن³، وتحدّث المبرّد عن ذلك قائلاً: (فإن كان الثّاني خارجاً عن معنى الأوّل كان مقطوعاً مستأنفاً؛ وذلك قولك: أريدُ أن تأتيَنِي فَتَقْعُدُ عَنِّي؟، وأريدُ أن تُكْرِمَ زَيْدًا، فَتُهَيِّئَهُ؟ ... فكأنه في التمثيل: أريدُ أن تُكْرِمَ زَيْدًا فَإِذَا أَنْتَ تُهَيِّئُهُ، وأريدُ أن تأتيَنِي فَإِذَا أَنْتَ تَقْعُدُ عَنِّي...)⁴.

وثانيهما: يتمثّل في ابتداء كلام جديد منقطع عمّا قبله مطلقاً، وليس ثمة اشتراك في حكم إعرابيّ من قبيل المفردات أو الجمل، فهو غير مرتبطب عاملياً بما قبله، بل هو نوع خاصّ من الرّبط بين الجمل المستقلّة والمستغنيّة عمّا قبلها، حيث يأتي الكلام الثّاني على غير معنى

¹. ينظر: ضوابط الفكر النّحوي، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، 2/ 135، 136.

². ينظر: المرجع السابق، 2/ 132، 134.

³. ينظر: الكتاب، 3/ 52.

⁴. المقتضب، 2/ 32.

الكلام الأوّل، وذلك جائز؛ نحو: جَاعَنِي زَيْدٌ، وَأَنْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخُوكَ قَائِمٌ، وهو ما يعرف عند البلاغيّين بعطف القصّة على القصّة، والفائدة منه ضمّ جمل مسوقة لغرض إلى أخرى مسوقة لغرض آخر، ويشترط فيه المناسبة بين الغرضين، وليس معنى القطع أنّ الفعل مقطوع عمّا قبله غير متّصل به ألبتّة، لأنّ المعنى التّام لا يكون إلّا على لزوم ذكر هذا المعطوف، ولو سكت عنه لم يصحّ المعنى¹، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ﴾..² ال عمران، عطف على قوله: "وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...³ أو على قوله: "وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...⁴ عطف القصّة، (والمناسبة بيان دخائل أحوال اليهود في معاملة المسلمين النّاشئة عن حسدهم وفي انحرافهم عن ملّة إبراهيم مع ادّعائهم أنّهم أولى النّاس به، فقد حكى في هذه الآية خيانة فريق منهم)².

وفي باب الصّفات يقطع النّعت من منعوته فيأتي منصوبا، بفعل محذوف تقديره أعني أو أخصّ أو أمدح أو أذمّ بحسب موضعه، ويراد به تخصيص المذكور بالفعل وتخليصه من غيره، على سبيل المدح والتّعظيم أو الذمّ والشتم وسائر ذلك، وقد يقطع من غير إرادة تخصيصه وتخليصه من موصوف آخر، وذلك حين لا يكون الوصف لتبيين الموصوف، وإنّما لإعلام المخاطب بمنزلة الموصوف، وشهرته بهذا الوصف وأنّه غنيّ عن الصّفة³.

والغرض من القطع إيقاظ السّامع، وتحريكه إلى الجدّ في الإصغاء والانتباه، لأنّ تغيير الكلام ينبئ عن اهتمام جديد من المتكلّم، ويستجلب مزيد رغبة فيه⁴، ومنه قوله تعالى:

¹. ينظر: ضوابط الفكر النّحوي، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، 2/ 136، 137، 140.

². تفسير التّحرير والتّشوير، 3/ 285.

³. ينظر: شرح الرّضي لكافيّة ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 515 . 517/ وكتاب الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليوسي أبو محمّد عبد الله بن محمّد، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، دط، دت، بيروت، ص: 114 . 116.

⁴. ينظر: ضوابط الفكر النّحوي، محمّد عبد الفتّاح الخطيب، ج/ 142.

"...وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَاسِ ﴿١٧٧﴾ البقرة،

نصب "الصّٰبِرِينَ" وهو معطوف على مرفوعات نصبا على الاختصاص على ما هو متعارف في كلام العرب في عطف النّوع من تخيير المتكلم بين الإتيان في الإعراب للمعطوف عليه وبين القطع بمخالفة الإعراب، قال سيبويه: (وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، وإن شئت قطعته فابتدأته)¹، وحصل نصب "الصّٰبِرِينَ" هنا لفائدتين؛ الأولى ما نقل عن أبي عليّ الفارسي أنّه إذا ذكرت الصّفات الكثيرة في معرض المدح أو الذمّ فالأحسن أن يخالف إعرابها، ولا تجعلها كلّها جارية على موصوفها لأنّ هذا من الإطناب، فإذا خولف الإعراب صار الكلام كأنّه ضروب من البيان.²

والفائدة الثّانية؛ أنّ نصب "الصّٰبِرِينَ" بتقدير أخصّ أو أمدح تنبيها على خصيصة الصّابرين ومزية صفتهم التي هي الصّبر³، يقول سيبويه: (وزعم الخليل أنّ نصب هذا على أنّك لم ترد أن تحدّث النّاس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعلته ثناء وتعظيما)⁴.

ب . قطع الجملة بالابتداء وصوره:

يقصد به الجملة الابتدائية التي تأتي في أثناء الكلام منقطعة عمّا قبلها، ولا تعطف عليه؛ كقوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ... ﴿١٥﴾ البقرة، قطع جملة "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" عمّا قبلها، لعدم دخوله فيه، لأنّ استهزاء الله بهم عقاب لاستهزائهم، والعطف يفيد استهزاء الله تعالى بهم

¹. الكتاب، 2 / 62.

². ينظر: تفسير التّحرير والتّشوير، 2 / 132، 133.

³. المرجع السّابق، 2 / 133.

⁴. الكتاب، 2 / 65، 66.

باختلائهم بشياطينهم وهذا غير مراد، وقد يكون هذا الاستئناف مستفتحا بإثما أو ألا؛ كقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ البقرة، ويكون هذا الانقطاع على صورتين¹:

الانقطاع لفظا ومعنى: كقوله تعالى: "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ الفاتحة، فالانقطاع لفظا واضح من الضمائر، ففي الأولى للغائب، وفي الثانية للخطاب، والانقطاع المعنوي يظهر في انتهاء الأوصاف، ثم استئناف كلام جديد بالتوجه إلى الله بالعبادة وطلب الاستعانة.

الانقطاع لفظا والاتصال معنى: كقوله تعالى: "...قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّا مَكْنَانٌ لَهُ فِي الْأَرْضِ... ﴿٢٨﴾ الكهف، الانقطاع بين الآيتين انقطاع لفظي، أما المعنى فلا انقطاع فيه، إذ التمكن في الأرض داخل في عموم الذّكر، وهذا استئناف بياني.

وقد تقترن الجملة الاستئنافية بأحرف الاستئناف وهي الواو والفاء، وثمّ وحتىّ الابتدائية، وأمّ المنقطعة، وبل التي للإضراب الانتقالي، وأو بمعنى بل، ولكن المجردة من الواو العاطفة، وقد تكون جوابا للنداء، أو جوابا للاستفهام²، فالأول كقوله تعالى: "...تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مَنْ أَلْصَوَاعِقُ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ آل عمران، والثاني كقوله تعالى: "وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴿١٩﴾ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴿٢٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٢١﴾ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿٢٢﴾ آل عمران، ومثال (أو) بمعنى (بل) قوله

فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿٢٢﴾ آل عمران، ومثال (أو) بمعنى (بل) قوله

¹. ينظر: نحو العربية، عبد اللطيف محمّد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، 4/ 428، 429/ والنحو الوظيفي، عاطف

فضل محمّد، دار المسيرة، ط2، 2013م، ص: 237/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 21.

². ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 38، 39.

تعالى: "...فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً... ﴿٧٤﴾ البقرة، (أو) هنا بمعنى بل الانتقاليّة، ومثال (بل)

التي هي للإضراب الانتقالي؛ قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا

يُرْذَوُكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ آل

عمران، إضراب لإبطال ما تضمّنه ما قبلها من طاعة المنافقين وموالاتهم إلى التذكير بأنّ مولى

المؤمنين هو الله تعالى، ومثال الاستئناف ب(ثمّ) قوله تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّٰهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ... ﴿٢٠﴾ العنكبوت، جملة استئنافية بعد ثمّ، لأنّ

النّشأة الآخرة لما تقع، فيؤمروا بالاعتبار بها¹، ومثال حتى الابتدائية قوله تعالى: "وَلَقَدْ

صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعَدَهُرَ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ... حَتَّىٰ ٢ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ... ﴿١٥٢﴾ آل

عمران، ومثال أم المنقطعة قوله تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ... ﴿١١٣﴾ البقرة، قال الزّمخشري: (هي أم المنقطعة، ومعنى الهمزة فيها

الإنكار)²، ومثال جواب النّداء؛ قوله تعالى: "...قَالَ يَمْرُؤُا أَنِي لِكِ هَذَا... ﴿١٧٧﴾ آل عمران، جملة

"أَنِي لِكِ هَذَا" جواب نداء، ومثال جواب الاستفهام؛ قوله تعالى: "...قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة،

وقوله تعالى: "...قَالَ يَمْرُؤُا أَنِي لِكِ هَذَا... قَالَتْ هُوَ مِن عِنْدِ اللّٰهِ... ﴿١٧٧﴾ آل عمران، جملة "قَالَتْ

هُوَ مِن عِنْدِ اللّٰهِ" استئناف³.

¹. ينظر: مغني اللّيب، ابن هشام الأنصاري، 2/ 443. وتفسير التحرير والتّوير، 4/ 122.

². الكشّاف، 1/ 330.

³. ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 40/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 25/

والجدول في إعراب القرآن وصرّفه وبيانه، محمود صافي، 2/ 167، 335.

والفصل بين جملة الاستئناف وما تليه أمر دقيق عسير أحيانا، وقد اختلف العلماء في كثير من المواضع التي عدّها بعضهم استئنافا، لأنّ الاعتماد على ظاهر العبارة وما فيها من روابط لغويّة لا يغني، بل لا بدّ من الاحتكام إلى المعنى الذي تتضمنه العبارة، فقد تحتمل الجملة الاستئناف وغيره¹.

ج . القطع بين الطّلب والجواب:

إذا لم يصحّ تقدير الشّرط وجوابه بين الجملتين؛ نحو: هَلَّا تَدْرُسُ تَرَسُبُ، وَلَا تَقْتَرِبُ مِنَ النَّارِ تَحْتَرِقُ، بالرفع، فهذا لا يصحّ فيه تقدير الشّرط، لأنّه لا يصحّ القول: إِنْ تَدْرُسُ تَرَسُبُ، وَلَا: إِنْ لَا تَقْتَرِبُ مِنَ النَّارِ تَحْتَرِقُ، فتكون كلّ من جملتي (ترسب) و(تحترق) استئنافيّة خبريّة، وليست جوابا، وتكون جملة (هَلَّا تَدْرُسُ) وجملة (لَا تَقْتَرِبُ مِنَ النَّارِ) من الجمل الطّليبيّة، وقد يختلف الحكم باختلاف التّقدير؛ نحو: دَعُهُ يَضْرِبُهُ، بالرفع، فهذا يحتمل أن تكون الجملة (يضره) حالية بمعنى: دَعُهُ ضَارِبًا لَهُ، فيكون الكلام إنشائيًا، ويحتمل أن تكون استئنافيّة، فتكون دعه طليبيّة، وجملة: (يضره) خبريّة، والمعنى: أَتْرَكُهُ هُوَ يَضْرِبُهُ².

د . الجملة الاعتراضية:

هي التي تعترض مجرى النّمط التركيبي، وتعدّ أجنبيّة عن مجرى السياق النّحوي، فلا صلة لها به شكلا، وليست معمولة لشيء منه، ولا محلّ لها من الإعراب، وتجرّد من العطف لئلا تحتمل معنى أساسيا آخر، بل هي فضل فيه، إذ يصحّ الكلام دونها³، إلا أنّها تتعلّق بسياق ما قبلها في زيادة معنى فيه، وهذه علاقة معنويّة تربطها به فلا تصحّ إلا له، وتأتي جملة اسميّة وفعليّة تعبر عن خاطر طارئ من دعاء أو قسم أو شرط أو نفي أو وعد، أو أمر أو نهي أو تنبيه السامع إلى ما يريده المتكلّم⁴، لتأكيد أو التعليل عليه، أو تقويته، أو توضيحه

¹. ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 41، 42.

². ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص: 179.

³. ينظر: تحليل النّص، محمود عكاشة، ص: 311.

⁴. ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسّان، ص: 183.

أو تحسينه، وتقع بين المبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، ومنصوبه، والشّرط وجوابه، والحال وصاحبها، والقسم وجوابه¹، كقوله تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" البقرة، اعتراض بقوله: "فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا"، للدّعاء على مرضى القلوب المذكورين، وقوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..." البقرة، اعتراض للتّعجيز والتحدّي بواسطة تأييد النّفي مستقبلا، وتأكيد اليقين، وقوله تعالى: "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ..." آل عمران، وقوله تعالى: "لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُم بِفَيْقُلُوا حَآبِئِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ" آل عمران، اعتراض بالجملة المنفيّة: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" لتنبية النبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى أنّ النّصر والهزيمة كليهما بأمر الله تعالى الذي له الاختيار وحده فيما يريد²، وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ" آل عمران، وقد تلتبس الجملة الاعتراضية بالجملة الحاليّة؛ كما في قوله تعالى: "...قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" البقرة، فقد علّق الزّمخشري بقوله: ("وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"، حال من فاعل نعبد، أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له، ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكّدة، أي: ومن حالنا أنا له

¹ ينظر: جامع الدّروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 598/ ومغني اللّبيب، ابن هشام الأنصاري، ص: 446، 447/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 67/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، شوقي المعمرى، ص: 29.

² ينظر: البيان في روائع القرآن، حسّان تّمّام، ص: 184.

مسلمون مخلصون)¹، وقد فرّق النّحاة بين الجملة الاعتراضية والحالية، بأنّ الحالية لها محلّ كالمفرد وتؤوّل به، والاعتراضية ليس لها محلّ من الإعراب ولا تؤوّل، كما أنّ الاعتراضية قد تكون إنشائية، وقد تتصدّر بحروف الاستقبال، أمّا الحالية فلا تأتي بذلك².

ويمكن تقسيم الرّوابط تقسيماً آخر؛ إلى روابط حرفية وروابط اسمية، فالحرفية كحروف العطف وحروف الشرط وحروف الجرّ، وروابط اسمية كأسماء الإشارة وأسماء الشرط، وكلّها يؤدّي إلى تماسك عناصر الجملة وما يجاورها من جمل، فتشكّل بمجموعها نصّاً يعتمد على علاقات ربط وترابط، وتؤدّي إلى ربطه بعالمه الخارجي وسياقه الذي قيل فيه.

6 . تشابك علاقات الارتباط والرّبط:

تتداخل هذه العلاقات وتتشابك لتعبّر عمّا بينها من صلة وثيقة، فعلاقة الإسناد في قولنا: حَسُنَ خَلْقُ زَيْدٍ، ذات صلة بعلاقة التّمييز في قولنا: حَسُنَ زَيْدٌ خَلْقًا، وبالعلاقة البدل في قولنا: حَسُنَ زَيْدٌ خَلْقُهُ، ويرجع هذا إلى توسّع العربيّة في طرق التّعبير عن المعنى الواحد، ومراعاة سياق المقام، وطريقة اللّغة في ذلك هو تغيير موقع الوظيفة النّحوية، فتتغيّر العلاقة، وكلّ علاقة ينشئها المتكلّم زائدة عن علاقة الإسناد غرضها البيان وإزالة إبهام وغموض قد يعترى الجملة، وكذلك الحذف يكون حين لا يحتاج المعنى الدّلالي إلى تلك العلاقة المحذوفة، ويتحدّد نوع العلاقة تبعاً لنوع البيان الذي يريد المتكلّم الإفصاح عنه، وممّا يدلّ على ذلك التّشابك؛ التّعبير بعلاقة التّمييز في بعض الحالات والتّعبير بعلاقة الرّبط بالضمير البارز في بدل الاشتمال أو بدل البعض؛ نحو: أعجبتني الحديقة أشجاراً، وأعجبتني الحديقة أشجارها³.

ونخلص من هذا الفصل إلى أنّ نظام الرّبط والارتباط والقطع فكرة شاملة متكاملة، قادرة على احتواء الأبواب النّحوية وتفسير الظواهر التركيبية في الجملة العربيّة.

¹. الكشّاف، 1/ 333.

². ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 73، 74/ وإعراب الجمل، شوقي المعمرى، ص: 34.

³. ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، ص: 162، 163، 181.

الفصل الثاني:
الوصل والوصل عند البلاغيين.

- 1 . مفهوم الوصل والفصل لغة: أ . الوصل لغة/ ب . الفصل لغة/ ج . مفهوم الفصل والوصل في اصطلاح البلاغيين
- 2 . العطف مدار الفصل والوصل
- 3 . الوصل والفصل بين المفردات والجمل
أ . الوصل بالواو بين المفردات في القرآن الكريم
ب . الوصل والفصل في الجمل
- 4 . الجامع بين المفردات والجمل
- 5 . أسس ضبط باب الفصل والوصل
- 6 . مواطن الفصل
أ . الاتّصال التّام
ب . الانقطاع التّام بلا إيهام
ج . شبه الاتّصال التّام (أو الاستئناف البياني)
د . شبه الانقطاع التّام
هـ . التوسّط بين الاتّصال التّام والانقطاع التّام
- 7 . مواطن الوصل
أ . إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي
ب . التوسط بين الاتصال التّام والانقطاع التّام
ج . الانقطاع التّام مع الإيهام
د . الجملة المقترنة بواو الحال
- 8 . محاسن الوصل وعيوبه

الفصل الثاني: الوصل والفصل عند البلاغيين

توطئة: يقدم البلاغيون ذكر الفصل على الوصل في الترجمة لأنّ الفصل مرجعه إلى عدم العطف والوصل مرجعه إلى العطف، وعدم العطف أصل لا يفتقر فيه إلى زيادة شيء على المنفصلين، والعطف يفتقر فيه إلى وجود حرف مزيد ليحصل، وما يفتقر فرع عمّا لا يفتقر، والعدم في الحادث سابق على وجوده، وبهذا يكون الفصل هو الأصل، والوصل طارئ، أي عارض عليه حاصل بزيادة حرف من حروف العطف، وفي تعريفهما اصطلاحاً قدّموا الوصل على الفصل لأنّ الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة عدمها والأعدام تعرف بملكاتها¹.

1 . مفهوم الوصل والفصل لغة:

أ . الوصل لغة:

(الواو والصاد واللام: أصل واحد يدلّ على ضمّ شيء إلى شيء حتّى يعلقه، وَوَصَلْتُهُ بِهِ وَصَلًا، والوصل: ضدّ الهجران)²، والوصل: من وَصَلَ، يَصِلُ، وَصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصَلًا وَصِلَةً وَصَلَةً، وَوَصِيْلَةٌ من باب وَعَدَ، وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَوَصَلَ فَلَانًا التَّامَّ بِهِ وَبِرَّهْ، وَوَصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ وَصَلًا وَصِلَةً لِأَمِّهِ وَجَمَعَهُ، وَالْوَصْلُ خِلَافُ الْفَصْلِ، وَالْوَصْلُ: وَصَلَ الثَّوْبَ وَالخَفَّ، وَيُقَالُ: هَذَا وَصَلَ هَذَا؛ أَي مَثَلَهُ، وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِعْ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ أَلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص، أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض، لعلهم يعتبرون³، وأنشد ابن الأعرابي:

سُحَيْرًا وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ كَأَنَّهَا مَدَافِعُ تُغْبَانِ أَضْرَّ بِهَا الْوَصْلُ

يعني: أضرّ بها فقدان الوصل، والثغب: مسيل دقيق، شبه الإبل في مدها أعناقها إذا جهدها السير بالثغب الذي يخذّه السيل في الوادي.

¹ ينظر: المختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب

المغربي، وشروح التلخيص، حاشية الدسوقي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 3/2، 3.

² معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أحمد، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، 1979م، مادة (وصل)، 6/115.

³ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، مادة (وصل)، 6/4850/

معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 118.

وَوَصَلَ فَلَانَ الشَّيْءَ وَالِى الشَّيْءِ وَصُولًا وَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ: اِنْتَهَى إِلَيْهِ وَبَلَغَهُ، وَوَصَّلَهُ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ: أَنَّهُاهُ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَهُ إِيَّاهُ، وَأَوْصَلَهُ غَيْرُهُ وَوَصَلَ: بِمَعْنَى اتَّصَلَ، وَالْوَأَصِلَةُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي تَصِلُ شَعْرَهَا بِشَعْرٍ غَيْرِهَا، وَالْمُسْتَوْصِلَةُ الطَّالِبَةُ لِذَلِكَ، وَالْوَأَصِلَةُ الْإِتِّصَالُ، وَمَا اتَّصَلَ بِالشَّيْءِ، وَالْمُؤَصِّلُ: مَا يُوَصِّلُ مِنَ الْحَبْلِ، وَالْأَوْصَالُ: الْمَفَاصِلُ، وَالْوَصِيْلَةُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ كَأَنَّهَا وُصِلَتْ بِأُخْرَى، وَالْوَصِيْلَةُ: الْعِمَارَةُ وَالخِصْبُ، وَحَرْفُ الْوَصْلِ: هُوَ الَّذِي بَعْدَ الرَّوْيِ¹.

ووردت كلمة الوصل في القرآن الكريم على مستوى الجذر اثنتا عشرة مرّة، في سبع سور ♦. ولفظة الوصل تطلق على مدلولات كثيرة منها حقيقيّة وأخرى مجازيّة في نحو: التَّوَصُّيلُ وَالِاتِّصَالُ وَعَدَمُ الْقَطْعِ وَالِإِتِّبَاعِ، وَالِانْتِهَاءُ وَالْبُلُوعُ وَالرِّبْطُ، وَضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي قَرِيبَةٌ وَمُتَشَابِهَةٌ وَتُوْحِي بِشَيْءٍ وَاحِدٍ هُوَ الرِّبْطُ، وَهَذَا الْمَعْنَى اللَّغَوِيُّ هُوَ أَسَاسُ الْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيَّةِ².

ب. الفصل لغة:

اشتملت معاجم اللّغة العربيّة على معانٍ مختلفة لمادّة (فصل)؛ وممّا جاء في بعضها: (الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدلّ على تمييز الشّيء من الشّيء وإبانته عنه، يقال: فَصَلْتُ الشّيءَ فَصْلًا، وَالْفَيْصَلُ: الْحَاكِمُ)³، وممّا جاء في بعضها أيضًا: قَالَ اللَّيْثُ: الْفَصْلُ بَوْنٌ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْفَصْلُ مِنَ الْجَسَدِ: مَوْضِعُ الْمِفْصَلِ، وَبَيْنَ كُلِّ فَصْلَيْنِ وَصْلٌ، وَأَنْشَدَ:

وَصَلًّا وَفَصْلًا وَتَجْمِيْعًا وَمُفْتَرَقًا فَتَقًا وَرَتَقًا وَتَأْلِيْفًا لِإِنْسَانٍ

والفصل الحاجز بين الشّيئين، فَصَلَ بَيْنَهُمَا يَفْصِلُ فَصْلًا فَانْفَصَلَ وَفَصَلْتُ الشّيءَ فَانْفَصَلَ: أَي قَطَعْتُهُ فَانْقَطَعَ، فَالْفَصْلُ: الْقَطْعُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ: الْقَضَاءُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَاسْمُ ذَلِكَ الْقَضَاءِ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا: فَيْصَلُ، وَقَوْلُ فَصْلٌ: حَقٌّ لَيْسَ بِبَاطِلٍ، وَمِنْهُ الْفُصُولُ: بِمَعْنَى النَّقَازِ وَالْخُرُوجِ؛ يُقَالُ: فَصَلَ فَلَانٌ فُصُولًا، وَفَصَلَ الْعَسْكَرُ مِنَ الْبَلَدِ؛ إِذَا خَرَجَ، وَالْفَصْلُ مُصَدَّرٌ

¹ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادّة (وصل)، 6/ 4850 . 4853/ ومحيط المحيط قاموس مطول للغة العربيّة، بطرس

البيستاني، مكتبة لبنان بيروت، طبعة جديدة، 1987م، باب الواو، مادّة (وصل)، ص: 972.

♦ السور: البقرة 27، النساء 90، المائدة 103، الأنعام مرتين 136، هود 70، 81، الرعد 21، 21، القصص 35، 51.

² ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 23.

³ معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس، مادّة (فصل)، 4/ 505.

الفعل المتعدّي؛ تقول: فَصَلَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا وَفَسَلَتْهُ، أَي فَطَمَتْهُ، ومنه الْفِصَالُ: الْفِطَامُ، وَالْفُصُولُ مصدر الفعل اللّازم؛ وعليه قوله تعالى: "وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمَّ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

يُوسُفَ...^ط ﴿٩٤﴾ يوسف، أَي خرجت، والتّفصِيلُ: التّبْيِينُ؛ ومنه قوله تعالى: "ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ... ﴿١٣٣﴾

الأعراف، أَي: بين كلّ آيتين فَصْلٌ أَي: مُهَلَّةٌ، تمضي هذه وتأتي هذه، والمعنى الثّاني مبيّات، والفواصل أواخر آيات كتاب الله عزّ وجلّ، واحدها فَاصِلَةٌ؛ ومنه قوله تعالى: "...بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ

...الأعراف، له معنيان: أحدهما تفصيل آياته بالفواصل، والمعنى الثّاني: بيّناه¹.

وَفَصَلَ الشَّيْءَ يَفْصِلُهُ فَصْلًا: قَطَعَهُ وَأَبَانَهُ، وَفَصَلَ الشَّيْءَ جَعَلَهُ فُصُولًا، وَالْقُمَاشَ قَطَعَهُ بقصد خياطته ثوبا، والكلام بَيَّنَّهُ وخلاف أجمله، وانفصل الشّيءُ انْفِطَعَ ضِدُّ انْتَصَلَ².

والفصلُ عند النّحاة البصريين ضمير يفصل بين المبتدأ والخبر، وهو العماد أو الدّعامَة عند الكوفيّين لأنّه يعتمد عليه في هذا التّبْيِينِ، ومنه قوله عزّ وجلّ: "...إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿٧٧﴾ البقرة، فقوله: "هُوَ" ضمير فصل دخل بين اسم إنّ (المبتدأ) وخبرها (خبره)، والفصلُ في

عروض الشّعْر: كلّ عروض بنيت على ما لا يكون في الحشو، كمفاعِلن، فإنّها فصل لأتّها قد لزمها ما لا يلزم الحشو، لأنّ أصلها مفاعيلن³.

وذكرت كلمة الفصل بعينها في القرآن الكريم سبع مرّات، في خمس سور[♦]، منها قوله

تعالى: "هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ المرسلات، أَي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن

والمسيء، وذكرت على مستوى الجذر ثلاثا وأربعين مرّة في أربع وعشرين سورة[♦].

¹. ينظر: لسان العرب، مادّة (فصل)، 5/ 3422 . 3424/ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 117/ وأساس البلاغة، الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1، 1998م، مادّة (فصل)، 2/ 25/ وتهذيب اللّغة، الأزهرى أبو منصور محمّد بن أحمد، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدّار المصريّة للتأليف والترجمة، مادّة (فصل)، 12/ 193، 194.

². ينظر: محيط المحيط قاموس مطوّل للّغة العربيّة، بطرس البستاني، باب الفاء، مادّة (فصل) ص: 692.

³. ينظر: لسان العرب، مادّة (فصل)، 5/ 3424/ محيط المحيط، بطرس البستاني، باب الفاء، مادّة (فصل) ص: 692.

♦. السور هي: الصّافات 21، الشّورى 21، الدّخان 40، المرسلات 13، 14، 38، النّبا 17.

ج . مفهوم الفصل والوصل في اصطلاح البلاغيين:

تأثر علماء البلاغة بالمعاني اللغوية لهاتين اللفظتين، وتوافقت تعريفاتهما في خطوطها العريضة، إلا أنهم تباينوا في التخصيص والتعميم، والتوسع والتضييق فيه، كل حسب فهمه ونظرته للموضوع أو لزواية معينة منه، ونشير هنا إلى أننا نعرفهما دون الفصل بينهما، كما فعل علماء البلاغة من المتقدمين والمتأخرين.

ونبدأ بتعريف السكاكي لأنه أول من وضع تعريفا اصطلاحيا لهما، يقول: (ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات)¹، فقد جعل التعريف بالعطف مطلقا، ونفهم من عبارته أنه لم يحصره في الجمل، بل جعله يشمل المفردات أيضا، وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف، وتبعه في ذلك بعض المتأخرين الذين ذهبوا إلى أنه يجري في ذلك كله²، ودليل آخر قوله: (اعلم أنّ تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل ... هو الأصل)³، فجعله الفصل والوصل أصلا في الجمل لا يعني إخراجهما من المفردات⁴.

وحده الخطيب القزويني بقوله: (الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه)⁵، والظاهر من كلامه أنّ غير ذلك متروك، وتبعه شراح تلخيصه على هذا، وهو ما جرى عليه عبد القاهر في دلائل الإعجاز، والعلوي في الطراز بقوله: (أمّا الفصل فهو في لسان علماء البيان، عبارة عن ترك الواو العاطفة بين الجملتين)⁶، غير أنّ صاحب مواهب الفتاح ابن

* السور هي: البقرة 223، 249، الأنعام 55، 57، 97، 98، 114، 119، 126، 154، الأعراف 32، 52، 133، 145، 174، التوبة 11، يونس 5، 24، 37، هود 1، يوسف 94، 111، الرعد 2، الإسراء مرتين 12، الحج 17، الزم 28، لقمان 14، السجدة 25، الصافات 21، ص 20، فصلت 3، 44، الثوري 21، الدخان 40، الأحقاف 15، الممتحنة 3، المعارج 13، المرسلات 13، 14، 38، النبأ 17، الطارق 13.

¹. مفتاح العلوم، ص: 459.

². ينظر: البلاغة العالية، عبد المتعال الصعيدي، ص: 106 وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، الصعيدي، ط8، مكتبة محمد علي، 2/ 62.

³. مفتاح العلوم، ص: 459.

⁴. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 24، 25.

⁵. الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 151.

⁶. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، 1914م، 3/ 305.

يعقوب المغربي عقّب على تعريف الخطيب بقوله: (وظاهر تعريفهما أنّهما أعني الفصل والوصل لا يجريان في المفردات، واتّحاد شرط العطف وعدمه في المفردات والجمل يقتضي تساويهما في جريان الفصل والوصل)¹، أي أنّ عبارة الخطيب تشعر بأنّ الفصل والوصل مختصّان اصطلاحاً بالجمل، ومقتضياتهما جارية على المفردات أيضاً، فلا ينبغي التّخصيص اصطلاحاً لكي لا تكون المفردات بمعزل عن الفنّ البلاغي، كما أنّ الجمل التي لها محلّ من الإعراب تعامل كالمفرد في الحكم².

ويتفق شرف الدّين الطّيبي مع الخطيب في تعريفه بقوله: (هو ترك العاطف بين الجمل وذكره)³، فقد قصر الفصل والوصل على الجمل دون المفردات.

وعرّف عبد الفتّاح لاشين الوصل بأنّه عطف بعض الكلام على بعض، والفصل ترك هذا العطف، على اعتبار أنّ الكلام أشمل من الجملة، وبذلك يشمل المفردات والجمل معاً⁴، وهذا الرّأي قال به أيضاً عبد القادر حسين، فالفصل والوصل عنده يكون بين المفردات والجمل، وأشار إلى أنّ عبد القاهر حين عرض لهما في الجمل جعل الحديث عن المفردات مدخلاً للحديث عن الجمل، وأنّه ركّز حديثه على الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، لأنّ الإشكال يقع فيها، أمّا الجمل ذات المحلّ الإعرابي فلا إشكال فيها، إذ تعامل كالمفرد، وأنّه لم يصرّح ولم يلمّح إلى ما يدلّ على نفيهما عن المفردات، وبهذا يعدّ تعريف الخطيب فيه شيء من القصور، و(ينبغي أن يكون تعريف الوصل: عطف بعض الكلام على بعض، والفصل تركه)⁵، باعتبار الكلام أعمّ من الجملة، وأنّه يشمل المفردات والجمل، غير أنّ سعد الدّين التّفّازاني يجعل الجملة أعمّ من الكلام في تعليقه على كلام الخطيب: (وإنّما قال عطف بعض الجمل على بعض دون أن يقول عطف كلام على كلام ليشمل الجمل التي لها محلّ من الإعراب،

¹ شروح التّخخيص، مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، 4/3، 5.

² ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 24، 25.

³ التّبيان في البيان، تع: يحيى مراد، دار الكتب العلميّة، ط1، 2004، ص: 52.

⁴ ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 25.

⁵ أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 100، 101.

وذلك لأنّهم وإن جعلوا الكلام والجملة مترادفين، لكنّ الاصطلاح المشهور على أنّ الجملة أعمّ من الكلام، لأنّ الكلام ما تضمّن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، والجملة ما يضمن الإسناد الأصلي سواء كان مقصوداً لذاته أو لا¹.

وللفصل في قضية الكلام والجملة، نورد رأي ابن هشام الأنصاري الذي يعدّ الجملة أعمّ من الكلام الذي ينبغي أن تحصل فيه الفائدة بالقصد، يقول: (اعلم أنّ اللفظ المفيد يسمّى كلاماً وجملة، ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه. وأنّ الجملة أعمّ من الكلام، فكلّ كلام جملة، ولا ينعكس)²، فالكلام عنده: (هو القول المفيد بالقصد. والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه. والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ والخبر كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما ... وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين)³، (والصواب أنّها أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمّعهم يقولون جملة الشّروط وجملة الجواب وجملة الصلّة، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام)⁴. وكذا فعل صاحب شرح الكافية: (فكلّ كلام جملة، ولا ينعكس)⁵، وعلى هذا يكون تعريف الخطيب (بعض الجمل) أشمل من تعريف لاشين، لتدخل الصلّة والصلّة ونحوهما.

وفي مقابل هذه التعريفات هناك تعريفات أخرى وصفت بالنظرة الضيقة، هي لعلماء متقدمين ومتأخرين، قالوا بأنّ هذا الباب يخصّ الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، ولا يأتي في المفردات ولا في الجمل التي لها محلّ من الإعراب، ولا يكون بغير الواو، لأنّ الأمر في عطف المفردات والجمل ذات المحلّ الإعرابي؛ بالواو يقصد به التّشريك في الحكم، ولا بدّ من ذكر الواو أو تقديرها، وإلا حمل الكلام على الإضراب لا على العطف، وهو عطف نحوي لا يتوقّف على الجامع البلاغيّ المعتبر بينهما، ولا يأتي بغير الواو لأنّها الأداة التي تخفي الحاجة

¹ المطوّل على التلخيص، مطبعة الحاج محرم، 1310، ص: 247.

² الإعراب عن قواعد الإعراب، ص: 35.

³ مغني اللبيب، 2/ 431.

⁴ المصدر السابق، 2/ 431.

⁵ شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمّد الحفظي، ق1، ج1/ 18.

إليها، فهي لا تدلّ إلاّ على مطلق الجمع والاشتراك، ويتطلّب فهم العطف بها دقّة في الإدراك، وهذا الأمر يجعلها مظنةً للبس ومدعاة للوهم، ولهذا كانت العناية بها دون غيرها في باب الفصل والوصل خاصّة بين الجمل التي لا محلّ للمعطوف فيها من الإعراب، في حين تأتي الحروف الأخرى لمعانيها المعروفة في النّحو، إذ تدلّ على العطف مع معان زائدة كالترتيب والتّعقيب في الفاء، والترتيب مع التّراخي في ثمّ، والغاية في حتّى والاستدراك في لكن، والإضراب في بل، والتّفني في لا، والتّخيير في أو، فالعطف بوحدة منها يظهر الفائدة ويسهل إدراك موطنها¹، ولا تفيد ما تفيد الواو من معنى الوصل، فقد يعطف بها ولو لم يوجد معها الجامع المعتبر، بينما الواو تفيد هنا معنى غير ما تفيد في النّحو، فلا حكم بين الجملتين اللّتين تصل بينهما الواو حتّى يمكن القول إنّها تفيد التّشريك بينهما في هذا الجامع، فهي في هذا أداة وصل لا غير، وهذا المعنى لا يفيد غيرها، وهذا مذهب عبد القاهر وكثير من المتقدّمين²، وتبعهم في ذلك علماء المعاني المحدثين الذين عرفوا الوصل بأنّه عطف جملة على أخرى بالواو فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفعا للبس يمكن أن يحصل، والفصل ترك هذا العطف لأغراض بلاغيّة³، ومن شواهدهم على الوصل قول المتنبّي:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجٌ سَابِحٌ وَخَيْرٌ جَلِيْسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ⁴

ومن شواهدهم على الفصل قول أبي العتاهيّة:

الفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الكَفَافَا مَنِ اتَّقَى اللهَ رَجَا وَخَافَا

¹. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 155/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ص:

118/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، حسن طبل، مكتبة الإيمان المنصورة ط2، 2004م، ص: 182، 183.

². ينظر: البلاغة العالیّة، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 104، 106.

³. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 155/ والكافي في علوم البلاغة العربيّة، المعاني . البيان . البديع،

عيسى علي الكاعوب وعلي سعد الشّيتوي، الجامعة المفتوحة، 1993م، دط، ص: 298/ والبلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن

عبّاس، ص: 392/ وبلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 163.

⁴. ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، 1983م، دط، د ت، ص: 479.

ومن تعريفات المحدثين التي جمعت بين ما سبق، تعريف صباح عبيد درّاز؛ يقول: (الوصل بالواو يعني عطف المفردات بعضها على بعض، وعطف الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وتقع موقع المفرد، والجمل التي لا محلّ لها من الإعراب)¹، ويفهم من كلامه أنّ الفصل والوصل يتعلّق بالمفردات والجمل ولا يكون إلّا بالواو، ويذكر أنّ عبد القاهر والخطيب القزويني وشراح التّليخيص ساروا على هذا الدّرب، وفي المقابل يوجد حشد من العلماء عالّجوا هذا الفنّ بين المفردات والجمل بالواو وبغيرها من حروف العطف، ومنهم السّكاكي وابن الأثير والسّهيلي والزّمكاني والعلوي والزركشي والسّيوطي، والرّازي وغيرهم، ويعلّق بعد ذلك بأنّ الفصل والوصل بغير الواو لا يظهر ذوق اللّغة وعبقريّتها²، فهذه الحروف بمعانيها التي تقتضيها المقامات وسائل ربط أمرها بيّن غير مشكل، أمّا الواو التي هي لمطلق التّشريك والجمع في الحكم فهي تحتاج دقّة لمعرفة أسرار الكلام في ذكرها أو حذفها³.

والملاحظ على تعريفات القدماء والمحدثين للمفهوم الاصطلاحي للفصل والوصل، أنّ تعريفات البلاغيّين المحدثين أدقّ وأكثر قربا لروح البلاغة العربيّة، وهذا في إطار سعيهم لتخصيص هذا الموضوع بالبلاغة وإبعاده من النّحو، لإعادة جانب الاختصاص لكلّ علم، وقد اقتصرنا في بحثهم على عطف الجمل لأنّ في عطفها تكمن الدّلالات البلاغيّة الخفيّة، وليس في المفردات شيء من ذلك، فالأمر في عطفها أهون، وتحديد المغزى من عطفها في نسق معيّن وكشف دلالتها الفنيّة مرتبط ارتباطا جوهريّا بمقام التّعبير فقط، وهذا أمر يسير لا تكون وراءه دلالة فنيّة دائمة، ويعدّ أمرا جزئيّا، بينما تأصيل قواعد عامّة لهذا الباب بين الجمل عمليّة دقيقة وصعبة، واقتصرنا على الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، لأنّ هذه الجمل لا يوصل بينها بالواو؛ بدافع التّشريك في الحكم الإعرابي الذي للجملّة الأولى، كما هو في المفردات والجمل ذات المحلّ الإعرابي، وإنّما يتمّ لاعتبارات أخرى ترجع إلى الأفكار ومدى ترابطها أو

¹. أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، ص: 32.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 33.

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 17.

تباعدها، وإلى طرق الصّيّغة ومبلغ تماثلها أو تباينها، وهذه أمور دقيقة تتّصل بالبلاغة ونظم الكلام¹.

وبناء على هذا يكون تعريفهم هو الأدقّ، فيكون الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف².

وخلاصة القول إنّ الفصل والوصل ظاهرتان متقابلتان أولاهما البلاغيّون عناية كبيرة لغموض مسلكهما ودقّة الفروق بين مواضعهما، وعدم اقتصارهما على الجملة الواحدة، وارتباطهما بالمفردات والجمال بعضها مع بعض، ولهما وظيفة فنيّة في اللّغة³، ومدارهما ترك العاطف أو ذكره أو الاستئناف، بحسب ما بين الجملتين من ارتباط أو تباين، والأصل في هذا الفنّ هو تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل⁴، ومهما يكن من معنى (فإنّ ملاك الأمر فيهما حسن استعمال حرف من حروف المعاني، يضمّ به أجزاء الكلام بعضها ببعض، حيث يكون ذلك مطلوباً من أجل أداء المعنى على أحسن وأتمّ صورة)⁵، وذلك لا يعني أنّ قضيّة الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف ترك تارة ووجد تارة أخرى، بل هو أمر يتعلّق بالمعنى الذي لا يصلح إلّا بالوصل حيناً، وبالفصل آخر، والتهدّي إلى كنيّة إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها، فهو من القضايا المرتكزة على الدّوق البياني، لما له من صلة بالمعنى⁶، ولذلك يقتضي مناسبة تجمع بين المتعاطفين، ومناحي ربط بين المعاني، وتداعيات عقليّة وخياليّة ووهميّة، واهتمامات نفسيّة، ومعطيات البيئة وعاداتها في صناعة الكلام، والمناسبة المسوّغة لعطف جملة على جملة والتي يجب أن تتوفّر في المسند والمسند إليه في الجملتين، كما تتوفّر في المتعلّقات، وقد اهتمّ البلاغيّون بضرورة التّناسب بين الجملتين

¹. ينظر: البحث البلاغي عند العرب، شفيح السيّد، ص: 206، 210، 212، 213.

². ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 29.

³. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 182/ والبلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 392.

⁴. ينظر: مفاتيح العلوم، السكاكي، ص: 459.

⁵. الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص: 27.

⁶. ينظر: البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 392، 394/ وجواهر البلاغة، السيّد أحمد الهاشمي، دار ابن

الجوزي، ط أ، القاهرة، 2010م، ص: 147.

ونبّهوا إلى ما خفي منها، واستعانوا بوجوه من المعرفة غير اللّغويّة والأدبيّة لإدراك خوافي نسق الكلام¹.

ونشير إلى أنّ قضيّة الفصل والوصل هي قضيّة ربط، وهذا ما ذهب إليه الرّمخشري؛ حيث يلفت إلى أنّ الفصل وصل تقديري خفي، وذلك قوله: (إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفيّ تقديري)²، وهو أقوى من الوصل الظّاهر بحروف العطف، وأبلغ منهما الاستئناف، والتنبّه إلى هذا الوصل الخفيّ باب دقيق من أبواب علم البيان، محاسنه كثيرة³.

2. العطف مدار الفصل والوصل:

أ. العطف بالواو:

العطف معنى نحوي وظيفي، وهو التّعليق أو الرّبط بين عناصر العبارة بإحدى أدوات العطف، والواو العاطفة في اللّغة العربيّة للرّبط بين المتعاطفين وللتّشريك في الحكم الإعرابي على إطلاقه، في الفاعليّة أو المفعوليّة أو غيرهما، فهي لمطلق الجمع من غير تقيّد بترتيب؛ فإذا قلنا: قدم زيد وعلي، فليس بلّازم أن يكون زيد قدم قبله أو بعده أو معه⁴، وهذا معنى قولهم: (معناها إشراك الثّاني فيما دخل فيه الأوّل؛ وليس فيها دليل على أيّهما كان أوّلا)⁵.

ومما تفيده المغايرة بين المتعاطفين تحقيقا وتزيلا، إذ لا يعطف الشّيء على نفسه، أمّا كون الفعل قد حدث بالتّساوي بينهما أو على قدر من الاختلاف والتّغاير؛ كقوله تعالى: "ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴿٢٨٥﴾ البقرة، فهذا خارج عن دلالة الواو ويفهم من السياق، إلّا أنّه يقدّم في الكلام ما هو أهمّ، وما هو بالبيان أعنى، وأساس العلاقة بين الواو والجمع؛ أنّ الواو مفهوم ذهنيّ لا وجود له خارج الدّهن، وفكرة الجمع والتّشريك ذهنيّة ليس لها

¹. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص ص: 329، 332.

². الكشّاف، 3/ 231.

³. ينظر: البلاغة القرآنيّة في تفسير الرّمخشري، محمّد محمّد أبو موسى، ص: 431.

⁴. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 344.

⁵. المقتضب، المبرّد، 1/ 148.

واقع زمنيّ في الخارج، بخلاف الفاء أو ثمّ، فهما واقع ذهني وواقع زمني خارجا، والقول بأنّ الواو لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا لا يعني أبدا أنّها تأتي في أساليب لا ترتيب بين أحداثها، وهذا التّرتيب بين الألفاظ أو الجمل في القرآن الكريم يخضع لموازن دقيقة وأسباب قويّة، إذ تقديم الكلام في اللسان على حسب تقدّم المعاني في النّفس والجنان، والمعاني تتقدّم بأحد خمسة أشياء: بالزّمان ك(عاد وثمود)، و(الظلمات والنور)، أو بالطّبع ك(مثنى وثلاث ورباع)، أو بالرتبة ك: "...يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ... ﴿١٧٧﴾ الحجّ، فرجالا يأتي من مكان قريب وعلى الضامر يأتي من مكان بعيد، أو بالسبب كقوله تعالى: "...إِنَّ اللَّهَ تَحِبُّ التَّوَابِينَ وَحُبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿١٧٧﴾ البقرة، لأنّ التّوبة سبب في الطّهارة، أو بالفضل والشرف والكمال؛ كتقديم السماء على الأرض؛ كقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴿١٧٦﴾ البقرة، ، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الفكر بأحد هذه الأسباب أو بأكثرها سبق اللفظ الدالّ عليه، وكان التّرتيب بحسب ذلك، وربّما كان التّرتيب بحسب الخفة والنّقل لا بحسب المعنى، كقولك: ربيعة ومضر؛ مع أنّ مضر أفضل، وقد يجتمع أكثر من سبب ويقدم إحداها لاقتضاء المقام، فقد يتخلف التّرتيب الزمّني في آيات جاءت فيها الواو؛ كقوله تعالى: "...وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٣٢﴾ آل عمران، والركوع قبل السّجود بالزّمان والرتبة والعادة، ولكنّ السّجود أفضل، ولم ينقل أنّ شرعهم كما يقول الزّركشي مخالفا لشرعنا في ذلك، وأيضا ليس المقصود ب(اركعي) مجرد الركوع، بل مجموع الصّلاة، وكذلك اسجدي، وإنّما أراد ب(اسجدي) صلاتها لوحدها في بيتها، وهي أفضل للمرأة، والسّجود أفضل حالات العبد، وأراد بالركوع صلاتها في المسجد وهو دون السّجود في الفضيلة، ودلّ على ذلك قرانه الركوع مع الرّاكعين¹.

¹. ينظر: نتائج الفكر في النّحو، السّهيلي أبو القاسم عبد الرّحمان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1، 1992م، ص: 208 . 212/ والتّبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزّمّلكاني، تح: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1964م، ص: 151/ والبرهان في علوم القرآن، ص: 1190.

وإذا رجعنا إلى هذه الأسباب وجدناها ترجع إلى العقل كالسّبق والعلّة، أو خفة اللفظ على اللّسان، أو رعاية للفاصلة أو للاشتقاق، ولا بدّ أن يكون معها سرّ بلاغيّ، فمعظم الأسباب راجع إلى نواح فنّيّة بلاغيّة كالتّعظيم والشّرف والاهتمام والتّرقّي والتّحذير والتّخويف والحثّ والتّعجيب، وغير ذلك من الأسرار الجماليّة¹، والكلام هنا في العطف بالواو أو عدم العطف بها، يتضمن المقاصد التي يريد المتكلم التعبير عنها والدلالة عليها².

ب. شروط تحقّق العطف:

لا يتحقّق معنى العطف إلّا في اجتماع شرطين معاً؛ بيسرّان فهم مواضع الفصل والوصل؛ هما³:

الاتّصال: فلا عطف إلّا إذا كانت هناك علاقة تبرّره بين المعطوف والمعطوف عليه، فلا نقول: نجح محمّد وعليّ، إلّا إذا كان بينهما علاقة تبرّر اشتراكهما في معنى النّجاح، كأن يكونا أخوين أو زميلين، فإذا تباين الطّرفان يكون العطف غير جائز.

المغايرة: فلا يتصوّر العطف دون أن يكون لكلّ من الطّرفين وجوده المستقلّ، إذ لا يعطف الشّيء على نفسه، ولا على ما قويت علاقته به، كعلاقة الصّفة بموصوفها فلا يصحّ عطفها. ومن خلال الشرّطين نفهم مواضع الفصل والوصل، حيث يكون الفصل في المواضع التي تمثّل خروجاً على أحد شرطي الاتّصال والمغايرة، ويكون الوصل حيث يتحقّق الشرطان.

والعطف في البلاغة عند السّكاكي يعتمد معرفة أصول ثلاثة هي⁴:

/ الموضوع الصّالح له من حيث الوضع.

/ أن تكون له فائدته كمشاركة المعطوف المعطوف عليه في المعنى.

¹. ينظر: نتائج الفكر، السّهيلي، ص: 208 . 212/ وابن الزّمكاني، التّبيان، ص: 151.

². ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني عبد الرّحمان حسن حبنّكة، دار القلم، ط1، 1996م، 1/ 578.

³. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 184.

⁴. ينظر: مفاتيح العلوم، ص: 459، 460، 462.

/ أن يكون مقبولاً لا مردوداً، بأن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة.

ج . الواو بين التشريك والربط:

تعطف الواو بين المفردات أو الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وتفيد التشريك في الإعراب ومطلق الحكم، وحينئذ تكون علاقة الإعراب بمثابة المناسبة، وتكون الحاجة إلى الواو ظاهرة، مع ملاحظة الجامع الذي يجوز القران، وذلك ضروريّ لصحة الكلام وتلاؤمه؛ كقوله تعالى: "...وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... ﴿١٤٦﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... ﴿١٥١﴾ البقرة، فجملة "يَتْلُوا عَلَيْكُمْ" في محلّ نصب نعت ثانٍ لـ(رسولاً)، وجملتنا "وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ... ﴿١٥١﴾ معطوفتان على جملة (يتلو) في محلّ نصب، وتأتي الواو بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، فلا تفيد ذلك التشريك، بل تأتي لمجرد الربط، ويطلق عليها واو الاستئناف والقطع والابتداء، كقوله تعالى: "فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا... ﴿١٧٧﴾ آل عمران، جملة "وَمَنْ دَخَلَهُ" استئنافية لا محلّ لها من الإعراب، والواو استئنافية¹، ويرى الزركشي أنّ الواو لمجرد الربط، لئلا يتوهم أنّ ما بعدها معطوف على ما قبلها، مع وجود جامع وتلاؤم يجعل الأسلوب بلاغياً فنياً²، على أنّ فكرة التشريك تكون في أصل الوصف في عطف المفردات، وهي فكرة دقيقة لا تتصل بالصورة المنطقية للعبارة في كلّ حال، بقدر ما تتصل بإيحائها الفني والجمالي، فليس كلّ مشاركة لفظية تقتضي معنى المساواة فيها؛ فنحن نقول: الله ورسوله أعلم، مع تقديرنا للفرق بين علم الله تعالى وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإنّ العطف هنا لا يفيد معنى التشريك المطلق، فهو تشريك في عموم العلم لا خصوصه، على سبيل الاشتراك المعنوي، فمن البديهيّات تفاوت العلمين، بل استمداد علم الرسول صلى الله

¹ ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 1/ 308، و2/ 254.

² ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 50/ والبرهان في علوم القرآن، ص: 1190.

عليه وسلّم من علم الله تعالى، وذكر لفظ الجلالة في هذا الأسلوب للتأييد والتشريف، وقد يتجاوز العطف فكرة التشريك في الحكم إلى أغراض بلاغية دقيقة، تكشف عن معاني خبيئة، وتفرغ الكلمات من مضموناتها على غيرها، ومن ذلك أنّ العطف بين المتباعدين في المنزلة قد يفرغ من أعلاها على أدناها فيستشرف إلى منزلته، وقد يؤتى المعطوف عليه لهذا الغرض خصوصاً؛ وأنه ليس مقصوداً بالحكم الواقع عليه¹.

وشبيه بهذا العطف على لفظ الجلالة وأسمائه الحسنی؛ كقوله تعالى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ" ... ﴿١٨﴾ آل عمران، فالعطف هنا يجب أن يفهم في إطار غير فكرة التشريك المطلق في الحكم، فشهادة الله تعالى تختلف عن شهادة الملائكة وأولي العلم، وشهادة الملائكة تختلف عن شهادة أولي العلم².

3 . الوصل والفصل بين المفردات والجمل:

أ . الوصل بالواو بين المفردات في القرآن الكريم:

الوصل بالواو بين المفردات له بلاغة كالبلاغة بين الجمل، وأمرها في الأغلب غير مشكل، والمفسرون سباقون إلى التعرّف على أسرار الوصل والفصل بين المفردات والجمل في النسخ القرآني، وقد أوفى على الغاية الإمام الرّازي واستفاض بتوضيحه، وعنه أخذ النّيسابوري وأبو السّعود والبيضاوي والبقاعي، وتحدّث العلوي في كتابه الطّراز عن عطف الصّفات الإلهية وفصلها، وكذلك تحدّث المفتاح والمثل السائر ونتائج الفكر والتّبيان، والحواشي والتّقارير كتقرير الأمبائي، ومؤلفات علوم القرآن ومنها الإتيان للسيوطي والبرهان للزركشي تحدّثوا عن عطف المفردات³، فذكروا أنّ المفردات إما أن تكون أسماء أو صفات، وأنّه في القرآن الكريم قد تعطف صفة على أخرى، أو مجموعة من الصّفات على مجموعة أخرى، وقد تتوالى دون عطف، وقد

¹ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 50، 51/ ودلالات التراكيب، محمد محمد

أبو موسى، ص: 276، 277، 285/ وبلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبيّة، عفت الشّرقاوي، ص: 60.

² ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبيّة، عفت الشّرقاوي، ص: 61، 62.

³ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 33.

يجيء في الجملة أخبار مفردة متكاملة لمبتدأ أو لما أصله مبتدأ، وهي بقوة الخبر الواحد، فتأتي دون عطف، ويجوز عطف بعضها على بعض إذا اقتضى ذلك غرض بلاغي يدلّ عليه العطف، وإذا عطف اسم على اسم أو أكثر فلا بدّ أن يكون بينهما مناسبة ومغايرة لتبرير اشتراك الثّاني في حكم الأوّل¹.

أ. 1. عطف الصّفات والأخبار:

الظاهر في الصّفات والأخبار، والأحوال أيضا لأنّها صفات في المعنى، أن لا يعطف بعضها على بعض لاتّحاد محلّها، وللتأكيد على أنّ كلّ واحدة منها كافية للغرض، لأنّها تجري مجرى الموصوف الذي يتعيّن بعدد من الصّفات أو ببعضها، أو لا يحتاج إلى تعيين، فيذكر ما يعينه دون توسّط حرف عطف وهو الأصل، لئلا تكون من عطف الشّيء على نفسه، لأنّ العطف يقتضي المغايرة بين المعطوفين، وقد تأتي معطوفة إذا اقتضى غرض بلاغيّ، فإذا كانت هذه الصّفات لله تعالى جاءت غالبا متواليّة دون عطف، إشارة إلى وحدتها ودلالاتها على الذات التي لا تتعدّد؛ كقوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ الفاتحة، وقوله تعالى: "...إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ البقرة، وقوله تعالى:

"...وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ آل عمران، ولم تأت الواو في معرض أسماء الله الحسنى إلا في

مواطن²، الأوّل في قوله تعالى: "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾

الحديد، جاءت بالواو لأنّها متضادّة المعنى في أصل وضعها لا تجتمع في ذات واحدة من وجهة واحدة، فالشّيء الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من وجه واحد، ورفعا للتناقض وصرفا لتوهم المخاطب المحال في اجتماع الأضداد في ذات واحدة؛ كان العطف هنا أحسن، والثّاني قوله

تعالى: "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٧﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي

¹ ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 564، 565.

² ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صبايح عبيد دراز، ص: 73/ ونتائج الفكر في النحو، السّهيلي، ص:

أَطْوَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠٠﴾ غافر، لم تأت الواو بين الصّفات لاجتماعها في موصوف واحد، وهي صفات وافقت الذات المقدّسة في القدم، وتدلّ عليها، فجرت مجرى الأسماء المترادفة، أمّا الواو بين: "عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ" لأنّ (غافرا وقابلا) فعله في غيره لا في نفسه، فدخل حرف العطف المغاير بين المعنيين، وإفادة الجمع بين رحمتين للمذنب التائب، فالوصفان يعالجان صفة رحمة الله تعالى الواسعة، ثناء عليه وحثّا على التّوبة، وتنبية العباد على أنّه سبحانه يفعل هذا وهذا ليرجوه ويأملوه¹، وإزالة احتمال المطابقة بين غفران الذّنب وقبول التّوبة، وحتّى لا يقع في خاطر إنسان أنّه لا معنى لكونه غافر الذّنب إلّا كونه قابل التّوب، فلمّا ذكر الواو زال هذا الاحتمال، لأنّ عطف الشّيء على نفسه محال، وقوله: "ذِي أَطْوَلَ" يراد به ذاته، فلذلك جاء دون عطف².

والصّفات البشريّة أيضا جاءت بالواو وبدونها؛ كقوله تعالى: "... أَلصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٧٧﴾ آل عمران، جاءت الواو فيها لأنّها ليست في معنى واحد، فنزل تغاير الصّفات منزلة تغاير الذات، ويرى الرّمخشري أنّ الواو هنا تدلّ على كمالهم في كلّ واحدة منها، كما جاءت متواليّة دون واو؛ كقوله تعالى: "التَّيِّبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴿١١٢﴾ التّوبة، توالت الصّفات دون عاطف لاجتماعها والتّفائها في موصوف واحد، دون قصد الاستقلال في الصّفة، ومجيء الواو بين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، دلالة على أنّ المتعاطفين بمنزلة واحدة فحسن العطف، أو لما بينهما من مضادّة؛

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 281/ ونتاج الفكر في النّحو، السّهيلي، ص: 188/ وتفسير

الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفتاح الغيب، الرّازي محمّد فخر الدّين، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان، 1981م، 27/ 28، 29.

² ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 38/ والتّبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الرّمكاني، ص: 130، 131/، البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 565 . 566.

فالنّهي يراد به منع الفعل وإبقاؤه على العدم، والأمر يراد به إيجاد الفعل، والعدم والوجود متضادّان لا يجتمعان، ويرى الرّازي أنّ إدخال الواو تنبيه وإشارة إلى ما في ذلك من معنى المشقّة والجهاد في الأمر والنّهي وما يترتّب عليه نفسيّاً وسلوكيّاً، أمّا قوله تعالى: "وَالْحَافِظُونَ حُدُودِ اللَّهِ" بالعطف لبيان استقلالهم بالصفة¹.

ومما سبق نفهم أنّ العطف يكون ضروريّاً في الاختلاف البيّن الذي لا يمكن معه الاجتماع؛ كاختلاف الجنس في المؤمنين والمؤمنات، وتقابل الدّالة بالتّضاد كالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، أو لتوهّم معنى غير مراد لو سقطت الواو، وفي غير ذلك جاءت الصّفات بالواو وبدونها²، وعدم مجيء الواو في تعداد الصّفات يشير إلى أنّ هذه الصّفات تلاقت من داخلها وشكّلت صفة واحدة؛ من غير إشعار بأنّها صفات متغايرة في الواقع، وهو سرّ حسنها؛ كقولك: هو قائم قاعد، كأنّه يقوم في حال القعود، فإذا قلت: قائم وقاعد، لم يكن ذلك الحسن؛ لأنّه على التّعاقب، ومجيء الواو يعلن بتغاير هذه الصّفات واستقلالها، وأنّ ما يجمعها شيء خارج عنها وأنّ بينها فرقا لطيفاً³.

ونشير إلى أنّه قد يخالف في الإعراب عند عطف الصّفات، لغرض التّفنّن في الكلام في معرض المدح أو الذّم، ويحمل الكلام على القطع، على أنّه في هذه الحالة قد تصبح هذه المفردات في حكم الجمل، فالقطع على الرّفيع يعني كونها أخباراً ويقدر لها مبتدأ، والقطع على النّصب بتقدير فعل عامل؛ كقوله تعالى: "...وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثْنَاهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبٰسَاءِ وَالضَّرَآءِ وَحِينَ الْبٰسِ ... ﴿١٧٧﴾ البقرة، نصب "الصّٰبِرِينَ" وهو معطوف على مرفوعات نصبا على الاختصاص، وقد ذكرنا هذا في الفصل النّحوي، فلا نعيد الكلام فيه.

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 39، 40/ والتّبيان في علم البيان المطلع

على إعجاز القرآن، ابن الرّمكاني، ص: 130، 131/ وتفسير الفخر الرّازي، 16/ 210.

². ينظر: : أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 41.

³. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 284.

أ. 2. عطف المتقاربات دلالة:

الأصل في العطف أن لا يعطف الشّيء على نفسه، لذلك الصّفات المتقاربة المعنى لا تعطف، لأنّ حروف العطف بمنزلة تكرار العامل ويلزمه تغيّر المعمول، وقد تجيء معطوفة وليس بينها مضادّة، وذلك لمعنى زائد في اللفظ الثّاني، فيشبه ذلك تغيّر اللفظتين بتغيّر المعنيين، فيعطف أحدهما على الآخر، كما فعل بأشياء أضيف فيها الشّيء إلى نفسه لتغيّر اللفظتين¹، كقوله تعالى: "وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥١﴾ البقرة، و(الفرقان) يطلق على كتاب الشريعة وعلى المعجزة وعلى نصر الحقّ على الباطل، وجاء بالعطف لزيادة معنى في الثّاني، لئلا يلزم عطف الصّفة على موصوفها إن أريد بالفرقان الكتاب الفارق بين الحقّ والباطل، والصّفة لا تعطف على موصوفها، وقوله تعالى: "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ... ﴿١١٤﴾ البقرة، و(الحكمة) العلم بالله تعالى ودقائق شرائعه، وهي من معاني الكتاب، وعطف الحكمة على الكتاب يقتضي شيئا من المغايرة بزيادة معنى، وقوله تعالى: "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ... ﴿٨١﴾ يوسف، فالبتّ: الهمّ الشديد، والحزن: الأسف على فائت، فبين الهمّ والحزن العموم والخصوص، فقد كان يعقوب عليه السّلام مهتما بالتفكير في يوسف، وكان أسفا على فراقه²، وقد عدّها الزركشي (794هـ) والسيوطي من المترادفات أو ما هو قريب منه في المعنى، والعطف بينها للتأكيد، ولم يعدّها المبرد والعسكري وغيرهما من المترادفات، إذ لا يعطف الشّيء على نفسه، وإذا كان هذا في اللّغة من باب الاتّساع فهو في القرآن مرفوض، فالبتّ يختلف عن الحزن، فلكلّ كلمة دلالة خاصّة، والمعروف عند علماء البلاغة والنحو أنّ أداة العطف تقتضي التّغاير بالذّات إن توسّطت بين الذّوات، وتغايرا في المفهوم إن توسّطت بين الصّفات، وذكروا أنّ عطف المكرّر إن لم يحمل على التّغاير الحقيقي حمل على التّغاير التّنزيلي؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ"

¹ ينظر: السّهيلي، نتائج الفكر في النّحو، ص: 186.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 502، 723، و13/ 45.

وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَنِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ آل عمران، وبذلك قال الزمخشري والرازي وأبو حيان والسبكي وغيرهم، و"أصطففك" الأولى: حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة، و"أصطففك" الثانية على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء¹، وذكر ابن عاشور أنّ الاصطفاء الأول ذاتي، وهو جعلها منزهة زكية، والثاني بمعنى التفضيل على غيرها².

أ. 3. الأسرار الفنية البلاغية في ذكر الواو وحذفها:

ذكرت الواو غالباً في نسق الصفات وهو الأصل إذا لم يمنع مانع، كقوله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ" ... ﴿١٢٤﴾ آل عمران، كما جاءت بين الجنسين لزوماً لاختلافهما، ولم تذكر في المقامات التي تقتضي كمال المدح أو كمال الذم أو غيرهما لاتحاد محلها، فترك الواو دلالة على التلازم واجتماع الصفات وتوحيدها في الموصوفات، كقوله تعالى: "...طَهَّرَآ بَيْتِي لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" ﴿١٢٥﴾ البقرة، ذكرت الواو بين (الطائفين والعاكفين) لأنهم أصناف من المتعبدين وهي صفات اجتمعت في طائفة أو طوائف في الكعبة، ولم يعطف السجود على الركع لأن الوصفين متلازمان، ولو عطف لتوهم أنهما وصفان مفترقان، ومثله آية التوبة السابقة؛ فقد جاءت صفاتهم بحذف الواو في إيقاع نحس فيه جمالا وثناء وتكريما، واجتماع هذه الصفات النادرة نبع ثر لكل خير وكل وصف جليل، ولذلك أمر الله تعالى نبيه أن يبشّرهم في ختام الآية في قوله تعالى: "وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"، بإظهار وصفهم دون ضميرهم إشادة بهم، وصفات الذم تأتي غالباً بالواو كقوله

¹. أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 48، 49، 50/ التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزمكاني، ص: 130، 131/ والكشاف، 1/ 557.

². ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 3/ 244.

تعالى: "الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (التوبة، وعلى هذا ففيما جاز فيه ذكر الواو وتركها تركت لمقتضى المقام ومدحا وترغيبا، وذكرت في النّقابل بين الأمر والنهي أو في دفع وهم غير مراد لو حذف، فيكون ذكرها اقتضاء لغويا بلاغيا، وقد علّل الرّازي بأنّ الواو تحذف في ما كان من الصّفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه، وتأتي في النهي عن المنكر وهو من أصعب العبادات ويتعلّق بغيره، تنبيهها على ما فيها من مشقّة ومحنة¹.

وعليه تأتي الصّفات متواليّة مجتمعة دون عاطف في القرآن الكريم في المقامات التي تقتضي الكمال في الوصف مدحا أو ذمّا، أمّا صفات الله تعالى فالأغلب إتيانها متواليّة دون عاطف إلا ما اقتضى الوضع اللّغويّ من عطف المتغايرات أو المتقابلات².

وفي عطف الأسماء والأخبار أسرار بلاغيّة تحتاج إلى تمعّن وتدبّر لمعرفة، من ذلك قوله تعالى: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ" (آل عمران، عطف على النّساء والبنين وهم من جنس البشر، الذهب والفضّة وهي من جنس المعادن، والخيول والأنعام وهي من جنس الحيوانات، والمناسبة حاصلة بين الجميع، والتّغاير واضح بينها من دلالة كلّ معطوف على ذاته، واجتماعها في كونها من الشّهوات التي تُزَيّن في أفئدة بني آدم، وقدم النّساء تنبيهها على أن لا مشتهى يغلب على العقول مثلهنّ، وعقب بالبنين لما كانوا ممّا يلي النّساء في الرقّة والرّحمة، ومشاركتهنّ في الخلقة، وأردف بالأموال لما يحصل فيها من لذّة وسرور وقوّة، ثمّ عقب بذكر الخيل لما يحصل بينها من الجمال والهيبة الحسنة والقوّة، وأردفها بالأنعام لما

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 41، 42، 45/ وتفسير التّحرير والتّنوير، 712، 713.

². ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 46، 48.

يُحصل فيها من المنافع وأتبعها بالحرث، فكلّ واحدة من هذه الأشياء مرتبة في السّبق على قدر الجمال والمنفعة¹.

أ . 4 . وصل المفردات في سورتي البقرة وآل عمران:

يُجد المتمعّن في هاتين السّورتين الكريمتين أنّهما اشتملتا على عدد كبير من المفردات التي عطف بعضها على بعض بواسطة حرف عطف، أو بدونه، والعطف بحرف العطف (الواو) كان الأكثر، ويُجد أنّ الإتيان بدون حرف العطف أقلّ من العطف بالواو، ونركّز حديثنا على العطف بالواو فقط، لأنّ الإشكال يقع فيها، أمّا الحروف الأخرى فلا إشكال فيها وقد تمّ عرضها في الفصل التّحوي، فلا نكرّر الحديث عنها.

ونختصر الكلام على بعض الآيات لاستخراج الجامع بينها؛ ومن ذلك قوله تعالى: "خَتَمَ

اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ... ^ط البقرة، وقع عطف المفردات بين القلوب والأسماع،

والجامع كونهما جزءاً من الإنسان، وبهما يكون الوعي والإدراك، والختم يكون عليهما، وقوله

تعالى: "أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... ^ط البقرة، عطف بين الظلمات والرعد

والبرق، والجامع بين البرق والرعد تلازمهما في الذّهن معاً، والعطف على الظلمات لجامع بينها

هو الخوف منها والله أعلم، وقوله تعالى: "... فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... ^ط

البقرة، والجامع بين النَّاسِ والحجارة كونهما يوم القيامة وقود للنّار، وقوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ... ^ط البقرة، عطف بين السّماء والأرض وهما يجتمعان في

الذّهن، وبينهما شبه تضادّ، فالسّماء في العلو والأرض في السّفلى، وقوله تعالى: "... بِشِيرًا

وَنَذِيرًا ... ^ط البقرة، وقع العطف بينهما والجامع هو التّضادّ، وقوله تعالى: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى

الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ... ^ط البقرة، عطف الفرقان على الكتاب مع أنّ الفرقان هو الكتاب، لكن

¹ ينظر: كتاب الطراز، العلوي، 3/ 213، 314.

عطف لزيادة معنى، وهو من باب تغاير الصّفات والأسماء، وقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ ... ﴿١٦٤﴾ البقرة، والجامع بين هذه المتعاطفات كونها تشكّل آية عظيمة من آيات الله تعالى، بها يتبين العقل عظمة الخالق وقدرته سبحانه، وكلّها ظواهر ذات فوائد عظيمة على الإنسان في حياته اليوميّة، حتّى أنّ المخيلة تستدعي ذكر المعطوف بعد ذكر المعطوف عليه¹، ومثلها قوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦٤﴾ آل عمران.

وقوله تعالى: "... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ... ﴿١٥﴾ آل عمران، الجنّات والأزواج نعيم الآخرة في مقابل نعيم الدنيا، وبهما تمام النّعيم، وعطف رضوان الله على ما أعدّ للذين اتّقوا، فهو يشترك معها في النّعيم، وهو تقريب روحانيّ، وأعظم من النّعيم المادّي، والله أعلم، وقوله تعالى: "أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ... ﴿١٦﴾ آل عمران، المغفرة جزاء لهم على إقلاعهم عن المعاصي، وعطفت عليها "جنّات" لأنّها خلصت لهم لأجل المغفرة، ويظهر الجامع في هذه العلاقة بين السّبب والمسبّب، وهي علاقة تضاييف، والله أعلم، وقوله تعالى: "هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦٨﴾ آل عمران، البيان هو الإيضاح، والهدى: الإرشاد إلى ما فيه خير، والموعظة: التّحذير، وكلّها تقود إلى النّجاح²، وهذا هو الجامع بينها والله أعلم.

¹ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص ص: 251 . 254.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، 3/ 184، و4/ 95، 98.

وقد وقع العطف بالواو بين المفردات في آيات كثيرة في سورتي البقرة وآل عمران؛ ونذكر هنا أرقامها، أمّا الواو في سورة البقرة فقد جاءت في الآيات:

7، 8، 9، 19، 20، 22، 24، 25، 26، 33، 36، 45، 53، 57، 61، 62، 64، 66، 68، 85، 97، 98، 102، 105، 106، 107، 115، 116، 117، 119، 120، 125، 126، 127، 129، 132، 133، 136، 139، 140، 142، 151، 153، 155، 157، 158، 159، 161، 164، 169، 171، 173، 175، 177، 180، 182، 185، 189، 196، 205، 210، 213، 214، 215، 219، 220، 221، 228، 232، 233، 234، 238، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 255، 262، 263، 264، 265، 266، 268، 274، 279، 282، 285.

وأما الواو في سورة آل عمران فقد جاءت في الآيات:

3، 7، 10، 14، 15، 17، 18، 22، 32، 33، 39، 41، 45، 48، 49، 51، 55، 56، 58، 61، 65، 67، 77، 79، 80، 81، 83، 84، 87، 96، 132، 133، 134، 136، 138، 147، 148، 157، 164، 171، 172، 174، 179، 180، 184، 186، 189، 190، 191، 195.

أ . 5 . الوصل بين المفردات بدون عاطف (الفصل):

وأكثر ما جاء في هذا الباب فهو من عطف الصّفات لموصوف واحد، وأكثرها وقع في صفات الله سبحانه وتعالى، وهناك صفات وأخبار وقعت في وصف المخلوقين من الملائكة والمؤمنين والكافرين، والجنّة ونعيمها، وجهنّم وعذابها، ومن الآيات التي وقع فيها الوصل بدون واسطة قوله تعالى في سورة البقرة: "إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" ﴿٢٢﴾، "إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿١٢٧﴾، "التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" ﴿٢٧﴾، "وَاسِعٌ عَلِيمٌ" ﴿١١٥﴾، "رءُوفٌ رَحِيمٌ" ﴿١٤٢﴾، "شَاكِرٌ عَلِيمٌ" ﴿١٥٨﴾،

"الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" ﴿١٧٢﴾ "غُفُورٌ رَّحِيمٌ" ﴿١٧٣﴾، "عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ﴿١٧٤﴾، "غُفُورٌ حَلِيمٌ" ﴿١٧٥﴾، "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ﴿١٧٦﴾، "الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" ﴿١٧٧﴾، "وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ" ﴿١٧٨﴾، "غَنِيٌّ حَمِيدٌ" ﴿١٧٩﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ﴿٢٠١﴾، "الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" ﴿٢٠٢﴾ "وَاللَّهُ غُفُورٌ رَّحِيمٌ" ﴿٢٠٣﴾ "وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" ﴿٢٠٤﴾ "وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" ﴿٢٠٥﴾.

وهذه الصِّفات لم تأت معطوفة بالواو لأنَّه يمكن الجمع بينها في موصوف واحد دون تضادٍّ، ولم يقع في السورتين ما يفيد معنيين متضادِّين، وقد وردت آيتان في سورة آل عمران في وصف أحد الرِّسل هما قوله تعالى: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ... ﴿١٣١﴾، وقوله: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ" ﴿١٥٩﴾.

ووردت ثلاث آيات في سورة البقرة في وصف الكافرين والإخبار عنهم؛ هي قوله تعالى: "صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ ... ﴿١٧٨﴾ البقرة، وقوله: "... فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين" ﴿٢٠٥﴾ البقرة، وقوله: "صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" ﴿١٧٦﴾ البقرة، وهي صفات لا تضادَّ بينها، فجاءت من دون واو مع جواز إتيان العاطف، ووصف في الشيطان: "... إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" ﴿١٣٨﴾ البقرة.

ونذكر في آخر هذا العنصر أرقام الآيات التي اشتملت على الفصل بين المفردات في سورتي البقرة وآل عمران، فأما أرقامها في سورة البقرة فهي: 18، 32، 37، 65، 69، 115، 127، 128، 129، 137، 143، 158، 160، 163، 168، 171، 173، 181، 182، 192، 199، 208، 209، 218، 220، 221، 222، 224، 225، 226، 227، 228، 235، 240، 244، 247، 255، 256، 260، 261، 263، 267، 268.

وأرقامها في سورة آل عمران: 2، 6، 18، 31، 34، 35، 62، 67، 73، 89، 121، 126، 155، 159.

هذا عن الرّبط بين المفردات (صفات كانت أو أسماء) بواسطة حرف العطف أو الرّبط بدونه، وندنقل إلى الحديث عن الرّبط بين الجمل، ونستهله بالحديث عن الجمل التي لها محلّ من الإعراب لشبهها بالمفردات، في وقوعها موقعه عند تأويلها.

ب . الوصل والفصل في الجمل:

ب . 1 . العطف بين الجمل باب الوصل والفصل:

هذا مبحث دقيق، ومسلك صعب، وهو صلب مبحث الفصل والوصل، يتعلّق بالمعاني، وخلصته أنّ الجملة المعطوفة حريّ بها أن تعطف على ما قبلها مباشرة؛ كقوله تعالى: "يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٤٦﴾ آل عمران، فهذه جمل

إنشائية عطف بعضها على بعض، ومثال عطف الجمل الخبرية قوله تعالى: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي

النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ

تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٤٧﴾ آل عمران، كما يجب مراعاة عدّة ضوابط في عطف جملة على جملة أخرى

تشبهها في التركيب؛ ليتحقّق اتّساقها وانسجامها، فنعطف الجملة الاسميّة على الاسميّة، والجملة

ذات الفعل المضارع على مثلها، وذات الفعل الماضي على مثلها، وهذا هو الأصل، وهو من

محسّنات الوصل، ومنه قوله تعالى: "...يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ البقرة، وقد يخالف هذا الأصل لحكمة بيانية

وغرض بلاغي، فتعطف الفعلية على الاسميّة، والماضي على المضارع؛ كقوله تعالى:

"...فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة، فمقتضى الظاهر أن يقال: فريقا كذبتهم وفريقا قتلتم،

ولكن لما كان القتل شيئاً شنيعاً عدل عن الماضي إلى المضارع، لأنّ المضارع استحضر

صورة الماضي، لتكون ماثلة أمام النفس، فتكون أكثر تأثيراً، وتكون النفس أكثر اشتمزازاً،

والماضي يدلّ على الحدوث، والمضارع يدلّ على التجدد، هذا هو المتبادر في عطف بعضها

على بعض¹، لكننا قد نجد الجملة معطوفة، فإذا أمعنا النّظر وجدنا أنّه لا يجوز عطفها على ما قبلها مباشرة، لأنّه يخلّ بالمعنى، وإنّما ينبغي أن تعطف على جملة سابقة للتي قبلها، حتّى يصحّ العطف²، وننظر مرّة أخرى فنجد أنّ بعض الجمل معطوفة على جمل لها محلّ من الإعراب فلا يشكل الأمر، لأنّ الإعراب يجوّز الجمع بينهما، ونجد أخرى معطوفة على جمل لا محلّ لها من الإعراب، فنسأل عن الجامع بينها حتّى جاز عطفها، ولهذا ربط كثير من علماء البلاغة الكلام عن الفصل والوصل بالجملة التي لا محلّ لها من الإعراب، ومن المناسب هنا أن نأخذ من التّحويين ما ذكره حولها، ليكون ذلك تمهيدا لكلام البلاغيّين عن مواطن الفصل والوصل.

ب . 2 . الوصل في الجمل التي لها محلّ من الإعراب:

تعطف جملة على جملة لها موضع من الإعراب فتشاركها في الحكم، والجملة التي لها محلّ من الإعراب هي التي يصحّ تأويلها بمفرد، ومحلّها كالمفرد الذي تؤوّل به، وإعرابها كإعرابه، والجملة التي لها محلّ من الإعراب سبع؛ هي: الواقعة خبرا، أو مفعولا به، أو مضافا إليه أو جوابا لشرط جازم، أو صفة، أو الواقعة حالا، أو التّابعة لجملة لها محلّ، فإذا عطفت جملة على جملة لها محلّ من الإعراب ظهرت الفائدة وهي إشراك التّانيّة في حكم الأولى، فتأخذ نفس الحكم، وتأويلها بالمفرد يسهّل معرفة الجامع والوصول إليه³، وقد جاء في سورتي البقرة وآل عمران الشّيء الكثير من الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وتتمثّل فيهما كلّ الأنواع؛ منها قوله تعالى في سورة البقرة: "وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾"، "أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴿٤٢﴾" واقعة خبرا للمبتدأ، "ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿٤٦﴾" مقول القول، "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴿٤٠﴾ مضافا إليه، "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ... ﴿١٢﴾" في محلّ جزم جواب الشرط، "وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾" واقعة نعتا.

¹. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عبّاس، ص ص: 445 . 446.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 442 . 444.

³. ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 567 . 569.

ومن أمثلتها في سورة آل عمران؛ قوله تعالى: "... وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
 اذْفَعُوا^ط ... ﴿١٧٧﴾ واقعة مفعولا به، "... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 ... ﴿١٥﴾ واقعة نعتا، "... مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ^ق ... ﴿١١﴾ مضافا إليه، "ذَلِكَ مِنْ
 أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ^ج ... ﴿٤٤﴾ واقعة حالا، "... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ^ب ﴿١٣﴾ واقعة خبرا لناسخ.

وقد سبق بيان هذه الأنواع في الفصل التّحوي فلا نعيد الحديث عنها ونكتفي بهذه النّماذج.

والبحت في الجمل التي لها محلّ أوسع من التي لا محلّ لها، لاختلاف أحوالها في التّركيب
 طولا وقصرا، وما يعنورها من تصاريف وقيود، فمنها الجمل الصّغيرة والمختصرة والطّويلة بسبب
 كثرة تعلقاتها، وقد تطول أكثر لأنّها تتكوّن من عدّة جمل متعاقبة، كأن تكون خبرا ؛ وفيها فاعل
 ومفعول، أو جار ومجرور، ثمّ يقيد هذا المفرد بجمله حال، أو استثناء أو شرط، وقد يتولّد منها
 ما له علاقة بأحد مكوناتها، فتذوب في تشكيل هذه الجمل الكبيرة مجموعة من الجمل الصّغيرة،
 وكلّ ذلك راجع لاختلاف أحوال ومقاصد الكلام، واختلاف أحوال المتكلّمين وطبائعهم في
 الإبانة عمّا في نفوسهم، ومدى تمكّنهم من أداتهم ونظامهم في تكوين الجمل، والبحث من هذه
 النّاحية يفتح الباب لدراسة بناء الجملة وإبراز الملامح المميّزة لها، والكشف عن الأحوال النّفسيّة
 والعقليّة لأصحابها¹، وقد ذكرنا هذه القيود في الفصل التّحوي فلا مجال لإعادتها.

ب . 3 . العطف بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب:

الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب تسع جمل؛ هي: الجملة الابتدائية، والاستئنافية،
 والتعليلية وقد تقترن بفاء التعليل، والجملة الاعتراضية، وصلة الموصول، والجملة النّفسية،
 والجملة الواقعة جوابا لقسم، والجملة الواقعة جوابا لشرط غير جازم، أو غير مقترنة بالفاء أو إذا
 مع الشرط الجازم، والجملة التابعة لجملة لا محلّ لها من الإعراب²، والعطف على هذه الجمل
 يشكل أمره، وهذا خاصّ بالواو التي لا تفيد هنا شيئا من اشتراك هذه الجمل في فاعلية أو

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص ص: 288 . 293.

² ينظر: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص ص: 572 . 577.

مفعوليّة، فهذا المعنى لا وجود له، ولكنّ وجودها له فائدة أخرى؛ هي أنّه لا يؤتى بها في هذه المواضع حتّى يكون بين الجمل مناسبة أو جهة جامعة¹.

وقد جاء في سورتي البقرة وآل عمران الشّيء الكثير من الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، وتتمثّل فيهما كلّ الأنواع؛ منها قوله تعالى في سورة البقرة: "وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ... ﴿١٢٢﴾ جملة: "لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ... لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، وقوله: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ تَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥٦﴾ جملة: "مَا يَوَدُّ الَّذِينَ...". استثنائية لا محلّ لها، ومثلها: "وَاللَّهُ تَخْتَصُّ.."، أمّا جملة: "كَفَرُوا" فصلة الموصول لا محلّ لها، وجملة: "وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ... لا محلّ لها معطوفة على جملة: "وَاللَّهُ تَخْتَصُّ"، وقوله: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ جملة: "إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" تعليلية لا محلّ لها، وقوله تعالى: "وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٨﴾ جملة: "اصْطَفَيْنَاهُ" لا محلّ لها جواب قسم مقدّر، و: "وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ" لا محلّ لها معطوفة على جملة جواب القسم، وقوله: "...وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ... ﴿١٢٩﴾ جملة: "وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" اعتراضية لا محلّ لها².

¹ ينظر: التّبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزّمكاني، ص: 132.

² ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 1/ 222، 225، 263، 267، 392.

ومن أمثلتها في سورة آل عمران؛ قوله تعالى: "كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾" جملة: "كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ" استئنافية لا محلّ لها، ومثلها: "وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ"، وجملة: "كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" تفسيرية لا محلّ لها، وجملة: "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ" لا محلّ لها معطوفة على جملة "كَذَّبُوا"، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢﴾" جملة: "إِنَّ الَّذِينَ" استئنافية، وجملة: "وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ" معطوفة عليها، وجملة: "أُوتُوا" صلة الموصول، وجملة: "جَاءَهُمُ الْعِلْمُ" صلة موصول حرفي لا محلّ لها، وجملة: "فَأَنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ..." تعليلية لجواب الشرط المحذوف، لا محلّ لها، وقوله تعالى: "... وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا... ﴿١٧﴾" جملة: "كَانَ ءَامِنًا" لا محلّ لها جواب شرط جازم غير مقترنة بالفاء، وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾" جملة: "عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ" لا محلّ لها جواب قسم مقدّر، وجملة: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ..." استئنافية تعليلية¹.

ولمّا كان الإعراب في جوهره وصفا للعلاقة القائمة بين مفردات الجملة، فهو ربط للكلام وعلائقه ودمجه ببعضه، بأن تكون الجملة وصفا أو خبرا أو حالا، فذلك تبيين للرابطة التي تصلها بجارتها، وليس ذلك ممّا يجري بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، ولذلك يجري عليها في فصلها ووصلها ما يجري على التي لها محلّ بعيدا عن الروابط الإعرابية، وذلك بأن تتصل بما قبلها اتصالا داخليًا، كما تتصل المفردات من ذات نفسها، فلا تحتاج إلى عاطف،

¹ ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 2/ 118، 119، 133، 254، 374.

ولا يجوز أن تضمّ إلى التي قبلها بعاطف لأنّها تنزل منزلة التّوكيد أو الصّفة مثلا فلا تحتاج إلى هذا العاطف، والاتّصال الدّاخلي أقوى من الخارجي، فلا تدخل الواو لأنّ الجملة الثّانية هي الأولى وبينهما صلة قويّة، وبعدّ هذا أصلا ينطوي عليه اللّسان وأحوال الكلام ونسقه. فإذا قويت العلاقة بين الجملتين اتّصلتا من ذات نفسيهما، وإذا أدخلت الواو بينهما ما لم يكن لمغزى فكأنّك أقحمت غريبا بين الشّيء ونفسه، وإدراك هذا الضّرب يحتاج إلى تأمّل في المعنى حتّى تترك الجهة التي يلتقي فيها مع سابقه، أو يكون طبقا له، وقد يكون الالتقاء بالفحوى ولزوميّات الكلام¹.

ب . 4 . أحوال الجمل:

الجملة مع الجملة ليستا شيئا واحدا في جميع الأحوال، فقد يكون بين الجملتين اشتراك في المعنى؛ فتقع الثّانية من الأولى كأنّها هي أو جزء منها، أو تكون جوابا عن سؤال تتضمّنه الأولى، فليس بينهما تغاير، لأنّ الثّانية ليست أجنبيّة عن الأولى، فلا يصحّ العطف بينهما، إلّا إذا كان ترك الواو يوهم غير المقصود؛ كقولك: إنّه تقيّ، إنّه يقوم اللّيل، وقد يكون بين الجملتين تغاير، ولا يربط بينهما أيّ رابطة من حيث المعنى، أو من حيث الصّورة اللفظيّة، فتكون الثّانية بعيدة عن الأولى كلّ البعد، فلا يصحّ العطف بينهما، وذكر الواو هنا يدلّ على استئناف كلام جديد؛ كقولك: خرجت من البيت، أصدق بيت في الشّعر بيت جرير، ونجد نوعا ثالثا من الجمل وسطا بين التّوعين، حيث لا تماثل الثّانية الأولى ولا تشاركها في معناها، ولا هي جزء منها، فبينهما تغاير، ولكنّها ليست بعيدة عنها كلّ البعد، فبينهما روابط وصلات ومعنى مشترك أو جامع، وغرض المتكلّم أن يجمع بينهما بالواو؛ كقولك: الجاحظ كاتب والمتنبّي شاعر، وكما يظهر الجملة الثّانية مغايرة للأولى، ومع ذلك بينهما جامع، فالعقل لا ينكر الصّلة بين الكتابة والشّعر، أمّا إذا كان العطف بها يوهم خلاف المقصود فيتركه².

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 293 . 295، 296.

² ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عبّاس، ص: 402، 403/ البلاغة العربيّة، الميداني، ص: 579، 580.

ولمّا كان النّوع الأوّل من الجمل متماثلا ليس بينه تغاير، وكان النّوع الثّاني متغايرا ليس بينه اشتراك، فإنّ العطف لا يقع ولا يحسن، لأنّه في كلّ نوع فقد شرطاً، ولمّا تحقّق شرطاً العطف (التّغاير والاشتراك) في النّوع الثّالث حسن العطف، وبمعرفة هذا يسهل تحديد مواطن الفصل ومواطن الوصل في الجمل¹.

ويخرج عن هذا التّقسيم عطف كلام كلّ على كلام كلّ، كعطف قصّة على قصّة، وعطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر، وهذا مسوّغ للعطف بالواو، فالتّغاير الذي تقتضيه الواو قائم في ذلك، إلّا إذا كان التّالي تفصيلا أو تلخيصا لما سبق فترك الواو هو الأصل الذي يتّبع إلّا لغرض بلاغيّ، وأمّا التّناسب فيمكن أن ينتزع من الموضوع العامّ².

4 . الجامع بين المفردات والجمل:

يقتضي نظم الكلام علاقة جامعة تربط بين أجزائه، وتوسّع له العطف، وتتسج معانيه في انسجام وتلاؤم يجعلها مسبوكة محبوكة، تعبّر عن الأفكار؛ وما يوحيه السياق والنّسق من تصوير خاصّ ومعنى معيّن، وهذه العلاقة الجامعة تنتزع من أركان الإسناد بين الجملتين وتوابع هذه الأركان³، وذكر السبكي أنّ الجامع ضروريّ في كلّ ربط بين جملتين؛ يقول: (والجملة التي لا محلّ لها وغيرها سيان في اقتضاء العطف وعدمه، والواو وغيرها سواء في اقتضاء الوصل وعدمه، فليس المعتبر غير الجهة الجامعة سواء أكانت الجملة الأولى لها محلّ أم لا، وسواء أكان العطف بالواو أم بغيرها، غير أنّ الجملة السّابقة إن كان لها محلّ من الإعراب كانت الجهة الجامعة أو بعضها ظاهرا ربّما تدرك بالبدئية، وإن لم يكن كانت الجهة تحتاج إلى فكر ولا سيما في الجامع الخيالي)⁴، وقد قدّم السكاكيّ تصنيفا للكليّات التي يندرج تحتها الجامع بين الكلمات والعبارات والجمل، وهو إمّا عقليّ أو وهميّ أو خياليّ⁵.

¹. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عبّاس، ص: 404.

². ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 581.

³. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 55، 59/ والبلاغة العربيّة، الميداني، ص: 593.

⁴. شروح التّخخيص، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي بهاء الدّين، 3/ 5.

⁵. ينظر: مفتاح العلوم، ص: 464 . 469.

أ . الجامع العقلي: يشمل العلاقات التي يحكمها العقل، وله عدّة صور¹:

- أن يكون بين المسند إليه أو المسند وقيودهما في الجملتين اتّحاد في التّصوير بأن يخصّصا نوعا أو شخصا واحدا؛ كزيد يشعر ويكتب، وقوله تعالى: "وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّغْمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ" ... البقرة، وقوله تعالى: "يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ" ... آل عمران.

- أن يتمثل في الجملتين واحد فأكثر من المسند إليه، والمسند وقيودهما، والتّماتل هو التّشابه، وهو غير الاتّحاد، كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَىٰ وَالصَّدِيقِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" البقرة، تماثلا في الجزاء الجليل.

- أن تربط بين الجملتين علاقة إضافة أو تضافيف، وهي التي يرتبط فيها فهم شيء بفهم شيء آخر، بأن يكونا بحيث لا يمكن تصوّر أحدهما دون الآخر في الذّهن، كالعلاقة بين الأبوة والبنوة وبين العلة والمعلول، والسّفّل والعلو، والأقلّ والأكثر، أو ما يسمّى في لسانيات النّصّ علاقة المطابقة والتّضام، كقوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً" ... البقرة، عطف بين السّماء والأرض وهما يجتمعان في الذّهن، وبينهما شبه تضادّ، فالسّماء في العلو والأرض في السّفّل، وقوله تعالى: "...يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ" البقرة.

ب . الجامع الوهمي:

وهو أن تتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق القوّة الواهمة في الذّهن، ومنه: أن يجمع بينهما في تصويرهما لأنّ بينهما شبه تماثل كلون البياض والصّفرة، وشديد الخضرة والسّواد، فإنّ الوهم يبرزهما في معرض المثليين، ويجمع بينهما لتقاربهما؛ ومنه قول الشّاعر:

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 60/ والبلاغة العربيّة، الميداني، ص: 593.

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

ومنه أن يكون بينهما تضادّ كالسّواد والبياض، والتحرّك والسّكون أو شبه تضادّ كالسّماء والأرض، فإنّ الوهم ينزل المتضادّين منزلة المتضايقين، فيجمع بينهما في الدّهن، والضدّ أقرب خطورا في البال مع الضدّ؛ كقوله تعالى: "فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" ^(التوبة) والتضادّ وشبهه أو الطّباق بألوانه أدّى دورا خطيرا في الأساليب القرآنيّة، لأنّ التّقابل فطريّ في النّفس وأقرب بالبال، والحياة تقوم عليه في الأمور الحسيّة، والعقليّة والنّفسية والروحيّة، وهو قانون التغيّر، فالكون سماء وأرض، وليل ونهار، وجبل وسهل، والحياة رفعة وضعة، وغنى وفقر، وعزّ وذلّ، وحلم وجهل...، والإنسان مجموعة صفات متنازعة، وحالات متفاوتة بين صحّة ومرض، وسعادة وشقاء، وحبّ وشنآن، وإيمان وكفران...، لذلك نجد الطّباق ممّا ينبنى عليه القرآن الكريم، وهو مصوّر للحياة بمفهومها الكبير، ومرآة لقضية الصّراع بين الحقّ والباطل، والتّقابل رباط معنوي يجعل النّسق متماسكا، ونوع من التّصوير والإيقاع¹.

ج . الجامع الخيالي:

أن يكون الجمع بين الشّيئين اعتباريا بإسناد أحدهما إلى إحدى الحواس الظّاهرة، فتتواصل الجملتان ببعض عناصرهما عن طريق المخيلة والدّهن، فيؤلّف بين المتقارنين في الخيال كالعقد والجيد والخاتم والأصبع، وذلك ممّا يوسّع الصّور في النّفس فتدرك خافي العلاقات بين الأشياء، وقد يغرق في الغموض، فيحتاج إلى تأمل لكشف أسّاره، وهي متعة ذهنيّة ووجدانيّة وفنيّة².

ونشير هنا إلى أنّ بعض الباحثين أخذ على السّكاكي هذه التّقسيمات، وعدّها فلسفيّة، والبلاغة في غنى عنها، واكتفى بما ذهب إليه الجرجاني في أن يكون كلّ طرف من طرفي الجملة بسبب من نظيره في الجملة المراد العطف عليها³.

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 60 . 62/ والبلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 593، 594.

². ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 62/ والبلاغة العربيّة، الميداني، ص: 594.

³. ينظر: النّكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 386.

ونفهم ممّا سبق أنّ المناسبة لازمة لتصحيح العطف، ولازمة إذا جاء الكلام غير معطوف، والاشتراك في الحكم أيضا ممّا يصحّ ذلك، ويحتاج ذلك إلى ترتيب الجمل على بعضها في نمط نقيّ متجانس تجانس الأفكار، ونظم لما تجيش به الضّمائر، فهذه لحمة نسب تأنس بها النفس، ولا بدّ أن يكون قران الألفاظ ونسقتها معبّرا عن الحسّ بتناسق المعاني وملاءمة دلالاتها، ولهذا عيب قول أبي تمام، ولم يكن لأتّه عطف، فالعيب قائم ولو لم يعطف، والعلّة ليست راجعة إلى العطف وإنّما لأنّ الكلام قرن عناصر من المعاني لا تقترن، ونقل القارئ نقلا مفاجئا من مرارة النوى إلى كرم أبي الحسين، وهذه فجوة عاقت تحدرّ الكلام، وهكذا كلّما اشتدّ دمج الجملة وقويّ شبهها بالمفرد كان العطف أحكم وألين، وإذا جاءت على نمط التّعدد كان الانقطاع أنسب فتأتي مفصولة، لأنّها تنهض بالعرض وحدها، من غير أن ينضمّ إليها غيرها، ولهذا قد تُشارك الجملة الثّانية جملة لها محلّ من غير عطف، كما في الآيات الأولى من سورة الرّحمان، وقد تأتي الجملة التي لها محلّ واقعة موقع التّوكيد من التي قبلها، وتفصل عنها¹.

5 . أسس ضبط باب الفصل والوصل:

وضع البلاغيّون أسسا تضبط هذا الباب، وتحلّ مشكلاته وتكشف أسراره، وتساعد في التغلّب على دقّة مسلكه؛ منها²:

- ما يجري على المفرد في العطف بالواو من إشراك المعطوف في الحكم الإعرابي للمعطوف عليه؛ يجري على الجمل التي لها محلّ من الإعراب، وعلى الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، شرط أن يكون العطف مقبولا، بأن يكون هناك تغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، إذ لا يعطف الشّيء على نفسه أو على جزئه، وأن يكون بينهما جهة جامعة ومناسبة، إذ لا يجمع بين أمرين حتّى يكون بينهما نوع من الصلّة، وأن يقصد التّشريك بينهما في الحكم

¹. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 269، 273 . 275، 286، 287.

². ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 164 . 166/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 151/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 32/ ومفتاح العلوم، السّكاكي، ص: 460/ والبلاغة؛ فنونها وأفنانها، فضل حسن عبّاس، ص: 396.

بالعطف، كقوله تعالى: " ... وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤٥﴾ البقرة، وإن لم يقصد

ترك؛ كقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ آل

إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ

كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ البقرة، وهذا بعكس الحروف

الأخرى التي لها معنى وفائدة زائدة على الإشراك في الإعراب، فإن لم يقصد ذلك الاشتراك ولا

المعنى الآخر؛ كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، فيتعيّن الفصل.

- للواو العاطفة هنا أربع صفات: أنّها لمطلق الجمع، وتفيد الإشراك في الحكم، وتقتضي التّغاير

بين المعطوف والمعطوف عليه، وتطلب مناسبة فكرية بينهما¹.

- الإعراب صنفان؛ صنف ليس بتبع، وصنف تبع منحصر في خمسة هي: البذل والوصف

والبيان والتّأكيد وهذه الأربعة ليس واحد منها موضعاً للعطف بالواو لفوات شرط العطف بينها،

والخامس اتّباع الثّاني الأوّل في الإعراب بتوسّط حرف العطف، والمتبوع بالبذل في حكم

المضرب عنه، والتّابع بالوصف أو البيان أو التّأكيد هو ذات المتبوع².

- الأصل في العطف أن يعطف بالحرف الذي يقتضيه المعنى، ولا يترك هذا الأصل إلا لغرض

بلاغيّ، قد يرجع لصاحب الكلام، لئلاّ يدلّ كلامه على ما لا يريد بيانه، وقد يفصل ولا

يعطف³.

- الاستتفاف نوعان؛ نحويّ يراد به كلّ كلام منقطع عن غيره أو ابتدئ به، ويأتي مقترنا وغير

مقترن بالواو كقوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الفاتحة، بعد قوله تعالى: "بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾"، وقوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴿١١٥﴾ البقرة، وهو كثير⁴، واستتفاف

¹. ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 578، 579.

². ينظر: مفتاح العلوم، ص: 460، 461.

³. ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 578.

⁴. ينظر: البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 415.

بياني؛ وهو ما كانت فيه الجملة جوابا عن سؤال مفهوم من الجملة الأولى، وسمي بيانياً لبيان الرّأي فيه وهو الذي يعني علماء البلاغة، كقوله تعالى: "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ البقرة، فقوله تعالى: "لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ..." استئناف بياني، جواب لما تحرك في نفوس السّامعين، للآية السابقة لما أفادت التّهي عن التسرّع بالحلف، فكانت نفوسهم تتطلّع إلى معرفة حكم اليمين التي تجري على الألسن كما تجري الكلمات من غير إرادة الحلف، فأشبهه ذلك اللّغو¹، ويحصل هذا الاستئناف أحيانا بإعادة الاسم المتحدّث عنه، وأحيانا بذكر صفته؛ مثل: أكثر من الصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، رسول الله الرّحمة المهداة، والاستئناف البياني نوع من الاستئناف النّحوي، فكلّ استئناف بياني هو نحوي، وليس كلّ استئناف نحوي بيانياً².

بعد هذه المقدّمات يمكن القول إنّ العطف بأيّ حرف غير الواو لا يشكّل الأمر فيه، وإنّ العطف بالواو على الجمل التي لها محلّ من الإعراب لا يشكّله كذلك، لأنّ الحكم فيها كالحكم على المفرد، وإنّما يشكّل الأمر في عطف جملة على جملة عارئة من الإعراب بالواو خاصّة؛ مثل: زيد قائم وعمرو قاعد، والعلم حسن والجهل قبيح، ف(لا سبيل لنا أن ندّعي أنّ الواو أشركت الثّانية في إعراب وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف، والمغزى منه، ولمّ لم يستو الحال بين أن تعطف وأن تدع العطف)³، فثمّة أمور تسوّغ العطف بين الجملتين بالواو كأن يكون بينهما سبب وصلة، فالمتحدّث عنهما كالنّظيرين والشّريكين، والسّامع إذا عرف حال الأوّل عناه حال الثّاني، ولا يصحّ عطف جملة على جملة لا يوجد بينهما سبب؛ مثل: خرجنا من منزلنا والمنتبّي هو قائل هذا البيت، فلا علاقة بينهما، كالتي بين زيد وعمرو من كونهما كالشّريكين، فهذا أوّل مسوّغات عطف جملة

¹ ينظر: التّحرير والتّوير، 2/ 381، 382.

² ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 416/ وإعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدّين قباوة، ص: 44.

³ دلائل الإعجاز، ص: 223.

على أخرى، بالإضافة إلى كون الجملتين خبريتين؛ والخبر في الثّانية يجري مجرى الشّبيه والنّظير أو التّقيض، أو ممّا يجمع بينهما عادة، أو حالها مضمومة في النّفس إلى حال الأخرى، فتكونان مشتبكتي الأحوال، يقول عبد القاهر: (وجملة الأمر أنّها لا تجيء حتّى يكون المعنى في هذه الجملة لفظاً لمعنى في الأخرى، ومضاماً له)¹، لأنّ كون العلم حسناً مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحاً².

وممّا يزيد الرّبط بين الجملتين بالواو قوّة أن يكون المخبر عنه فيهما واحداً؛ نحو: هو يعطي ويمنع، وترك الواو يوهم الرجوع عن الفعل الأوّل، والصّلة تزيد في الاشتباك وتجعل الفعلين في حكم واحد، حتّى لا يمكن تصوّر أفراد أحدهما عن الآخر، فيكون الارتباط واضحاً والمعنى جلياً³.

6. مواطن الفصل: يجب الفصل في ثلاثة مواطن:

أ. الاتّصال التام:

أن يكون بين الجملتين اتّحاد تامّ، وارتباط قويّ، وامتزاج معنويّ كأنّهما أفرغتا في قالب واحد، ويكون بينهما اتّفاق من حيث الخبريّة أو الإنشائيّة أو من حيث المعنى، ولا تغاير بينهما حتّى تعطف التّاليّة على السّابقة، فتتواصل الجملتان من داخلهما بذاتهما، ويستغنى عن العاطف لكمال صلتها، حيث تنزل الجملة الثّانية من الأولى منزلة نفسها، أو منزلة التّابع، بأن تكون توكيداً للأولى، أو تكون في موضع الصّفة لها، أو بيانا لها، أو بدلا منها، وحينئذ يجب الفصل بينهما، لأنّ التّلاحم بين الجملتين شديد، والوصل بالواو هنا يكون كعطف الشّيء على نفسه، والصّفة لا تعطف على موصوفها، والمؤكّد لا يعطف على المؤكّد في المفرد، لأنّ التّابع عين المتبوع ولا مغايرة بينهما حتّى تأتي الواو، فالأمر كذلك في الجمل⁴، كقوله تعالى: "وَدَبَّرِ

¹ دلائل الإعجاز، ص: 225.

² ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 166.

³ ينظر: المرجع السّابق، ص: 167.

⁴ ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 156/ وبلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 168، 172/ وأسرار

الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 104/ ودلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: ص:

302، 303/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 188.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ... ﴿٢٥﴾ البقرة، جملة "كُلَّمَا رُزِقُوا" يجوز أن تكون صفة ثانية لجنّات، أو خبرا عن مبتدأ محذوف، (ولكمال الاتّصال بينها وبين جملة "أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ" فصلت عنها كما تفصل الأخبار المتعدّدة)¹، وفيما يلي شرح للحالات:

أولا . أن تكون الثّانية مؤكّدة للأولى،

والتأكيد هو زيادة التّقرير وتحقيق المعنى الذي دلّ عليه لفظ سابق بلفظ جديد، والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوّز أولا، ودفع توهم الغلط ثانيا²، وهو قسمان:

أحدهما: أن تنزل الثّانية من الأولى منزلة التّأكيد المعنويّ من متبوعه في إفادة التّحقيق والتّقرير مع اختلاف معنى ومفهوم الجملتين؛ ولكن يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى، والتأكيد هنا ليس هو التّأكيد الذي تحدّث عنه علماء النّحو، إنّما هو أن تأتي الجملة الثّانية مؤكّدة للأولى من حيث معناها؛ كقوله تعالى: "الْمَ ﴿١﴾ ذَلِكَ أَلْكَتَبُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة، فقوله تعالى: "لَا رَبِّبَ فِيهِ" تأكيد لقوله: "ذَلِكَ أَلْكَتَبُ" وقوله: "لَا رَبِّبَ فِيهِ" في الآية معادل "نفسه" في قولك: جاءني الخليفة نفسه، لأنّ معنى "ذَلِكَ أَلْكَتَبُ" أي: الكتاب بلغ الدّرجة القصوى من الكمال في الهدى الذي من أجله كانت الكتب السّماوية وفي علو الشّأن ورفعة القدر، ويظهر ذلك من خلال تعريف الطّرفين، بجعل المبتدأ "ذَلِكَ" وتعريف الخبر باللّام، فكان عند السّامع قبل أن يتأمّله مظنّة أنّه ممّا يرمى به جزافا من غير تحقّق، فأتبع "لَا رَبِّبَ فِيهِ" نفيا لذلك، إتباع (الخليفة نفسه) إزالة لتوهم السّامع أنّك في قولك

¹ تفسير التّحرير والتّنوير، 1/ 356.

² ينظر: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، 3/ 31.

متجوّز أو ساه، وأتّه بذلك لا ينبغي أن يكون فيه أيّ نوع من أنواع الرّيب¹، وهي بمثابة التّوكيد اللفظي، وكأنّه قيل ذلك الكتاب ذلك الكتاب، وقوله: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" تأكيد ثان؛ إذ معناه أنّه ذرّوة الهداية كأنّه هداية محضة، وهذا مفاد من الإخبار بالمصدر، فهذه الجمل الثّلاث تحوم حول حقيقة واحدة، ومعنى واحد، وهو كماله التّامّ في النّفع والهداية، ومثله قوله تعالى: "... قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ البقرة، فقوله: "إِنَّا مَعَكُمْ" معناه الثّبات على اليهوديّة، وقوله: "إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ" ردّ للإسلام وإنكار له، يفيد توكيد أنّهم معهم، لأنّ دفع نقيض الشّيء تأكيد لثباته، فماداموا مستهزئين بالإسلام وأهله فهم مستمرّون في معيّة شياطينهم، فالجملة الثّانية بمثابة توكيد وتقرير لمعاني الجملة الأولى، وتحتمل الجملة الاستئناف، أيّ فما بالكم إن صحّ أنّكم ممّن توافقون أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وليس المراد أنّهم يهود بل منافقون يتّبعون اليهود في الكيد للإسلام².

وثانيهما: أن تنزل الجملة الثّانية من الأولى منزلة التّأكيد اللفظيّ من متبوعه في اتّحاد المعنى؛ لاتّفاق المفهومين؛ كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾" ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوةٌ ولهم عذابٌ عظيمٌ ﴿٧﴾ البقرة، حدث الفصل في جملتين؛ الأولى قوله تعالى: "لَا يُؤْمِنُونَ"، جاء تأكيدا لمعنى ما قبله في قوله سبحانه: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ"، لأنّ معنى الجملة: إنذارك وعدمه سواء، فجاءت الجملة الثّانية مؤكّدة هذا المعنى، مع زيادة تقرير له، وهو أنّهم لا يؤمنون، والثّانية: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" وهي توكيد آخر³، فعدم التّفاوت بين الإنذار

¹ ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 154، 155/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ص: 119/ والبلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 405، 406.

² ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 168/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 106. 104/ ودلالات التّراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 295/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 188.

³ ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 156. 159/ وبلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 168.

وعدمه لا يصح إلا في من ليس له قلب وسمع وبصر يعتبر به، ويجوز أن يكون "لا يؤمنون" خبراً لـ إن، فالجملة قبلها اعتراض¹، ومثله قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" ﴿٨﴾ تَخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ البقرة، فإن قوله تعالى: "تَخْدِعُونَ اللَّهَ" جاء تأكيداً للجملة الأولى، لأن معنى الجملة الأولى: أنهم يدعون الإيمان بالسنتهم، وهم في الحقيقة ليسوا كذلك، فجاءت الجملة الثانية تأكيداً لهذا المعنى، مع زيادة تقرير له، وهو أنهم يقصدون بقولهم هذا خداع الله والمؤمنين²، وقوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" ﴿٢٠٠﴾ البقرة، قوله: "لا تأخذه سنة ولا نوم" تأكيداً لألوهيته وتماز هيمنته وقبوميته، وقوله: "له ما في السموات وما في الأرض" يفيد ملكيته لخلقه وهذا تأكيد أنه واحد قيوم، وقوله: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" يفيد نفي الشفيع إلا في حالة الإذن، وهذا مظهر الهيمنة والألوهية، وقوله: "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم" يفيد إحاطة علمه بخلقه، وهذا تأكيد للهيمنة والألوهية، فالكلام ينمو وتتلاقى خيوطه عند نقطة واحدة³، ومن أمثلة توكيد الثانية لأولى؛ قول الشاعر عبد العزيز بن عمر بن نباتة:

يَهْوَى النَّتَاءَ مُبَرَّرٌ وَمُقَصَّرٌ حُبُّ النَّتَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

¹. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 155، 156/ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 119/ والبلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، ص: 406.
². ينظر: البلاغة؛ فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، ص: 406، 407.
³. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 298.

وقول المتنبي:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا¹

فالجملّة الثّانية (إذا قلت...) جاءت توكيدا للأولى، وبين الجملتين اتّحاد تامّ، ولهما معنى واحد، فإنّ كون الدهر من رواة قصائده معناه أنّه ينشد شعره وهذه هي مهمّة الرّواي².

وقد تأتي الجملة الثّانية مبيّنة للأولى أو مؤكّدة لها، ومع ذلك تأتي موصولة بالواو، ووراء هذه الواو سرّ في نفس المتكلّم، ومغزى يقصد إليه، ومثال الأوّل قول زهير بن جناب الكلبّي:

أَبْنِيَّ إِنِّ أَهْلِكُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّةً
وَجَعَلْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَادَا تِ زِنَادِكُمْ وَرِيَّةً

فقوله: (وجعلتكم أبناء سادات) بيان لبنيّة المجد التي بناها لهم، ولو أسقطت الواو لاتّصل الكلام من ذات نفسه، ووصله بالواو يؤذن بالمغايرة، وإفصاح عن هاجس في نفسه، فجعل المعنى في باب السيّادة يتميّز عن مظاهر الشرف المتضمّن في (بنيت لكم بنيّة)، ومثال الثّاني قوله تعالى: "....فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِّنْ عَرَفْتِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ... البقرة، فقد عطف " وَأَذْكُرُوهُ" على "فَادْكُرُوا اللَّهَ"، والذكر واحد، والذكر

الثّاني كأنّه ذكر مختلف فعطفه، فدخل الواو يؤذن بالتّغاير وقصد معنيين، فيوهم أنّها معان متمايضة ومختلفة، والله أعلم، ورجّح العلماء وصل الجملة التّأكيديّة بعاطف إلى احتمال أن يكون المعنى الأوّل مصروفا عن المعنى الثّاني مع شأن إرادته، وأنّه أريد به التّخصيص، ووراء ذلك أسرار لطيفة يحلو بها الكلام، فإذا كان الأمر الثّاني غير الأمر الأوّل كان وراءه إعلاء لشأنه واهتمام به، وكأنّه يتجدّد مرّتين، كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

¹ ديوان المتنبي، ص: 373.

² ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 156/ والبلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 408.

وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَيْتَكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ آل عمران، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَاهَا أَوْلَى، ثُمَّ اصْطَفَاهَا ثَانِيًا، وفي هذا تكريم لا يخفى¹.

ويدخل في الاتّصال التامّ بالتوكيد مجيء الجملة الثّانية في موضع الصّفة للأولى؛ كقوله تعالى: "...فَأَمَّا رَأْيُنَهُ أَكْبَرْنَاهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾ يوسف، والجملة "إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" تصلح لأن تكون توكيدا للأولى، فهي مشابهة لقوله: "مَا هَذَا بَشَرًا"، من حيث إنّهُ إذا كان ملكا لم يكن بشرا، فهي توكيد لنفي أن يكون بشرا، ومن حيث العرف والعادة فإنّه إن قيل: ما هذا بشرا، وأريد التّعظيم والتعجّب من حسن خُلق أو خُلق، فالمقصود أن يقال إنّهُ ملك بطريق الكناية، وما دام ذلك مفهوما من اللفظ قبل أن يذكر يكون ذكره بمثابة التوكيد، وتصلح الجملة أن تكون شبيهة بالصّفة، من حيث إنّهُ نفي أن يكون بشرا فهو يدخله في جنس آخر، وذكر هذا الجنس بمثابة التّعيين والتّبيين له، وهذا ما تقوم به الصّفة².

ونذكر هنا أرقام الآيات التي جاء الفصل فيها للتوكيد؛ لما بين الجملتين من اتّصال تامّ، في سورتي البقرة وآل عمران، فأما أرقامها في سورة البقرة فهي: 19، 26، 69، 71، 175، 217، 255، 266، 273، وفي سورة آل عمران هي: 3، 13، 26، 39، 52، 73، 74، 110، 114، 117، 133، 169.

ثانيا - أن تكون الثّانية بيانا للأولى:

وذلك بأن تكون الثّانية مبيّنة وموضّحة لمعنى الأولى، فتنزل منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والمقتضي للتّبيين أن يكون في الأولى خفاء والمقام يقتضي إزالته؛ فتأتي الثّانية لتزيل هذا الخفاء، أو يكون فيها إجمال لأمر عدّة يحتاج إلى تفصيل، فتأتي

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 304 . 306، 307.

² ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 169/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 157.

الثّانية لتفصّل هذا الإجمال، أو يكون فيها شيء من الإبهام والغموض يحتاج إلى كشفه¹، كقوله تعالى: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَئَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى طه، كأنه قيل: فألقى إليه الشيطان وسوسة، فهذه الجملة فيها خفاء، فجاء قوله: "قَالَ يَئَادِمُ"؛ تفسيراً وبيانا لها ففصله، والجملة كلّها عطف بيان؛ وترجمة للوسوسة، وليس الفعل: "قال" لوحده، والمقصود هو الوسوسة، وهي على وزن: أقسم بالله أبو حفص عمر²، وقوله تعالى: "إِن تَبَدُّوا لَأَصْدَقْتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِن تُخَفُّوهُا وَتُوْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ... ﴿٢٧١﴾ البقرة، ففي الآية نوع من التفصيل لبعض ما أجمل في الجملة الشرطيّة قبلها "وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ ... ﴿٢٧٠﴾"، يقول الألوسي: (فالجملة نوع تفصيل لبعض ما أجمل في الشرطيّة، وبيان له، ولذلك ترك العطف بينهما)³، وقوله تعالى: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٧٠﴾ البقرة، يقول الألوسي: (أي قد علمت أيها المخاطب أنّ الله تعالى له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر، المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلّي إيجاباً وعدمًا، وأمرًا ونهيًا، حسبما تقتضيه مشيئته، لا معارض لأمره، ولا معقب لحكمه، فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء؟ فيكون الكلام على هذا كالدليل لما قبله في إفادة البيان، فيكون منزلاً منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح فلذا ترك العطف)⁴.

¹. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 157/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 121/ والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 411/ ومواهب الفتّاح، ابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح، السبكي، 3/ 47، 48.

². ينظر: مواهب الفتّاح، ابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح، السبكي، 3/ 47، 48.

³. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي شهاب الدّين، دار إحياء الثّراث العربي بيروت لبنان، 44/3.

⁴. المرجع السّابق، 1/ 354.

والظّاهر أنّ الوجه الذي صحّ به عطف البيان وهو خفاء الجملة السابقة يصحّ لمثله البديل، والفرق بينهما أنّ عطف البيان لا يتبيّن فيه المراد من المعطوف عليه، والبديل يفهم معه معنى المبدل منه، إلّا أنّه لا يفى بالعرض، يقول السّبكي مفرّقا بينهما: (المقصود في الإبدال هو الثّاني لا الأوّل، فلهذا كان الأوّل غير واف أو كغير الوافي، والمقصود في البيان هو الأوّل والثّاني توضيح له، وإن اشتركا في أصل خفاء الجملة السابقة)¹.

وعطف البيان عند النّحاة لا يكون جملة، ولم يقل علماء المعاني بوقوعه أيضا، ولكنهم ينزلون الجملة الثّانية منزلة عطف البيان، بدليل قولهم: فوزانها وزان كذا وكذا، فهي ليست تتبعها حقيقة، بل تفيد ما يفيد ذلك التّابع من جهة القصد، وعدم صحّة العطف².

ومنه قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجَعَتِ تجرّتهم وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ البقرة، فجملة: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا" واقعة من الجمل الماضيّة موقع البيان والتّقرير، فكان بينها وبين ما قبلها كمال الاتّصال، فلذلك فصلت ولم تعطف، وقوله تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ... ﴿٢٥﴾ البقرة، فقوله: "كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا..." بيان لشأن آخر من شؤون الذين آمنوا، ولكمال الاتّصال بينها وبين جملة "أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ" فصلت عنها كما تفصل الأخبار المتعدّدة، وقوله تعالى: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا" بيان وتفسير لقوله: "...فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا... ﴿٢٦﴾ البقرة، وهذا البيان اشتمل

¹ عروس الأفرح، 47 / 3.

² ينظر: حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، ج3، دط، دت،

ص: 129، 130 / ومواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي، 49 / 3.

على معنى الجملتين إجمالاً، والأظهر أن لا يكون جواباً للاستفهام في قول الذين كفروا: "مَآذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا"، لأنّ ذلك ليس استفهاماً حقيقياً¹، وقوله تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدْخِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^ج وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" ﴿٤٩﴾ البقرة، فتذبيح الأبناء واستحياء النساء تفسير وتوضيح لسومهم العذاب، ويجوز أن تكون بدل بعض²، وقوله تعالى: "وَلْتَجِدْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ... ﴿٩٦﴾ البقرة، جملة: "يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ..." بيان لأحرصيتهم على الحياة، وأن حرصهم يشمل حتى الحياة الدّائمة، ولما في هذه الجملة من البيان لمضمون الجملة قبلها فصلت عنها، وقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيَّتِكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ^ج قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي^ط ... ﴿٨١﴾ آل عمران، يصحّ أن تكون جملة "قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ" وما بعدها بياناً لجملة "أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ" باعتبار ما يقتضيه فعل "أخذ الله ميثاق النبيين": من أن النبيين أعطوا ميثاقاً لله فقال: أأقررتم قالوا: أقررتم قالوا: ويكون قوله: "لَمَآءَآتِيَّتِكُمْ.." هو صيغة الميثاق، وقوله تعالى: "مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ^ج ... ﴿١١٧﴾ آل عمران، بيان لجملة³: "لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ" ﴿١١٦﴾ آل عمران.

وكقول الشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي:

كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ تَرْوَحُ لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَعْتَدِي

¹. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 302، 356، 365.

². ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 108.

³. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 618، و3/ 298، و4/ 206.

وقول أبي العلاء:

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمٌ

فبين الجملتين اتحاد تامّ، وقد جاءت الجملة الثّانية (بعض لبعض...) لإيضاح إبهام في الجملة الأولى (النّاس للنّاس...)؛ وبيان لها¹.

ومن كمال الاتّصال أن تكون الثّانية نتيجة لما قبلها؛ كقوله تعالى: "أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" البقرة، جاء في روح المعاني: (التعبير باسم الإشارة للدلالة على أن اتّصافهم بما سبق علة للحكم المذكور، ولذا ترك العطف ههنا لكونه كالنتيجة لما قبله)².

ثالثا - أن تكون الثّانية بدلا من الأولى:

والمقتضي للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه، فتوضّحه الثّانية وتعنتي بشأنه، وتحقّق الكفاية النّفسية، وتزِيل ما فيه من غموض أو عجب، وذلك لكونها أدلّ على الغرض وأوفى بالمطلوب، والبديل ثلاثة أقسام عند النّحاة، والذي يعني البلاغيين قسما؛ بدل الاشتمال؛ كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..." البقرة، قوله: "قِتَالٍ فِيهِ" بدل اشتمال، وبديل بعض من كلّ؛ كقوله تعالى: "... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا..." آل عمران، أمّا بدل الكلّ فهو لا ينفصل عن التأكيد لذلك أسقط³، ويمنع العطف في بدل البعض وبديل الاشتمال لكون المبدل منه في نية الطّرح، فصار لو عطفت عليه كالعطف على ما لم يذكر⁴، ومنه قوله تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ

¹. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 156/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ص: 121.

². روح المعاني، الألوّسي، 91/ 2.

³. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 157/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 156/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ص: 120.

⁴. ينظر: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، 47/ 3.

يَعْقُوبَ الْمَوْتِ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ البقرة، فقوله: ("إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ" بدل من
"إِذْ حَضَرَ" بدل اشتمال، وكلاهما مقصودان كما هو المقرّر في إبدال الجمل، إلّا أنّ في البديل
زيادة ليست في المبدل منه، ولو تعلّقت "إِذ" هنا بـ "قَالُوا" لم ينتظم الكلام)¹، ومثله قوله تعالى:
"فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" ﴿٧٤﴾ آل عمران، فقوله: ("أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" بدل من
"الَّذِينَ" بدل اشتمال مبيّن لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم أي يستبشرون بما تبين لهم
من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم أحياء)².

والغرض من الإبدال البيان، وقد يفيد التأكيد، لأنّه على نيّة تكرار العامل، وفيه تشويق
يظهر في الإجمال ثمّ التفصيل³.

ونشير هنا إلى أنّ جمهور النّحاة يقولون بعدم مجيء البديل جملة، وذهب بعضهم إلى
أنّها تقع، وأنّه إذا أبدلت الجملة ممّا لا محلّ له كانت مثله لا محلّ لها من الإعراب، وبشترط
فيها أن تكون أوفى من الأولى في تأديّة المعنى المراد، على أنّ البلاغيين يقصدون بالبديل هنا
المعنى اللّغوي المجازي لا الاصطلاحي، كما أنّهم سكتوا عن اشتراط الضمير في بدل البعض
وبدل الاشتمال لتعدّد عود الضمير عليها⁴.

ومن الأمثلة قوله سبحانه وتعالى: "...يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدْخِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ... ﴿٤٩﴾ البقرة،
فبين جملة "يَسُومُونَكُمْ" وما بعدها كمال الاتّصال، لأنّ تذييح الأبناء جزء من سومهم العذاب،

¹. روح المعاني، الألويسي، 1/ 390.

². المرجع السابق، 4/ 123.

³. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 409/ وتفسير التحرير والتّوير، 4/ 164، و2/ 325.

⁴. ينظر: حاشية الصّبان، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، ص: 195/ وإعراب الجمل، شوقي المعمرى، ص: 128.

وهي أدلّ على المراد من الامتتان بالنّعمة، وجملة "يُدْنِحُونَ" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها بدل من "يَسُومُونَكُمْ"، فيها تفصيل لبعض ما أجملته الأولى، جاءت مفصولة لتمام التّألف بين الجملتين¹، وقوله تعالى: "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا... ١٣٨" آل عمران، بدل من قوله: "... الَّذِينَ نَافَقُوا... ١٣٧" آل عمران، أو صفة، إذا كان مضمون صلته أشهر عند السّامعين².

ومن بدل الاشتمال قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ" قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي... ١١١" آل عمران، جملة "قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ..." بدل اشتمال من جملة "أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ"، والإقرار هنا في معنى التّحقيق بالوفاء ممّا أخذ من الميثاق³، وكقول الشّاعر:

أَقُولُ لَهُ إِرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا
وَإِلَّا فَكُنْ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

ومعناه كمال الكراهة لإقامته، لأنّ سرّه مخالف لعلنه، وجملة (لا تقيم عندنا) بدل اشتمال من جملة (ارحل)، ففصل بينهما، وهي أدلّ على الغرض، وأوفى بتأديته؛ لدالتها عليه بالمطابقة مع التّأكيد بخلاف (ارحل)، والجملة الثّانية في البيت وفي الآية السّابقة على وزان (حسنها) في قولك: أَعْجَبْتَنِي الدَّارُ حُسْنُهَا، فمعناها مغاير لمعنى ما قبلها، مع ما بينهما من الملاسة⁴.

ووجه حسن هذا الضّرب هو توكيد وتقوية وتخصيص المعاني وتقريرها، وتنشيط النّفس، لأنّها حين تتلقّى كلاما فيه غموض تشّاق إلى بيانه، فإذا جاء بيانه وتفصيله تمكّن الكلام منها

¹. ينظر: البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 409.

². ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 4/ 164.

³. ينظر: المرجع السّابق، 3/ 300.

⁴. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 156، 157/ وبلاغة التّراكيب، توفيق الفيّال، ص: 170.

وأيقظها¹، كقوله تعالى: "قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَحْمَدُكَ إِلَّا بِالْحَقِّ... ﴿١٧٠﴾" البقرة، بدل من قوله: "... قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... ﴿١٧٠﴾ البقرة، لتفصيل كيفية هاته الملة بعد أن أجمل²، فإذا نظرنا إلى قوله: "قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ" وجدنا فيه إجمالاً وعموماً، فجاءت الجملة التالّية تحمل تفصيلاً، وهي أوفى بالمراد لاشتغالها على التّفصيل بالإضافة إلى أنّ معناها بعض معنى سابقها، وتخصيص لبعض هذا العام، فهي من باب ذكر الخاصّ بعد العام، والله أعلم.

ونذكر في آخر هذا العنصر أرقام آيات من سورتي البقرة وآل عمران، وقع الفصل فيها للبيان والبدلية لما بين الآيات من اتّصال تام؛ ففي سورة البقرة وقع الفصل في الآيات: 18، 21، 24، 25، 27، 49، 71، 84، 85، 90، 96، 126، 130، 134، 165، 171، 178، 201، 214، 253، 285، وفي سورة آل عمران وقع الفصل في الآيات: 11، 26، 47، 53، 81، 93، 113، 167.

ب ـ الانقطاع التام بلا إيهام:

ويسمى الانفصال إلى الغاية بتعبير الجرجاني، وهو ترك العطف لأنّ بين الجملتين تباين أو اختلاف تامّ، ولا يتصوّر عطف إحداهما على الأخرى، لأنّ العطف يقتضي المشاركة، والمشاركة هنا لا تصحّ لعدم وجود صلة بينها، فيتحمّم الفصل والانقطاع، ويكون الانقطاع لأمر يرجع إلى الإسناد، أو إلى طرفيه، بأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً؛ لفظاً ومعنى أو معنى فقط، أو لعدم وجود مناسبة أو علاقة تجمع بين الجملتين، فتأتي كلّ جملة مستقلة قائمة بذاتها، شرط ألاّ يوهم الفصل خلاف المعنى المقصود، فإذا كان يوهم وجب الوصل، والانقطاع يحدث

¹. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 303.

². ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 1/ 738.

حركة ذهنيّة زائدة عن معنى الجملتين شبيهة بالحركة النّاشئة عن الالتفات، وهي سرّ الفصل لأنّها تقرّر المعنى المقصود وتتّبّه إليه¹، وفي ما يلي شرح للحالتين:

أولاً- أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً:

بأن تكون إحداها خبراً والأخرى إنشاءً، (ويبدو هذا سبباً شكلياً للفصل؛ ذلك أنّ إحدى الجملتين تحكي عن حدث وقع ماضياً أو يقع حالاً فله نسبة خارجيّة، والجملّة الثّانية إنشائيّة؛ لم يقع مدلولها بعد فليس لها نسبة خارجيّة، وهذا معنى قولهم: كمال الانقطاع، ولا يعني قطع المناسبة بينهما، إذ لا بدّ منها ليلتئم الكلام التّاماً يكون حسناً)²، فمجرّد اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لا يعني الفصل، وهذه نظرة صناعيّة لا تفيد في تفهّم الكلام وتدوّق علاقاته، لأنّه مانع نحويّ وتعليل لا يحلّل الأسلوب، ولا يقف على ما بين الجمل من روابط متينة، فقد يكون الإنشاء توكيداً للخبر أو العكس، وقد تكون إحداها جواباً للأخرى، فينبغي إذاً أن يؤوّل الفصل لسرّ ومانع بلاغي يعين عليه النّسق، فهناك علّة لفظيّة وعلاقة معنويّة بين الجملتين المختلفتين خبراً وإنشاءً، تمنع العطف، ولذلك أجمع البلاغيّون على عدم العطف وأجازه بعض النّحاة³.

ويكون الاختلاف في اللفظ والمعنى؛ نحو: هل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة؟ بالرفع فيهما، وقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٦٠﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦١﴾ الفاتحة، فقد فصلت جملة "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" عن الجملة التي قبلها لاختلافها خبراً وإنشاءً، وقوله تعالى: "... قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ... ﴿١٣﴾ البقرة، قوله: "أَنْتُمْ مِنْ" استفهام، وجملة: "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ" خبريّة، ولو عطف لأدخل في الحكاية،

¹ ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 157/ وبلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 170/ والإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، الخطيب القزويني، ص: 154/ والفصل والوصل في القرآن الكريم (سورتي النّبا وعبس أنموذجاً)، مقال، عبد القادر عبد الله فتحي، ص: 144/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 187.

² أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 71.

³ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 324، 325.

وصار حديثاً منهم بأنهم السّفهاء، بعد أن تركوا الإيمان لئلاً يكونوا من السّفهاء¹، فالأولى خبريّة والثّانية إنشائيّة، وبين الجملتين تباين تامّ، وابتعاد في المنتهى، وقد يكون الاختلاف خبراً وإنشاء في المعنى فقط²؛ مثل: نجح زيد وفقه الله، فالجملة الأولى خبريّة لفظاً ومعنى، والثّانية إنشائيّة معنى لا لفظاً؛ لأنّ لفظ الفعل خبر لا أمر، ومثله قول الشّاعر:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

فجملة (جزى الله الشّدائد) خبريّة لفظاً، إنشائيّة وظيفة ومعنى، فهي دعاء، لذلك فصلت عنها الجملة التّاليّة لها (عرفت بها عدوّي) لأنّها خبريّة لفظاً ومعنى³.

والعلاقة بين الدّعاء والخبر فيها شيء من التّرتيب والتسبّب، كالعلاقة بين السّبب والمسبّب، والجامع العقلي بينهما واضح، وعلى هذا فتسميّة كمال الانقطاع اصطلاحية، وإن كانت موهمة⁴.

وهناك أساليب قرآنيّة عطف فيها الخبر على الإنشاء، وذلك جائز في الجمل التي لها محلّ من الإعراب؛ كقوله تعالى: "...وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" ﴿١٧٢﴾ آل عمران، فجملة "نعم الوكيل" إنشائيّة معطوفة على جملة مقول القول: "حسبنا الله" الخبريّة، فتكون في محلّ نصب، وقد تكون استئنافية، وقد تأوّل علماء البلاغة هذه النّصوص التي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء بأن يكون من عطف مضمون جملة على مضمون آخر، أو من عطف القصّة على القصّة، أو العطف على مقدّر دلّ عليه السيّاق، ففي الآية السّابقة جاء الوصل بين "حَسْبُنَا اللهُ" و"وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" لأنّهما إنشائيّتان؛ الأولى دعائيّة والثّانية لإنشاء المدح، وعليه فليستا من عطف الإنشاء على الخبر، والغرض التّفخيم والتّكريم تناسبا مع قدرة الله تعالى ورحمته⁵.

¹. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 186/ ودلائل الإعجاز، ص: 232، 233.

². ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 158/ وبلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 171.

³. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 186.

⁴. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 80.

⁵. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 81، 82/ والجدول في إعراب القرآن

وصرفه وبيانه، محمود صافي، 1/ 106، و2/ 377.

ومع أنّ الأصل في الجملة الإنشائيّة بنعم وبئس فصلها عمّا قبلها؛ كقوله تعالى: "...مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْآبِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٦٦﴾ الكهف، فإنّ وصلها بالواو غرضه التّنبيه على مزيد الأجر أو مزيد التّهديد والوعيد، ومزيد الاتّصال بين المتعاطفين، كقوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ آل عمران، عطف "وَبِئْسَ الْمِهَادُ" على "سَتُغْلَبُونَ" عطف الإنشاء على الخبر، وكأنّ الخروج عن المألوف في الصّياغة ممّا يحدث هزّة نفسيّة وعقليّة تجلب الانتباه، وتثير الفكر لبيان إشراقات الرّحمة والفضل والجزاء، وعلى هذا لا يمنع الاختلاف خبرا وإنشاء من عطف جملة على أخرى إذا كان هناك غرض بلاغي¹.

وجاءت الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء وهي لا محلّ لها من الإعراب، وأطلق عليها واو الاستئناف والابتداء والقطع، ورجّح الزّركشي أنّها واو العطف، ولكنّها لا تفيد التّشريك في الحكم، وهي لمجرد الرّبط، كقوله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ... ﴿٢٥﴾ البقرة، الواو جاءت بين قصّتين فعطفت مجموع جمل مسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لغرض آخر، فالمعتبر التّناسب بين القصّتين دون آحاد الجمل، والواو هنا من عطف المضمون، والمعتمد في العطف ثواب المؤمنين على جملة عذاب الكافرين، وليس العطف على الأمر حتّى يطلب له مشاكل، ويقع مثل هذا حيث الفكرة تطول والجمل تتواصل والكلام يتوارد بالواو وبدونها، ولكنّها في مجموعها من عطف قصّة على قصّة، وهو قول ينتاسب وما قاله العلماء في التّناسب بين الآيات القرآنيّة، كقوله تعالى: "...وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۗ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ۗ"

¹ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صبايح عبيد دراز، ص: 84 . 87/ وتفسير التّحرير والتّوير، 3/ 176.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤١﴾ البقرة، فقله: "وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" مستأنفة

لا محلّ لها من الإعراب، والعطف في الجملتين الأخيرتين لمجرّد الرّبط اللفظي، وبينهما رابط معنوي، وهما لإنشاء الوعد والتّعظيم¹.

ويتّصل بهذا أنّ كثيرا من القصص القرآني جاء بالواو وقليلًا منه جاء بدون الواو، كما أنّ الكلام المستأنف عن سابقه جاء بالواو وبدونها، ومجيء الواو صدر القصص ينبي عن علاقة بين المتعاطفات من إثارة العبرة والتأمّل، والوعد والوعيد وتثبيت قلب النبيّ صلى الله عليه وسلّم، كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٤٢﴾ البقرة، وقوله تعالى:

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ... ﴿٢٤٣﴾ البقرة،

وقوله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا

أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا قُلْ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤٤﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ

خَالَطُوهُمْ فَارْحَمُوهُمْ فَارْحَمُواكُمْ ... ﴿٢٤٥﴾ البقرة، وقوله تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ

فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ... ﴿٢٤٦﴾ البقرة.

ترك العطف في أوّل الآيات، وجيء به عند إعادة السّؤال مع الجواب المناسب له

"وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ"، ليرتبط الثاني بالأوّل، وعطف السّؤال "عن اليتامى" لما كان له

مناسبة مع المنفعة باعتبار أنّهم إذا خالطوهم أنفقوا عليهم، وعطف السّؤال عن الحيض

¹ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 88، 89، 92/ ودلالات التراكيب، محمد محمّد

أبو موسى، ص: 339.

لارتباطه بما قبله في اعتزالهم عن مخالطة اليتامى فناسب ذلك اعتزال الحيز، وبالنّظر إلى الأسئلة الأوّل نجد بينها كمال المناسبة إذ المسؤول عنه: النّفقة والقتال والخمر وذكرت مرسلّة من غير عطف، فالإنفاق في الغرض الخاص أو المعنى الظّاهر مع الاتّفاق في الأسلوب يسوّغ العطف، والالتقاء في الغرض العام في معالجة الفكرة من نواحيها يسوّغ الفصل والقطع¹. وذكر السيوطي أنّ الأسئلة الثلاثة وقعت بالعطف لوقوع الكلّ في وقت واحد، وهو وقت السّؤال عن الخمر والميسر، وما عداها بغير عطف لكونها كانت في أوقات متفرّقة².

ومن هذه الشّواهد نستنتج أنّ واو الاستئناف تجيء للربط بين جملتين اختلفتا خبرا وإنشاء ولا يجوز فيها عطف مضمون جملة على مضمون آخر، لأنّ لكلّ سياق دلالته الخاصّة وإيحاءه واقتضاه الذي يوجب ذكر الواو أو تركها، ومن ذلك قولهم: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَ وَتَشْرَبُ اللَّبَنَ، برفع تشرب، وقوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَآخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ... ﴿١٢٥﴾ البقرة، فتنزل الجمل منزلة المفردات، وليس هنا خلاف، لأنّ الواو

للاستئناف³.

ونشير هنا إلى أنّ بعض البلاغيين يرون أنّ الاختلاف بين الجملتين من حيث الخبر والإنشاء حكم نحوي لا يصحّ أن يعدّ من اعتبارات الفصل والوصل، فهو لا يرجع إلى مقام يقتضيه، وإنّما يرجع إلى مانع نحوي، وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر⁴؛ مثل: هَذَا زَيْدٌ وَمَنْ عَمَّرُو؟ وتوجد آيات قرآنيّة تخرج على هذه القاعدة؛ عطف فيها جمل إنشائيّة بالواو على جمل خبريّة، وأمثلة هذه النّماذج كثيرة، ممّا يخرق القواعد العامّة للوصل والفصل، وهي جديرة بإعادة النّظر فيها⁵.

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 95.

². ينظر: الإتقان في علوم القرآن، 5/ 1864.

³. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 92، 93، 94/ ودلالات التراكيب، محمد

محمد أبو موسى، ص: 325. 329.

⁴. ينظر: البلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 106.

⁵. ينظر: البحث البلاغي عند العرب، شفيع السيّد، ص: 214.

وجاء الفصل للاختلاف خبرا وإنشاء واستئنفا في سورة البقرة في الآيات: 45، 46، 47، 57، 58، 60، 61، 90، 104، 110، 111، 153، 172، 173، 179، 235، 214، 236، 244، 245، 285، 286، وفي سورة آل عمران؛ الآيات: 16، 18، 43، 44، 73، 74، 93، 118، 119، 139، 140، 169، 176، 179، 191.

ثانيا - أن لا يكون بين الكلامين مناسبة ما:

فلا يكون بينها علاقة اتّصال أو جامع يصحّ العطف؛ بل تكون كلّ جملة مستقلة بنفسها، كقولهم: (السَّمَاءُ مُمَطَّرَةٌ عَلَيَّ يَغْدُو إِلَى عَمَلِهِ مُبَكَّرًا)؛ فلا صلة بين الجملتين ولا مناسبة بينهما في المعنى، ولذلك ترك العطف بينهما لكمال الانقطاع، فمع أنّ الجملتين تتفقان في الخبرية أو الإنشائية فإنّه يجب الفصل بينهما لعدم وجود علاقة اتّصال تبرّر العطف، ويشترط البلاغيون في تلك العلاقة أن تكون ماثلة بين طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه) في الجملتين، فتسوّغ العطف كعلاقة التّضاد بين الكرم والبخل في قولنا: مُحَمَّدٌ كَرِيمٌ وَأَخُوهُ بَخِيلٌ، وقول أبي العتاهية:

إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ

فبين الجملتين تمام التّباین ومنتهى الابتعاد لأنّه لا مناسبة بينهما في المعنى، ولا رابطة تربط بين معنى الجملة الأولى: إنّما المرء بأصغريه، والجملة الثانية: كلّ امرئ رهن بما لديه، فالثانية مفصولة عن الأولى، ولا سرّ لذلك إلا كمال الانقطاع، ومثله أن تعدّد حكما في موضوعات مختلفات لا ترابط بينها¹.

وينتفي الجامع بين الجملتين بسبب انتفائه عن المسند إليه أو المسند فيهما أو قيد من قيودهما، فلا علاقة بين الطّول والنّوم في: زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو نَائِمٌ، وانتفاء العلاقة والمناسبة يعني أنّه لا مكان للواو لضياع التّشريك، وهذه المناسبة تكون خاصة وعمامة، وضياعها ضرب

¹. ينظر: في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، ص: 158/ وبلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 171/ ومعجم

المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 121/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 186/

وبلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 590.

من البتر والخلط، وما يجب مراعاته في الكلام حتّى في مقام الفصل أن يكون هناك اتفاق في الغرض العام الذي يجمع بين الجملتين¹.

ويتّضح ممّا سبق أنّ الجامع بين الجمل نوعان: جامع خاصّ أو مناسبة خاصّة؛ وهي التي تصحّ العطف، وجامع عام أو علاقة عامّة وهي التي تربط الكلام ببعضه، وتجعله متناسقا، وتصور المعاني بالتّضاد والمقابلة فتكون كلّ مفصّل الأجزاء، وقد تنعدم العلاقة الخاصّة بين المسند والمسند إليه، وتتجلّى المناسبة العامّة بين الجمل فترتبط ببعضها وتأتي كلّ مفصّلا؛ وفي كلّ منها حكمة من الحكم، وهذا رابط حيّ ومثير لما يتضمّنه من تشويق؛ كقول أبي العتاهية:

الفقرُ فيما جاوزَ الكفّافاً من اتقى الله رجا وخافاً

فالجملتان متّفقتان في الغرض العام، ولكن لا يوجد ارتباط بين المسند إليه أو المسند أو قيد من قيودهما؛ ففصل بينهما، وكقوله تعالى: "الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥﴾ الْحُسْبَانِ ﴿٦﴾ الزَّحْمَانِ، فالعلاقة الخاصّة بين الآية الأخيرة وما قبلها معدومة، لكن المناسبة العامّة جليّة، لأنّ الشّمس والقمر وما عطف عليهما أثر من آثار القدرة والرّحمانيّة².

فضياع المناسبة لا يعني تبثير الكلام وتنافر جملة، ولا يعني جمع أشتات من الجمل لا رابط بينها، فقد تضيع المناسبة الخاصّة، ويبقى بين الجمل رابط معنوي وعلاقة جامعة لا ريب فيها، فبين الشّمس والقمر والنّجم والشّجر تناسب من حيث النّقابل، وأنّ جري الشّمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله تعالى، فثمّة جامع بين أطراف الكلام ذكرت الواو أو لم تذكر، وحين تسقط جدّ العقل في الجمع بين أطراف الكلام، ويحصل الفهم باجتماع

¹. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 100/ والبلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 111.

². ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 101/ والبلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 111.

مضمونيهما بدلالة العقل، وحين تذكر فهي الجامعة بدلالة لفظية مقصودة؛ ومن ذلك قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ البقرة، ترتبط الآية بما قبلها بالتضاد، وهو رابط حيّ ومشوّق والمناسبة العامة لا تخفى، إذ قطعت الآية وفصلت عمّا قبلها، لكون ما قبلها حديث عن القرآن والمؤمنين به، وأنّ من شأنهم كيت وكيت، وكون هذه الآية حديث عن الكفّار وشأنهم¹.

فقد يعطف مقطع على مقطع حتّى يكون لقاؤهما لقاء مؤنسا، ونبه السيوطي من أنّهم يستخدمون اسم الإشارة "هذا" في ربط مقاطع الكلام، فيأتي اسم الإشارة معبرة تستروح عندها النفس، وتجدد حيويّتها ونشاطها، و"هذا" في هذا المقام من الفصل هو أحسن الوصل، وهو كثير من القرآن الكريم².

وقد يوجد الجامع بين الجملتين ولكن يفصل بينهما لاختلاف سياق الكلام؛ كقوله تعالى: "الْمَ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة، فلم يعطف قصّة الكافرين على قصّة المؤمنين مع وجود الجامع وهو التّضاد، لأنّ الكلام مسوق لبيان حال الكتاب قصداً، وذكر حال المؤمنين ليس مقصودا على سبيل الأصالة³.

وذكر حرف أو حذفه دالّ على حشد من المعاني الخاصّة التي تتعلّق به⁴، وذكر جمل متشاردة ليس بينها جامع معنوي يدلّ على الاضطراب في التّفكير، وفقدان التّناسق، وهي فاسدة عطفت أو لم تعطف¹.

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 332، 333، 335.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 344.

³ ينظر: البلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيد، ص: 112.

⁴ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 103.

ج - شبه الاتّصال التّام: (أو الاستئناف البياني)

أن تنزل الجملة الثّانية منزلة جواب عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، أو جوابا عن سؤال يستنتج أنّ السّامع سيسأله بينه وبين نفسه عند سماع الجملة، فتتصل وتلتحم الثّانية بالأولى دون عطف، وفيها نوع من الإبانة عمّا أثارته الأولى²، يقول الخطيب القزويني: (وأما كونها بمنزلة المتّصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى، فتتزل منزلته؛ فتفصل الثّانية عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال)³، ويجعل السّكاكي الجملة الأولى بفحواها كالمرور للسّؤال؛ فتتزل منزلته في الواقع، أي تصبح كأنّها سؤال في الواقع، ويطلب بالثّاني جوابا لهذا السّؤال⁴، وقد يكون السّؤال مذكورا صراحة في الجملة الأولى؛ كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا

يُنْفِقُونَ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ^ط ... ﴿١٦٥﴾ البقرة، سؤال سأله بعض المسلمين، ممّن كان ذا مال فقال: يا رسول الله: بماذا يُتصدّق وعلى من يُنْفِق؟ فجاء الجواب مطابقا للسّؤال: "قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ..."، مبينا مصارف الإنفاق، وقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ^ط... ﴿١٦٧﴾ البقرة، السّؤال المذكور هنا هو سؤال المشركين النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية، عن القتال في الشّهر الحرام، فجاءت جملة "قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ..." استئنافا جوابا له⁵.

ويكون تنزيل السّؤال المفهوم من الكلام السّابق لاعتبارات عدّة بيّنها السّكاكي في قوله: (وتنزيل السّؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلاّ لجهات لطيفة، إمّا لتنبية السّامع على

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 333.

² البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 412.

³ الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 159.

⁴ ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 172/ وفي البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 159/ ومفتاح العلوم،

السّكاكي، ص: 463.

⁵ ينظر: التّحرير والتّوير، 2/ 317، 324.

موقعه، أو لإغناؤه أن يسأل، أو لئلا يُسمَع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السّؤال¹؛ ومنه قول الشاعر:

يُفُولُونَ إِنِّي أَحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظِيرِي

فبين الجملة الثّانية: (أعوذ برّبي أن يضام نظيري) والجملة الأولى التي سبقتها شبه كمال الاتّصال، فالثّانية جواب لسؤال نشأ عن الأولى، وكأنّ سائلا يسأل: وهل ما يقولونه من أنّك تتحمّل الضّيم صحيح؟ ففصلت الثّانية عن الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلاّ قوّة الرّابطة المعنويّة بين الجملتين، فإنّ الجواب شديد الارتباط بالسّؤال، فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال (كمال الاتّصال)، فيقال: بينهما شبه كمال الاتّصال².

وتسمّى الجملة الثّانية في هذا الضّرب من الفصل مستأنفة أو استئنافية، وقد يسمّى الفصل نفسه بهذا³، وهذا الموطن أهمّ مواطن الفصل، وكثير في القرآن الكريم، لأنّه أسلوب نفس يشترط في المخاطب ترقّب الأسلوب وصياغته، فالجملة الأولى تكون مكتنزة فيها بعض الغموض، وليست كافية الوضوح بحيث يمكن الوقوف والسّكوت عندها، بل تثير فيضا من الاستفسارات التي تثار في نفس المتلقّي، تشركه في الصّياغة من غير تصريح به، إذ يظنّ مكنونا في الأسلوب، ثمّ تأتي الجملة الثّانية تجيب عن السّؤال وتطفئ أشواق النّفس، فيتأكّد المعنى من النّاحية العقليّة ويحقّق المتعة النّفسية، فتتواصل المعاني بتولّد الثّانية من الأولى، وكأنّها أصل ينبثق منه فرع، وهذه هي اللّحمة التي بين الجملتين⁴، وكأنّ الجملتين ثلاث جمل في الأصل، حذف منها جملة السّؤال لتتصلّ الجملة الأولى بالثّانية، ولذلك سمّى بعض العلماء هذا الاستئناف الوصل بالمحذوف، ومن فوائده الإبقاء على القوّة الدّهنيّة، وغالبا ما يكون في القصص القرآني⁵.

¹. مفتاح العلوم، ص: 463.

². ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 159.

³. ينظر: البلاغة العاليّة، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 112/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 190.

⁴. ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباّح عبيد دراز، ص: 116/ ودلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى،

ص ص: 308، 309.

⁵. ينظر: النّكات البلاغيّة في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّد سالم القماز، ص: 345.

ويسمى (الاستئناف البياني)، لبيان الرّأي فيه، ومعناه استئناف جواب، وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه، وهذا الاستئناف يتمّ به الكلام المنبثق عن الجملة الأولى، فلا تستقلّ الثّانيّة عنها وإن طالت، ولا تكون محورا وأصلا في الكلام ينبني عليه غيره، وهذا يفسّر مجيء قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة، مقطوعا عمّا قبله من ذكر الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة، ولم يعطف عليه، لأنّ الفكرة الأصل في الكلام السّابق لم تكن الذين يؤمنون بالغيب، وإنّما محور المعنى الأوّل: الكتاب الذي لا ريب فيه والذي هو هدى للمتّقين ثمّ انبثق منه حديث عن الذين آمنوا بطريق الاستئناف، وذلك أنّه لما قيل هدى للمتّقين، قدر السّؤال: ما بال المتّقين مخصوصين بذلك؟ فوقع قوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦﴾ البقرة، كأنّه جواب لهذا السّؤال، وبهذا تولّد الحديث عنهم ممّا سبقه فكان إدراجا ودمجا له، فمن الاستئناف أن يستدعي غرض من أغراض الكلام غرضا آخر فيتولّد منه جمل قد تطول، ويترك أبوابا من المعاني والمقاصد¹.

ومن الاستئناف قوله تعالى: "قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا... ﴿٧﴾ البقرة، جملة "إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ..." استئناف بيانيّ، جواب منهم عن توقّع سؤال من موسى عليه السّلام لهم عن سبب إعادتهم السّؤال، في قولهم "مَا هِيَ"، وكانوا قد سألوه من قبل، فجاء جوابهم اعتذارا عن إعادة السّؤال².

وقد اختلف في تصنيف بعض صور هذا الباب، فمنهم من عدّها من الاستئناف البياني، ومنهم من ردّها إلى الاستئناف النّحوي، أو إلى غير ذلك، والسبب راجع إلى اختلاف جهات النّظر، وتعدّد احتمالات تمام الجملة أو افتقارها إلى ما بعدها، فإذا نظرنا إلى هذه اللّحمة جعلناه استئنافا بيانيّا، وإذا نظرنا إلى أنّه بداية كلام جديد جعلناه استئنافا نحويّا يرتبط بما قبله

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص ص: 316، 317.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 554.

من جهة العقل، وذلك ما نجده أيضا في تعانق الوقف في نحو قوله تعالى: "ذَلِكَ أَلَكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" البقرة، وهذا يحتاج إلى بصيرة بطرائق الكلام، وأقوال العلماء فيها¹، فالنصّ الواحد قد يختلف في فهمه، ومن ذلك اختلافهم في قوله تعالى: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ" ... البقرة، بعد قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" البقرة، فمنهم من عدّه من هذا الباب؛ فكأنّ سؤالا فهم من الجملة الأولى: ما بالهم لا يؤمنون والنبيّ صلى الله عليه وسلّم هو الذي يندرهم؟ وهل هناك أبلغ من إنذاره؟ فقيل: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ"، وقد ذهب الشّيخ عبد القاهر إلى أنّ هذا من باب التأكيد، ومنه قوله تعالى: "تُخَدِّعُونَ اللَّهَ" ... البقرة، بعد قوله سبحانه وتعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" البقرة، كأنه قيل: لم يدعون الإيمان وليسوا كذلك؟ فقيل: "تُخَدِّعُونَ اللَّهَ"، ويمكن أن يكون من باب التأكيد كما مرّ من قبل، ويبين عبد القاهر أنّ مواضع الفصل تلتبس بمواضع الوصل في مثل هذا، وتدقّ على غير البصير العارف²، فهذا النوع يداخل أقسام الفصل والوصل، وكلا الكمالين (الانقطاع والاتصال) لا غنى لهما عنه، وشبه كمال الانقطاع قد يتأتى فيه أيضا شبه كمال الاتصال متى أريد البحث عن سرّ ارتباط الجملة الثّانية بالأولى³.

ويبين أنّه إذا كان وقوع الكلام بعد السّؤال الصّريح يقتضي الفصل، فكذلك الأمر مع السّؤال بالفحوى؛ ويمثّل بقول الشّاعر:

رَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 317، 318/ والبيان في روائع القرآن، تمام حسّان، ص: 212.

² ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عبّاس، ص: 413/ ودلائل الإعجاز، ص: 235.

³ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 344.

فحين تحدّث العواذل قائلين: إنّه في غمرة، وكان ذلك ممّا يحرك السّامع لأن يسأل: ما قولك في ذلك؟ وما جوابك؟ فيردّ عليهم بقوله: صدقوا، فأنا كما قالوا، ولكن تلك الغمرة لا تنكشف عني¹.

ويذكر عبد القاهر أنّه من النّادر ذكر السّؤال؛ كقول الشّاعر أبي العلاء المعري:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ؟ فُلْتُ عَلِيْلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

ويفسّر ذلك بما جرى في العادة من أنّهم إذا قيل للرجل: كيف أنت؟ وقال: عليّل، أن يطرحوا عليه سؤالاً يقول: وما علتك؟ فقدّر ذلك منهم وأجاب بقوله: سهر دائم وحزن طويل، ثمّ يفرّق بين صياغة الجواب عن سؤال مقدّر وصياغته عن سؤال مصرّح به²، ويفرّع البحث في ذكر الفعل بعد السّؤال الصّريح والسّؤال المقدّر فيقول: (واعلم أنّ السّؤال إذا كان ظاهراً مذكوراً في مثل هذا، كان الأكثر ألا يذكر الفعل في الجواب ويُقتصر على الاسم وحده، فأما مع الإضمار فلا يجوز إلا أن يذكر الفعل)³، ويمثّل بقول أبي الطيّب:

وَمَا عَفَتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقًا

فالذي أثار السّؤال ذلك النّفي، فمن العادة أنّه إذا نفي الفعل عن واحد أن يقال فمن فعله، وحين نفي المتنبّي عفاء المحلّ عن الرّيح، كان هذا النّفي مثيراً للسّؤال: من عساه يكون قد فعله؟ فكان الجواب على هذا السّؤال المحتمل في الشّطر الثّاني مفصّلاً، يبيّن أنّ الذي فعله ذلك الحادي الذي ساق الإبل حاملة أحبّابه بعيداً عنها⁴.

وفائدة أخرى لهذا الفصل وهي توكيد الفصل عند وضع الظّاهر موضع المضمّر، فتأتي جملة الاستئناف مستقلة، لا تحتاج إلى ما قبلها، ومع ذلك تتّصل بالتي قبلها من حيث المعنى

¹ ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيّال، ص: 173، 174/ ودلائل الإعجاز، ص: 236، 237/ ودلالات التّراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 310.

² ينظر: دلالات التّراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 311.

³ دلالات الإعجاز، ص: 239.

⁴ ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيّال، ص: 174، 175/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 190.

وصلا قويا، وموطن الحسن في هذا النوع من الفصل هو تفسير الكلام بما تقتضيه العادة وبما يدعو إليه العرف، وتقدير السؤال بحسب الجواب وطبيعة نسق الكلام¹.

وينزل منزلة السؤال المضمّر ما يأتي بلفظ قال، وأمثله كثيرة في القرآن الكريم، وفيه يأتي لفظ قال في صدر الجملة مقطوعا عما قبله لإثارة السّابق للسؤال في نفس السّامع²، يقول عبد القاهر: (واعلم أنّ الذي تراه في التّنزيل من لفظ قال مفصّولا غير معطوف، هذا هو التّقدير فيه)³، فكلّ جملة من الجمل المبدوءة بلفظة قال تأتي بالفصل لأنّها بمثابة جواب تثيره الجملة السابقة⁴، كقوله تعالى: "... قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ^ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكَ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ^ج يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ^ط... ﴿١٢٧﴾ آل عمران، قوله: "يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ" استئناف لبيان مغزى هذا الاقتراب، لأنهم يبدون من حالهم أنهم

مؤمنون، فكيف جعلوا إلى الكفر أقرب؟ فقيل: إنّ الذي يبدونه ليس موافقا لما في قلوبهم⁵.

وعلى هذا تأتي الجملة الثّانية إجابة عما أثارته الجملة الأولى من خواطر، وكأنّها مضمرة في الجملة الأولى، ويعدّ هذا التّعبير ضربا من الإيجاز، واختصار الكلام ودمجه، بحيث لو أردنا بسطه لرأينا وراء كلّ جملة جملة تطول، غير أنّها أضمرت واكتفت بالإبانة عنها باللمحة الدالّة التي انعكست في تحريك السّامع واستثارة حسّه⁶.

ومن باب الاستئناف ما يحذف في بابي (نعم) و(بئس) كقولك: نِعَمَ الرَّجُلِ عَلَيَّ، وَبِئْسَ الرَّجُلُ ابْنُ سُلُوفٍ، عند من يرى أنّ المخصوص بالمدح والذّم محذوف تقديره هو، كأنه قيل: من

¹. ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيّال، ص: 173، 174/ ودلائل الإعجاز، ص: 236، 237/ ودلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 310.

². ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيّال، ص: 174، 175.

³. دلائل الإعجاز، ص: 240.

⁴. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 190.

⁵. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 4/ 164.

⁶. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 312.

هو؟ فقيل: فلان، فحذف الضمير هو¹، فهذه الجمل المبدوءة بأفعال المدح والذمّ جمل مؤلّفة من مسند ومسند إليه، ومع ذلك لا يتمّ بها الكلام، فلا نقول: نِعَمَ الرَّجُلُ وتسكت، بل يلزم أن تأتي معها بالمخصوص، ليعلم من أثنى عليه، كأنه قيل: من هذا المحمود؟ فنقول: فلان ويأتي مفصولاً، ويحذف المخصوص بالمدح والذمّ إذا دلّ عليه المقام أو كان معلوماً²، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... ﴿٢٦١﴾ البقرة، وقوله تعالى: "أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٦﴾ آل عمران".

وإذا كان عبد القاهر أشار إلى الخواطر التي تتبع من الجملة الأولى، وتأتي الجملة الثّانية استئنافاً، لتجيب عما يتردد في النفس، فإنّ البلاغيين المتأخّرين التقطوا منه تلك الخواطر ووجدوها تكمن في ثلاثة بواعث؛ هي عند الخطيب القزويني أضرب الاستئناف، وهي³:
أولاً. أن يكون السؤال عن سبب عامّ للحكم؛ فيكون السؤال المتضمّن في الجملة الأولى عن علّة الحكم فيها مطلقاً، وغالباً لا يؤكّد؛ مثل: ما هو؟ أو لماذا أو ما السبب؟ أو ما علّة ذلك؟ فهو سؤال عن المقصود، وتأتي الجملة الثّانية جواباً له؛ كقول الشاعر أبي العلاء المعري:
قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ، وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

أي ما سبب علّتك؟ ومنه قوله تعالى: "... وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ... ﴿١٨٢﴾ آل عمران، ف(هذا العذاب لعظم هوله ممّا يُتساءل عن سببه)⁴.

¹. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 418.

². ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص: 147.

³. ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 176، 177/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 159.

161/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 122، 123/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة،

صباح عبيد دراز، ص: 117، 118/ والبلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 112/ والبلاغة العربيّة أسسها،

وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 586، 587.

⁴. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 4/ 185.

ثانياً. أن يكون السؤال حول علّة معيّنة، أو كما يقول الخطيب القزويني: (عن سبب خاصّ له)؛ وتأتي الجملة غالباً مؤكّدة، كقوله تعالى: " وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ^ج إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ^ج إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾ يوسف، الجملة الأولى أثارت سؤالاً خاصّاً فيه تعجّب واستغراب، فبعد أن أعلن براءته، واعترفت امرأة العزيز بأنّها هي التي راودته، تتساءل النفس: ما الذي جعل يوسف عليه السّلام يقول هذا؟ وما هو السّبب الخاصّ الذي جعله يقول هذا القول؟ أو لماذا لا يبرئ نفسه، هل النفس أمّارة بالسّوء؟ فكان الجواب: إنّ النفس لأمّارة بالسّوء، بتأكيد الحكم.

ثالثاً. أن يكون السؤال عن شيء غير هذا وذاك، وتكون الجملة الثّانية جواباً عن شيء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلّق بالسّبب، جواباً يتّصل بوجه من وجوه دلالة الجملة، ويأتي مؤكّداً وغير مؤكّداً؛ كقوله تعالى: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ^ط قَالَ سَلِمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٥﴾ الذّاريات، كأنّه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السّلام؟ فقيل: قال: سلام، ومنه قول الشّاعر:

رَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

لما حكى عن العوازل أنّهم قالوا: هو في غمرة، كان ذلك ممّا يحرك السّامع ليسأل: أصدقوا في ذلك، أم كذبوا؟ أو: فما قولك في ذلك وما جوابك؟ أخرج الكلام مخرجه وفصل وقال؛ أقول: صدقوا، أنا كما قالوا، ولكن لا مطمع لهم في فلاح، ولو قال: وصدقوا، لم يصحّ في نفسه أنّه مسؤول وأنّ كلامه كلام مجيب.

ومن الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه ويكون رابطاً بين الجملتين؛ كقولك: أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان، وقد يستأنف بصفته وهذا أبلغ؛ نحو: أحسنت إلى زيد، صديقك القديم أهل، لأنّه مشتمل على الصّفة وبيان السّبب، إذ الوصف علّة للحكم، والسؤال المقدر هنا: لماذا أحسنت إليه؟ (سبب عام) أو: هل هو حقيق بالإحسان؟ (سبب خاصّ)، وقد يعقب المستأنف عنه في الجملة الأولى بصفات ثمّ يذكر في الاستئناف باسم الإشارة مبيناً

حكما يترتب على الصفات¹؛ كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ البقرة، (فقوله: "أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى" جملة مستأنفة استئنفا بيانياً، لأنّ السامع إذا سمع ما تقدّم من صفات الثناء عليهم، ترقّب فائدة تلك الأوصاف، واسم الإشارة هنا حلّ محلّ ذكر ضميرهم والإشارة أحسن منه وقعا، لأنها تتضمن جميع أوصافهم المتقدّمة)².

وقد يحذف صدر الاستئناف (صدر جواب السّؤال المقدّر) لوجود قرينة؛ ومنه قوله تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٦٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٧﴾ النور، على قراءة يُسَبَّحُ بالبناء للمفعول، كأنه قيل: من يسبّحه؟ فقيل: يسبّحه رجال، وقد يحذف الاستئناف كلّه فيحذف السّؤال والجواب، لدلالة المقام عليه؛ كقول الشّاعر:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَّهُمْ إِلْفٌ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلْفٌ

حذف جملة الجواب (كذبتم في زعمكم)، لدلالة (لهم إلفٌ، وليس لكم إلفٌ) عليها، وهذه الجملة يجوز تقديرها جوابا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه لما قال: كذبتم، قالوا: ولم كذبنا؟ قال: لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ، فيكون في البيت استئنافان³، وقد يحذف المستأنف به ولا يقام مقامه شيء؛ كقوله تعالى: "نِعَمَ الْعَبْدُ... ﴿٦٢﴾ ص، أي أيوب، أو هو، لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه، ونحوه قوله تعالى: "...فَنِعَمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ الدّاريات، أي نحن⁴.

¹. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 161/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 120، 121.

². تفسير التحرير والتنوير، 1/ 242.

³. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 310/ والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 417.

⁴. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 161، 162/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 122/ والبلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 113.

ونشير إلى أنّ الجملة الواقعة موقع الجواب قد تأتي بالواو أو بالفاء، وحينئذ تخرج عن كونها منزلة منزلة الجواب، وتؤذن باستقلال الكلام، وتجعله مرتباً بعضه ببعض وليس متولّداً بعضه عن بعض؛ قال الله تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا..." البقرة، وقال تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ...^١ البقرة، وهذه الواو تخرج الكلام من باب الاستئناف البياني إلى الاستئناف النحوي؛ ومنه قوله تعالى: "...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا...^٢ آل عمران، الواو في "وَالرَّاسِخُونَ" للاستئناف النحوي فهي لمجرد الرّبط، ومما سبق يتّضح لنا الفرق بين الأسلوبين، فأحدهما يقوم على الروابط الداخليّة الخفيّة، والآخر على العلاقات اللّفظيّة الظاهرة، ولكلّ مقامه¹.

ومن آيات الاستئناف البياني في سورة البقرة؛ الآيات: 19، 30، 32، 33، 36، 38، 40، 61، 67، 68، 70، 71، 80، 96، 133، 142، 169، 187، 189، 196، 201، 202، 203، 211، 214، 215، 217، 219، 220، 222، 241، 246، 247، 253، 257، 258، 259، 260، 285. ومن آيات الاستئناف البياني في سورة آل عمران؛ الآيات: 15، 37، 38، 40، 41، 47، 52، 59، 81، 110، 112، 113، 129، 152، 154، 167، 172.

د . شبه الانقطاع التام،

بأن تكون الثّانيّة بمنزلة المنقطعة عن الأولى، يعني أنّها صالحة لأن تعطف، ولكن ينبغي الفصل لأنّ عطفها يوهّم خلاف المقصود، أو يوهّم عطفها على غيرها فيلتبس المعنى، وذلك أن تكون هناك جملة مسبوقه بجملتين، يجوز عطفها على الأولى منهما، ولا يجوز عطفها على الثّانيّة، فيترك العطف حتّى لا يتوهّم عطفها على الجملة القريبة منها، ويسمّى الفصل هنا قطعاً واستئنافاً²، ويسميه السّكاكي القطع للاحتياط، ولا يكون مانعه العطف، وهو

¹. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمّد أبو موسى، ص: 318، 320/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة،

صباح عبيد دراز، ص: 94.

². ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 177.

أن يكون قبل الجملة كلام يشتمل على مانع من العطف، وكلام لا مانع فيه، فيقطع حتّى لا يتوهّم عطفها على ما هو مشتمل على ذلك المانع¹، كقول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

فجملة (أراها) يصحُّ عطفها على (تظنُّ) لوجود علاقة بين أجزاء الجملتين، لكن لم يعطف لئلا يتوهّم السّامع أنّ العطف على جملة (أبغى بها بدلا) لقربها منها، فتكون الجملة الثالثة من مَظنوناتِ سَلْمَى، مع أنّه ليس مُرادًا، ولا مانع أن تعطف الجملة الأخيرة على الجملة الأولى فيكون المعنى: تظنّ سلمى وأراها هائمة في الضلال، ويُقال: بينَ الجُمَلتين هنا شبهُ كمال الانقطاع².

وهذا الموضوع يلحقه البلاغيون بحالتي (الانقطاع التام)، ويختلف عنهما في أنّ الفصل هنا لا يرجع إلى طبيعة الجملتين، بل إلى السياق الذي تردان فيه، فالجملتان هنا تتفقان خبرا أو إنشاء، وبينهما جهة جامعة تبرّر الوصل، غير أنّ سياقهما يأبى الوصل لما يترتب عليه من نقض المعنى المقصود، فالمانع خارجي بلاغي³، ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٦﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ... " البقرة، فلو قال: والله...؛ لترتب على ذلك أن ترتبط بجملة الشرط، ولأوهم ذلك عطفها على جملة قالوا، والشرط قيد، ويكون المعنى: أنّ الله يستهزئ بهم وقت خلّوهم بشياطينهم، أو استهزاء الله بهم مشروط بخلوّهم بشياطينهم، وليس الأمر كذلك، أو يوهم العطف على جملة "إِنَّا مَعَكُمْ" وهي مقول القول، فيكون من مقولهم وهو محال وتمزيق للمعنى، لأنّ الجملة إخبار من الله تعالى عن استهزائه بهم وتركهم في جهالة، وهو أمر واقع بهم في كلّ حال سواء خلّوا إلى شياطينهم أم لم يخلّوا

¹. ينظر: مفتاح العلوم، ص: 463.

². ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 158/ والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 419، 420.

³. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 187.

إليهم، وهنا يكون الاستئناف لردّ الكلام السّابق ودحضه، ولا وجه لأن يقال إنّها من الممكن أن تأتي بالواو لولا اللّبس لأنّ الواو تفقد هذا الاستئناف جزالته، والسياق هنا واضح لا لبس فيه¹.

ومن ذلك قوله تعالى: "قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ البقرة، فصلت هذه الآية لأنّها لا علاقة لها بالجمال القريبة منها فتعطف عليها، وإنّما معطوفة على التي قبل القريبة منها؛ وهو قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ... ﴿٩١﴾ البقرة، لذلك جاءت مستأنفة²، والله أعلم.

هـ . التوسّط بين الاتّصال التام والانقطاع التام:

يجب الفصل إذا كان الوصل يخلّ بالمعنى أي قيام مانع من الوصل، وهو أن يكون للكلام السّابق حكم لا نريد أن نشركه الجملة الأخيرة فيقطع، لأنّ التّشريك يغيّر المعنى، ويسمّي السّكاكي القطع للوجوب ويكون لمانع، وهو أن يكون قبل الجملة كلام يشتمل على مانع ولا يوجد هناك ما لا يشتمل على مانع فنقطع الجملة عمّا قبلها وجوبا، وهو عكس القطع للاحتياط³، كقوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ البقرة، ولو عطف جملة: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" على جملة: "قَالُوا" أو على جملة "إِنَّا مَعَكُمْ" لما صحّ العطف، لاقتضائه أنّه من مَقُولِ المنافقين؛ وأنّ استهزاء الله بهم مقيّد بحالِ خُلُوهِم إلى شياطينهم، ويصير المعنى: إنّ المنافقين إذا خلوا إلى شياطينهم؛ قالوا إنّنا معكم، إنّما نحن مستهزئون،

¹ ينظر: مطوّل على التّلكيخ، ص: 257/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح عبيد دراز، ص: 115/

ودلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 320، 323/ وعلم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص:

187، 188/ والبلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 113.

² ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 620.

³ ينظر: مفتاح العلوم، ص: 463.

وقالوا: إنّ الله يستهزئ بالمؤمنين كذلك، مع أنّ الجملة الأخيرة تعقيب على قولهم، فهي من قول الله تعالى، ويُقال: بينَ الجملتين في هذا الموضعِ تَوْسُطٌ بينَ الكمالينِ (كمال الاتصال وكمال الانقطاع)، وسبب الفصل هنا يرجع إلى المعنى، والوقف الذي تعبّر عنه¹، وهذا يختلف عن قوله تعالى: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَنِّدُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ... النساء، فَإِنَّ جَمَلَةَ "وَهُوَ خَدِعُهُمْ"** عطف على ما قبلها؛ لأنّ كلا الجملتين من قول الله تعالى، وهنا يذكر عبد القاهر أصلاً في باب الفصل والوصل، وهو أنّ المرء قد يرى في الجملة عطفًا لكن يجب تركه إذا عرض في الجملة أمر صارت فيه أجنبيّة عمّا قبلها، فلا ينظر إلى العلاقات القائمة بين الجمل فحسب، بل ينظر إلى ما يطرأ بين هذه الجمل أيضاً من علاقات ناتجة عن المواقف والظروف والاعتبارات، والأمر الذي منع العطف عند عبد القاهر ينظر إليه في اتجاهات الجملة التي وردت في الآية، ويجد كلاً منها له شأن يختلف عن شأن الأخرى، فقله: **"إِنَّمَا حَنَّ مُسْتَهْزِئُونَ"** حكاية عن هؤلاء المنافقين، وليس خيراً عن الله تعالى، بخلاف قوله تعالى: **"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"** فإنّها خبر عنه سبحانه، وذلك يمنع العطف، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله معطوفاً على ما هو حكاية عنه، والجملة ليست معطوفة على **"قَالُوا"** لئلا تدخل جملة **"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"** فيما دخل فيه المعطوف عليه، لأنّها جواب شرط: **"وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ..."**، ومعنى ذلك أنّ استهزاء الله بهم لقولهم، وليس ذلك المقصود من الآية، بل المراد أنّ الله يستهزئ بهم جزاء على استهزائهم وفعلهم له في قولهم: **"ءَامَنَّا"**، لا على أنّهم حدّثوا عن أنفسهم بأنّهم مستهزئون، والعطف على: **"قَالُوا"** يقتضي أن يكون الجزاء على حديثهم عن أنفسهم بالاستهزاء، لا عليه نفسه².

¹ ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 178/ والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 422.

² ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص: 179/ ودلائل الإعجاز، ص: 234/ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها،

أحمد مطلوب، ص: 124.

وهناك مانع آخر للعطف في هذه الآية، وهو ما ذهب إليه الزّمخشري الذي أرجع ترك العطف هنا للاستئناف، وأنّ الجملة الثّانية جواب عن سؤال مقدر أثارته الجملة السّابقة، وهو ما تحرّكه في نفوس المتلقّين من تساؤل يحتمّ القطع، ذلك أنّ الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت، تحرّك السّامعين لأن يسألوا: ما جزاؤهم على هذه الأفعال والأقوال البذيئة؟ أو تحرّكهم لأن يعلموا مصير أمرهم، وهل تنزل بهم النّعمة عاجلا أم يمهلون؟ وتكون جملة: "اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" جوابا عن هذا المقدر، وبذلك يكون حقّه أن يؤتى به مبتدأ غير معطوف، فيكون الجواب مقطوعا عن السّؤال المضمّن دون عطف كالسّؤال الصّريح، وهذا التّخريج يجعل العلة في شبه كمال الاتّصال، فتكون بمنزلة المتّصلة بها، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال، ويسمّى الفصل لذلك استئنافا، وهذه الوجوه المتعدّدة والاعتبارات المختلفة ممّا يثير الصّعوبة في باب الفصل والوصل¹.

ولا حرج في هذا، لأنّ النصّ الواحد يمكن أن يعلّل بأكثر من علة لاختلاف الأفهام، وسواء كان القطع هنا للاحتياط أو للوجوب، أو للاستئناف، فإنّ هذه التّقسيمات لا تهمّ كثيرا، لأنّها تسميات أطلقت لبيان وجوه مختلفة لمسألة واحدة، والنّتيجة أن يكون هناك قطع بين الجملتين².

ويدعم هذا الرّأي أنّه جاءت آيات على هذا النّسق بالواو، ولم يتوهم اللّبس، وتمّ تخريج علّتها بما يقتضيه الفهم؛ كقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلِنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ العنكبوت، فقوله سبحانه: "وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ" شبيهه بقوله تعالى: "اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" من جهة أنّه ليس داخلا في الكلام السّابق وقد جاء بالواو، ولا يتوهم دخولها في حكم ما قبلها، وتكون الواو هنا مفيدة معنى خبرا ثانيا عنهم، وقوله تعالى: "إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ

¹. ينظر: بلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 179، 180/ ودلائل الإعجاز، ص: 235/ والإيضاح في علوم البلاغة،

الخطيب القزويني، ص: 259.

². ينظر: البلاغة فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 423.

إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷻ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٦﴾ المنافقون، لم توهم الواو الدّاخلية على جملة "وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ" أنّ هذا ممّا قالوا، والذي هو التفات للكلام السّابق وإبطاله، وهذه الواو هي واو الحال، ولو دخلت الواو على قوله: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" لكانت واو الحال¹.

ونؤكّد ما ذكرناه سابقاً أنّه يمكن تعليل النصوص بأكثر من علة، وذلك بالنظر إلى العلاقات القائمة داخل الجمل، وما يطرأ بينها من علاقات ناتجة عن المواقف والظروف والاعتبارات. ومن الآيات التي جاءت في هذا الباب؛ الآيات: 45 46، 58، 74 75، 105 106، 107، 108، 118، 142، 145، 146، (148 149)، 170، (201 202 203) 214، 257، من سورة البقرة، والآيات: 8، 9، 10، 11، 12، 17، 18، (46، 47)، 55، (61، 62)، (64، 65)، (72، 73)، (92، 93)، (97، 98)، 124، 125، (150، 151)، 170، 171، 191، 196، من سورة آل عمران.

7. مواطن الوصل: يجب الوصل في ثلاثة مواضع هي:

أ. إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي:

وذلك إذا كان للجملتين الأولى محلّ من الإعراب وقصد إشراك الثانية في حكمها، فيتعيّن عطفها عليها بالواو؛ كما يعطف المفرد على المفرد لاشتراكهما في حكم إعرابيّ واحد؛ لأنّ الجملة لا يكون لها محلّ من الإعراب حتّى تكون واقعة موقع المفرد²، وينبغي هنا أن تكون بين الجملتين مناسبة، كقوله تعالى: "...وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ البقرة، وقول الشاعر:

أَنْتَ أَيَقْظَنَّتِي وَأَطْلَعْتَ عَيْنِي
عَلَى عَالَمٍ مِنَ السِّرِّ أَخْفَى

¹. ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص ص: 321، 323/ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 126.

². ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 125.

فالجملّة الأولى: (أيقظتني) لها محلّ من الإعراب؛ فهي واقعة خبرا للمبتدأ، والشّاعر أراد إشراك الجملة الثّانية (أطلعت) في الحكم الإعرابي، لتكون خبرا ثانيا للمبتدأ، ولهذا يتعيّن عطفها بالواو¹.

وجاء الوصل في سورتي البقرة وآل عمران لاشتراك الجملتين في الإعراب في الآيات: 22، 26، 30، 34، 35، 47، 58، 62، 71، 77، 85، 102، 114، 134، 136، 177، 204، 217، 221، 245، 247، 250، 268، 285، من سورة البقرة، والآيات: 3، 12، 40، 42، 48، 49، 77، 84، 88، 91، 104، 106، 110، 112، 119، 156، 164، 199، من سورة آل عمران.

ب . التوسط بين الاتصال التام والانقطاع التام:

في ضوء ما سبق يمكن تصوّر هذا الموضوع، فإذا كان الاختلاف التام والاتفاق التام بين الجملتين يوجب الفصل، فإنّ الجملتين اللّتين يتحقّق فيهما جانب من الاتّفاق وجانب آخر من الاختلاف، ولا يكون بينهما أحد الكمالين ولا شبه أحدهما يوجب الوصل، بمعنى أنّ موضع الوصل هنا يتحقّق فيه شرطا العطف: الاتّصال والمغايرة بين أجزاء الجملتين الأساسيتين (المسند والمسند إليه)، لرفع كمال الاتّصال، ونوع من التّناسب لرفع كمال الانقطاع مع قصد التّشريك، وبالنّسبة للمتعلّقات لا عبرة للجامع فيها إن لم يكن القيد مقصودا بالذّات في الجملتين²، كقوله تعالى: "أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ﴿٥٩﴾ البقرة، وجه العطف بالواو بين الجملتين راجع إلى التوسط بين الكمالين، وذلك بالنّظر إلى مفهومهما وزمن حصولهما، فمفهوم الأولى وهو الهدى حاصل في الدّنيا، ومفهوم الأخرى وهو الفلاح حاصل في الآخرة، وبهذا هما منقطعتان، وبالنّظر إلى تسبّب مفهوم إحداها من مفهوم الأخرى، وكون كلّ منهما مقصودا بالوصف هما متّصلتان، فكان التّعارض بين الكمالين منزلا إيّاهما منزلة المتوسّطتين، والتوسط يقتضي العطف، بالإضافة إلى أنّهما خبريتان قصد

¹ ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 162.

² ينظر: مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، 3/ 69، 78.

تشريكهما في الحكم، ففي كلّ منهما جزء مستقلّ للمؤمنين، ويرى ابن عاشور أنّ العطف راجع إلى تعارض المقتضيين، وأنّه الأصل في ذكر الجمل بعضها بعد بعض¹.

وقوله تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾ الانفطار، نجد أنّ الواو قد توسّطت بينهما لأمرين: الأوّل؛ لما بين الجملتين من اتّصال واتّفاق يتمثّل في كونهما خبريتين، وبينهما جهة جامعة أو علاقة تبرّر العطف وهي علاقة التّضاد، والثّاني؛ لما بينهما من اختلاف ومغايرة من حيث المعنى والمدلول²، (والتّضادّ لا يصل إلى مستوى التّباين التّام في الفكر، لأنّ الضدّ أقرب خطورا بالبال عند ذكر الضدّ من التّظير إلى التّظير، فحصل بذلك التوسّط بين الكمالين)³، أي بين الجملتين جامع خاصّ غير اتّفاقهما في الغرض العامّ الذي يساق له الكلام.

والجامع بين الجمل يكون بوجود اتّحاد بين الجملتين في المسند إليه أو المسند أو قيد من قيودهما، أو بوجود تماثل بينهما في وصف أخوة أو صداقة، أو بوجود شبه تماثل بينهما كلوني بياض وصفرة، أو بوجود تضادّ بينهما أو شبه تضادّ كالسّواد والبياض، أو بوجود تقارن بينهما في الخيال لسبب من الأسباب⁴، ولهذا الموضع ضربان هما:

. أوّلا: إذا اتّفقت الجملتان خبرا وإنشاء: لفظا ومعنى، أو معنى لا لفظا.

أ / اتّفاقهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى:

شرط أن يكون بينهما جهة جامعة، ولا يكون هناك سبب يقتضي الفصل؛ كقوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ... ﴿٢﴾ الْبَقَرَة، فالجملتان "يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ" خبريتان، لا محلّ لهما من الإعراب، لأنّ الأولى صلة الموصول، وبينهما اتّحاد وتناسب في المعنى، وليس هناك ما يقتضي الفصل، لذا جاءتا معطوفتين، ومن الإنشاء قوله

¹. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 246.

². ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 191.

³. ينظر: البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 591.

⁴. ينظر: البلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 107.

تعالى: "وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ... ﴿٢٥﴾ البقرة، و (القول) مسند إلى الله سبحانه فناسب ذلك الجمع المطلق بين الأكل والسكن، وقوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ^١ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ البقرة، فقوله: "واشربوا، لا تعثوا" إنشاء لفظا ومعنى، معطوف على مثله، والجامع بينها اتحاد المسند إليه في كليهما، وتناسب المسند فيها، وهو الأمر بالأكل والشرب وعدم الإفساد، لما بينها من التقارن في الخيال¹، وكقول الشاعر:

فَلَا تَتْرُكِ الْأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا
وَلَا تَقْطَعْ التَّسَالِ عَنِّي وَتَقْعُدْ

فالجملتان متحدتان إنشاء، ومتناسبتان معنى، لذلك عطفتا بالواو².

والتخالف بين الاسمية والفعلية لا يمنع العطف، وإن كان من تمام التناسب اتفاقهما، لكن قد يخالف هذا لأسرار بلاغية فيخرج عن المألوف حين يراد من الاسمية إفادة الثبوت والدوام نزولا على مقتضى المقام³، كقوله تعالى: "... لَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٣﴾ البقرة، جملة "هُم يُنظَرُونَ" معطوفة على جملة "لَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ...".

ب / اتّفاقهما خبرا أو إنشاء معنى لا لفظا:

والواقع أنّ المعنى الخبري أو الإنشائي هو الأهم، والصورة الشكلية خبرا وإنشاء ليست مقصودة لذاتها، ولذا لا يفيد هذا التقسيم عند الخطيب كثيرا؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

¹ ينظر: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، 3 / 71 والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب

القزويني، ص: 162/ والبلاغة، فنونها وأفانها، فضل حسن عباس، ص ص: 424، 427.

² ينظر: في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، ص: 163.

³ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 97.

بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٨٩﴾ البقرة، عطف قوله: "قُولُوا" وهي جملة إنشائية، على قوله: "لَا تَعْبُدُونَ"، وهي جملة خبرية لفظاً، إنشائية معنى، لأنها بمعنى: لا تعبدوا، وقوله: "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"؛ وتقديره: (وتحسنون) بمعنى: أحسنوا، أو (وأحسنوا)، (وهذا أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتفاء فهو يخبر عنه)¹.

وقد تخفى المناسبة بين الجملتين الموصولتين كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وليس البرُّ بآن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ البقرة، فما الرابطة بين أحكام الأهل وحكم إتيان البيوت من ظهورها؟ والجواب على وجوه؛ أحدها: أنه كان من عادتهم إذا أحرموا لم يدخلوا بيتاً ولا خيمة، فإن كانوا من أهل المدر نقبوا من ظاهر بيوتهم، وإن كانوا من أهل الوبر خرجوا من خلف الخيمة، فلما ذكر أنها مَوَاقِيتُ لِلْحَجِّ، ناسب ذلك أن ينبههم إلى هذه البدعة في الإحرام به، وثانيها؛ أنه عطف على محذوف كأنه قيل: دعوا السؤال في أفعال الله التي لا تخلو من الحكمة والموعظة، وانظروا في أمر تفعلونه ولا حكمة فيه، وثالثها؛ أن يكون ذلك على وجه التمثيل لما هم عليه من قلب الأسئلة؛ فكأنه قيل: مثلكم في سؤالكم هذا كمثل من ترك باب الدار ودخل من ظهرها².

ومن عطف الإنشاء في سورة البقرة؛ الآيات: 45 (استعينوا ... معطوفة على أقيموا 43)، 60، 83، 85، 104، 109، 110، 128، 129، 149، 152، 168، 172، 187، 189، 190، 191، 194، 195، 196، 208، 222، 223، 231، 235، 238، 244، 250

¹ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 163.

² ينظر: البلاغة العالية، عبد المتعال الصعدي، ص: 109، 110.

267، 278، 282، 283، 286، ومنه في سورة آل عمران؛ الآيات: 8، 16، 41، 43، 72، 73، 101، 103، 130، 131، 132، 133، 137، 139، 147، 159، 175، 193، 194، 200.

ومن عطف الخبر في سورة البقرة؛ الآيات: 71، 73، 74، 75، 76، 81، 82، 85، 86، 87، 102، 103، 105، 112، 118، 129، 143، 151، 157، 159، 160، 162، 164، 174، 175، 177، 178، 185، 194، 205، 212، 213، 217، 218، 222، 233، 245، 251، 253، 255، 257، 258، 262، 263، 266، 268، 273، 276، 277، 281، 286، ومنه في سورة آل عمران؛ الآيات: 21، 24، 25، 26، 27، 31، 37، 49، 53، 54، 64، 66، 75، 76، 77، 78، 81، 84، 85، 90، 104، 105، 106، 110، 112، 114، 140، 146، 156، 164، 190، 191، 195.

ثانيًا؛ عطف مضمون القصة:

يسميه البلاغيون عطف القصة على القصة، أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام قبله، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين وإن اختلفتا في الخبرية والإنشائية ونحوهما؛ كقوله تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۚ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢٥﴾ البقرة، نتحدث هذه الآيات عن التحدي وعقاب الكافرين وثواب المؤمنين، وإذا بحثنا عن الروابط بينها نجد أنّ جملة: "فأتوا" جواب شرط، و"إن كنتم" جملة فعل الشرط، وجملة: "ادعوا" معطوفة على جواب الشرط، وكذلك الحال في: "إن لم تفعلوا" وجملة: "فاتقوا النار" أمّا قوله تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا..."، فلم

يسبق أمر ولا نهى فتعطف عليه، وإنّما المعتمد بالعطف كما يرى الزّمخشري هو جملة وصف ثواب المؤمنين، وهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يعاقب بالقيّد، وبشرّ عمرا بالعفو، أو معطوفة على "فَاتَّقُوا" في قوله تعالى: "...فَاتَّقُوا النَّارَ..."، كما تقول: يا بني تميم احذروا العقوبة، وبشرّ يا فلان بني أسد بالإحسان، ويرى القزويني أنّ كلام الزّمخشري فيه نظر¹، فالمناسبة فيها نوع من البعد، بالإضافة إلى ارتباط "فَاتَّقُوا النَّارَ" بجملة الشرط، ويذهب السّكاكي إلى أنّها معطوفة على "قل" مرادا قبل: "يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة، ومثلها قوله تعالى: "...وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوهُ..." البقرة، أي: وقلنا أو قائلين كلوا، وقوله عزّ وجلّ: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ ..." البقرة، أي: وقلنا أو قائلين خذوا، وقوله جلّ شأنه وعلا: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى..." البقرة، أي: وقلنا، أو قائلين اتّخذوا²، والأقرب عند القزويني أن يكون الأمر في هذه الآيات معطوفا على مقدّر يدلّ عليه ما قبلها، وهو في الآية الأولى معطوف على: (فأنذر) أو نحوه، أي: فأنذرهم "وبشرّ الذين آمنوا"، وبهذا يقدر في الآيات الأخرى، حتّى تظلّ القواعد البلاغية قائمة التقدير، بمعنى أنّنا نقدر معطوفا عليه إن وجد خبر معطوف على إنشاء³.

ومن عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبٰٓلِيسَ أَبٰٓىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ" البقرة، عطف على جملة: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..." البقرة، إعادة "إذ" بعد حرف العطف

¹. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 163.

². ينظر: مفتاح العلوم، ص: 472.

³. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 164/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح

عبيد دراز، ص: 126/ والبلاغة العالية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 110.

المغني عن إعادة ظرفه تنبيه على أنّ الجملة مقصودة بذاتها لأنّها متميّزة بهذه القصّة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام، ولم يؤت بها معطوفة بالفاء رغم أنّ مضمونها متفرّع على مضمون التي قبلها، لظهور مزيّة آدم عليهم إذ علم ما لم يعلموه، وذلك ما اقتضاه ترتيب هذه القصص بعضها على بعض¹.

وإذا تتبّعنا هذه الأقوال نجد في بعضها تضيقاً، إذ جعلوا العطف لا يتجاوز العبارة، ولعلّ أوسع الآراء أفقا الذي يكتفي بذكر المناسبة بين المضمونين، ويجعل العبارة من الوصل لما فيها من معنى مرتبط بمعنى آخر سابق لها، ولا يبحث عن مشاكل لها في الطّلب أو الخبر، لأنّ المعتمد هو السياق العامّ، وهو جامع معنويّ أقوى من الجامع اللفظي.

ومن عطف المضمون في سورة البقرة؛ الآيات: 179، 181، 193، 195، 196، 197، 199، 227، 234، 235، 237، 265.

ومن عطف المضمون في سورة آل عمران؛ الآيات: 42، 61، 109، 116، 126، 129، 151.

ج . الانقطاع التام مع الإيهام:

إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً يستوجب الفصل، إلّا أنّ الفصل قد يوهم خلاف المقصود ويخلّ بالمعنى، فيستوجب الوصل لدفع هذا الإيهام، وتتمثّل شواهد هذا النوع في الإجابة بالنقي على سؤال أداته (هل) أو (همزة التصديق)، مع التّعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائيّة؛ كقولك: لا، وحفظك الله، تقول ذلك في جواب من سأل: ألك حاجة أقضيها لك؟ ف (لا) قائمة مقام جملة خبريّة تقديرها: لا حاجة لي، وجملة حفظك الله دعائيّة، والفصل هنا يوهم خلاف المقصود، فقولك: لا حفظك الله بلا وصل يجعل السّامع يتوهّم أنّ لا داخلة على جملة الدّعاء، فتكون دعاء عليه، في حين أنّك تدعو له، ولذلك وجب العدول من الفصل إلى الوصل دفعا لهذا الوهم، فتقول: لا وأيدك الله، وهذا عكس الفصل للقطع، وهذا الموطن ليس له شاهد قرآني، والحسن فيه محدود².

¹. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 420.

². ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 164/ وأسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنيّة، صباح دراز، ص: 123.

ومن الممكن دفع هذا التوهّم بالسكوت بعد لا، ولكنّه لا يغني في هذا غناءها ولا يكون لها حسنها¹، ويمكن دفعه بذكر الجملة الخبريّة كاملة؛ فنقول: لا حاجة لي، حفظك الله، أو عكسه: حفظك الله لا حاجة لي، أو تؤخّر جزء الجملة الخبريّة؛ فنقول: حفظك الله، لا.

وذكر السبكي أنّ هذه الواو إذا جاءت لدفع الوهم فالظاهر أنّها زائدة، وليست للعطف، بل لدفع توهّم النفي لما بعدها، فدخلت لتأكيد عودها لما قبلها، وذلك شأن الزائدة يؤتى بها للتأكيد، والتأكيد أكثر ما يأتي لدفع إيهام غير المقصود، وإذا لم تكن زائدة فالظاهر أنّ المعطوف محذوف، والتقدير: لا وأقول أكرمك الله².

وذهب بعض نقّاد البلاغة إلى أنّ الوصل هنا ليس أمراً لازماً، لأنّ رفع ذلك الإيهام لا يكون بالواو فقط، بل قد يتحقّق بأمرين: الأول؛ بالتّغيم في حال النطق، فإطار الجمل الصّوتي يحدّد معناها، والجملة تنطق بنغمات متعدّدة ويكون لكلّ نغمة معنى خاصّ، وهذا يدعو إلى القول بأنّ أبا بكر رضي الله عنه لم يدع ذلك الرّجل إلى تصحيح جملة إلاّ لأنّ الرّجل أخطأ في تنعيمها، والثّاني؛ بالترقيم في حال الكتابة، أي وضع علامة ترقيميّة بين الجملتين تقوم مقام التّغيم³.

د. الجملة المقترنة بواو الحال:

ويتّصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحاليّة بالواو، وعدم اقترانها، وقد ألحقها البلاغيون بهذا الباب بوصفها جزءاً لا يتجزّأ منه، وأنّها تتمّة لأحوال الواو في الجمل وجوداً وعدمها، وعلى اعتبار أنّ الواو تدخل في عموم الواو العاطفة، وعقد لها عبد القاهر والرّازي والسّكاكي والقزويني فصولاً وألحقوها به، فذكرها وصل، وتركها فصل، وكان السبكي من أحسن الذين تعرّضوا لهذا المبحث الذي عدّه بعضهم أكثر التصاقاً بالنحو⁴، والصّحيح غير ذلك فاقتران الجملة بهذه الواو وعدم اقترانها يكون لاعتبارات لا تقلّ أهميّة عن اعتبارات اقتران الجملة بواو

¹. ينظر: البلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 107.

². ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، 3/ 68.

³. ينظر: علم المعاني في الموروث البلاغي، حسن طبل، ص: 197.

⁴. ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، ص: 126/ ودلائل الإعجاز، ص: 202 وما بعدها.

الوصل وعدم اقترانها، والكلام على فروق الحال هنا لا يراد به بيان مواضع جواز الرّبط بهذه الواو ومواضع امتناعه، فهذا من مسائل النّحو، وإنّما لاعتبارات أخرى تتّصل بالمعنى والدّوق¹.

ويقسم العلماء الحال إلى مؤكّدة ومنتقلة، ويقصدون بالمؤكّدة الوصف الثّابت الذي لا يتغيّر، كالطّول والقصر والسّود والبياض، وأمّا الحال المتقلّبة فهي الوصف غير الثّابت؛ كالركب والمشي والضّحك، مثل: جاعني ضاحكا، أو يضحك، والقسم الثّاني هو الذي يبحث في هذا الموضوع².

والحال تأتي مفردة وتأتي جملة، وهي تشبه الوصف من جهة وتشبه الخبر من جهة، لذلك الأصل فيها أن تكون بغير واو، لأنّها لا تدخل على الخبر والوصف، وهذا الأصل خولف إذا كانت الجملة حالا، فإنّها تارة تكون مقترنة بواو الحال، وتارة لا تكون مقترنة بها، وسرّ ذلك كما يجيب عبد القاهر؛ أنّها تأتي غير مقترنة إذا ارتبط الفعل الذي وقع حالا بالفعل الذي في أوّل الجملة، فإذا قلت: جاء خالد يضحك، فأنت ربطت الفعل يضحك بالفعل جاء، أمّا حينما تأتي بالواو؛ فكأنّما أردت استئناف معنى جديد، فقولك: جاعني والسيف على عاتقه، استأنفت شيئا وخبرا جديدا، ولا تقصد ضمّها إلى الفعل الأوّل في الإثبات، بل استأنفت خبرا وابتدأت إثباتا ثانيّا، ولمّا كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثّانية بالأولى؛ فجيء بالواو، كما جيء بها في قولك: العلم حسن والجهل قبيح، وهذا إنّما يكون عند قصد الاهتمام بهذه الحال أو إزالة شكّ أو إنكار فيها، أو نحو هذا ممّا يقتضي الاهتمام بها وعدم ضمّها في إثبات واحد مع ما قبلها، كقولك: جاء زيد وهو يسرع، فإنّه يفيد من الاهتمام بإثبات هذه الحال له ما لا يفيد قولك: جاعني زيد يسرع أو مسرعا، فكلّ مقامه، وتسميتها واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضمّ جملة إلى جملة، ونظيرها في هذا الفاء في جواب الشرط، فهي وإن لم تكن عاطفة، فإنّ ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة، لأنّها تربط جملة

¹. ينظر: البلاغة العالّية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 114/ والبلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص:

². ينظر: البلاغة، فنونها وأفانها، فضل حسن عبّاس، ص: 429.

ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها¹، وتسمّى أيضا واو الابتداء، (وهي الداخلة على الجملة التي تقع حالا، وكلّ ما صحّ أن يكون خبرا لمبتدأ، أو صلة لموصول، أو صفة صحّ أن يكون حالا)²، وجاء اختيار حرف الواو رابطا ليدلّ على أنّ الجملة حال وليضيف إلى معنى الجمع معنى الحال³.

ارتباط جملة الحال:

تكون جملة الحال جملة فعلية أو اسمية، لها صاحب كما للصفة موصوف وللخبر مبتدأ، وترتبط بصاحبها بالضمير أو بالواو، أو بهما معا؛ كجاءني خالد يسعى، فإنّ (يسعى) جملة حالية، مكوّنة من فعل وفاعل ضمير مستتر يعود على خالد، وهو صاحب الحال.

وللواو الرّابطة لجملة الحال أحوال تتفاوت من حيث الوجوب والامتناع بحسب نوع الجملة:

فإذا كانت الحال جملة اسمية؛ المبتدأ فيها ضمير يعود على صاحبها، يجب أن تقترن بالواو، لظهور قصد الاستئناف فيها، كقوله تعالى: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

البقرة، ﴿١١٧﴾ وقوله تعالى: "...وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ... ﴿١١٧﴾ البقرة، وقوله

تعالى: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ... ﴿١١٧﴾ آل عمران، وإذا كانت اسمية وجاءت

بغير الواو فتؤول بالمفرد؛ نحو قولهم: كلمته فوه إلى فيّ، أي: مشافها، أو مشافهة⁴، وإذا كانت

اسموية؛ المبتدأ فيها ليس ضميرا، فيحسن اقترانها بالواو؛ كقوله تعالى: "قُلْ يَا هَلَلْ أَلِكْتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ

مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا .. ﴿١١٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ

مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا .. ﴿١١٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ

¹ ينظر: البلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 429، 430/ والبلاغة العالية، عبد المتعال الصّعيدي، ص:

114/ ودلائل الإعجاز، ص: 213.

² ينظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول، الغرناطي المالكي، ص: 194.

³ ينظر: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 569.

⁴ ينظر: البلاغة العالية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 114، 115/ ودلائل الإعجاز، ص: 203، 204، 219.

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ... ﴿١٥٦﴾ آل عمران، ويحسن مجيئها دون واو إذا كان الخبر شبه جملة مقدّما على المبتدأ؛ كقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ... ﴿٧﴾ آل عمران، وتمتّع الواو إذا تقدّم على الجملة الاسميّة الحاليّة حال مفردة؛ لأنّها مؤكدة لها؛ كقول ابن الرومي:

وَاللَّهُ يُبَيِّقُكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فقوله (برداك تبجيل) جملة الحاليّة جاءت دون واو، لأنّه تقدّمها حال مفردة (سالما)، ولو لم تكن هذه الحال المفردة لما حسن القول دون الواو، وهي على وزن: جاعني مبتسما يداه تجودان¹.

ويحسن ترك الواو إذا تقدّم على الجملة الاسميّة الحاليّة أداة من الأدوات؛ كقول الفرزدق:

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تَبْصُرِيَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدُ

فجملة: (بني حوالِي) الحاليّة، وحسن ترك الواو فيها لتقدّم (كأنّما) على المبتدأ، ولا يحسن دونها².

ومما سبق ندرك أنّ الجملة الاسميّة إذا كانت حالا يرجّح اقترانها بالواو، إلّا إذا تقدّم الخبر أو تقدّمها حال مفردة أو أداة، فإن لم يكن ذلك قلّ مجيئها دون واو، وقد يؤوّل بمفرد³.

وإذا كانت الجملة الحاليّة فعليّة؛ فعلها مضارع مثبت؛ وغير مقترن بقدر تمتع الواو؛ نقول:

جاعني يبتسم، ومنه قوله تعالى: "... وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥٦﴾ البقرة، وقوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ... ﴿١٢٣﴾ آل عمران،

فجملة "يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ" في محلّ نصب حال، وما جاء مقترنا بالواو في كلام العرب

فشاذًا، كقولهم: فُتُّ وَأَصْكُ وَجْهَهُ، فَإِنَّ (أصك) فعلها مضارع مثبت، وجاءت بالواو، ورجح

¹. ينظر: البلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 434 . 436/ والبلاغة العاليّة، عبد المتعال الصّعيدي، ص:

115.

². ينظر: البلاغة العاليّة، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 115/ والبلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 436، 438.

³. ينظر: البلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 438.

العلماء أن تكون هذه الواو داخلة على مبتدأ محذوف تقديره (أنا)، فتكون الجملة بذلك اسمية تقترن بالواو، ويرجّح عبد القاهر أنّ هذه الواو للعطف وليست واو الحال، والفعل المضارع المعطوف يقصد به الماضي، والتقدير: قُمْتُ وَصَكَّكْتُ وَجَهَهُ، وجيء بالمضارع لحكاية الحال الماضية¹، ومنه قوله تعالى: "يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾" التوبة.

وإذا كانت جملة الحال جملة فعلية فعلها مضارع مقترن بقد أو مضارع منفي بلم أو لمّا، فيتساوى الأمران؛ مثال ذلك هذان البيتان لزهير بن أبي سلمى؛ الأول بالواو، والثاني بلا واو:

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أذُنِبَ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
كَأَنَّ فَنَاتِ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحَطِّمَ

وإذا كان مضارعا مقترنا بـ(لا) فيرجح امتناع الواو؛ كقوله تعالى: "... وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ البقرة، وإذا كان فعلها ماضيا مقترنا بـ(قد)، ظاهرة أو مقدرة، فتقترن بالواو²؛ كقوله سبحانه وتعالى: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ... ﴿٢٣٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "قَالَ رَبِّ أُنَىٰ يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ ... ﴿٤٠﴾ آل عمران.

وقد يختلف العلماء في الواو بين كونها استئنافية أو حالية؛ كما في قوله تعالى: "...فَذَنُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦١﴾ البقرة، جملة: "وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ" تحتل الحال والاستئناف، فالحال على تقدير ذبحوها مكرهين، فوقت الذبح ووقت الاتّصاف متّحد، والاستئناف على تقدير اختلاف الرّمين؛ أي: فذبحوها عند ذلك أي عند إتمام الصّفات³.

¹. ينظر: البلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 433، 434/ والبلاغة العالية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 116/ ودلائل الإعجاز، ص: 206.

². ينظر: البلاغة، فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 438/ والبلاغة العالية، عبد المتعال الصّعيدي، ص: 115، 116.

³. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 557.

الجملة الحالّية في سورتي البقرة وآل عمران:

جاءت في مواضع كثيرة في السّورتين، على طرق مختلفة، بين فعلية مصدرية بمضارع مثبت أو منفي، أو ماض مقترن بقد وغير مقترن، واسميّة مقترنة بالواو، وغير مقترنة.

ففي سورة البقرة جاءت الجملة الحالّية المضارعة المثبتة: في قوله تعالى: "تُخَذِعُونَ

اللَّهِ ۙ" ^(٩٦)، "يَعْمَهُونَ ۙ" ^(١٥)، "يَسُومُونَكُمْ ۙ" ^(٤٩)، "تَظْهَرُونَ ۙ" ^(٨٥)، "يُودُّ أَحَدُهُمْ ۙ" ^(٩٦)، وغيرها....

وهذا النّوع من الجمل الحالّية يمتنع اقترانها بالواو، لأنّ فعلها مضارع غير مقترن بقد، وتشتمل على ضمير يعود على صاحب الحال، وما جاء بالواو فهو مؤول على تقدير مبتدأ محذوف، كما تحتمل هذه الواو العطف أو الاستئناف، ومنه قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ... ۙ" ^(٢٤٥) البقرة، فقوله: "وَيُشْهَدُ اللَّهُ" تحتمل الحال على تقدير: (وهو يشهد)، وتحتمل العطف على (يعجبك)، وقوله: "...قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ... ۙ" ^(٩١) البقرة، فقوله: "وَيَكْفُرُونَ" يحتمل الاستئناف، والحال بتقدير مضمّر.

وهناك من يرى في كلّ ذلك تكلفاً، فالجملة واقعة حالا حتّى وإن اقترنت بالواو، ولم تكن مقترنة بقد، ولا حاجة إلى تقدير مبتدأ، وشواهد القرآن تؤيد ذلك¹.

الجمل الحالّية المضارعة المنفيّة: جاءت مقترنة وغير مقترنة بالواو، ومنها قوله تعالى: "

... وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ۙ" ^(١٧) جملة الحال: (لا يبصرون)، وتحتمل المفعول به، وقوله:

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ... ۙ" ^(١٧) جملة الحال: (لا تعبدون)، وقوله:

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ... ۙ" ^(٨٤) البقرة، جملة: (لا تسفكون).

¹ ينظر: النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، يوسف عوّاد سالم القماز، ص: 378.

ومما جاء منفياً مقترنا بالواو؛ قوله تعالى: "...وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾"، "... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٢﴾"، "...وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿١٣﴾".

الجملة الحالية الماضية بغير الواو: منها قوله تعالى: "...أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾"، "... أُنِيَّ وَأَسْتَكْبَرُ... ﴿١٥﴾"، "...قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ... ﴿١٦﴾".

ومن الماضية المقترنة بالواو؛ قوله تعالى: "...وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا... ﴿١٧﴾"، "...وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ... ﴿١٨﴾"، "...وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ... ﴿١٩﴾"، بتقدير: وقد.

ومن الماضية المقترنة بالواو وقد؛ قوله تعالى: "...وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ... ﴿٢٠﴾"، "...وَقَدْ فَرَضْتُمْ هُنَّ... ﴿٢١﴾"، "...وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنَ دَيْرِنَا... ﴿٢٢﴾"، "...وَرَأَوْا الْعَذَابَ... ﴿٢٣﴾".

الجملة الاسمية الحالية: جاءت بالواو وبالضمير وبهما معا؛ من ذلك قوله تعالى: "...وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾"، "...وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾"، ومثلها الآيات: 29، 42، 188، وقوله: "...وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾"، "...وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ... ﴿٢٧﴾"، "...وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ... ﴿٢٨﴾"، "... وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٩﴾" ومثلها الآية 55، وقوله: "...وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٣٠﴾"، ومثلها: الآية 92. ومنها الاسمية المنسوخة: "...وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ... ﴿٣١﴾"، "...وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ... ﴿٣٢﴾".

وبعض الجمل الاسمية الحالية تحتل الاستئناف؛ كقوله تعالى: "...وَأَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ... ﴿٣٣﴾"، أو الاعتراض؛ كقوله تعالى: "... وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ... ﴿٣٤﴾"، وقوله: "... وَإِنَّهُمْ لَكَبِيرٌ... ﴿٣٥﴾".

ومن الجمل الحاليّة الاسميّة دون واو الحال؛ قوله تعالى: "...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾"،
 "...بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ... ﴿٦١﴾"، "...هُمَّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾"، ومثلها الآيات: 81، 82، 257،
 "...مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ... ﴿٦١﴾"، "لَهَا مَا كَسَبَتْ... ﴿٦٢﴾"، وفي الآيات: 248، 256، 267.

في سورة آل عمران: جاءت الجملة الحاليّة المضارعة المثبّطة غير المقترنة بالواو في
 قوله تعالى: "... يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ... ﴿٣٢﴾"، "...تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا... ﴿٣٠﴾"،
 "...نُوحِيهِ إِلَيْكَ... ﴿٤٤﴾"، "...نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ... ﴿١٨٨﴾".

الجملة الحاليّة المضارعة المنفيّة: جاءت مقترنة وغير مقترنة بالواو، ومنها قوله تعالى:
 "... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ... ﴿٧﴾"، "...وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ... ﴿٤٧﴾"، "...وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
 وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ... ﴿٦٥﴾"، "...وَمَا يُضِلُّونَ... ﴿٦٦﴾".

وجاءت الجملة الحاليّة الماضيّة بغير الواو في سورة آل عمران؛ في قوله تعالى: "...ءَأَمَّنَّا
 بِاللَّهِ... ﴿٥٧﴾"، وتحتل أن تكون خبرا ثانيا للضمير نحن.

الجملة الحاليّة الماضيّة المقترنة بالواو، جاءت في قوله تعالى: "... وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ... ﴿٤٠﴾"،
 وقوله: "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا... ﴿١٧٨﴾"، "...وَلَهُدَّ أَسْلَمَ... ﴿١٧٧﴾".

الجملة الاسميّة جاءت بالضمير وبالواو وبهما معا: في قوله تعالى: "... مِنْهُ ءَايَاتٌ... ﴿٧﴾"، "...هُمَّ
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾"، وقوله: "...وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ... ﴿٤٠﴾"، "...وَاللَّهُ شَهِيدٌ... ﴿٩٨﴾"، وقوله تعالى: "...وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿١٢٢﴾"، "...وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾"، "...وَهُوَ قَائِمٌ... ﴿١٦١﴾".

ومنها ما يحتمل الحال والاستئناف؛ كقوله تعالى: "...تَبْغُونَهَا عِوَجًا... ﴿٦٦﴾"، "...وَاللَّهُ وَلِيُّهَا... ﴿١٢٢﴾".

نلاحظ أنّ نسبة الجملة الاسميّة الواقعة حالا أكثر من الجمل الفعلية، والمقترنة بالواو والضّمير أكثر من غيرها.

ومن الجمل الفعلية الواقعة حالا في سورة البقرة؛ الآيات: 102، 129، 165، 136، 154، 162، 214، 220، 230، 231، 247، 248، 252، 255، 257، 259، 265، 266، 273، 279، 283، وفي سورة آل عمران؛ الآيات: 84، 88، 91، 119، 121، 142، 175، 174، 199.

ومن الجمل الاسميّة الحاليّة في السّورتين؛ الآيات: 75، 83، 84، 85، 91، 101، 112، 113، 132، 133، 139، 143، 146، 149، 161، 187، 204، 216، 217، 243، 247، 256، 259، 267، 272، 273، 281، من سورة البقرة، والآيات: 70، 71، 75، 78، 81، 91، 95، 99، 100، 102، 104، 113، 123، 137، 143، 153، 163، 164، من سورة آل عمران.

هذه هي مواضع الفصل والوصل التي ذكرها البلاغيون في هذا المبحث، وبقي أن نشير إلى أنّ بعض نقاد البلاغة لم يرض بهذا التقسيم، ويرى أنّ مواضع الفصل ثلاثة، وإضافة مواضع أخرى؛ كشبه كمال الاتّصال، والتوسّط بين الكمالين تفريع لا حاجة إليه، لأنّ ما ذكره من أمثلة وشواهد داخل في الاستئناف (شبه كمال الاتّصال)، لا سيما وأنّ عبد القاهر الجرجاني والسّكاكي تحدّثا عن ذلك وعدّاه من الاستئناف، فالإكتفاء بالثلاثة هو المعتمد عند جمهور البلاغيين¹.

ويرى محمّد أبو موسى أنّ كمال الاتّصال بشعبه الثلاثة (التوكيد والبيان والبدل)، من أحوال الوصل، (لأنّ الوصل في الحقيقة وصلان، وصل ظاهر بحرف الوصل، ووصل خفي تتّصل فيه الجملة من ذات نفسها، وهو أقوى الوصلين كما قال الزّمخشري، والجدير باسم الفصل هو كمال الانقطاع الذي أصله فقدان الجامع أو تباين الكلامين في الغرض كما يقول الزّمخشري، ونعدّه استئنافا يتّجه الكلام فيه إلى مقطع آخر من مقاطع معانيه)².

¹ ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، مقال، عبد القادر عبد الله فتحي، ص: 147.

² دلالات التراكيب، محمّد محمّد أبو موسى، ص: 308.

8 . محاسن الوصل وعيوبه:

من محاسن الوصل:

للوصل محاسن كثيرة منها تناسب الجملتين في الاسميّة والفعليّة، وتناسب الفعليتين في المضى والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد إلا لمانع، ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لغرض؛ أو كان هناك مقتضى يقتضي الاختلاف، كأن يقصد التجدد في إحدى الجملتين والثبات في الأخرى؛ مثل: أقام محمّد وأخوه مسافر؛ إذا أريد تجدد إقامة محمّد وثبات سفر أخيه، لأنّ دلالة التجدد تكون بالجملة الفعلية، والثبات يكون بالجملة الاسميّة، ومما اقتضى فيه سياق المعاني مخالفة هذا المستوى من التلاؤم قوله تعالى: "إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ...."

النساء، وقوله تعالى: "...فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" البقرة، فالمقام استحضار الصّورة الماضيّة، فالقتل حدث في الماضي، ولكن عدل إلى المضارع لتصوير الواقع كأنه حدث الآن، وذلك لبيان فظاعته وشناعته¹، ومن أمثلة حسن الوصل تناسقا وتلاؤما قوله تعالى: "... كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" البقرة.

ومن الأغراض إرادة الإطلاق في إحدى الجملتين والتقييد في الأخرى؛ كقوله تعالى: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ" الأنعام، فالجملة الأولى: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ" مطلقة، والجملة الثانيّة: "وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ" مقيدة، لأنّ الشرط "لو" مقيد للجواب، أي قضاء الأمر بهلاكهم مقيد بإنزال الملك².

ومن محاسنه خفاء المناسبة بين الجمل على من يمرّ عليها سريعا بنظره فيتساءل عن الرّابط المعنوي بينهما أو ما يسمّى بالمناسبة³، كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ"

¹. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 166.

². ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 167/ وينظر للمزيد البلاغة العالمة، الصّعدي، ص: 109.

³. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، مقال، عبد القادر عبد الله فتحي، ص: 147.

مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى^١ وَاتَّقَى^٢ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا^٣ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ البقرة.

ويزداد الوصل حسنا إذا كان في الكلام ما يشبه التّضادّ، وعند ذكر أمرين لا يتصوّر فصل أحدهما عن الآخر، وإذا كان ترك الواو يسبّب الوهم بالغلط وأنك أردت التّراجع عن القول^١، ومثال الأوّل: هو يعطي ويمنع، ومثال الثّاني: قوله تعالى: "وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ غافر، ومثال الثّالث؛ قوله تعالى: "هَاتِنْتُمْ^٤ أَوْلَاءَ^٥ حُبُّوهُمْ^٦ وَلَا تُحِبُّونَكُمْ... ﴿١١٩﴾ آل عمران.

من عيوب الوصل:

من عيوبه انعدام المناسبة بين الجمل المعطوفة والجمل المعطوف عليها؛ مثل: عليّ تاجر وزيد مريض، وهذا عطف معيب قبيح، فلا مناسبة بين الجملتين ولا رابطة في المعنى بين تجارة عليّ ومرض زيد، ولو قيل عليّ طبيب وزيد مريض لصحّ العطف، لوجود رابطة وتماتل بين المسندين في الجملتين، وكقول أبي تمام:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

والعطف هنا معيب لأنّه لا مناسبة في المعنى بين المعطوف والمعطوف عليه، إذ لا علاقة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، ولا يقتضي الحديث بهذا لذاك^٢.

^١. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 399.

^٢. ينظر: في البلاغة العربيّة، عبد العزيز عتيق، ص: 166، 167/ وبلاغة التّراكيب، توفيق الفيل، ص: 165، 166/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 152/ ودلائل الإعجاز، ص: 225/ ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، أحمد مطلوب، ص: 125.

الفصل الثالث:

الفصل والوصل من منظور الاتجاه الوظيفي البنيوي والتداولي؛ البنية
والوظيفة والقوة الإنجازية.

الفصل الثالث: الفصل والوصل من منظور الاتجاه الوظيفي البنيوي والتداولي . البنية والوظيفة والقوة الإنجازية.

توطئة

1. مفهوم الوصل في اللسانيات الحديثة:
2. مفهوم البنية والوظيفة: أ . مفهوم البنية/ ب . مفهوم الوظيفة
3. النظرية الوظيفية
4. المبادئ العامة للوظيفية
5. الوظيفية البنيوية، حلقة براغ، وأندريه مارتيني أنموذجاً
1 . 5 . وظيفة حلقة براغ
2 . 5 . وظيفة أندريه مارتيني
6. وظائف اللغة عند جاكسون
7. بنية ووظيفة الفصل والوصل من منظور النحو الوظيفي التداولي
أ . أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي التداولي
ب . الجملة والبنية في النحو الوظيفي التداولي من البناء والوظيفة إلى القوة الإنجازية
ج . السياق والأبعاد التداولية التي تحكم الفصل والوصل
د . أدوات الوصل بين الفعل الكلامي والبعد التداولي
8. الفصل والوصل عند المتوكّل

توطئة:

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نقرب موضوع الفصل والوصل من منظور لساني حديث، مستفيدين من مقاربات النحاة والبلاغيين؛ وسنركز على عنصرين أساسيين: مبدأ البنية والوظيفة، والقوة الإنجازية، ونفرع منهما عناصر أخرى تتصل بالموضوع، وقبل ذلك نحاول البحث عن تعريف للوصل والفصل من منظور اللسانيات الحديثة، خاصة الوظيفية منها:

1. مفهوم الوصل في اللسانيات الحديثة:

يرى هاليداي وحسن أن الوصل مؤسس على مفهوم العلاقة بين عناصر الخطاب، أي العلاقة الجامعة بين أجزائه، وأنّ الوصائل وسيلة لسانية تنشئ في الخطاب علاقات متنوعة، وعلى هذا فالوصل مجموعة من الإمكانيات التي توجد في اللغة والتي من شأنها أن تجعل النص مترابطا ومتماسكا، وهذه الإمكانيات يملكها المتكلم، ويتصرف فيها حسب الحاجة إليها، ويحتاج إلى قواعد نحوية وصرفية تساعده في توظيفها، ويستدعي خصائص لسانية تكمن في الألفاظ المجاورة لها، ومجالها التلفظي الذي ترد فيه، وما بينها من خصائص دلالية وبرغماتية، فلا الألفاظ متناثرة وحدها يمكنها أن تؤسس مفهوم الوصل، ولا الوصائل وحدها معزولة يمكن أن تقوم بعملية الوصل، ولذلك يقوم الوصل على التناسق والتناغم بين الوصائل والملفوظات التي يصلها، وهو ما جعل فروشو يقرّ بأنّ الوصائل تشكل صنفا من الصرافم ليست لها دلالة معجمية خاصة، ولكنها تساهم في وصل النصّ بواسطة العلاقة التي تؤمنها بين عناصره، وهذه العلاقات قد لا تستدعي وصائل ظاهرة على السطح إذا كانت علاقات تبنى دون وجود هذه الوصائل البنوية، وهذا ما يجعل وسائل الوصل مجموعة مفتوحة¹، ويمكن تعريف الواصلة بأنها العنصر الذي يقيم وصلا بين عنصرين لسانيين، وتقوم بدور وظيفي في بناء الخطاب، وتمنح للسلسلة الكلامية معناها، حيث لا يمكن للملفوظ أن يتشكل بنية ومعنى من دونها، فهي التي تجعله متماسكا².

¹ ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص ص: 80، 81.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 147.

ويعرّف محمّد خطّابي الوصل بأنّه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظّم، ويكون بعناصر رابطة متنوّعة تصل بين أجزاء النصّ، تفيد العطف أو النتيجة أو الشرط أو غيرها، والغرض إضافة معلومات إلى المعلومات السابقة، أو مغايرتها أو بيان نتيجتها أو غيرها¹.

نلاحظ أنّ الفصل والوصل الذي تحدّث عنه البلاغيّون، يقابله مفهوم الوصائل في اللسانيّات الحديثة، وأنّ الوصل يعني الرّبط بين مكوّنات الخطاب بأدوات مختلفة يمكن تصنيفها من خلال الوظائف التي تؤدّيها داخل النصّ، وقصد المتكلّم، هذه الوظائف ترتكز في الخطاب على الخصائص النحويّة والدلاليّة للأدوات، وأنّ الفصل يقصد به الرّبط بين مكوّنات الخطاب من غير أدوات بنويّة، وهو ما أطلق عليه في بعض الدّراسات بمصطلح الارتباط أو التّرابط. وتصنّف لسانيّات النصّ الوصائل في أنواع تتقسم إلى صنفين: وصائل نحويّة، ووصائل معجميّة ويقصد بالمعجميّة الوحدات المعجميّة المتنوّعة مثل الأسماء والأفعال والصفات، وقد تكون في شكل مركّبات²، وأهمّ الوصائل النحويّة؛ الوصل بالضّمير والشرط والعطف، وغيرها.

2. مفهوم البنية والوظيفة:

يعنى الاتجاه الوظيفي بكيفيّة استخدام اللّغة بوصفها وسيلة اتّصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصّل إلى أهداف وغايات معيّنة، ويربط بين النّظام اللّغوي وكيفيّة توظيف هذا النّظام لأداء المعاني، مع وجود خيارات متعدّدة أمام المتكلّم ضمن نظام اللّغة تجعله يختار نظاما معيّنا يقدّم من خلاله ما يريد قوله؛ مراعيًا ظروف الكلام، وسياقا له ووظائف محدّدة، والخيارات الممكنة لا تعني أنّها مترادفة، لأنّ كلّاً منها يركّز على جانب معيّن³.

¹. ينظر: لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، المركز الثّقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م، ص: 23، 24.

². ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي، ص: 82/ ونحو النصّ اتّجاه جديد في الدّرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشّرق، 2001م، القاهرة، ط1، ص: 103.

³. ينظر: مبادئ اللسانيّات، أحمد محمّد قدور، ط3، طبعة مزيدة منقّحة، دار الفكر، دمشق 2008م، ص: 297، 298.

أ . مفهوم البنية:

من بَنَى بِنْيًا وَبِنْيَةً؛ و(البِنْيَةُ والبُنْيَةُ ما بَنَيْتَهُ.. يقال: بِنْيَةٌ؛ وهي مثل رِشْوَةٍ ورِشَاءٍ، كَأَنَّ البِنْيَةَ الهَيْبَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا؛ مثل المِشْيَةِ والرَّكْبَةِ... يقال بُنِيَ وَبُنِيَ وَبُنِيَ) ¹، وَبِنْيَةُ الشَّيْءِ: ما هو جوهري فيه، أو ما هو أصيل فيه وثابت لا يتبدّل بتبدّل الأوضاع والحالات ².
وهي أنواع: بنية كلمة وبنية جملة وبنية نصّ، وبنية الكلمة عند النّحاة العرب هي صيغتها أو وزنها أو هيئتها المتمثّلة في عدد حروفها المرتبّة؛ أصلية وزائدة، وحركاتها المعينة وسكونها ³، وتأخذ بعض التعريفات بمبدأ العلاقة فتحدّد البنية بأنّها نظام يقوم على قوانين داخلية تتحكّم في الرّبط بين العناصر المكوّنة للبنية، أي؛ أنّها علاقات تربط المكوّنات بعضها ببعض، دون الرّجوع إلى عناصر خارجيّة، والمعنى يستخرج من مجموع العلاقات النّظميّة الّتي تربط بين تلك المكوّنات وفق أحكام لغويّة معيّنة تبعا لنظام تلك اللّغة المستعملة ⁴.

ب . مفهوم الوظيفة:

يقول ابن منظور: "وُظِفَ: الوَظِيفَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ مَا يُقَدَّرُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقٍ، أَوْ طَعَامٍ، أَوْ عَافٍ، أَوْ شَرَابٍ، وَجَمَعُهَا الوَظَائِفُ وَالوُظُفُ، وَوُظِفَ الشَّيْءُ عَلَى نَفْسِهِ وَوُظِفَهُ تَوْظِيفًا؛ أَلْزَمَهَا إِيَّاهُ، وَقَدْ وَظَفْتُ لَهُ تَوْظِيفًا؛ عَلَى الصَّبِيِّ كُلِّ يَوْمٍ حِفْظَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" ⁵.

والوظيفة عموما هي الدور الذي يلعبه عنصر من العناصر (فونيم، مرفيم، مركّب، شبه جملة...) في البنية النّحويّة للنصّ، ومن بين هذه الوظائف وظيفتا المسند والمسند إليه

¹. لسان العرب، ابن منظور، باب: الباء، مادّة (بنى)، 3/ 365.

². ينظر: البنيويّة في الفكر الفلسفي المعاصر، مهيبيل عمر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط3، 2010م، ص: 19.

³. ينظر: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، عبد الرّحمن الحاج صالح، موفم للنّشر الجزائر، 2007م، 1/ 207،

وهامش: 213.

⁴. ينظر: بنية الجملة الطّليبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، دفة بلقاسم، منشورات مخبر الأبحاث في اللّغة والأدب الجزائري،

جامعة محمّد خيضر بسكرة، 2008م، 1/ 6.

⁵. لسان العرب، ابن منظور، باب: الواو، مادّة (وظف)، 51/ 4869.

المحدّدتان للعلاقات الأساسيّة في الجملة، ووظيفة المفعول التي هي مكّمة لمعاني بعض الوحدات)¹، وكلمة "وظيفة" في الدّراسة اللّغويّة لها معنيان²:

◆ . الوظيفة بمعنى الدّور والغرض الذي تؤدّيه اللّغة كظاهرة اجتماعيّة وهو التّواصل.

◆ . الوظيفة بمعنى العلاقة القائمة بين مكّونات المركّب الاسمي أو الجملة؛ كعلاقة الإسناد

في الدّراسة الوظيفيّة للجملة، وكالعلاقات المقترحة في إطار الجهاز الوظيفي عند سيمون ديك، وتعني بدورها الوظائف الثلاث:

الوظائف الدّلاليّة (وظيفة المنفّذ والمتقبّل والمستقبل والمستفيد...)، والوظائف التّركيبيّة (الفاعل والمفعول)، والوظائف التّداوليّة (المبتدأ، المنادى، المحور، البوّرة، الذّيل)، وكالعلاقات التي تقوم بين العناصر اللّغويّة في البنية النّحويّة للتّعبير (الفونيم، المورفيم، الكلمة، المركّب...).

وفي الأنحاء الصّوريّة يستعمل هذا المصطلح للدّلالة على العلاقات التّركيبيّة؛ كعلاقات

الفاعل والمفعول المباشر والمفعول غير المباشر.

ومفهوما العلاقة والدّور بالنّسبة للوظيفة مفهومان متباينان، حيث إنّ العلاقة رابط بنيوي قائم بين مكّونات الجملة أو مكّونات المركّب، في حين أنّ الدّور يخصّ اللّغة بوصفها نسقا كاملا، وهذا التّباين لا يلغي ترابطهما في مبدأ أنّ للّغة دورا معيّنا تسخّر لأجله؛ كدور تحقيق التّواصل بين مستعمليها، وأنّ هذا الدّور حاضر في العلاقات الدّلاليّة والتّداوليّة القائمة بين مكّونات العبارات اللّغويّة؛ مركّبات وجملا ونصوصا، بالإضافة إلى الوظائف الأخرى، وهذا الدّور يجب أخذه بعين الاعتبار في وصف الظّواهر اللّغويّة وتفسيرها، والرّبط بين بنياتها التّركيبيّة ووظيفتها التّواصلية على أساس أنّ الثّانية تحدّد سمات الأولى؛ مكّونات ورتبة³.

والتركيز في هذه الدّراسة على الوظيفة التي تعني الدّور المنوط ببنيات اللّغة وهو

التّواصل، أكثر منه على الوظيفة التي بمعنى العلاقة.

¹ اللّسانيّات العامّة وقضايا العربيّة، مصطفى حركات، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، 1998م، ص: 139.

² ينظر: التّركيبات الوظيفيّة؛ قضايا ومقاربات، المتوكّل أحمد: مكتبة دار الأمان، ط1، 2005م، الرّباط، ص: 21،

23/ والمتوكّل، اللّسانيّات الوظيفيّة (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط2، 2010م، بيروت لبنان، ص: 50.

³ ينظر: المتوكّل أحمد، التّركيبات الوظيفيّة، قضايا ومقاربات، ص: 23، 43.

وقبل الحديث عن تبعية البنية للوظيفة يجدر بنا أن نعرّف بالنظرية الوظيفية وأهم مبادئها:

3. النظرية الوظيفية:

الوظيفية نسبة إلى الوظيفة، وتعني في الاتجاه الوظيفي (fonctionnalisme)؛ ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والبيان، ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعة لها، وتعود جذور هذا الاتجاه إلى حلقة براغ التي وضع أسسها ماثيسوس سنة 1926م، وتضمّ عددا من الباحثين التشيكيين منهم ترنكا وهافرانك وفاشيك، وعددا من الباحثين الروس منهم تروبتسكوي وكارسفيسكي، ورومان جاكسون، وتؤكد هذه المدرسة على وظيفة الإبلاغ للغة، وتعمل على بيان آثار ظاهرة في الملفوظات باختبارها واستبدالها، ويرجع الفضل إلى هذه الحلقة في ظهور علم الأصوات الوظيفي، ثم طوّر عالم اللغة (دانيش)، هذه الحلقة، وكان له أثر كبير في ظهور دراسات أخرى تدرج ضمن هذا الاتجاه، إذ تبنّى أفكاره عدد من الباحثين اللغويين ومنهم أندري مارتيني الذي أثري أفكار هذا الاتجاه وطوّرها¹، وتزعم فيما بعد المدرسة الوظيفية الفرنسية، ثم نشأت عدّة مدارس لسانية أخرى تبنّت هذا الاتجاه منها؛ المدرسة النسقية (هاليداي)، والتركيبات الوظيفية الأمريكية (كونو)، ونظرية النحو الوظيفي (سيمون ديك)، ونظرية الأفعال اللغوية في فلسفة اللغة العادية التي تأخذ بنفس المبادئ، كما نجد في الدرس اللغوي القديم إرهابات للوظيفية وإن لم تستعمل هذا المصطلح، وهي تشترك معها في تركيزها على الجانب الوظيفي للغة باعتبارها أداة تواصل وتفاهم بين الأفراد لتحقيق أغراض معينة وتفاوت في المنطلق والهدف والنمذجة، والتحليل الوظيفي للعبارة اللغوية².

ويمكن تقسيم النظريات التي اعتمدت مبدأ وظيفة اللغة التواصلية إلى: وظيفية بنوية؛ ركزت على وظيفة البنيات اللغوية، وظهرت مع مدرسة براغ والوجهة الوظيفية للجمل، وأندريه مارتيني، ووظيفية تداولية تنظر إلى اللغة مرتبطة بمختلف الظروف والملابسات المقامية التي

¹. ينظر: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، 2011م، الجزائر،

ص: 92، 93/ والمدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن التواتي، ص: 11، 12.

². ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، المتوكّل، دار الأمان، ط1، 2006م، الزناب، ص:

تنتج فيها الجمل أو ينجز فيها الكلام لأداء وظيفة التّواصل كذلك، ممثلة في نظريتي النسقيّة مع (هاليداي)، ونظريّة النّحو الوظيفي وأشهر من يمثلها سيمون ديك الهولندي ومن العرب أحمد المتوكّل¹، وهنا يمكن الحديث عن النّظريّة السياقيّة لفيرث كونها أدخلت المقام في الدّراسة اللّغويّة، وتحديد المعنى، وجعلته أساسياً في تحديد البنية اللّغويّة، ومن ثمّ يتحقّق التّواصل والوظيفة الأولى للغة.

4. المبادئ العامّة للوظيفية:

مبادئ عامّة تشترك فيها أغلب مدارس هذا الاتّجاه، ونذكر هنا أهمّ ما يتّصل بموضوع البحث:

أ. مبدأ أداتيّة اللّغة:

اللّغة في المقاربة الوظيفيّة أداة تسخّر لتحقيق التّواصل داخل المجتمعات البشريّة، فالعبارات مفردات وجملا وسائل لتأديّة أغراض تواصلية، وتقارب خصائصها البنيويّة على هذا الأساس².

ب. مبدأ وظيفة اللّغة الأداة:

يسخّر مستعملو اللّغة هذه الأداة لتحقيق أغراض متعدّدة، كالتعبير عن الفكر والمشاعر والمعتقدات، والتأثير في الآخرين، بترغيبهم أو إقناعهم أو ترهيبهم أو مجرد إخبارهم، ومهما تكن الأغراض؛ فإنّها ترجع إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التّواصل بين أفراد العشيرة اللّغويّة، ومن المعلوم أنّ التّواصل قد يكون بأداة غير اللّغة كالإشارة، لكنّها لا ترقى إلى قوّة ودقّة اللّغة³.

ج. مبدأ سياق الاستعمال:

يقصد به تطابق العبارة اللّغويّة لنسق الاستعمال، والنسق مجموعة القواعد والأعراف التي تحكم التّعامل داخل مجتمع معيّن، وسياق الاستعمال سياقان؛ سياق مقالي: وهو مجموعة

¹. ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، المتوكّل، ص: 51، 52/ والمتوكّل، اللسانيّات الوظيفيّة، مدخل نظري، ص: 99، 100.

². ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، المتوكّل، ص: 20، 19.

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 20، 21.

العبارات المنتجة في موقف تواصل معيّن، وسياق مقامي: وهو مجموعة المعارف والمدارك التي تتوافر في موقف تواصل معيّن لدى المتكلم والمخاطب¹.

إنّ أهمّ مبدأ للوظيفية هو تركيزها على الجانب الوظيفي للغة باعتبارها أداة تواصل وتفاهم بين الأفراد من أجل تحقيق أغراض معيّنة، دون إهمال الوظائف الأخرى، ويبيّن أندري ماريني أنّ الوظيفة اللغوية تتمحور في الحقيقة حول عملية التّواصل، أو عملية التّفاهم المتبادل، وأنّ اللغة هي قبل كلّ شيء الأداة التي يتوسّلها أفراد المجتمع لإقامة الاتّصال، وتطوّرها يرتبط بحاجات التّواصل التي تقتضيها الحياة المجتمعية².

د. تبعية البنية للوظيفة:

يرى فلاسفة اللغة العادية واللغويون الوظيفيون أنّ للغة وظيفة أو وظائف، وأنّه من المتعدّد وصف وتفسير خصائص اللسان الطبيعي إذا خلا الوصف والتفسير من الرّبط بين الوظيفة وهذه الخصائص التي تعتبر انعكاساً صورياً لها، ويعدّ هذا المبدأ أهمّ مبدأ إجرائي في نظرية النحو الوظيفي، ذلك أنّه يربط أدوات اللغة وبنيتها بوظيفة التّواصل، ويقصد بتبعية البنية للوظيفة أنّ الوظيفة التّواصلية تحدّد بنية اللغة، وأنّ كلّ أداة من الأدوات التي يستعملها البشر تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المراد تحقيقها، فبنية اللغة ترتبط بوظيفتها التّواصلية وبوظائفها الأخرى ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة، وطبقاً لهذا المبدأ تتحدّد السمات التركيبية لأيّ منتج لغوي (جملة، مركّب، نصّ...) حسب الغرض التّواصلية المقصود تأديته³، فغرض المدح أو الذمّ والابتعاد عن الإطناب في الكلام والتّثويب فيه مثلاً؛ كان سبباً في اللّجوء إلى بنية مخالفة للإعراب في وصل الصّفات، ليُعلم أنّ المتكلم يريد الثّناء والتّعظيم، وأنّه لا يريد أن يحدث النّاس بأمر جهلوه؛ كما في قوله تعالى: "وَأَلْمُفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا^ط

وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبَٰسَاءِ وَالضَّرَّاءِ... البقرة، نصب (الصّٰبِرِينَ) ليظهر قصد المتكلم القطع حين

¹ ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، المتوكّل، ص: 22، 23.

² ينظر: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، ص: 93.

³ ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، المتوكّل ص: 51/ والتركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، المتوكّل ص: 30/

والوظيفة والبنية، (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، المتوكّل، منشورات عكاظ 1993م، الرّباط، ص: 10.

يختلف الإعراب، إذ لا يعلم قصده القطع إلا بمخالفته، وغرضه التّعظيم والمدح، والنّصب بتقدير: أخصّ أو أمدح تنبيها على خصيصة الصّابرين ومزيّة صفة الصّبر¹.

5. الوظيفة البنيوية، حلقة براغ وأندريه مارتيني أنموذجا:

1.5. وظيفة حلقة براغ:

بدأ الاتجاه الوظيفي يبرز إلى الوجود وتتكوّن ملامحه مع حلقة (مدرسة) براغ التي استفادت من آراء دي سوسير، واشتهرت في ميدان اللسانيات بدراساتها الصوتية، وكوّنت لنفسها نظرية لغوية تحدّد منهجها انطلاقا من اعتبارها اللّغة نظاماً وظيفياً يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتّواصل، وفسّر أصحابها اللّغة بأنّها بنية وظيفية يمكن تقطيعها إلى بنيات صغيرة لها وظائف خاصّة ومتميّزة، فضبطوا منهجا للتمييز بين ما هو وظيفي فيها وما ليس وظيفياً²، واعتبروا اللّغة واقعا مادياً يتّصل بعوامل خارجية بعضها يتعلّق بالسّامع، والآخر يتعلّق بموضوع الكلام، فاهتمّوا بكيفية الاتّصال ومناسبته ولمن يوجّه، والعلاقة بين البنية والأفكار التي توصلها هذه البنية³.

فالبنى الصيائية، والقواعدية، والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤدّيها في المجتمعات التي تعمل فيها، ومن الصّعوبة الفصل بين البنية اللّغوية، والسيّاق الذي تعمل فيه، والوظيفة التي تؤدّيها تلك البنية في السيّاق، لذلك يجب أن تكون دراستها دراسة وظيفية محضة، يحاول الباحث من خلالها أن يكشف ما إذا كانت كلّ القطع الصوتية التي يحتوي عليها النصّ تؤدّي وظيفة في التّبايع أم لا⁴، ويكشف الفوارق الصوتية التي توصل إلى القدرة على التعبير عن الانفعال، ويدرس التّقابلات الفونيمية، ووظيفتها في إدخال تعديلات على الكلمات والأنظمة السياقية، والعناصر اللسانية والعلاقات القائمة بينها، لأنّها متعايشة ومترابطة ولا يمكن فصلها⁵.

¹ ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 2/ 132، 133.

² ينظر: أهم المدارس اللسانية، المهيري عبد القادر وآخرون، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ط2، 1990م، تونس، ص: 40، 41.

³ ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، ص: 89، 90.

⁴ ينظر: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، محمّد محمّد يونس علي، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص: 70.

⁵ ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، ص: 87، 88.

وإذا كان سوسير يعتبر اللغة نظاما من العلامات، فمدرسة براغ ترى أنها؛ نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات، أو وحدات لغوية صوتية، وكل وحدة لغوية لا حقيقة لها لغويا إلا إذا ثبت أن لها وظيفة، أي أنها تساهم بنصيبتها في تبليغ المعنى¹، ونأخذ مثلا على ذلك اسم الإشارة الذي جاء في كثير من تراكيب القرآن الكريم لأداء وظيفة الربط بالفصل أو الربط بالإحالة، وهو وحدة لغوية لا يظهر معناها إلا من خلال وظيفتها في التركيب، فقد ينوب عن تكرار عبارة لغوية أو محتوى أو مضمون جمل، كما يفيد في بعضها ربط الكلام اللاحق بالسابق؛ ومن ذلك قوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ... ﴿١٧٦﴾ البقرة، قال ابن عاشور عند تفسير هذه الآية: (جاء باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله، إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو نحوهما)²، أو يكون الفصل واقعا باعتبار انتهاء الآية السابقة ووجود الفاصلة القرآنية، فجاء اسم الإشارة ليربط بين الآيتين³؛ كقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾ آل عمران.

أ. مفهوم البنية عند مدرسة براغ:

أجزاء مفردة تترايط ترابطا غير مستقل لتشكل نظاما من العلامات له علاقة بأنظمة علامائية أخرى، لها وظيفة تواصلية ووظائف أخرى، وقد نظروا في البنية اللغوية في ارتباطها الوثيق بالبنية المحيطة بها، وبذلك فهم راعوا الواقع غير اللغوي، فصارت البنية تعني الأجزاء وعلاقتها المستقلة بالعلم غير اللغوي، أو هي الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني⁴.

¹. ينظر: أهم المدارس اللسانية، المهيري عبد القادر وآخرون، ص: 42.

². تفسير التحرير والتنوير، 2/ 126

³. ينظر: خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1999م، ص: 412.

⁴. ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، بوقرة نعمان، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 2009م، ص ص: 94، 95.

ب . مفهوم الوظيفة عند مدرسة براغ:

يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة بالمعنى اللغوي العادي؛ (له وظيفة، له مهمة، وله دور)، فاللغة بالنسبة لهم وسيلة إفهام وهدف، و(إذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور في التواصل ينتمي إلى اللغة وكل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها)¹، فنظروا إلى اللغة كما ينظر المرء إلى محرك محاولاً أن يفهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤه المختلفة، وكيف تحدّد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء الأخرى، ولم يكتفوا بالحديث عن ماهية اللغة، بل تحدّثوا عن سبب اتّخاذ اللغات الأشكال التي نجدها عليها²، ووظائف اللغة هي الأغراض التي يحملها الخطاب عند إنتاجه، وأهمّ هذه الوظائف هي وظيفة التواصل، ذلك أنّ اللغة تعتبر أساساً أداة لنقل المعلومات³.

ج . نظرتها الوظيفية للجملة (علاقة البنية بالوظيفة):

عبّر ماثيوس عن نظرتة الوظيفية في شكل ثنائيات متميزة تتعلّق بالطرفين الأساسيين للجملة، وتأثير كيفية ترتيبهما في الوظيفة التي تؤديها الجملة، وهذه الثنائيات هي ثنائية الموضوع، والتعليق أو البؤرة، وثنائية المتقدّم والمتأخّر، وثنائية المسلّمة والإضافة، فالمتقدّم هو الشئ المتحدّث عنه الذي يفترض المتكلّم معرفة المخاطب له، والمتأخّر هو الجزء المتمم للجملة الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدّم، والمسلّمة هي ما يقدّمه المتكلّم من معلومات يدركها السّامع من مصدر ما في المحيط (أي المقام، أو النصّ السّابق)، والإضافة ما يقدّمه المتكلّم من معلومات لا يدركها السّامع من مصادر أخرى⁴، ففي قوله تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

¹ أهمّ المدارس اللسانية، المهيري عبد القادر وآخرون، ص: 40.

² ينظر: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: محمّد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود،

1417هـ، المملكة العربية السعودية، ص: 106.

³ ينظر: اللسانيات العامّة وقضايا العربية، حركات مصطفى، ص: 12.

⁴ ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمّد محمّد يونس علي، ص: 71.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ البقرة، الموضوع المتقدم: النجاة من آل فرعون وسومهم العذاب، والمتأخر التعليق: تذبيح الأبناء واستحياء النساء، وجاءت البنية بالفصل لأداء وظيفة تفسير وبيان وتوضيح معنى سومهم سوء العذاب، وقد تحمل الجملة في موضع بدل البعض تخصيصاً لأعظم أحوال سوء العذاب¹، فالمتأخر هنا أضاف للمتقدم معلومات أتمت المعنى وخصّصته وفسرته وبيّنته للمخاطب، والمخاطبون هنا هم الخلف من الأبناء، وليسوا الأسلاف الذين أصابهم العذاب، ففي تنجيّتهم تنجيّة للخلف، ولو بقي أسلافهم في عذاب فرعون لكان ذلك لاحقاً بهم².

وإذا كان عدول وتبادل في البنية، صحبه تغيير في المعنى، وهذا العدول والتبادل يحكمه مبدأ دلاليّ؛ ففي الآية السابقة وقع عدول في البنية عن الإتيان بالمصدر الصريح إلى المجيء بالفعل، لأنّ "إذ" هنا اسم زمان غير ظرف، وهي مفعول به، والتقدير: واذكروا وقت إنجائنا إياكم، والغرض من العدول تصوّر حدوث الفعل وفاعله ومفعوله ومتعلقاته دفعة واحدة، فتشأ صورة عجيبة من هيئة الفعل، بينما ذكر المصدر لا يقتضي استحضار كل ذلك، بل يكفي الذهن فيه بتصوّر معنى الحدث، ولو كانت "إذ" ظرفاً لكانت الجملة معطوفة على آية "اذكروا" قبلها، فيقتضي ذلك متعلقاً وهو ليس بموجود، فتكون "إذ" اسم زمان مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكروا³.

وقد تشترك بنيتان في الدلالة العامّة، وتختلفان في بعض مكوّناتهما، كأن تختلفا في حرف من حروفهما الرابطة، فيؤدّي ذلك إلى تغيير في الدلالة؛ كما في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا... ﴿٦٥﴾ البقرة، في مقابل قوله عزّ وجلّ: "وَيَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا... ﴿١١﴾ الأعراف، عطفت جملة: "وَكُلَا

¹. ينظر: تفسير التحرير والتثوير، 1/ 493.

². ينظر: المرجع السابق، 1/ 489.

³. ينظر: المرجع السابق، 1/ 489.

مِنْهَا" بالواو على جملة: "أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ" في آية البقرة، وفي آية الأعراف عطف جملة " فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا" بالفاء، ووقع الوصل في الآيتين لاتفاق الجملتين في الطلب، وهذا التقابل بين البنيتين لا يعني تطابقهما وإسقاط الفرق بينهما؛ رغم أنّ الموضوع (المتقدم)، والبؤرة (المتأخر) واحد في كليهما، لكنهما ليستا سواء، فكلّ بنية تحمل دلالة خاصّة، لاختلاف أداة الوصل التي تحدّد المعنى بدقّة، ورغم إمكانية اشتراك هذه الأدوات في الدلالة العامّة، وإمكانية تبادلها في مواضع، فإنّه في مواضع أخرى كهذين الموضوعين غير ممكن دلاليًا وبنويًا، فداليًا لا يصحّ تبادلهما، لأنّ "أَسْكُنْ" في الآيتين ليسا بمعنى واحد، ففي البقرة أمر بالسكون الذي معناه الإقامة، وذلك يستدعي زمانًا ممتدًا، فلم يصحّ إلّا بالواو، والمعنى: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأنّ الفاء للتّعقيب والترتيب، وفي الأعراف "أَسْكُنْ" من السكّنى؛ الذي معناه: اتّخاذ الموضوع مسكنًا، فكانت الفاء أولى، لأنّ اتّخاذ المسكن لا يستدعي زمانًا ممتدًا، ولا يمكن الجمع بين الاتّخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقبه، وذهب الخطيب إلى أنّ ما في "الأعراف" خطاب لهما قبل الدخول، وما في "البقرة" بعد الدخول¹.

وبنويًا لا يصحّ تبادلهما، لأنّ الواو للجمع، والفاء للترتيب والتّعقيب، ومانع آخر يظهر في قول الرّازي (ت604هـ) عند تفسيره لآية البقرة ومقارنتها بآية الأعراف، ورغم أنّ الواقعة في السورتين هي هي، إلّا أنّه يوجد فرق بينهما؛ يقول: (كلّ فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشّيء بمنزلة الجزاء عطف الثّاني على الأوّل بالفاء دون الواو)²، فالأكل متعلّق بالشّيء كتعلّق الجزاء بالشرط لذلك عطفه بالفاء، في حين لا يختصّ وجوده بوجود السكّن، وكما هو واضح فالمعنى العام (أو النسبة الخارجيّة) واحد في الآيتين، لكنّ الدلالة

¹. ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، الكرمانى تاج القرّاء

محمود بن حمزة، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، دط، دت، ص: 70، 71.

². تفسير الفخر الرّازي، 3/ 4، 5.

ليست واحدة، لذلك اختلفت الأدوات التي تعين الجهة أو تحدّد المعنى المقصود، وحدث عدول في البنية من الوصل بالواو إلى الوصل بالفاء، لأداء هذه الوظيفة.

ومنه قوله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ... ﴿٢١٢﴾ البقرة، عطف بثم مع أنّ الظاهر أن يعطف بالواو، لغرض دلاليّ يتمثل في إظهار التّفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، وأنّ تركهما خير من نفس الإنفاق، وثمّ للترتيب لا للمهلة الزّمنية ترفيعاً لرتبة ترك المنّ والأذى على رتبة الصدقة¹.

إنّ الفروق الدّقيقة بين تلك الأبنية المستندة إلى مبادئ دلالية نحوية فرعية؛ غير مستقرّة، فهي تصلح في مواضع ولا تصلح في أخرى، لأنّه ليست لها صفة الاطراد في إمكانية تبادلها، ومخالفة ذلك يؤدّي إلى إسقاط هذه الفروق، والابتعاد عن المعنى المقصود، فلا توضع الفاء موضع الواو، ولا ثمّ موضعهما، ولا يصلح الفصل موضع الوصل ولا العكس.

واختلاف البنى يرجع إلى اختلاف السياقات وما يتعلّق بها؛ وبنية كلّ جملة من الجمل محكومة بالوظيفة التي يريد المتكلّم أن يؤدّيها خطابه أي الغرض الإبلاغي منها، والمعنى الذي يريد أن يقع عليه السّامع؛ ففي قوله تعالى: "وَإِذْ حَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ... ﴿٢١٦﴾ البقرة، ذكر "يُدَبِّحُونَ" بغير الواو مفصولة

عن الجملة الأولى: "يَسُومُونَكُمْ"، وفي سورة إبراهيم: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ... ﴿٦١﴾"، بالواو في: "وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ"

موصولة بما قبلها، لاتّفاقهما في الخبريّة، وتغيّر البنية من الفصل في سورة البقرة إلى الوصل في سورة إبراهيم يرجع إلى تغيّر السياق والوظيفة، فأية البقرة من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد

¹. ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 42/3.

المحن عليهم، لذلك جاءت بالفصل، ووظيفته تبيان وتوضيح نوع العذاب، والخطاب من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، بينما آية إبراهيم من كلام موسى عليه الصلاة والسلام، ووظيفتها تعداد النعم عليهم، وكان مأمورا بذلك¹ في قوله تعالى: "وَذَكَرَهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ... ﴿٥٨﴾ إبراهيم، والخطاب موجّه منه إلى قومه فاحتاج إلى هذا الرّابط ليعدّد النعم، فالسياقان مختلفان، فالأولى سياقها بيان وتفسير، والثانية سياقها تعداد النعم عليهم، والله أعلى وأعلم.

إنّ مراعاة المتكلم في اختياره لمكونات البنية اللغوية والتأليف بينها؛ لأداء معنى بعينه، يريد من المخاطب أن يقع في ذهنه على هيئة تكوّنه في نفس المتكلم، يحافظ على تفاعل المخاطب معه في عملية التلقّي والفهم والتّواصل والتفسير، كما أنّ مراعاة المناسبة والمقام وسياق البنية من الكلام السابق والكلام اللاحق، يبرز موضع الدقّة وينفذ إلى المعاني الظاهرة والخفية ويكشف الغموض الذي قد يعتريها، ويرصد الدلالات المختلفة لكلّ مكون من مكوناتها²؛ ويفسر ما قد يشكل على المتلقّي، من ذلك استعمال أداة من أدوات الرّبط في غير موضعها الأصل، وكما أشرنا في فصل سابق فإنّ من أدوات الرّبط والوصل أدوات الشرط، ومنها؛ (إذا) و(إن)، و(إذا) تستعمل في الكثير الوقوع والمقطوع به، و(إن) تستعمل في المشكوك والتأدر، ولكن هناك مواضع استعملنا فيها الأدوات في غير ما وضعنا له؛ فأشكلتنا على قاعدتهما؛ كقوله تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْ مَاتَ... ﴿١٤٤﴾ آل عمران، وقوله تعالى:

"وَلَيْنِ مُتُّمَّ... ﴿٥٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً... ﴿٦٣﴾ الروم، فأتى ب(إن) في الأولى مع أنّ الموت محقق الوقوع، وهي للأمر المشكوك، ولكن إذا رجعنا إلى القرائن والسياق نجد أنّ الموت لما كان مجهول الوقت أُجري مجرى غير المجزوم، وبهذا تتحدّد وظيفة إن هنا، وجاءت إذا في الطرفين، مع أنّها تأتي في جانب النعم والحسنات، لأنّها للكثير، والنعم أكثر، وذلك لأنّه قصد التوبيخ والتقريع، فتكون

¹ ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، الكرمانى، ص: 72.

² ينظر: دراسات لغويّة تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، بحيري سعيد حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م ص: 268.

وظيفة (إذا) تخويفا لهم، وإخبارا بأنهم لا بدّ أن يمسه شيء من العذاب¹، وقد يبدو لنا إمكانية تبادل موقعي الأداتين في غير القرآن الكريم، إلا أنّ وظيفة كلّ أداة تحول دون ذلك.

وطور دانيش فيما بعد أفكار مائيسوس فاقترح مقارنة للجملة تُميّز بين ثلاثة مستويات للتحليل:

مستوى البنية الدلالية: تتضمن حدثا ومشاركين، لها مفاهيم دورية كالمنفذ والمتقبل أو الهدف؛ كقوله تعالى: "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ^ط وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

ج... البقرة، فالحدث: إبداء أو إخفاء الصدقات، والمنفذ: الضمير أنتم، والهدف: إيتاؤها الفقراء.

مستوى البنية النحوية: يمثل فيها لعلاقات تركيبية كعلاقات الفاعل والفعل والمفعول؛ ففي الآية السابقة؛ الفاعل: الضمير أنتم، والفعل: تبدوا، تخفوا، تؤتوا، والمفعول: الصدقات، الهاء، الفقراء.

مستوى البنية الوظيفية: مستوى تنظيم الجملة على أساس مطابقتها للسياق التواصلي، وتضطلع بالتمثيل لعلائق تداولية؛ والجملة في هذا المستوى تتضمن مكونين أساسيين: المكوّن المحور؛ ويدلّ على ما يشكّل محطّ الحديث، يحمل المعلومة المتقاسمة بين المتخاطبين، أو المعلومة المربوطة سياقيا، أي المعلومة الممكن استمدادها من الواقع، والمكوّن التعليق؛ ويدلّ على ما يشكّل الحديث ذاته، أي ما يُحدّثُ به عن المحور، والحامل للمعلومة الجديدة، والحامل لنبر الجملة²؛ كقوله تعالى: "لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ"

ج... آل عمران، فالمكوّن المحور: سماع الله تعالى قولهم، والمكوّن التعليق: مضمون القول، وهو

الحامل لنبر الجملة، وبه يتمّ المعنى، ويظهر لنا ذلك من خلال ما عرف عند أصحاب القراءات بمصطلح الوقف، وهو ضرب من التنغيم، ويعدّ فونيميا له وظائف دلالية ونحوية، وهو من مواضع الفصل، وظاهرة تعني قطع الصّوت آخر الكلمة، أو قطع الكلمة عمّا بعدها، لأداء وظائف دلالية وتركيبية تتعلّق بالسياق وتتمام المعنى، ويكون لازما في مواضع يكون الوصل

¹ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، 3/ 1022، 1023.

² ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص ص: 36، 117.

فيها إضرارا بالمعنى، وعند الوقف قبل تمام التركيب اللغوي يأتي التركيب ناقصا ويكون المعنى معه فاسدا، فالوقف على قوله تعالى: "لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا... ﴿١٣١﴾" ويبدأ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَخَنُ أَعْنِيَاءُ"، يفقد الجملة نبرها ويجعل المعنى مستحيلا، وهذا النوع من الوقف مرفوض، لأنه يوهم السامع والقارئ معنى فاسدا، كما أنه يؤثر في الوظيفة النحوية للجملة، فالوقف على (قالوا)، تكون الجملة بعدها ابتدائية لا محل لها من الإعراب، في حين أن وظيفتها بالوقف على (أغنياء) في محل نصب مقول القول¹.

كما أن مراعاة سياق البنية من الكلام السابق واللاحق يجعل المعنى واضحا، وينفذ إلى المعاني الظاهرة والخفية، ويؤذن بأن طرفي الكلام إما مرتبطان، وإما منقطعان فيستقل كل منهما؛ وللوقف أيضا دور في تبين ذلك؛ كالوقف على قوله تعالى: "...وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾" البقرة، إذ لو وصل بقوله: "سُخِّرُوا لَكُمْ أَلْسِنًا... ﴿١٠﴾" البقرة، لثوهم أن الجملة صفة لقوله: بمؤمنين، فينتفي الخداع ويتقرر الإيمان خالصا لهم، كما تقول: ما هو بمؤمن يخادع، وهذا عكس المراد من الآية².

ويشبه هذا ما يسمّى في اللسانيات بالمفصل والانتقال، أو فونيم المفصل، وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين مقاطع حدث كلامي، بقصد الدلالة على مكان انتهاء المقطع، وبداية آخر³.

وللوقف علاقة بالفصل والوصل في ربط مكونات العبارة اللغوية، ووظيفته الإيدان بتمام معنى وانفصاله عما بعده، وأنه لو وصل طرفا الكلام لتغير المقصود، وقد يكون تاما فتأتي البنية التركيبية للجملة كاملة في مكوناتها اللفظية، ومستقلة في معناها، ولا يرتبط اللفظ

¹ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، 2/ 545، 546/ والفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمد المدني علي، ص: 47، 48.

² ينظر: الإتقان في علوم القرآن، 2/ 545، 546/ والفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمد المدني علي، ص: 47، 48.

³ ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دط، 1997م، القاهرة، ص: 231.

الموقوف عليه فيها بما بعده لفظا ومعنى، وقد يأتي لازما؛ فتأتي البنية التركيبية موهمة باتصال ما بعدها بها، ويقبل النحو ذلك، ولكن المعنى يمنعه، فلزوم الوقف أمر يرجع إلى ضرورة الفصل بين المعنيين، وقد يكون جائزا، إذا كانت البنية التركيبية اللغوية متعلقة بما بعدها برابط لفظي أو معنوي، كأن تكون الجملة الثانية خبرا أو حالا، مما يجيز الوصل أو الفصل من دون أن يتأثر المبني؛ كالوقف على قوله تعالى: "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"، انتهاء الاستفهام هنا يقتضي الفصل، واحتمال الواو معنى الحال في قوله: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ... البقرة، يقتضي الوصل¹."

ونستنتج مما سبق أنّ التنغيم ظاهرة صوتية لها وظيفة تواصلية تتعلق بالمبنى والمعنى، يحدّد المكوّنين المحور والتعليق، وأنّه إذا لم تتمّ أركان التركيب اللفظي للجملة، لم يتمّ المعنى، فلا تتحقّق الوظيفة التّواصلية، ولا تتحقّق العلاقات بين البنية اللفظية والمعنى.

وتختلف مكوّنات الجملة من حيث درجة حركيتها التّبليغية، طبقا لقدم وجدة ما تحمله من معلومات، فتنقّدم المكوّنات الحاملة للمعلومات القديمة (المعطاة)، وتأخذ أدنى درجات الحركية التّبليغية، وتتأخّر أو تتوسّط المكوّنات الحاملة للمعلومات الجديدة، وتأخذ أعلى درجات الحركية التّبليغية، وبتعبير آخر تقوى الحركية التّبليغية بقدر تأخّر المكوّنات داخل الجملة، وعلى هذا يكون المحور هو المكوّن الحامل لأدنى درجات الحركية التّبليغية، في حين يكون التعليق هو المكوّن أو سلسلة المكوّنات الآخذة لأعلاها²، ففي قوله تعالى: "...يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ يُدْنِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ... البقرة، وتطبيقا لما قلنا؛ وبما أنّ الجملة هنا مركبة فالمكوّن الحامل للمحور هو: "يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ"، يحمل معلومات قديمة (معطاة)،

¹. ينظر: الإتيان في علوم القرآن، 2/ 547/ والفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمّد المدني، ص:

². ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 118، 119.

وهو المتحدّث عنه، والمكوّن الحامل للتعلّيق هو: "يُدْحِخُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ" وهو تعلّيق واحد معقّد، يحمل معلومات جديدة، وهو الجزء المتممّ للجملة، يضيف إلى المعلومات القديمة معلومات جديدة متّصلة بالمعلومات القديمة، ونلاحظ هنا أنّ التعلّيق يأخذ أعلى درجات الحركيّة التبليغيّة، لما يحمله من معانٍ، تفصّل وتبيّن وتوضّح ما جاء مجملاً من معلومات في المكوّن المحور، يدعم ذلك أنّ البنية (الاستحياء) التي على وزن استفعال، ظاهرها يدلّ على طلب الحياة، أي يُبْفِئُهُنَّ أَحْيَاءَ أو يطلبون حياتهنّ، وهذا الاستحياء للإناث كان القصد منه خبيثاً، وهو أن يعتدوا على أعراضهنّ، ولا يجدن بداً من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق، فيكون قوله: "وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ" كناية عن استحياء خاصّ، ولذلك أدخل في الإشارة في قوله: "وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"، ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة¹.

ومن ذلك تصدير الجملة باسم الإشارة كما في قوله تعالى: "أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" البقرة، واسم الإشارة هنا محور حامل لمعلومات معطاة، والمكوّنات التي جاءت بعده تحمل وظيفة التعلّيق، وفيها رجوع إلى الإخبار عنهم بأنّ القرآن هدى لهم، والإتيان بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن شبّهت هيئة تمكّنهم من الهدى وثباتهم عليه، بهيئة الرّاكب في الاعتلاء على المركوب، والتمكّن من تصريفه، لأنّ الاستعلاء أقوى أنواع تمكّن شيء من شيء، ونلاحظ أنّ التعلّيق الحامل لمعلومات جديدة أخذ أعلى درجات في الحركيّة التبليغيّة من المحور، ويظهر ذلك من خلال المعاني التي تدلّ عليها مكوّناته، من ذلك أنّه نكّر "هُدًى" للتّنويه وإفادة التّعظيم بقريّة مقام المدح، وقوله: "مِّن رَّبِّهِمْ" تنويه يقتضي تعظيمه، وتشريف ذلك الهدى، مع الإشارة بأنّهم بمحلّ العناية من الله، وتعظيم شأنهم².

1. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 492، 493.

2. ينظر: المرجع، 1/ 246.

ويجمع لغويو مدرسة براغ على أنّ عناصر كلّ مستوى من هذه المستويات تقوم بدور معيّن في تحديد بنية الجملة، إلا أنّ عناصر المستوى الوظيفي تقوم بالدور الأساسي، إذ إنّ ترتيب المكوّنات داخل الجملة يرجع إلى وظيفتي المحور والتعليق، والترتيب الطبيعي لمكوّنات الجملة يكون على أساس فكرة بنيات وظيفيّة، وليس بنيات تركيبية، فينقدّم المكوّن الحامل لوظيفة محور على المكوّن الحامل لوظيفة تعليق، وفي الجمل المركّبة يتمّ عن طريق تطبيق تحويل يُدمج بنية محوريّة في بنية محوريّة أخرى، وعندها تفقد الجملة الأولى استقلالها وتؤلّف مع الجملة الثانيّة جملة مركّبة تتضمّن نواتين محوريّتين تامّتين، ويتمّ هذا التّأليف على أساس تماثل محور الأولى ومحور الثانيّة، وينتقل تعليقاً الجملتين إلى تعليق واحد معقّد¹؛ كقوله تعالى: "...وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ... ١٥٤" آل عمران، فهذه الجملة مركّبة تتكوّن من البنية المحوريّة الأولى: "طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ"، والبنية المحوريّة الثانيّة: "يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ"، والبنية المحوريّة الأولى تتكوّن من المحور: طائفة، والتعليق: أهمّتهم أنفسهم، والثانيّة تتكوّن من المحور: طائفة المقدّرة في الضمير الواو في يظنون، والتعليق: ظنّ الجاهليّة، وبهذا التّأليف لم يعد للبنية الأولى استقلال، وأدمجت البنيتان عن طريق تماثل المحور في البنيتين، هذا في بنيات الفصل، ونفس الشّيء بالنسبة لبنيات الوصل؛ كقوله تعالى: "...فِعْمَةٌ تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ... ١٣" آل عمران، فالمحور في الأولى: فئة، وفي الثانيّة: أخرى، وأدمجت البنيتان عن طريق تماثل المحورين.

ومن ملاحظة هذه المدونة . على المستوى الإفرادي . تظهر أنّ ثمة وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء، والتقابل هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينها، ممّا يؤكّد أنّ لكلّ كلمة وظيفة داخل التّركيب، وهذا ما نلاحظه عند أندريه مارتيني.

¹. ينظر: اللسانيّات الوظيفيّة (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 120، 121.

5. 2 . وظيفية أندريه مارتيني:

أ . وظيفة اللغة: la fonction de la langue

يرى مارتيني أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل، وهذه الوظيفة تؤدّيها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، ولكنّه لا ينفي بقية الوظائف الأخرى، بل يقرّ بها ويعتبرها ثانوية، ويرى أنّ اللغة بنى منظّمة ومرتصّة ومتكاملة يتطلّع المتكلّم من خلالها إلى عالم الأشياء، ليكتسب خبرة إنسانية¹.

ب . التحليل الوظيفي للجملة عند مارتيني:

يبدأ تحليله من التعريف الذي وضعه للجملة؛ وهو أنّها عبارة ترتبط جميع وحداتها بمسند وحيد، أو بمسندات مترابطة، وينحصر هذا التحليل في بيان الوظائف التي تؤدّيها اللغة في البيئة اللغوية، من خلال دراسة الأصوات الوظيفية وتفاعلها مع الواقع الذي توجد فيه والذي يعبر عن المستوى الكلامي، حيث يتجلى المنظور الوظيفي والقيمة الاتصالية للغة، ويرى مارتيني أنّ المتكلم ينهض من خلال سلسلة كلامية بإجراء الاختيار لوحدة دالة، وفي الوقت ذاته يقوم باختيار وظيفة²، والعناصر التي يعتمدها في تحليل العبارة اللغوية؛ هي:

ب 1 . التركيب الإسنادي:

عناصر أساسية أطلق عليها نواة الجملة، أو الركن الإسنادي (le syntagme prédicatif)، وهو الأساس الذي يبني عليه التركيب، وتعدّ العناصر اللغوية روابطها به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والنهج الذي جرى عليه أندريه مارتيني، في تحليل التركيب الإسنادي، لا يبعد عن سابقه، وفيه ثلاثة عناصر يمكن أن تحلّل في الجملة، هي:

¹. ينظر: André Martinet , éléments de linguistique générale, Armand colin, paris, 1980, p 9

/ والمدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، ص: 104.

². ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص: 298/ ودروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، ص: 96/ والوظائف التحوية في مستوى النصّ، 2011م، عبد الجليل مرتاض، ص: 83.

/ **العنصر المركزي**: وهو المحمول، أي المسند ويسميه مارتيني بالمنجز (actualisateur)، لا يمكن حذفه؛ يدلّ على فحوى الكلام، يحمل معلومات معروفة مسبقاً أو أشير إليها في السياق.

/ **أداة التّحصيل**، أي المسند إليه (prédicat): عنصر إلزامي لا يمكن حذفه، وهو الذي تدور عليه عناصر الجملة، ويحتلّ موقعا ضمن الجملة، يدخل على المسند وقد يكون مستقلاً عنه، يُشترط فيه حمل معلومات جديدة تفيد السامع؛ مثل: الدّرس مفيد، فالعبارة تتكوّن من: المسند إليه: الدّرس، والمنجز: مفيد¹.

/ **أنماط الإلحاق (expansion)**، أي التكملة هي كلّ ما زاد على النّواة، أو الرّكن الإسنادي؛ نحو: التّعجب والعطف والإضافة والظّرف، وهذا المفهوم قريب من مصطلح الفضلة عند علماء النّحو العربي ويحمل المعنى ذاته، والإلحاق نوعان²:

الإلحاق بالعطف (coordination): ويتمّ فيه استعمال حروف العطف، ويتميّز بمطابقتها في بنيته لنواة الكلام، وعند حذف العنصر الأوّل منه لا يحدث أيّ خلل في المعنى العام للجملة؛ مثل: حضر الأساتذة والطلّبة، فإذا حذفنا العنصر الأوّل من الإلحاق والمتمثّل في المعطوف عليه وحرف العطف تصبح الجملة: حضر الطّلبة، فيبقى المعطوف مطابقاً للبنية التّركيبية الأولى.

الإلحاق بالتّبعيّة (subordination): يختلف هذا النوع من الإلحاق الأوّل من حيث التّطابق الوظيفي بينه وبين العنصر المتبوع، وذلك لأنّ العنصر الملحق يتميّز بوظيفة دلالية تختلف عن العنصر الأوّل؛ مثل: كافأ المدير النّجباء بجوائز ثمينة، فالملحق بالتّبعيّة: ثمينة، ولا يمكن حذف العنصر الأوّل للإلحاق (جوائز) من التّركيب، وذلك لأنّ وظيفته مختلفة عن العنصر التّابع ثمينة.

¹. ينظر: مبادئ اللّسانيّات، أحمد محمّد قدور، ص ص: 302، 303/ ودروس ومحاضرات في اللّسانيّات العامّة، نصر الدّين بن زروق، ص: 97.

². ينظر: : دروس ومحاضرات في اللّسانيّات العامّة، نصر الدّين بن زروق، ص ص: 99، 100.

وكقوله تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ... ﴿١٠٦﴾" ال عمران، فرسول:

مسند، ومحمد: مسند إليه، و"قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ": إلحاق بالتبعية (نعت)، وهذه التكملة تتكوّن من مسند: (خلت)، ومسند إليه: (الرسُل)، وأنماط إلحاق: (قد، من قبله)، فهذه البنيات تتكوّن من وحدات مختلفة، وكلّ وحدة منها تؤدي وظيفة في التبليغ، وهي خاضعة إلى نوعين من الضغوط المتاقبلية¹:

◆ ضغط أفقي تركيبى ناتج عن تعاقب الألفاظ في سلسلة الكلام وفيه (تجاذب) بين الوحدات المتجاورة التي ترتبط دلاليًا وصرفيًا ونحويًا، ولا يظهر هذا الارتباط إلا عند التركيب واستعمال الوحدة في جملة، فتنشأ علاقة تلاؤم بين معانيها.

◆ ضغط عمودي استبدالي تفرضه الوحدات المعجمية (الكلمات) المنحدرة والمنتظمة في حقول دلالية وصرفية ونحوية، والتي كان بالإمكان - في غير القرآن الكريم - أن تحلّ في ذلك الموضع.

والضّغط الأوّل قائم على التّمائل والضّغط الثّاني على التّبّايين، وبذلك يمكن التّمييز بين الكلمات الوظيفية، أي التّمييز بين الأدوات التي لها الصّدارة والأدوات المتمّمة التي تأتي في الآخر، أو بين الصّيغ الصّرفية التي تعيّن الهيئة أو الوجهة أو العدد أو أدوات التّعريف والتّكثير، ويمكن التّمثيل لذلك بقولك: سمعت زئير الأسد، حيث تنتظم الوحدات المعجمية وترتبط أفقيًا في هذا النّظام، وعلى المستوى الاستبدالي تنتظم وحدات معجمية أخرى يمكنها أن تحلّ محلّ أحد المكوّنات، وهي ترتبط بها بعلاقة معينة تتعلّق بالحقول الدّلالي الذي يجمعها، كأن يستبدل الأسد بالليث أو الغضنفر أو الضّرغام.

فهذه الوحدات ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية تلاؤمية مختلفة، تتفق ومنطق الأشياء خارج اللّغة، وتتضمّن معاني نحوية وظيفية كوظيفتي المسند إليه والمسند؛ كقوله تعالى: "أَفَتَطْمَعُونَ

¹ ينظر: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، بّاني محمد الصّغير، دار الحكمة، الجزائر، 2001م،

ص: 71/ ونظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 106. 108.

أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ البقرة، فالمسند إليه والمسند "وَهُمْ يَعْلَمُونَ"، ارتبطا بعلاقة الإسناد وهي علاقة نحوية سياقية دلالية، فكلّ مكون معنى معجمي، وبطريق التجاور والتأليف حدث بينهما اقتران دلالي نحوي، فهاتان العلاقاتان (الدلالية والنحوية) نشأتا من خلال التركيب الإسنادي، ولولا هذه العلاقة لوقع انفصال بينهما، ولما كان بينهما ارتباط وتواصل، وكان لكلّ وحدة معنى مستقل¹.

وكذلك علاقة الإسناد تظهر في قوله: "يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ..."، بين الفعل: (يسمع) و(واو الفاعل) و(كلام الله)، وعلى مستوى الأفراد يقع انفصال، وعلى مستوى التركيب يكون الارتباط، وهذا التركيب ناشئ عن علاقة إسناد بين الفعل والفاعل، بالإضافة إلى علاقة التعدية بين الفعل والمفعول، وأنماط الإلحاق كالإضافة والربط بالأداة التي تؤدي إلى تغيير المعنى أو تقييده أو عطفه كأداة (ثم) التي أدت وظيفة العطف، و(الواو) في "وَهُمْ يَعْلَمُونَ"، التي أدت وظيفة أو علاقة الملازمة؛ أي إفادة الحال، وهذه العلاقات هي وظائف نحوية.

فكلّ وحدة وظيفة تظهر من خلال علاقتها بالوحدات الأخرى، ولو حذفنا وحدة من الوحدات اللغوية أو استبدلت لوقع لبس في المعنى، وحدث تغيير فيه؛ ونوضح ذلك بقوله تعالى: "... لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ... ﴿٨٣﴾ البقرة، وقع إسناد بين الفعل (تعبد) والفاعل (واو الجماعة) والمفعول اسم الجلالة (الله)، وأنماط إلحاق مختلفة؛ منها العطف بالواو بين (ذي القربى واليتامى والمساكين)، والتي أغنت عن تكرار الفعل المحذوف (أحسنوا)، ولو حذفنا الواو لحصل معنى مختلف عن المعنى المقصود، وتصير العلاقة بين (ذي القربى واليتامى والمساكين) دالة على وظيفة نحوية أخرى هي بدل الغلط جلّ

¹ ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص: 134.

الله تعالى عن ذلك، أو تحمل وظيفة إضراب عن المعنى الأول، فيفهم أنّ الإحسان للمساكين لا لذي القربى، أو دالة على وظيفة التقييد بالنعت؛ فيفهم أنّ الإحسان يكون لذي القربى الموصوفين بهذه الصفات، ومن أجل أمن اللبس في فهم ذلك جاءت الواو لإفادة المغايرة والدلالة على الشركة بينهم.

وتعدّ هذه العلاقات النحوية السياقية قرائن في توجيه العبارة اللغوية وتحديد المعنى؛ ففي قوله تعالى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" آل عمران، العلاقة النحوية السياقية المتمثلة في علاقة الملابس بالحال المفردة "قَائِمًا"، تحول دون عطف الملائكة على الضمير "هو"، فلم يقل قائمين، وكذلك تكرار جملة "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"، مما يدلّ على أنّ المعنى: شهد الله وشهد الملائكة وأولو العلم¹.

ويتّضح لنا ممّا سبق أنّ المستوى الدلالي المستفاد من المعنى المعجمي للألفاظ مسؤول على إبراز التركيب النحوي، والمستوى التركيبي مسؤول على إبراز المعنى الدلالي، وأنّ هذه العلاقات النحوية وظيفتها أمن اللبس، وإنشاء التراكيب، وأنّ معنى الجملة ينشأ عبر تضافر علاقات بنوية نحوية سياقية تسير في خطّ أفقي متواز مع العلاقات الدلالية، وبهما معا يكون التركيب الإسنادي، الذي يحصل به التفاهم ويتحقّق التّواصل.


ب 2 . الوظيفة الصيائية والصرفية:

للوّظيفيين اهتمام كبير بدراسة الأصوات فاق أي اهتمام آخر، لأنّ اللّغة ظاهرة صوتية، ولها وظائف تظهر من خلال النّقطيع والاستبدال²، ومن إنجازاتهم في هذا المجال ما قام به أندري مارتيني في ما أسماه بقانون المقابلة والتبديل، إذ على الباحث أن يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي يمكنها أن تغير المعنى كلّما استبدلت بأخرى، وذلك دليل على أنّ لها

¹ ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسّان، ص: 215.

² ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمّد محمّد يونس علي، ص: 74، 75.

وظيفة، وإذا أراد الباحث تحليل مدونة لسانية تحليلًا وظيفيًا عليه أن يحصي مجموعة من الوحدات اللغوية، ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف (أي يقابل بينها)، وعندها تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية، أي وظيفتها¹، فكل لغة تستعمل وحدات صغرى هي الأصوات التي تملك خصائص فيزيائية بعضها ذو طابع وظيفي (fonctioneel)، أو تمييزي (distinctif)، أي أنّ ورودها أو عدم ورودها يغيّر من طبيعة الخطاب؛ ففي قولنا: تاب قلب محمّد/ وطاب قلب محمّد، يقوم التّفخيم بنقل التّاء إلى طاء فيتغيّر معنى الجملة، ومثل ذلك ما يفعله الجهر وغيره، وهذا يجعلنا نقول بأنّ التّفخيم وظيفي، أو تمييزي في الطّاء، وبهذا تظهر وظيفة أصوات اللّغة في التّواصل².

والحروف أصوات تعبّر عن معان، وفي تبادلها تبرز وظيفتها، ويرى ابن جنّي أنّها تتقارب لتقارب المعاني، يقول في معنى "تَوَزُّهُمُ أَزًّا" من قول الله سبحانه: "أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمُ أَزًّا"  مريم: (ترجعهم وتقلقهم، وهذا في معنى: تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ ما لا بال له؛ كالجدع وساق الشجرة، ونحو ذلك)³.

ولا يتعلّق الأمر باستبدال الحروف فقط، بل يتعدّاه إلى استبدال الألفاظ والصيغ، لأداء وظيفة الإفهام والتّواصل، وفي هذا الصّدّد يذكر محمّد أبو موسى ما لحظه الزّمخشري في الفواصل القرآنية من خلال تفسيره للآي الحكيم، يقول: (ويلحظ الزّمخشري أنّ القرآن قد يعدل عن لفظ إلى لفظ مراعاة لحقّ الفاصلة، إذ أنّ الفواصل القرآنية في سور كثيرة يتحدّ نغمها الصّوتي، وفي وحدة النّغم هذه تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه، ولا ضير إذا قلنا إنّ

¹. ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، العلوي شفيقة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط 1، 2004، بيروت

لبنان، ص: 17.

². ينظر: اللسانيات العامّة وقضايا العربية، حركات مصطفى، ص: 12، 13.

³. الخصائص، تح: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصريّة، دط، دت، 146/2.

القرآن يراعي الفاصلة فيبدّل في كلمة أو يضع مكانها أخرى لأنّ هذا ليس أمراً لفظياً هيّنا كما فهمه بعض البلاغيين، وقليل منهم تنبّه إلى قيمة الأثر الصوتي أو الأثر الموسيقي في التأثير والإيحاء، وظلّ أكثرهم يفهم أنّ شؤون اللفظ لا تعدو أن تكون محسّنات سطحية لا تتّصل بجوهر البلاغة¹، فقد ربط الاستبدال بالوظيفة الإبلّغية، فاخترت كلمات معيّنة لحروفها نبرات صوتية خاصّة له مدخل في الوفاء بالغرض المقصود، ومواكبة للإحساس الكامن في نفس القائل، ونجد الزّمخشري يفسّر بعض الخصائص القرآنية تفسيراً صوتياً، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: "وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا" (الأحزاب، وزيادة الألف لإطلاق الصوت، جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع، وأنّ ما بعده مستأنف)²، فهذا دليل على وظيفة الصوت في تحديد الدلالة، وارتباط الفواصل بمقاصد الخطاب، وأنّ الأصوات مقالات تعكس ما هو في المقام، وتراعي مقتضى الحال، وقد ذكر الدكتور فاضل صالح السامرائي أنّ كلمة (السبيل) جاءت بالألف وهي صوت الباكي، لأنّ الكلام في هذه الآيات عن هؤلاء في النار؛ وذلك قوله تعالى: "يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيَّتْنَا اللَّهُ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا" (الأحزاب، يمدّون أصواتهم، تعبيراً عن حالة الاضطراب التي هم فيها³.

ويظهر ذلك بصورة أكبر في صيغ المبالغة في فواصل القرآن الكريم، لأنّ صيغ المبالغة تحدث إيقاعاً خاصاً ذا جرس يتّصل بالنطق والسّماع، ونغمة مشوية بالقوّة والعنف، فصيغة "كُبَرَاءًا" في قوله تعالى: "وَمَكْرُؤًا مَكَرًّا كُبَرَاءًا" (نوح، لها وقع شديد على النفس، وإيقاع يشبع الفم انتفاخاً وضغطاً، وتفيد بلاغة في المعنى، فتحسّ النفس وكأنّها تتحدّر إلى الأرض تعبيراً عن شدّة مكْرهم، وتكرار الكاف ثلاث مرّات في الآية يعطي نغمة الإيقاع تموجاتها، ومثله

¹ البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري، محمّد محمّد أبو موسى، ص: 442.

² الكشّاف، 5/ 100.

³ ينظر: الحقائق المكّلة في بيان إعجاز فواصل الآيات المنزّلة، السعيد وعزوز، بحث، جامعة القرويين، مراكش، 2007م، ص: 13.

يرد في "دَيَّارًا" و"كَفَّارًا" في قوله تعالى: "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٧﴾" نوح، ويبدو من دعاء نوح عليه الصلوة والسلام في هاتين الآيتين نغمة الصدق، وقناعة في اليأس منهم، فلا خير يرتجى منهم، ولذلك جاءت ضربات الإيقاع حادة، مع نغمة الرأء، في هذا الدعاء التابع من القلب، وهذا الإيقاع المتلائم مع صيغته التعبيرية¹.

ومن الإبدال بين الصيغ الصرفية قوله تعالى: "وَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٥٥﴾" الإسراء، فالقياس اللغوي يقتضي أن يأتي باسم الفاعل (ساترا)، ولكن أتى باسم المفعول ليستمر النغم الموحد في رؤوس الآي، وقد يأتي باسم الفاعل بدل اسم المفعول إذا اقتضى السياق الصوتي؛ كقوله تعالى: "فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٦٦﴾" الحاقة، فالقياس يقتضي أن يكون اللفظ (مرضية)، ولكن السياق الصوتي فرض صيغة اسم الفاعل لتتناسب وما تلاها، ومن تغير صيغة الكلمة قوله تعالى: "...فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٤٧﴾" البقرة، فالمتوقع أن يكون تركيب الكلمة الأخيرة (قتلتم)، لكن السياق النغمي قضى بما جاء في الآية، وقد يغير من بنية الجملة كي تتفق مع ما سبقها من الفواصل؛ كقوله تعالى: "...فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٠﴾" العنكبوت، فتركيب الجملة يقتضي أن تنتهي الجملة ب(وليعلمن الذين كذبوا)، ولكن التوازن النغمي فرض البنية كما هي في الآية الكريمة².

وهذا الانسجام الصوتي بين مقاطع الكلام والفواصل يوجب حسن إفهام المعاني، ويكشف عن العلاقة بين التوقيع النغمي والاستقبال النفسي للمعنى الذي يحمله هذا التوقيع، فالمعاني

¹ ينظر: دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، عبد الجواد محمد طيق، دار الأرقم للطباعة والنشر، ط1، 1993م، ص: 15، 16.

² ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمد المدني علي، ص: 176.

ضروب ولكلّ آله التي تنفذه إلى قلب السّامع، والبناء الصّوتي المتلائم وسيلة بيانية توضّح المعاني، فللصّوت قيمة دلالية، والتجانس الصّوتي منبثق عن المعنى الذي يستلزمه، ولذلك عدّ الرّماني الفواصل تابعة للمعاني، فهي تراعي وظيفة اللّغة الأساسيّة التي هي الإبانة¹.

ومن الإجراءات الصّوتية التي تدلّ على الوظيفة الصّوتية وأثرها في البنية؛ الوقف، ويتمّ عن طريق تسكين الحرف الموقوف عليه وهو الأصل، ومن وظائفه التّخفيف والاستراحة بعد الجهد من عمليّة التلفّظ، وله وظائف أخرى تمييزيّة؛ إذ يساعد على التّمييز بين المعاني، وتعيين التّضعيف والإدغام الذي هو ضرب من التّنعيم الصّوتي ويعني زيادة في كمّيّة الصّانث وزيادة في كمّيّة الأصوات في الصّوامت؛ كقوله تعالى: "وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ" القمر، ممّا يضيفي على النصّ توازنا مميّزا².

إنّ الكلام لا يجري على طبقة صوتية واحدة بل يرتفع الصّوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر ممّا يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف بالتّنعيم، وبه يرتبط معنى الجملة إثباتا أو تأكيدا أو استفهاما أو إنكارا، أو غير ذلك، والانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة أخرى يحدث صوتا عاليا عمّا جاوره فيحظى في السّمع بوضوح أكبر، وهذا الوضوح النّسبي يعرف بالنّبر، وغالبا ما يقع في المقطع الأخير من الكلمة المفردة بإسكان الآخر وقد يقع في وسطها، ويحدث في التراكيب حين يرتبط الكلام بالفهم والإفهام في مواقع من الكلمات لا في حالة الإفراد، كما في قوله تعالى: "...أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا..." آل عمران، ومنه قوله تعالى: "أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ يُجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ" وَاللَّهُ مُحِيطٌ

¹. ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ في الدّراسات القرآنية والنّقد الأدبي، الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، نح: محمّد خلف الله أحمد، ومحمود زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1973م، ص: 97/ ومناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرّماني إلى عبد القاهر، عبد الله عبد الرّحمان أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعودية، 2007م، 2008م، ص: 132.

². ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النّحو، الطّاهر محمّد المدني علي، ص: 56 . 69/ والإتقان في علوم القرآن، 2/ 569.

بِالْكَافِرِينَ ﴿١٦٦﴾ البقرة، وبتقطيع الآية إلى دفعات النبر يتبين لنا الإيقاع في انتظام وائتلاف: أو ك - صيَّب - من السد - ماء - فيه ظل - مات و - رعد و - برق - يجع - لون - أصا - بعهم - في آ - ذانهم - من الص - واعق - حذر ال - موت - وال - لاه م - حيط - بالكا - فرين، وهكذا يستمر الفارق في هذه الحدود فيكون الإيقاع، ويحدث التوازن الذي هو مصدر رشاقة الأسلوب وسبب قوي من أسباب ارتياح النفس له واحتفائها به، فإذا اجتمع هذا الإيقاع الصوتي مع الإيقاع الترتيلي لا يكون من الأذن إلا أن تستمع وتتصت وتستمتع بالجمال والحسن¹.

وترقى القيمة الصوتية إلى حكاية معنى عرفي أو معنى طبيعي مما تستوحيه النفس ولا تستطيع وصفه، فقد ننسب إلى التّفخيم مثلا المبالغة في الحدث أو في الوصف، فالصوت يحمل طاقة إيحائية بالمعاني الطبيعية بالإضافة إلى المعاني العرفية للألفاظ، مثال ذلك قوله تعالى: "لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿١٦٦﴾ الواقعة، فلفظ (زقوم) من مادة (زقم) يوحي بمادة (سقم) وتشارك معها في السقم، وهذا من أثر القيمة الصوتية في توليد المعاني الطبيعية، وتوالي القاف التي يقرب مخرجها من البلعوم، والميم التي تنطق بإقفال الشفتين يوحي بأن هذه الثمرة تستعصى على البلع، ويوحي تشديد القاف وطول الواو بطول استعصائها، ويضاف إليه مشاركة هذه الكلمة لكلمة (لقمة) في حرفين مما يوحي بإرادة البلع مع المشقة، واشتمال اللفظ على الزاي والقاف يوحيان بالفعل (زق) الطائر فرخه².

وقد يلجأ المتكلم إلى ضرب من التنويع في الأصوات ليسهل على اللسان العمل من جهة واحدة، مع تعدد طرق الأداء، فيختار الأصوات المتجانسة تخفيفا على اللسان، ومثال ذلك تعدد الأداء عند القراءة في مثل قوله تعالى: "... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ... ﴿١٦٦﴾ البقرة، فقد قرئت "عليهم" بكسر الهاء وضم الميم، وقرئت بكسر الهاء وتسكين الميم، وقرئت بكسر الهاء وإطالة ضمة الميم أي وصل الميم بواو، وكسرت الهاء ولم تضم لاستئصال ضمة الهاء بعد الياء، ولأن الكسرة

¹ ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص ص: 262، 264، 272.

² ينظر: المرجع السابق، ص ص: 293، 294.

من جنس الياء، فسهل النطق بها¹، وتؤدي وظيفة التخفيف أيضا بتتويج المقاطع الصوتية عند توالي مقاطع متماثلة، ويتم بإشباع الصائت في إحدى المقاطع؛ كما في قوله تعالى: "... يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ البقرة، وقع التتويج في قوله: "بِهِ كَثِيرًا"، بإطالة الكسر ووصله بالياء، ولو وصل من دون إطالة الصائت لتوالي ثلاثة مقاطع متماثلة: ب - / هـ - / ك -، وبالإطالة تغيرت بنية التركيب وتتنوع المقطع: ب - / هـ - / ك -، ومن ذلك تسكين الهاء من (هو، وهي) إذا سبقت بالواو أو الفاء أو ثم عند بعض القراء، ومنه تسكين لام الأمر عند الوصل؛ كما في قوله تعالى: "... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا... ﴿١٨٦﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾ آل عمران، فتسكين اللام جاء للتخفيف من تتابع المقاطع المتماثلة، فوظيفة ذلك التيسير في النطق عن طريق المراوحة بين الحركة والإسكان بصورة متناسبة، وقد يكون التتويج بتحريك الساكن كما في قوله تعالى: "... وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ... ﴿١٤﴾ الإسراء، وفي ذلك عدول عن الأصل بإدخال صائت بعد الجيم هو الكسرة القصيرة².

ومما سبق يتبين أنّ للأصوات ووظائف متعدّدة منها زيادة النّبر، وتعيين الحروف وتمييزها، والغرض تحقيق الإفهام والتّواصل، وهذا ما قاد مارتيني إلى البحث فيما يميّز لغة البشر عن سائر الأصوات الموجودة في الطبيعة، فوضع ما يسمّى بالنّقطيع المزدوج، وهذا بيانه:

ج . النّقطيع المزدوج: la double articulation

توصّل مارتيني من خلال دراسته لمجموعة من اللّغات إلى أنّ النّقطيع المزدوج ظاهرة عامّة تشترك فيها كلّ اللّغات، وهو من أهمّ المبادئ المميّزة التي تباين الأنظمة اللّسانية البشريّة

¹ ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النّحو، الطّاهر محمّد المدني علي، ص: 123.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 123، 124.

عن التّنظيمات الاتّصاليّة الأخرى؛ كلغة الحيوان والطّبيعة والإشارات، وهو القطب الذي تدور عليه رحي الوظيفيّة، وفيه تعزل القطع إلى وحدات وتكتب على شكل تسلسلي، ثمّ يتمّ تحديد دلالاتها ومعانيها واستبدالها بأخرى لاكتشاف وظائفها، وبفضل هذا التقطيع نحصل على تراكيب غير محدودة من العبارات انطلاقاً من عدد محدود من المقاطع، وتحليل الوحدات يتمّ على مستويين¹:

ج 1. التقطيع الأوّل:

تقطيع مكوّنات الجملة إلى وحدات ذات دلالة ومعنى، أي المونيمات (**les monèmes**)؛ وهي التي عن طريق التّأليف بينها يمكننا التّواصل، ويتناول الكلمات في صورتها اللفظية ومن حيث مضمونها؛ وإيضاح ذلك نختر بنيات عن الوصل وأخرى عن الفصل: مثل: " وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأُجْجِنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٠٠﴾ البقرة، نقوم بتقطيعها إلى وحدات صغرى دالّة وذات معنى: ← و: وحدة صغرى ليس لها معنى معجمي ولكنها تدلّ/إذ وحدة معجميّة دالّة على الزّمن الماضي، لها وظيفة نحويّة مفعولاً به، تشكّل مع الفعل المحذوف (اذكر) جملة ترتبط مع الجملة التي بعدها بما أفاده إذ/ فرق: وحدة معجميّة لها معنى، ودلالة صرفيّة على الزّمن الماضي، ووظيفة نحويّة هي فعل يقتضي فاعلاً وتنتمي إلى قائمة مفتوحة استبدالية/ نا: وحدة صرفيّة دالّة نحوياً على الفاعليّة، وتنتمي إلى قائمة مغلقة يمكن في غير القرآن الكريم أن تأتي ضمنها/ ب: وحدة صغرى فونام، ليس لها معنى معجمي، ولكنها تدلّ وتعدّ رابطة تعلق ما بعدها بما قبلها/ كم: وحدة صرفيّة لها وظيفة نحويّة، تدلّ على المخاطب، وهي مع الفونام حرف الجرّ تشكّل ركناً مكتفياً بذاته/ البحر: وحدة معجميّة لها معنى ودلالة، ولها وظيفة نحويّة هي المفعول به، وترتبط بما قبلها عن طريق العلاقة الإسناديّة/ ف: وحدة صغرى، ليس لها معنى معجمي، ولكنها تدلّ على الرّبط والوصل والترتيب والتّعقيب/ أنجي: وحدة معجميّة لها معنى، وصيغة صرفيّة تدلّ على الزّمن، ولها

¹ ينظر: محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، العلوي شفيقة، ص: 19/ والمدارس اللّسانية في التّراث العربي وفي

الدّراسات الحديثة، بّاني محمّد الصّغير، ص: 70.

وظيفة نحويّة هي الفعل/ نا: وحدة صرفيّة ليس لها معنى معجمي ولكنها تدلّ على الفاعليّة؛ أي لها وظيفة نحويّة، وتنتمي إلى قائمة مغلقة من الوحدات التي يمكن . في غير القرآن الكريم . أن تستبدلها/ كم: وحدة صرفيّة ليس لها معنى معجمي، ولها دلالة على الجمع، ولها وظيفة نحويّة هي المفعول به/ و: وحدة صغرى، ليس لها معنى معجمي، وتدلّ على الوصل بالعطف/ أغرق: وحدة معجميّة لها معنى، وتدلّ صرفيّاً على حدث ماضٍ، ولها وظيفة نحويّة/ نا: ضمير يدلّ على العظمة، يقوم مقام مكّون معجمي، له وظيفة نحويّة هي الفاعليّة، وينتمي إلى قائمة مغلقة ضمن جدول الاستبدال/ آل: وحدة معجميّة لها معنى، وتنتمي إلى قائمة مفتوحة ضمن جدول الاستبدال، ولها وظيفة نحويّة ضمن الخطّ الأفقي هي المفعوليّة/ فرعون: وحدة معجميّة لها معنى، ولها وظيفة نحويّة، وتشكّل مع المونام السابق ركناً مكتفياً بذاته، أو نمطاً إلحاقياً/ و: فونام ليس له معنى معجمي، ويدلّ على الحال، وظيفته الرّبط بين جملة الحال وصاحبها/ أنتم: ضمير يدلّ على المخاطب، يقوم مقام مكّون معجمي، له وظيفة نحويّة هي وظيفة المبتدأ (المسند إليه)، وينتمي إلى قائمة مغلقة ضمن جدول استبدال/ تنظر: مكّون معجمي له معنى، له وظيفة صرفيّة تدلّ على الزّمان، وله وظيفة نحويّة دالّة على الحدث/ و: ضمير يدلّ على الفاعل (وظيفة تركيبية)، يقوم مقام وحدة معجميّة يمكن أن تأتي في مكانه . في غير القرآن الكريم . ينتمي إلى قائمة مغلقة ضمن الجدول الاستبدال الخاصّ به/ ن: فونام، ليس له معنى معجمي، له وظيفة تمييزيّة تتعلّق بعلامة الإعراب.

نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على مونيمات متتابعة، ويسمّى معنى كلّ لفظة مدلولاً، وصيغتها الصّوتية دالّاً، وهي وحدات دنيا تنتمي إلى جدول معجمي، يستحيل تحليلها إلى وحدات دالّة أصغر منها، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى . في غير القرآن الكريم . ضمن قائمة مفتوحة؛ مثل الوحدة "أنجي" وحدة معجميّة، تنتمي إلى قائمة مفتوحة، لأنّ عدد وحداتها متزايد؛ مثل: نجى، أنقذ، خلّص، والوحدة "فرقنا" تنتمي إلى قائمة من الوحدات منها: فصلنا، شققنا، فلقنا....

وتوجد وحدات تنتمي إلى جدول صرفي، ضمن قائمة مغلقة يمكن استبدالها (في غير القرآن الكريم) بوحدة من قائمتها، مثل الوحدة (كم) في أنجيناكم يمكن استبدالها ب: أنجيناك، أنجيناكما، أنجيناها، أنجيناها، أنجيناها... فالوحدة (كم) وحدة صرفية نحوية تنتمي إلى قائمة مغلقة لأن عدد وحداتها محدود.

وتتحدّد وظيفة كلّ مونيم داخل الجملة انطلاقاً من الصّلات القائمة بين الوحدات اللسانية، أي العلاقات بين المونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التّركيب، ويجب معرفة موقعها وانتظامها داخل التّركيب لمعرفة وظيفتها التّركيبية والدّلالية، ودورها في نشوء علاقات نحوية سياقية فتحدّد وظيفتها في التّواصل¹، فإذا نظرنا إلى الآية السابقة نجد الوحدات ارتبطت فيما بينها بعلاقات دلالية تلاؤمية مختلفة، تتضمّن معاني نحوية وظيفية، منها وظيفتا المسند إليه والمسند في قوله: "أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ"، ارتبطا بعلاقة الإسناد وهي علاقة نحوية سياقية (دلالية)؛ وهاتان العلاقتان؛ الدلالية والنحوية نشأتا من خلال التّركيب، حيث حدث اقتران دلاليّ بطريق التّجاور والتّأليف، ولكلّ مكوّن منها معنى معجميّ، كما نلاحظ نشوء علاقات سياقية نحوية أخرى، فقد نشأت علاقة ارتباط بالإسناد بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل "فرق" والفاعل "نا"، وعلاقة تعديّة وهي علاقة فصل بالمعنى البلاغي بين الفعل والمفعول "البحر"، وعلاقة ملابسة بالحال بين الجملتين، وهي علاقة وصل، وأنماط إلحاق بالعطف والظرف وحرف الجرّ، لتشكّل هذه العلاقات النحوية تركيباً يلتزم بالعلاقات الدلالية المستفادة من المعنى المعجمي للألفاظ².

حيث ترتبط تلك المعاني النحوية الوظيفية فيما بينها وفقاً للسمات المعجمية والدلالية لكلّ مكوّن، فالسمات المعجمية والدلالية للفعل (فرق) مثلاً جعلته مفتقراً دلاليّاً إلى منفذ، وهدف، ومفتقراً نحويّاً إلى فاعل ومفعول، والسمات المعجمية للفعل اختصم وتخاصم تجعله مفتقراً إلى تعدّد الفاعل الدلالي بطريق العطف بالواو، وفي غنى عن المفعول، وهكذا الحال في كلّ

¹ ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمّد محمّد يونس علي، ص ص: 75، 78.

² ينظر: نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ص ص: 134، 139.

مكوّن، ولهذا يجب أن لا يكون الوصف التحويلي للجملة شكلياً منعزلاً عن معناها وما تتضمنه من علاقات تلاؤميّة بين مكوّناتها، بل يركّز أيضاً على العلاقات السياقيّة الناشئة بين هذه المكوّنات¹.

ونستنتج ممّا سبق أنّ الجملة تحتوي على علاقات سياقيّة نحوية تنشأ بين المعاني الوظيفيّة التحويليّة دون اللّجوء إلى أداة، وهذا ما يسمّى بالارتباط أو الفصل بالمعنى البلاغي، وقد تحتاج إلى اصطناع علاقة بين طرفين باستعمال أداة كالواو، أو تحتاج إلى تقييد معناها بجملة أخرى ترتبط بها بأداة، ليصير للجملتين معنى دلاليّ واحد، مع أنّ لكلّ جملة معنى مستقلاً مختلفاً، وهذا ما يسمّى بالربط أو الوصل، والوظيفة التي تؤديها الأداة هي الربط والإيجاز وأمن اللبس في فهم الانفصال، وتحقيق الاقتصاد اللغوي بتفادي التكرار².

ونوضّح ذلك بقوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ" البقرة، جاءت الواو بين "سمعهم" و"أبصارهم" فأغنت عن تكرير الفعل "ذهب"، وحذف الواو يؤدي إلى معنى مختلف، وتصير العلاقة بين سمعهم وأبصارهم علاقة ارتباط دالة على معنى بدل الغلط جلّ الله سبحانه وتعالى عن ذلك، أو إضراب عن المعنى الأول، ويفهم من ذلك أنّه ذهب بأبصارهم لا بسمعهم، تعالى الله عزّ وجلّ عن السهو والتسيان والغلط، ومن أجل أمن اللبس في فهم ذلك، ومن أجل الدلالة على الشّركة، وإفادة معنى المغايرة بين "سمعهم وأبصارهم" جاءت واو العطف³.

وهذه الأدوات الرابطة بين مكوّنات البنية أو البنى يمكن عدّها مونيمات، لأنّها تحمل معاني نحوية ودلالات وظيفيّة، وتقتضي مقامات معيّنة، والفرق بينها دقيق، وهي تحوّل معنى الجملة الإعلامي الصّرف، وتسبغ عليه معنى آخر، وتدخله في أسلوب خاصّ من أساليب التّعبير، إلّا أنّها تفتقر إلى غيرها، ولا يكتمل معناها إلّا بها، ولها وظيفة تؤديها؛ فهي واصلة لأجزاء الكلام،

¹. ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، مصطفى حميدة، ص: 121، 122، 128، 129.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 140، 141.

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 142.

ويسمى أسلوب تعبير الجملة باسم الوظيفة التي تؤديها الأداة¹، وقد تشترك في المعنى الوظيفي، ولكن المقام هو الذي يحدّد أيها يكون، وإلا أدى إلى فساد المعنى المقصود، وبهذا يتبيّن أثر هذه الأدوات في بنية الجملة فصلاً ووصلاً، وفقاً للمعنى الذي تقتضيه الأداة في التركيب والسياق، ونشير هنا إلى أنه سبق التمثيل لها في الفصل النحوي فلا نكرره.

وقد يكون للأداة عدّة وظائف، ممّا يؤدي إلى الاشتباه والوهم، فيعين السياق على تحديدها وتعيينها، مثال ذلك المونيم (أو) لا تتحدّد وظيفته الإبلاغية إلا من خلال صلته بوحدات لسانية، فقد يستعمل إذا كان المتكلم شاكاً لا يدري أيّ الأمرين، ويجوز أن يكون غير شاكّ، فيستعمله للإبهام على السامع؛ كقوله تعالى: "وَأَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

سبأ. ﴿٢٤﴾

وحرف العطف (الواو) له وظيفة الجمع بين المتعاطفين، ولكن قد تأتي جمل تكون فيها الجملة الأولى منفصلة عن الثانية ولا رابط تركيبياً يجمع بينهما، فتأتي الواو لمجرد الربط، وتكون وظيفتها استئنافية، ولولا هذا الاستئناف لوقعنا في معنى غير مقصود²؛ كقوله تعالى:

"... وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ ط... ﴿٢٤﴾ البقرة، فلو كان الواو حرف عطف للزم عطف الخبر على

الأمر، وقوله تعالى: "فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبَيِّنُ لِقَوْمٍ إِبْرَاهِيمَ ط وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ط... ﴿٩٧﴾ آل عمران،

جملة " وَمَنْ دَخَلَهُ " استئنافية لا محلّ لها، والواو استئنافية لئلا يتوهم أنّ ما بعدها معطوف على ما قبلها³.

ومن المونيمات الدالة على الوظيفة؛ الضمير البارز، فهو بصورته الصوتية، يشغل موقعا وظيفياً في التركيب الذي يتضمّنه يتملّ في الربط، فيقوم في المركّب الاسمي مثلاً بربط صدر

¹. ينظر: الأدوات النحوية؛ بنيتها ووظيفتها، محمّد خان، مقال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمّد خيضر بسكرة، العدد: 4، 2009م، ص ص: 7، 10.

². ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمّد المدني علي، ص: 21.

³. ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 1/ 308، و2/ 254.

الجملة بخبرها إن كان جملة، والغرض أمن اللبس في فهم الانفصال بينهما، فيغني بذلك عن إعادة الذكر¹؛ كقوله تعالى: "أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ..." آة عمران، فالضمير البارز (هم) يربط جملة الخبر بالمبتدأ فيقع الوصل وتفهم الدلالة.

وهذه الأدوات يستخدمها المتكلم لإحكام دلالة الجملة، وإتمام إفادتها حتى يطابق الكلام مقتضى الحال، إذ يتوسل بها لإنشاء معان وعلاقات مختلفة يقتضيها المقام وظروف التعبير، كما أن من شأنها جلب الحركة أو قطعها لما يقع بعدها من ألفاظ².

ومن العلاقات التي تنشئها هذه الأدوات علاقة الوصل، وهي تدلّ على تعبير خاصّ لمقام خاصّ لغرض خاصّ، يختلف عن مقام وغرض بنية الفصل، فلكلّ بنية وظيفة تقتضي موقفا خاصا بها، ومخصّصات تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، ولها دور في تحديد الموضوع والبيّرة وتحديد المعنى، ولكلّ بنية أدوات خاصّة بها³، ذكرنا تفصيلها في المبحث النحوي، وإذا اعتبرنا الوصل مقابلا لمفهوم الرّبط، والفصل مقابلا للارتباط، فإنّ أدوات كلّ منهما تكون كالآتي:

أدوات الوصل: الواو، والفاء، وثمّ، وأو، وأمّ المتّصلة، وأمّا، وأنّ وأي التّفسيّريّتين، وأدوات الشّرط، وجميع حروف الرّبط، وأدواته اللّغويّة، والمنطقيّة.

آليات الفصل: طرّح الواو، واو الاستئناف، الفاء الاستئنافية، بل، أم المنقطعة، ضمائر الفصل. ونهدف بهذا التّفسيم الذي نجد له إشارات في كثير من المراجع القديمة والحديثة، التوسّع في هذا الباب وعدم حصره في جانب ضيق، يرتبط بالواو والجملة التي لا محلّ لها من الإعراب، فاللّغة أوسع من أن تحاط بقوانين تخدم زاوية معيّنة، خاصّة إذا علمنا أنّ هذه القوانين يمكن تطبيقها على ظواهر عديدة، وظيفتها الأساسيّة هي التّعبير والإبلاغ والتّواصل.

¹. ينظر: أنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص: 17.

². ينظر: الأدوات النّحويّة؛ بنيتها ووظيفتها، محمّد خان، مقال، ص: 2.

³. ينظر: اللّسانيّات العامّة وقضايا العربيّة، حركات مصطفى، ص: 97، 98، وما بعدها/ وبلاغة أسلوب الفصل والوصل في

القرآن، مسرت جمال، ص: 2، 3.

ج 2 . التقطيع الثاني:

ينطلق من النتيجة التي وصل إليها التقطيع الأول، ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى فونيمات (**phonèmes**)، أي إلى أصغر وحدات صوتية مجردة من المعنى¹، ليس لها معنى معجمي، ولكنها قد تكون دالة، ولها قيمة ووظيفة، وهناك تقطيع آخر في العربية أقل من هذه الوحدات الصوتية؛ وهي العلامات التشكيلية، وهي الكسرة أقل من الياء، والفتحة أقل من الألف، والضمة أقل من الواو، ليس لها معان، لكنها تدلّ ولها وظائف لتحقيق الحالات الإعرابية، يسميها المتوكل لواصل وصرفات تلحق بوحدة معجمية لتحقيق وظائف².

ولشرح مفهوم الفونيم ووظيفته نأخذ المثال: (الهمزة أ) التي نستعملها في مواضع كثيرة، فهي فونيم، يعدّ رابطاً قوياً يضيف على البنية اللغوية معاني مختلفة، إذ له وظائف عدة تتحدّد من خلال البنية اللغوية التي يتصل بها، فقد يأتي للاستفهام وطلب الإفهام، ويرد لطلب التصوّر والتّصديق، وقد يختصّ بأمور أخرى، فيفيد التّذكير والتّشبيه إذا دخل على الإثبات؛ كقوله تعالى: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ... ﴿٢٠٠﴾ يونس، ويفيد التّعجب من الأمر العظيم إذا دخل على النفي كقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ... ﴿١٢٢﴾ البقرة، وفي كلا الحالين هي تحذير، كما أنّه لا يستفهم بها حتّى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه³.

ولمعرفة كيفية هذا التقطيع ووظيفته، نقوم بتعيين مدونة ثمّ نفصل بين أصغر الوحدات الصوتية، وننظر في دلالتها ووظيفتها بين الوحدات المكوّنة للبنية، ولتوضيح ذلك أكثر نمثّل بقوله تعالى: "وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

¹ ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، العلوي شفيقة، ص: 19.

² ينظر: التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، المتوكل، ص: 92.

³ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، 3/ 1006، 1007.

بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ البقرة، ← و/ق/ا/ل/و/ا/ل/ن/ي/د/خ/ل/ا/ل/ج/ن/ة/... فالواو حرف معنى؛ تفيد الرّبط، وظيفتها الاستئناف، تدلّ على عدم الاشتراك في الحكم والمعنى السابق/ والقاف لا معنى لها وليس لها دلالة ولها وظيفة تمييزيّة استبدالية ذات طبيعة اقتصادية، إذا استبدلت بحرف آخر تغيّر المعنى/ وكذلك الألف واللام/ بينما الواو الثنائية تدلّ على الفاعلية والجمع (لها وظيفة استبدالية، تحيل على الجدول التركيبي)، وهي ذات معنى لأنّه يمكن استبدالها باسم ظاهر/ والألف لا معنى لها، فارقة تدلّ على نوع الكلمة، وظيفتها تمييزيّة/ والياء لا معنى لها، تدلّ على الرّمن المضارع/ والشدة لا معنى لها، تدلّ على التّجانس، لها وظيفة صوتيّة وتمييزيّة واقتصادية/ وهكذا نفعل مع باقي الوحدات.

والضمة لها وظيفة استبدالية ذات طبيعة اقتصادية، ليس لها معنى، قد تدلّ على العدد ونوع الجنس، تحيل على ضمير الجمع كما في (تاء هاتوا)، وبالإستبدال يظهر دورها/ وكذلك الفتحة والكسرة لا معنى لها لكنّها تدلّ ولها وظيفة تمييزيّة، وأقلّها تحقيق العلامة الإعرابية.

ويعدّ المدّ أيضا فونيميا ومن الإجراءات الصوتيّة، ويعني إطالة الصّوت بحرف من حروف المدّ واللّين، ومن وجوهه مدّ الحرف لأجل الهمز، لأنّ حرف المدّ خفيّ، والهمز صعب فزيد في الخفيّ ليتمكّن من النّطق بالصّعب؛ كقوله تعالى: "...فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ... ﴿١٧٠﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا... ﴿٢٠﴾ آل عمران، أو مدّه لأجل التمكن من الجمع بين الساكنين، فكأنّه قام مقام حركة؛ كقوله تعالى: "...وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ... ﴿١٧٤﴾ البقرة، وللمدّ وظائف أخرى تضاف إلى هذه؛ منها التّعظيم؛ كقوله تعالى: "...

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾ البقرة، فالغاية التي يسعى إليها النّاطق من خلال المدّ هي المعنى الكامن في توحيد الله تعالى¹، ونشير هنا إلى أنّ علم الأصوات الحديث توصل إلى أنّ

¹ ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النّحو، الطاهر محمّد المدني علي، ص: 119 / والإتقان في علوم القرآن،

المدّ أو طول الحركة يزيد إذا كان الصّامت الذي يليها ممّا يحتاج إلى جهد عضلي مميّز **tense** عند إنتاجه¹.

والفرق بين الحركات من حيث القصر والطول فرق في اللفظ والمعنى، فهو تغيير وتنوّع فونيمي يؤدي إلى اختلاف المعنى، بشرط أن تكون الكلمة ضمن سياق تركيبى، وهي في سياق تلاوة القرآن الكريم تخدم مواقف وسياقات أدائية معينة²، فطول الحركة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالثّبر **stress**، فقد تطول الحركة فيصبح المقطع منبوراً؛ كما في: مؤمن — مؤمنون — مؤمنان — مؤمنين، وبإطالة الحركة يتغيّر المعنى من المفرد إلى الجمع أو المثني، وقد يغيّر طول الحركة في مبنى ومعنى الكلمة؛ مثل: الحرف (قد)، بإطالة الفتحة؛ (قاد) تصبح فعلاً، والفعل: (أخذ) بإطالة الفتحة الأولى يصبح (أخذ) ممّا يؤدي إلى تغيير في مبناه ومعناه، و(أخذ) بإطالة ضمّ أوله يصبح: (أوخذ) وهو معنى مختلف عن معنى الأخذ، ويرتبط هذا كذلك بالإعراب، فقد يدلّ إطالة الفتحة على المثني كما في جاء — جاء، وكما في الفعل المضارع المنصوب: لن يضرب — لن يضرباً، فإطالة الفتحة جعلت الفعل مسنداً إلى المثني³.

وهذا التقطيع لا يعنى فيه إلا بالصّورة اللفظية، فاستبدال مقطع صوتي من المقاطع المذكورة بمقطع من نفس النوع لا يؤدي في كلّ حالة إلى نفس التّغيير المعنوي فنقل «با» من قال إلى زال، لا يغيّر صورة المدلولات التي هي مختلفة في أصلها، عكس ما هو الحال عليه في التقطيع الأول حيث نفس اللفظة تلتصق بها أصوات مختلفة؛ نحو: (أنجى) ← أنجيناك، أنجيناكما، أنجيناها، أنجيناها، أنجيناها، فتتغيّر صورة المدلولات من المتكلم إلى المخاطب إلى الغائب⁴.

فالفونيم عبارة عن نماذج وأنماط صوتية مستقلة لها سمات خاصة، تميّز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، تملك القدرة على التّمييز بين الكلمات وأشكالها في كلّ اللّغات بإبدالها

¹. ينظر: الأصوات اللّغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف إستيتية، دار وائل، ط1، 2003م، ص: 260.

². ينظر: المرجع السابق ص: 260، 242، 244، 253.

³. ينظر: المرجع السابق، ص: 264 . 266.

⁴. ينظر: المدارس اللّسانية في التّراث العربي وفي المدارس الحديثة، بناني محمّد الصّغير، ص: 70.

بفونيمات أخرى وبترتيبها وموقعها في بنية الكلمة، وهو ما يشبه فكرة التقلاب والتباديل في الاشتقاق الأكبر في العربية.

ولهذا المبدأ قيمة لسانية، لأنه يمنح اللغة قدرة التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات (الأصوات اللغوية أو الحركات والحروف)، وهذا ما يؤسس مفهوم الاقتصاد اللغوي في اللسانيات، أو تحسين المردود الوظيفي؛ الذي هو وظيفة لسانية¹، وقد اهتمت هذه المدرسة بهذا الجانب كثيرا، وأصبح من أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، ذلك أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل الذي يتحقق عن طريق التركيب الثنائي (التقطيع المزدوج) الذي يميزها².

فلو أخذنا مدونة مكونة من؛ قاد، عاد، ساد، ثم قمنا بتقطيعها إلى أصغر الوحدات غير الدالة أي الفونيمات، لأتضح الفوارق والتشابه على مستوى المخرج أو الصفة³ على هذا النحو:

/ق/ = لهوي + مجهور + شديد + مستعل.

/ع/ = حلقي + مجهور + بيني.

/س/ = أسناني + مهموس + صفيري.

فهذا التقابل بين هذه الفونيمات على مستوى الصفة والمخرج؛ يؤكد أن لها جميعا وظيفة، وهي قدرتها على تغيير معاني هذه الكلمات، والتعبير عما يختلج النفس؛ وقد تكون وظيفتها التخفيف في النطق والتعظيم في المعنى كما في قوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"

... البقرة، ومثلها الآية الثانية من آل عمران، وقال سبحانه: "...لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..." آل عمران،

بهذه الدائرة المحيطة الخالدة؛ فالمقصود عليه واحد بدءا ونهاية، وهذه الظاهرة تعددت في القرآن الكريم حين يكون المقام أو النسق شديد التوهج والجلال، والتعبير مبني على حروف اللام

¹. ينظر: العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 19.

². ينظر: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، ص: 96/ واللسانيات العامة وقضايا العربية،

حركات مصطفى، ص: 12.

³. ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، العلوي شفيقة، ص: 18.

والألف والهاء والواو، والأصوات خارجة من الأعماق دون عائق يصل بها النفس إلى منتهاه، ولا يبقى إلا قلب نابض بالتوحيد¹، فقد فهمت هذه المعاني من صفة الفونيمات ومخارجها.

د . علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني:

تظهر هذه العلاقة من خلال الرّبط بين التّركيب الإسنادي (**le syntagme prédiatif**)، والتّقطيع المزدوج، والتّركيب الإسنادي يبحث في البنية أو الجملة التي تحتوي على عناصر لسانيّة أساسيّة وأخرى فضلة تسمّى إلحاقاً، وهي لا تغيّر العلاقات بين العناصر السّابقة، وتتعلّق بها تعلّقاً مباشراً أو غير مباشر، وتحتوي على ألفاظ مستقلّة وأخرى مكتفيّة بذاتها، والتّركيب الإسنادي لا يوحي بذاته عن نوع العلاقة التي تحصل بين الوحدات، كالمرتبة، والتّشغيم والتّبر، والتي تتحدّد الوظيفة من خلالها، أمّا التّقطيع المزدوج فيبحث في بنية ووظيفة البنيات التي تقتضي من المتكلّم أن يختار منها ما به يعبر ويبلّغ تجربته ويتواصل مع غيره، ولا مبرر لاختياره علامة دون أخرى إلاّ لأنّها تستجيب لغايته، ولا يقيم بينها وبين غيرها علاقات معيّنة في خطابه إلاّ لأنّها تساهم معها في أداء الرّسالة التي يبلّغها الخطاب، ممّا يدعو إلى البحث عن نوع العلاقات الحاصلة بين الوحدات[♦]، أي البحث عن وظيفة كلّ وحدة منها، دون تجاوز الصّيغة الخطيّة في الكلام (تتابع الوحدات)، فمرتبة الوحدات مفيدة بقدر ما تفيد الفروق الصّوتيّة، إذ تكشف عن نوع العلاقات التي تقوم بينها في سلسلة الكلام، مثال ذلك الأداة (أو)، التي هي حرف عطف قد تتشاكل مع الأداة (أو) التي تتكوّن من حرف العطف (الواو) مسبوقه بهمزة الاستفهام، والاختلاف بينهما سكون واو (أو) أو فتحها، فبالتّقطيع المزدوج ومن خلال تتبّع صيغتها والفروق الصّوتيّة تظهر وظيفتها؛ كقوله تعالى: "أَوَّامِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ" (الأعراف، قرئ (أو) بسكون الواو على أنّه حرف عطف الذي هو

¹ أساليب القصر في القرآن الكريم؛ وأسرارها البلاغيّة، صباح عبيد دراز، ص: 190.

♦- يستعمل مصطلح (الوحدة) بدل (الكلمة) في التّحليل التّركيبي، اجتناباً للخلط بين المفاهيم، وهو يطلق على وحدات دنيا من مثل: من، على، هل، ووحدات ليست دنيا؛ من مثل: أخرج، التي تتضمّن الحروف الأصول، والصّيغة الدالّة على الأمر، (ينظر: أهمّ المدارس اللّسانيّة، المهيري، ص: 46).

لأحد الشئيين، عطا على التعجب، أي: هو تعجب من أحد الحالين، وبذلك تكون (أو) كلمة مستقلة وما بعدها كلمة، وقرئ بفتح الواو على أنه عطف بالواو مقدّمة عليه همزة الاستفهام، فهو عطف استفهام ثان بالواو المفيدة للجمع، وبذلك تكون (أو) وما بعدها كلمة واحدة، لا تستقلّ بنفسها، فيكون كلا الاستفهامين مدخولاً لفاء التعجب قبلها، في قوله تعالى: "أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَابِئُونَ" الأعراف، فالفاء للترتيب الذكري، ومحلّ التعجب هو تواطؤهم على هذا الغرور، وأمنهم غضب القادر العليم¹، فتبعا لوظيفة الواو ونطقها يتحدّد علاقة ما بعدها بما قبلها.

وقد توصلّ مارتيني من خلال دراسته للبنى التركيبية إلى أنّ الكلام عموما يتألّف من مجموعة من الوحدات اللغوية يمكن تصنيفها انطلاقا من وظائفها إلى المونيمات التالية:

د.1. المونيم الوظيفي (m.fonctionnel):

عنصر لغوي لا يحمل دلالة في نفسه، تتمثّل مهمّته في تحديد دلالة عناصر أخرى غير مستقلة في الجملة، فهو يساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى مشاركة له في التّركيب، ولا يمكن لها أن تستقلّ بنفسها في السياق الذي ترد فيه؛ كوظيفة الضمير، وحروف العطف، وأدوات الشرط، والظروف وأدوات الاستفهام، وفقدان أيّ أداة يؤدي إلى تحوّل شكل البنية من أسلوب إلى آخر فيتغيّر المعنى والوظيفة، فهذه المونيمات لها دور في تحديد شكل البنية ومعناها، وتساعد في الموضوع والبؤرة؛ كالوظيفة التي تؤدّيها حروف العطف، فلا يمكن مثلا فهم التّركيب: التقيت زيدا عمرا، إلّا إذا أضفنا إليه عنصرا وظيفيا؛ هو حرف العطف ليصبح التّركيب: التقيت زيدا وعمرا، ومن غيره يفسد التّركيب، أو يعبر عن معنى لا يريده المتكلّم، كأن يكون أخطأ ثمّ أبدل².

¹. ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 9/ 22، 23.

². ينظر: أهمّ المدارس اللسانية، المهيري عبد القادر وآخرون، ص ص: 45، 48/

ومن المونيمات ضمير الفصل الذي يأتي في بنية الفصل ليربط بين طرفي الإسناد؛ كما في قوله تعالى: "وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" البقرة، وقوله سبحانه: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ" آل عمران، فالموضوع: أولئك/ هذا، البقرة: المفلحون/ القصص، المونيم الوظيفي: (هم) (هو)، وعلاقته بالمونيم المتقدم والمتأخر هي التي تحدّد وظائفهم، فاسم الإشارة (أولئك) و(هذا) في الآية الثانية: مسند إليه، و(المفلحون) و(القصص): مسند، والضمير (هم، هو) جاء للإيذان بأن ما بعده خير لا نعت، فيفيد ضرباً من التأكيد، ودلالياً يأتي حيث يكون هناك تنازع في الأمر، فيثبته للمذكور، فيحدّد المعنى المقصود، رغم افتقاره لغيره، ولهذه المونيمات وظائف تؤدّيها؛ فهي رابطة لأجزاء الكلام، ويسمى أسلوب تعبير الجملة باسم وظيفة الأداة، ويستخدمها المتكلم لإحكام دلالة الجملة حتى تطابق مقتضى الحال، وظروف التعبير¹.

د 2 . اللفظ المكتفي بذاته:

هو العنصر اللغوي الذي يتضمّن في بنيته المستقلة وظيفته اللغوية؛ مثل: غدا، اليوم، نادرا، غالبا، فهذه الألفاظ ذات دلالات مستقلة، ولا تتحدّد من خلال موقعها في الجملة، فهي مكتفية بذاتها، تتميز بالحرية والاستقلالية، وهذه الحرية لا تفقدها وظيفتها في الكلام²، كقوله تعالى: "قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ... البقرة، وقوله تعالى: "يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ... آل عمران.

د 3 . الركن المكتفي بذاته (le syntagme autonome):

وهو ما تألف من مونيمين، وتكون العلاقة بين أجزائه قوية الصلة والارتباط، ووظيفته لا تتعلّق بموقعه في الكلام، ويحتاج إلى مونيم وظيفي يربطه بعناصر الجملة، ومثال ذلك الاسم المجرور، الذي لا تتحدّد علاقته بالجملة إلا بوجود مونيم حرف الجرّ الذي يربطه بالجملة؛

¹ الأدوات النحوية؛ بنيتها ووظيفتها، محمّد خان، مقال، ص: 7، 10.

² ينظر: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، ص: 98.

André Martinet , éléments de linguistique générale., p: 112 – 115

كقوله تعالى: "وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا..." ﴿٤٨﴾ البقرة، فالمونيم (نفس) ركن وظيفي تتحدّد علاقته بالجملة بارتباطه بالمونيم (عن)، وبؤلفان مع الركن المكتفي بذاته¹.

يظهر ممّا سبق وبتطبيق مبادئ الوظيفيّة البنويّة؛ أنّ نسق الجملة وحسب قواعد الفصل والوصل يقتضي ذكر كافّة العناصر المكوّنة لها، وقد يطرأ عليها وفقا للسياق ما يسوّغ تغييرا في مكوّناتها، أو العدول عنها، ومن قواعدها ألاّ يقطع بين أجزائها بالوقف على أحد عناصرها دون تمام الكلام، وخاصّة في الجمل التي تتشكّل من طرفين متلازمين، فلا يوقف على الأوّل حتّى يوتى بالمعادل الثاني، لأنّه به يوجد التمام؛ كما في قوله تعالى: "... فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا

إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..." ﴿٢٣﴾ البقرة، لا يجوز الوقف على الأوّل لئلاّ تنقطع الجملة عن بعض مكوّناتها، فلا يستقيم معناها ولا مبناها، فالجملة مبنية على الطرفين، وفقدان أيّ منهما يعني عدم الفائدة، وإذا كان البلاغيّون ربطوا الوصل والفصل بالواو، أو بحروف العطف، فإنّ الأمر هنا أشمل من ذلك لأنّه يتعلّق بتمام المبنى والمعنى، ويشمل أدوات ووسائل أخرى، منها ما ذكره النحاة والأصوليون الذين اعتدوا بالأسس القائمة على مكوّنات الجملة وارتباط أجزائها، فمنعوا قطع أجزائها إلى أن تكتمل، وهذا ما يظهر بالتقطيع المزدوج، فلو أخذنا جملة الشرط والجزاء، أو القسم وجوابه، أو جملة اشتملت على تركيب المميّز والتمييز، أو غير ذلك ممّا هو متلازم يشكّل طرفاه بنية الجملة، لتبيّن لنا الأمر جليّا في امتناع القطع بين طرفيها، وقد يكون المانع راجعا إلى وظيفة أداة الوصل فيها، أو راجعا إلى العلاقة بين الطرفين (الارتباط)، ونوضّح ذلك ببعض منها:

امتناع القطع بين المميّز والتمييز؛ كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ

يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضٍ دَهَبًا..." ﴿٦١﴾ آل عمران، بعد التقطيع وتحديد وظائف المونيمات

¹ ينظر: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامّة، نصر الدّين بن زروق، ص: 99/

يتبين أن الوقف على الأرض قبيح، لأن وظيفة "ذهباً" مفسر لذلك، وقوله تعالى: "وَمَنْ يَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ^١... البقرة، الوقف على "سفه" قبيح لأن "نفسه" تنتصب على التشبيه بالتفسير، ولا يجوز القطع بينهما صوتياً أو تركيبياً، لأنه لو عمل به لترتب عليه فساد الكلام مبنى ومعنى، فالوظيفة تطلبه في التركيب، ولو قطع بينهما بالوقف لبقى ذهن السامع في استقهام عن متمم الجملة من حيث المعنى، ومثل ذلك القطع بين الصفة والموصوف، إذ الارتباط بينهما شديد، فهما كالشيء الواحد، ولا يجوز الوقف على الموصوف دون صفته، فالمعنى يستدعيهما في التركيب متوالين، وكذلك البديل والمبدل منه مترابطان، لا يستقل أحدهما عن الآخر؛ كقوله تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً... البقرة، فقوله: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ" بدل من: "الَّذِي خَلَقَكُمْ"، وقوله: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ليس بوقف بينهما، ومثل ذلك عدم جواز القطع بين الحال وصاحبها لارتباطهما؛ كقوله تعالى: "﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ... ﴿١٢٤﴾ آل عمران، فـ"ذُرِّيَّةً" حال من اصطفى، أي اصطفاهم حال كونهم ذرية بعضها من بعض، فلا يقطع بين طرفي التركيب لاتصالهما، وهذا الذي ذكرناه يدخل فيما سماه الوظيفيون الإلحاق بالتبعية، حيث يحمل الملحق وظيفة دلالية تختلف عن وظيفة المتبوع، ولا يمكنه أن يأتي مكانه كما في الإلحاق بالعطف¹.

كما يتمتع القطع دون تمام التركيب اللغوي في الجمل ذات الدلالة الانفعالية، والتركيب الدالة على الحصر والاستثناء، وهي تراكيب تتصف بإيقاع وتنغيم صوتي داخلي، يوحي بنوع الجملة ودلالاتها على معان إضافية كالتأكيد، والانفعال والدهشة والغضب، والجمل ذات التركيب

¹ ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمد المدني علي، ص: 189، 192/ ودروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، نصر الدين بن زروق، ص: 100.

الحصري تتكوّن من طرفين بواسطة أداة، وتتميّز بتنغيم ونبرة صوت، ولا يستقلّ كلّ طرف بالمعنى دون الآخر؛ ففي قولك: لا إله إلاّ الله، لا يجوز السكوت على الاسم المرفوع دون تمام التركيب، فالتلازم بين جزأي الجملة يجعلهما كالملاحق بالتبعية، فلا يستقيم المعنى بواحد منهما، ولا يكون الكلام تاماً حتّى يذكر الطرف الثاني، ولا يكتمل بناء الجملة بسقوطه، أو قطعه، فهذه البنية تقوم على النفي في جزئها الأول، وعلى نقضه واستثناء قسم ممّا نفي، فهي مركّبة من طرفين يخضعان دلاليًا لحكم واحد، ثمّ أخرج منه جزء، ومن هنا يكون القطع بينهما أو الوقف على الأوّل غير مستساغ؛ ومن ذلك قوله تعالى: "...فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ البقرة، وكذلك كلّ تركيب يدلّ على الاستثناء أو الحصر بإحدى الأدوات (ما، لا، ليس، لن، إن) المتبوعة بإلّا وما ينوب عنها؛ وقوله تعالى: "وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾ البقرة، وقوله تعالى: "... قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ... ﴿١٢﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "... فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً... ﴿٢٨﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "... وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ... ﴿٦١﴾ آل عمران، فالقطع بين الطرفين بالوقف على الأوّل يؤدّي إلى فساد المعنى، فالحكم الذي جاء في القسم الأوّل عامّ مستغرق، والقسم الثاني يخصّص، فلا يتأتّى التركيب إلاّ بهما، ويلحق بذلك جملة القسم والجواب، حيث لا يتمّ معناها إلاّ بهما، وكذلك التركيب الشرطي يتكوّن من جملة الشرط وجوابه، والمعنى لا يتمّ إلاّ بهما معاً، كقوله تعالى: "فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ... ﴿١٧﴾ البقرة، وقوله تعالى: "فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا... ﴿١٧﴾ آل عمران، والمانع من القطع بين الطرفين في هذه التراكيب يظهر في البنية العميقة، حيث إنّها تشكّل معنى واحداً، لا يفهم إلاّ باتّحاد الجزئين¹.

¹ ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، الطاهر محمّد المدني علي، ص ص: 193، 194.

6 . وظائف اللغة عند جاكبسون:

يذهب اللغويون الوظيفيون إلى أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل، كما أنّها تقوم بوظائف أخرى إلى جانبها، ويلخّص جاكبسون الوظائف التي تقوم بها في ستّ وظائف، معتمدا على وظائف الكلام من خلال نظرة المتكلم والسّامع والرّسالة والسّياق وعلى الاتّصال بين المرسل والمنتقل ومعقد الكلام¹، إذ يقوم المرسل بإرسال رسالة إلى المرسل إليه، وتتطلب هذه الرّسالة لكي تكون فاعلة، سياقاً تشير إليه، يمكن للمرسل إليه استيعابه، كما تقتضي الرّسالة شفرة مشتركة بينهما، وقناة اتّصال فيزيائية، ووحدة تجربة ولغة مشتركة، أو رابطاً سيكولوجياً بينهما، يمكنهما من إقامة عمليّة الاتّصال، والإبقاء عليه، وفي حالة ما إذا تمّ التّركيز على إحدى هذه الوظائف دون غيرها، ينتج هذا الخطاب وظيفة أخرى، فكلّ عنصر من هذه العناصر يوّد وظيفة لسانيّة مختلفة، وعليه ميّز (جاكبسون) بين ستّ وظائف للغة²؛ هي:

أ - الوظيفة التّعبيرية (الانفعاليّة): *fonction émotive*

بالتركيز على (المرسل) تكون الوظيفة (انفعاليّة) معبّرة عن حالة ذهنيّة تهدف إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو خادع، وتستطيع تحديد العلائق بين الرّسالة والمرسل؛ كقوله تعالى على لسان المكذّبين: "إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" ﴿١٤﴾، وقول هاروت وماروت: "إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ" ﴿١٢﴾ البقرة، ففي الأولى ردّ اعتقاد شياطينهم فيهم أنّ ما أظهره للمؤمنين حقيقة وإيمان، وفي الثانية بيّنان لمتعلّمه أنّ هذا العلم في مبادئه يظهر كأته فتنة وشرّ³، والله أعلم.

¹. ينظر: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، بناني محمد الصغير، ص: 71/ واللسانيّات الوظيفيّة (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 51.

². ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، بوقرة نعمان، ص: 99، 100/ ونظريّة التّواصل . المفهوم والمصطلح . القضماني رضوان، وأسامة العكس، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية . سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، العدد (1) 2007م، ص: 140، وما بعدها.

³. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 1/ 292، 644.

ب - الوظيفة الندائية (التأثيرية): fonction conative

بالتركيز على (المرسل إليه) تصبح الوظيفة ساعية إلى التأثير، توجد في الجمل التي ينادي بها المرسل المتلقي، لإثارة انتباهه، أو لطلب القيام بعمل ما، فتدخل في صلبها الجمل الأمرية؛ نحو قوله تعالى: "يَبْنِيْ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" البقرة، فالموضوع هو الثبات على الإسلام طول الحياة، والنهي عن كونهم على خلافه وهو الكفر، إذ الموت على غير الإسلام لا خير فيه¹، وقوله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" آل عمران، وقوله: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ" البقرة، فالتعبير بهذا الأسلوب كما يرى الجرجاني يستعمل لتنبية المخاطب المعني للذي يجب عليه²، والله أعلى وأعلم.

ج - وظيفة إقامة الاتصال: fonction phatique

بالتركيز على (قناة الاتصال) تصبح الوظيفة (تواصلية)، وذلك حين يحاول المرسل إبقاء الاتصال مع المتلقي، عن طريق ألفاظ بسيطة لا تحمل أفكارا مثل: (ألو)، و(هاه)، والعبارة الشكسبيرية (أعربي أذنك)، أو إعادة مقولة المخاطب.

د - وظيفة ما وراء اللغة (المعجمية، الشارحة): fonction métalinguistique

بالتركيز على (الشفرة) تصبح الوظيفة (شارحة)، وتظهر في الرسائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراسة لوصف اللغة، وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها، إنها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها.

هـ - الوظيفة المرجعية: fonction référentielle

بالتركيز على (السياق) تصبح الوظيفة (مرجعية)، تشير إلى المرجع الخارجي الذي تتحدث الرسالة عنه، أو الموضوع المشترك بين طرفي التواصل الأساسيين؛ أي ما هو متفق

¹. ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم، صباح عبيد دراز، ص: 154.

². ينظر: دلائل الإعجاز، ص: 330.

عليه من قبل المرسل والمرسل إليه، كقوله تعالى: "أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ" ... البقرة، اسم الإشارة متوجّه إلى المتقين الذين أجرى عليهم من الصفات ما تقدّم، وأصل الإشارة أن تعود إلى ذات مشاهدة معيّنة، وقد تعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها فتتزل منزلة الحاضر، فالسّامع إذا وعى تلك الصفات صار الموصوف بها كالمشاهد، والمتكلم يبني على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد، فيؤتى بتلك الإشارة فتكفيه، وقد يتبع اسم الإشارة بأحكام فيدلّ ذلك على أنّ منشأ تلك الأحكام هو تلك الصفات المتقدّمة على اسم الإشارة؛ فقوله: "أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ" بمنزلة أن يقول: إنّ تلك الأوصاف هي سبب تمكّنهم من هدى ربهم إياهم¹.

و - الوظيفة الشعرية: fonction poétique

بالتركيز على (الرسالة) نفسها، تصبح الوظيفة (شعرية) تدخل على اللغة ديناميكية، وبدونها تصبح اللغة ميتة وسكونية، وهي موجودة في كلّ أنواع الكلام، تمثّل عنصراً قائماً بذاته؛ هي الوظيفة الجمالية بامتياز، تمثّل صيغة لفظية مكتوبة تشمل مضمونا دلاليًا يقوم المتلقّي بتأويله بالاعتماد على فكّ شيفراتها، وهو ما يسمّى بالاقضاء التخاطبي، للتوصّل إلى المقضى الذي يقصد إبلاغه، ويحصل عندما يأتي النصّ بشكل غير صريح؛ عن طريق الكناية والتلويح والرمز والاستعارة²... ومنه قوله تعالى: "...أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ" وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ... البقرة، عطف الجملة "وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ" بالواو دون الفاء لأنّه خبر مقصود وليس من كلام موسى، وفيها استعارة مكنية إذ شبّهت الذلّة والمسكنة في الإحاطة بهم واللّزوم بالبيت أو القبّة يضربها الساكن ليلزمها، وذكر الضرب تخييل لأنّه ليس له شبيه في علائق المشبّه، ويجوز أن يكون "ضُرِبَتْ" استعارة تبعية

¹ ينظر: تفسير التحرير والتثوير، 1/ 241.

² ينظر: الاقضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحياي، مقال، مجلة جامعة تكريت

للعلوم الإنسانيّة، مج 20، عدد1، 2008م، ص: 71.

بأن شبه لزوم الذلة لهم ولصوقها بلصوق الطين بالحائط، ومعنى التبعية أن المنظور إليه في التشبيه هو الحدث والوصف لا الذات، بمعنى أن جريان الاستعارة في الفعل ليس كونه تابعا لفاعل، بل كونه حدثا¹.

وقال الله تعالى: "تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" البقرة، تظهر هذه الوظيفة في مجيء جملة "تُخَدِّعُونَ" بدل اشتغال من جملة "يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ"، وما معها، لأن قولهم ذلك يشتمل على المخادعة، والخداع مصدر خادع، الدال على معنى مفاعلة الخدع، والخدع هو فعل أو قول معه ما يوهم أن فاعله يريد بمدلوله نفع غيره، وهو إنما يريد خلاف ذلك، ويتكلف ترويجه على غيره ليغيّره عن حالة هو فيها، أو يصرفه عن أمر يوشك أن يفعله، والفعل المضارع المفيد للديمومة دال على أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى الرسول والمؤمنين، كناية عن انحصار ضرره فيهم².

ومن الوظائف الجمالية التشويق؛ كما في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا..." البقرة، قال ابن عاشور: (وتأخير المشار إليه عن الإشارة استعمال بليغ في مقام التشويق)³، ووجود هذه الوظيفة لا يعني عدم وجود وظائف أخرى، فهذه واحدة منها، ذكرناها هنا للمقام. ومن الوظائف الاقتضات الكنائية، وتأتي غالبا لتحديد دلالات كثيرة بأساليب تأديبية؛ كقوله سبحانه وتعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِالطَّعَامِ..." المائدة، فلم يكن المقصود هو المعنى الظاهر، أي: أكل الطعام، وإنما هناك اقتضاء لمعنى كنائي آخر، أراد سبحانه وتعالى وصف عيسى عليه

¹ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 527.

² ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 274 وأساليب القصر في القرآن الكريم، صباح عبيد دراز، ص: 33.

³ تفسير التحرير والتنوير، 2/ 17.

الصَّلَاة والسَّلَام بصفات بشريّة وليس بأكل الطَّعام، وإنّما يقصد عمليّة ما وراء الطَّعام كالهضم والنَّفص...¹.

وتظهر الوظيفة الجماليّة بصورة أوضح في شبه كمال الانقطاع، حيث تأتي الجملة الأولى مكتنزة فيها بعض الغموض، وليست كافية الوضوح بحيث يمكن الوقوف والسكوت عندها، بل تثير فيضا من الاستفسارات التي تثار في نفس المتلقّي، ثم تأتي الجملة الثّانية تجيب عن السّؤال وتطفئ أشواق النّفس، فيتأكّد المعنى من النّاحية العقليّة ويحقّق المتعة النّفسيّة، فتتواصل المعاني بتولّد الثّانية من الأولى، وكأنّها أصل ينبثق منه فرع، كقوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" البقرة ذلك أنّه لما قيل: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" البقرة، قدر السّؤال: ما بال المتّقين مخصوصين بذلك؟ فانبتق منه حديث عن الذين آمنوا، كأنّه جواب لهذا السّؤال، وبهذا تولّد الحديث عنهم ممّا سبقه فكان إدراجا ودمجا له².

إنّ هيمنة إحدى هذه الوظائف لا تنفي وجود وظائف أخرى، بل تُحدّد نوع الرّسالة، ويرى هاليداي أنّ أغراض اللّغة كثيرة غير متناهية، إلّا أنّ الوظائف المتعدّدة لا تهّم جميعها الدّارس اللّغويّ، لهذا يتحمّم عليه أن ينتقي من بينها الوظائف التي تتوفّر فيها الخاصيتان الآتيتان: ورودها بالنّسبة لجميع اللّغات الطّبيعيّة، وتحديدتها لبنية اللّغة أي انعكاسها في مستوى الخصائص الصّوريّة للّغة³.

¹. ينظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحياي، ص: 72.

². ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 116/ ودلالات التراكيب، محمد محمد أبو

موسى، ص ص: 308، 309.

³. ينظر: اللسانيّات الوظيفيّة (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 52.

7. بنية ووظيفة الفصل والوصل من منظور النحو الوظيفي التداولي:

أ. أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي التداولي:

يتمثل هذا الاتجاه؛ في نظرية النحو الوظيفي التي يمثلها سيمون ديك الهولندي، ومن العرب أحمد المتوكل، وقد تأثر هذا الاتجاه بالفلسفة التحليلية ذات الفروع اللسانية واتجاهها الوظيفي في دراسة الظواهر اللغوية، والتي لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية¹، وهذا الانعطاف مهّد له أعمال العديد من الفلاسفة في مقدّماتهم الفيلسوف الإنجليزي أوستين، في نظريته (أفعال الكلام)، التي أعاد تصنيفها سيرل، وخلافا للاتجاه الوظيفي البنيوي الأول يرى هؤلاء وجوب العودة إلى السياق اللغوي والمقام (سياق الحال) وقصد المتكلم لفهم المعنى، واستثمرت هذه النظرية في اللسانيات، واهتمت بدراسة ظواهر اللغة بوصفها كلاما مستعملا من قبل شخص معيّن في مقام معيّن، موجّها إلى مخاطب معيّن، لأداء غرض معيّن، مهتمّة بالنظام وبالكلام وما يتبعه من ملابس خطابية أثناء الأداء، ولذلك سميت بالنظرية الوظيفية التداولية، وخصّصت للجانب التداولي في نموذجها الوصفي مستوى إجرائيا، يكون دوره التمثيل لأثر المقام في صياغة الجملة، فيكون أثره أوضح في فهم المعنى، ووصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها، وينطبق هذا على مختلف الألسنة البشرية²، وانبثق عنها نموذج وصفي تفسيري أهم ما فيه المبادئ الوظيفية الآتية³:

- بنية اللغات الطبيعية ترتبط بوظيفتها ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة، أي أن خصائص بنيات اللغات تتحدّد بحسب الأهداف التواصلية التي تستعمل هذه اللغات لتحقيقها.
- الوظيفة الأولى للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل والإبلاغ، وهذا لا ينفي أنها تقوم بوظائف ثانوية أخرى كالوظائف الست التي أقرّها جاكسون.

¹. ينظر: في فلسفة اللغة، زيدان محمود فهمي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1985م، ط1، ص: 43، وما بعدها.

². ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص: 8، 9، وما بعدها.

³. ينظر: الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، المتوكل، ص: 10/ الوظائف التداولية في اللغة العربية، المتوكل، ص: 11/ واللسانيات الوظيفية، المتوكل، ص: 89.

- النحو الأكفى هو النحو الذي يسعى إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات؛ الكفاية النفسية، والكفاية النمطية، والكفاية التداولية.

- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلّم / المخاطب.

ب . الجملة والبنية في النحو الوظيفي التداولي من البناء والوظيفة إلى القوة الإنجازية:

ب1 . بناء الجملة:

يقصد بالبنية عامّة مجموعة من الوحدات (مكوّنات) تربط بينها علاقات معيّنة، إمّا علاقات (ترادف ومعاقبة) أو علاقات (تراكب)، والبنية من حيث طبيعتها يمكن أن تكون؛ صرفية تركيبية أو فونولوجية أو دلالية أو تداولية¹.

وقبل أن تصير الجملة جملة فإنّه في نظرية النحو الوظيفي يتمّ بناؤها عبر ثلاث بنيات، بمراعاة المبدأ الأساس الذي يرى أسبقية تحديد الجوانب الدلالية والتداولية على الجوانب التركيبية، بموجب المبدأ المنهجي القاضي ببنية العبارة طبقاً للأهداف التواصلية التي تريدها، ويتمّ بناؤها عن طريق تطبيق مجموعة من القواعد لكلّ بنية، هذه البنيات هي²:

البنية الحملية: بنية دلالية منطقية، تتكوّن من محمول وحدود موضوعات ولواحق يفرضها المحمول على محلاته، تعنى بالتمثيل للمحتوى القضوي للجملة في استقلال عن سياق ورودها، لها وظائف دلالية كالمنفّذ والمستقبل، والمتقبّل والمستفيد والأداة والزّمان... يتمّ بناؤها عن طريق قواعد الأساس (المعجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود).

البنية الوظيفية: بنية دلالية تداولية، تستثمر المعلومات الواردة في البنية الحملية، وتخصّص العلاقات التداولية القائمة بين المكوّنات، لها وظائف تركيبية هي الفاعل والمفعول. يتمّ نقلها عن طريق قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية.

¹ ينظر: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التّسميط والتطوّر، المتوكّل، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2012م، ص: 18.

² ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 137، 140 وما بعدها/ الأمر والنهي في اللّغة العربيّة، الزّهرى نعيمة، سلسلة الأطروحات والرّسائل: 2، جامعة الحسن الثّاني، عين الشقّ، ص: 217، 218/ والبعد التداولي في النحو الوظيفي (بحث)، الجندي طه، مجلّة كليّة دار العلوم الشّهريّة، القاهرة، بعدد رقم: 27، 2010م، ص: 50 وما بعدها.

البنية المكونية: بنية صرفية تركيبية، لها وظائف تداولية كالبؤرة والمحور، والمبتدأ والمنادى والذيل. يتم بناؤها عن طريق قواعد التعبير.

والجملة كبنية منجزة هي نتاج المقام؛ أي أنها جاءت لخدمة المقام الذي استدعى التلّفظ بها أو إنجازها، دليل ذلك؛ أنها نسق من الوحدات لا يمكن تحديد بعض خصائصها . على الأقلّ . إلاّ بمراعاة ظروف إنتاجها انطلاقاً من مقاصد متلفّظيها أثناء عملية التّليغ¹، وانطلاقاً من ذلك فالجملة في النّحو الوظيفي هي: فعل لغوي يتميّز بخصائص دلالية تداولية، تعكسها خصائص بنوية صرفية تركيبية، يستغلّها مستعمل اللّغة الطّبيعية لتغطية احتياجاته في عشيرته اللّغوية التي يعيش فيها، ومصطلح الفعل اللّغوي أو العمل اللّغوي أو الفعل الكلامي مصطلح افترضته نظرية النّحو الوظيفي من فلسفة اللّغة التّحليلية، ويعني أنّ قول شيء؛ ما هو إلاّ تحقيق أو إنجاز لعمل معيّن، وحين نتلفّظ بعبارة ما فنحن نقوم بإنجاز ثلاثة أعمال كما يرى أوستين: فعل قول / وفعل إنجاز / وفعل تأثير²، وحينها يجب التّمييز بين قوتين كما يرى سيرل في نظرية أفعال الكلام بين القوّة الإنجازية المضمرة والمدركة مقامياً، والأفعال الإنجازية المدركة مقالياً، أو الدّلالة المقامية المتغيرة، والدّلالة المقالية المعجمية الثّابتة، أي أفعال اللّغة المباشرة وغير المباشرة، ولذلك أعاد سيرل تصنيف الأفعال اللّغوية إلى أربعة أصناف³:

/ الفعل التلّفظي: ويقصد به عملية أداء الكلام والتأليف بين مكوناته.

/ الفعل القضوي: ويعادل الفعل الدّالي ويشمل عنصري الإحالة والحمل.

/ الفعل التّأثيري: ويتعلّق بالنتائج التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنّسبة للمخاطب، كالإقناع والخوف.

/ الفعل الإنجازي: ما يؤدّيه اللفظ من معنى إضافي؛ كالاستفهام والأمر والنّهي والوعد.

¹. ينظر: المقاربة التّداولية، أرمينكو فرانسواز، ترجمة: علّوش سعيد، الرّباط، مركز الإنماء القومي، دط، ص: 7.

². ينظر: الأمر والنّهي في اللّغة العربيّة، الزّهري نعيمة، ص: 146، 148.

³. ينظر: الاستنزام الحواري في التّداول اللّساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها،

العياشي أدواري، ط1، منشورات الاختلاف، الرّباط، 2011م، ص: 92، 93.

ب2 - تبعية البنية للوظيفة:

أهمّ المبادئ وظيفية وأشدّها إجرائية وأقواها حضورا في الممارسة التطبيقية هو مبدأ؛ بنية اللغات الطبيعية تابعة إلى حدّ كبير لوظيفتها، وعليه فإنّ علاقة البنية بالوظيفة تعني ارتباط التراكيب اللغوية بمقاصد الخطاب ومقتضيات الحال ارتباطا، يجعل الأولى تابعة للأخيرة تبعية قوية¹، ذلك أنّ الخصائص الدلالية والتداولية للعبارات اللغوية تتفاعل في تحديد خصائصها البنوية²، أي تتحدّد الخصائص البنوية للعبارات اللغوية (صرفا، تركيبيا، تنغيميا) انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها³، فتصوّر المعاني أولا ثمّ إجراؤها في الألفاظ والتراكيب ثانيا، وهذا ما أشار إليه الجرجاني في تعريفه النظم، حيث جعله في تعليق الكلم بعضها ببعض، ولا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتّى يعلق ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك⁴، لأنّ البنيات مرتبطة بالوقائع والمعاني، وهو ما يطلق عليه بالتضامّ العقلي، وهذا معنى أسبقية المكوّن الدلالي والتداولي على التركيبي، ولتوضيح ذلك نعتد بنيات من موضوع بحثنا الفصل والوصل، مثال ذلك الوصل في: العلم حسن والجهل قبيح، حيث المبرر الدلالي للعطف هو كون الخبر عن الثّاني مضادا للخبر عن الأوّل، والمبرر التداولي هو كون الواقعتين متضامتين عقليا بالنسبة لجميع اللغات، والغرض حتّى الأفراد على التشبّث بالقيم الإيجابية ونبذ السلبية⁵.

والحديث عن العلاقة بين البنية والوظيفة مرتبط بالحديث عن الفروق بين ضروب التراكيب التي لا تستعمل في نمط مقامي واحد، بل في أنماط مقامية متباينة استجابة لمقتضيات الحال، فالتباين في الأنماط المقامية يستلزم التباين في التراكيب⁶، ويقود هذا إلى

¹ ينظر: اللسانيّات الوظيفية، (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 15، 58.

² ينظر: الوظيفة والبنية، (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، المتوكّل، هوامش، ص: 25.

³ ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي المتوكّل، كلية الآداب، الزباط، المغرب، ط1، 1993، (هامش)، ص: 21.

⁴ ينظر: دلائل الإعجاز، ص: 55.

⁵ ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص: 104.

⁶ ينظر: الوظيفة والبنية، المتوكّل، ص: 10، والوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، مطبعة الكرامة، الزباط، ط1،

2003م، ص: 29، واللسانيّات الوظيفية، ص: 96.

معرفة طبقات مقامية معينة تمثل القواعد التداولية، بالإضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية التي تمكن من تحقيق الأهداف التواصلية، وهي مفاهيم تستعمل الوظيفة بمفهوم العلاقات القائمة بين مكونات الجملة بدرجات متفاوتة، فهي علاقات بنيوية تقوم بين عناصر البنية الواحدة¹.

كما أن كل أداة من الأدوات التي يستعملها المتكلم تأخذ البنية التي تلائم الوظيفة المستعملة من أجلها، ولا يمكن وصف خصائصها البنيوية وصفا مرضيا دون الرجوع إلى الخصائص الوظيفية، والدلالية، والتداولية²، مما يؤكد أن الوظيفة تحدد البنية؛ ولتوضيح ذلك نقارن بين هاتين الآيتين اللتين تشابهتا لفظا واختلفتا في المعرض والرباط حتى تستقيم البنية مع الوظيفة، والشكل مع المضمون؛ الأولى قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا... ﴿٥٨﴾ البقرة، والثانية قوله تعالى: "وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ... ﴿١٦٦﴾ الأعراف، في الأولى عطف بالفاء "فَكُلُوا" وفي الثانية عطف بالواو، والسبب راجع إلى المعنى الدلالي والتداولي الذي كان له أثر في هذا الاختيار التركيبي؛ ذلك أن الدخول يدل تداوليا على سرعة الانقضاء فناسبه التعقيب بالفاء، وفي الثانية "اسْكُنُوا" بمعنى: أقيموا فيها، ويدل تداوليا على زمن ممتد للجمع بين الإقامة والأكل فناسبه الواو، وزاد في (البقرة) "رَغَدًا" لأن سبحانه وتعالى أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم³، ونلاحظ أن المكون الدلالي والتداولي لهما أسبقية على المكون الصوتي والتركيبى والصرفي في ترتيب مكونات البنية، والغرض خدمة الوظيفة التواصلية والفهم.

¹. ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، المتوكل، ص: 9، 11، والوظيفة بين الكلية والنمطية، ص: 29.

². ينظر: اللسانيات الوظيفية، المتوكل، ص: 58، والتركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، ص: 48.

³. ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانى تاج القراء محمود بن حمزة، نج: السيد

الجميلى، مركز الكتاب، القاهرة، دط، دت، ص: 20.

ونخلص من ذلك أن مبرر العطف بين الجمل لا يحكمه مبدأ نحوي فقط، وإنما توجد مبادئ أخرى دلالية وتداولية متنوعة من مثل التضام النفسي والعقلي؛ فكون الفعل مثلا قد حدث بالتساوي بين المتعاطفين أو على قدر من الاختلاف والتغاير؛ كقوله تعالى: "ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ... البقرة، خارج عن الدلالة التحويلية للواو، بل يفهم من السياق، لأنّ تقديم الكلام في اللسان على حسب تقدّم المعاني في النفس والجنان، وكلّ ذلك مرتبط بالدلالة والمقام، وخصائصه؛ كالزّمان، والطّبع ك(مثنى وثلاث ورباع)، والترتبة؛ كقوله تعالى: "...يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ... الحج، فرجالا يأتي من مكان قريب وعلى الضامر يأتي من مكان بعيد، فيتقدّم ذكر القريب على البعيد، أو بالسبب كقوله تعالى: "...إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ البقرة، لأنّ التّوبة سبب في الطّهارة، أو بالفضل والشرف والكمال؛ كتقديم السماء على الأرض؛ كقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... البقرة، ، وربما كان الترتيب بحسب الخفة والنقل لا بحسب المعنى، كقولك: رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ؛ مع أنّ مضر أفضل¹.

والأمر لا يتعلّق بالعطف أو الوصل فقط، بل له تعلّق أيضا ببنيات الفصل، فإنّ المتكلم يختار من بين بنيات الفصل ما يخدم السياق والمقام وما يعبر عن غرضه؛ كقوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ... البقرة، أي: الله العظيم سبحانه وتعالى يتولّى أمرهم ومقابلة سوء صنيعهم²، جاءت مفصولة عما قبلها، لأنّها إخبار من الله تعالى عن استهزائه بهم وتركهم في جهالة، وهو أمر واقع بهم في كلّ حال سواء خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم، ووظيفة الاستئناف هنا ردّ الكلام السابق ودحضه، وجواب عن سؤال مقدّر³، حيث تظهر تداولية البنية في اعتبار

¹ ينظر: نتائج الفكر في النحو، السهيلي، ص: 208 . 212.

² ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 1/ 293.

³ ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص: 423.

العلاقات الناتجة عن المواقف والظروف والاعتبارات، وهو ما يحركه الكلام السابق في نفوس المتلقين من تساؤل يحتم القطع، ذلك أنّ الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت، تحرك السامعين لأن يعلموا مصير أمرهم، وهل تنزل بهم النعمة عاجلا أم يمهلون؟ وتكون جملة: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" جوابا عن هذا المقدّر وقوعه من السامعين، فيكون الجواب مقطوعا عن السؤال المضمّن، وتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع وظيفته تنبيه السامع أو إغناؤه عن السؤال، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه¹.

والفصل والوصل بين أجزاء الكلام يقتضي تقنيات مضبوطة، عن طريقها يضمن المرسل الجودة في التعبير من جهة، والإلمام بالمقصد المعين من جهة أخرى، ومن التقنيات حسن المقطع وجودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكّنها في موضعها، وأن تكون لائقة بما تقدّمها من ألفاظ الرسالة، فتكون متمكّنة لا يسدّ مسدّها غيرها، فتحقق للنصّ جانبا جماليا، وتضفي عليه قيمة صوتية منتظمة ينقسم بها سياق النصّ إلى وحدات أدائية تعدّ معالم للوقف والابتداء²، وهي ذات بعد تداولي إذ تتفق في الأغلب الأعمّ مع طاقة النفس لدى القارئ، فيقف ليتزوّد بزاد نفس جديد، وليحسّ عندها بأنّه يقف لدى معلم من معالم السياق المتّصل بالإيقاع والمعنى، لها دور في الربط، وفصل الكلام بعضه عن بعض أو وصله، فلا تكون إلّا لأغراض بلاغية تداولية تتعلّق بالمعنى والدلالة، تأتي مكّملة لبنية الآية فلا يتصور تمام معنى الآية إلّا بها، فتأتي ذات علاقة عضوية بتركيب وأسلوب ما سبق من بقية الآية، فلا تكاد الآية تستغني عنها دلاليا لشدة الارتباط بينهما، وقد تأتي بعد تمام المعنى فتكون تذييلا للآية كالتعليق أو التّعقيب على محتواها كما في قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ

إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا

¹. ينظر: بلاغة التراكيب، توفيق الفيل، ص ص: 179، 180/ ودلائل الإعجاز، ص: 235/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 259.

². ينظر: الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، سامية بن يامنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص: 177.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ^ط وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ^ط وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ
 فَأَثْبِكُمْ غَمًّا بَغْمٍ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ^ط وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿١٥٣﴾ آل عمران، فقوله تعالى: " وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ "، وقوله: " وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "،

جاء بعد تمام المعنى فكان في موقع التذييل من الآية فأكسبها جمالا على جمالها، وميزها عن
 غيرها، مع حفاظها على انسجامها وتآلفها بين مضمون الآية ومضمون التذييل، وقد تقع
 الفاصلة دون تمام المعنى؛ كقوله تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢١٦﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢١٧﴾
 أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢١٨﴾ البقرة، فإذا قلنا: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِالْغَيْبِ" مبتدأ خبره: "أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ" جاءت الفاصلة قبل تمام المعنى، لأنهما
 جاءتا قبل استكمال الخبر، وقد يتحقق في اللفظ تمام المعنى ولا تقع الفاصلة^١، كما في قوله
 تعالى: "لَنْ تَأْلَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ^ع... ﴿٩٢﴾ آل عمران.

والكلام في الوصل والفصل، يتضمن المقاصد التي يريد المتكلم التعبير عنها والدلالة
 عليها^٢، ونوضح ذلك بهذه الموازنة بين آيتين تشابهتا حكما وألفاظا واختلفتا في المعرض،
 فجاءت إحداهما بالوصل والأخرى بالفصل، في قوله تعالى: "...وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا
 حِطَّةً نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ^ع وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا
 الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ^ع سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ الأعراف، بالواو "وَسَنَزِيدُ

^١ ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص: 279 . 281.

^٢ ينظر: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، الميداني، ص: 578.

الْمُحْسِنِينَ" في سورة البقرة، ومن غير الواو في سورة الأعراف، والغرض من ذكر الواو تعداد النعم، فعطفت نعمة جديدة على النعم المذكورة قبلها، ولم يكن في الأعراف تعداد للنعم فلم يعطفها، وذكر ابن عاشور أنّ الاستئناف في سورة الأعراف استئناف بياني لأنّ قوله: "نَغْفِرْ لَكُمْ" في مقام الامتتان بإعطاء نعم كثيرة ممّا يثير سؤال سائل يقول: وهل الغفران هو قصارى جزائهم؟ فأجيب بأنّ بعده زيادة الأجر على الإحسان، وقيل حذف الواو لتتناسب مع ما افتتحت به السورة من توبيخهم، وقيل الاختلاف بين الموضعين يرجع إلى وظيفة أخرى هي أنّ سورة البقرة مبنية على الإسهاب والتفصيل، فجاءت الواو، وتركت في الأعراف كون السورة مبنية على الاختصار والإجمال¹، ومهما يكن اختلاف العلماء في تفسير علّة ذلك، فإنّ مجيء الواو أو حذفها مع اتفاق في مبنى الآيتين راجع إلى وظيفة من الوظائف التواصلية.

فبنية الجملة تبع لوظيفتها، ولكلّ مقام تركيب معيّن، وباختلاف المقامات تختلف وجوه التراكيب، فقد تأتي الجملة الأولى تحمل غموضاً أو إبهاماً أو إجمالاً لأمر عدّة، والمقام يقتضي التوضيح والكشف والتفصيل، فيستدعي جملة ثانية تزيل الغموض أو تكشف الإبهام أو تفصل الإجمال، ترتبط مباشرة دون واو بالجملة الأولى، تكون أوضح وأكثر بيانا من الأولى؛ كقوله تعالى: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا" بيان وتفسير لقوله: "...فَأَمَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا

... ﴿١٦﴾ البقرة، وهذا البيان اشتمل على معنى الجملتين إجمالاً².

وقد تكون البنية غير وافية بتمام المراد، كأن تدلّ على أمر عجيب، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه، فيطلب جملة ثانية تعني به وتوضّحه، وتحقق الكفاية النفسية، وتدلّ على الغرض، وتفي بالمطلوب، وتنشّط النفس، لأنّها حين تتلقّى كلاماً فيه غموض تشناق إلى بيانه،

¹. ينظر: الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني، دراسة بلاغية تفسيرية، محمّد رضا الحوري، ومنصور أبو زينة، مقال،

ص: 12 . 15.

². ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 365.

فإذا جاء بيانه وتفصيله تمكّن الكلام منها وأيقظها¹، والجملة الثانية تأتي بدلاً؛ كقوله تعالى: " الَّذِينَ قَالُوا لِأَحْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ... آل عمران، بدل من قوله: " ... الَّذِينَ نَافَقُوا ... آل عمران.

إن ترتيب المتكلم لعبارة مرتبط بشروط مقامية تعود إلى قصده وإرادته، فقد يقصد من وراء حديثه إضافة معلومة لم تكن متوقّرة عند المخاطب، أو يريد الحصر ورفع التوهم أو الشكّ أو توكيد معلومة يعتقد أنها الواردة، فيقدّمها مصحوبة بإحدى أدوات التوكيد، أو يصدرها في أول الحمل، وكلها أغراض تواصلية لها دورها المؤثر في البنية اللغوية، وهي أمور تظهر أن البنية التركيبية لها ارتباطها بوظيفة التواصل.

ومن ذلك تغيير أشكال الرتب الذي يدلّ على اختلاف البنيات اللغوية لاختلاف الوظائف التواصلية، وهي محكومة تداولياً، وإن بدت حرة في المقاربات غير الوظيفية، وهي نوعان²؛ رتبة محفوظة يتحتم الإتيان بها في موقعها؛ كحروف الجرّ، وحروف النفي والاستثناء، وضمير الفصل، وحروف العطف؛ ورتبة غير محفوظة؛ يمكن فيها لأحد الكلمتين أن تتقدّم أو تتأخّر بحسب حاجة الاستعمال؛ ولغرض محدد يتعلّق بالمعنى لا بالبنية الشكلية، وموجهة لمستمع محدد؛ كقوله تعالى: "... وَأَسْجُدِي وَأَرْكِعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ آل عمران، والركوع قبل السجود بالزمان والرتبة والعادة، ولكنّ السجود أفضل، وليس المقصود ب(اركعي) مجرد الركوع، بل مجموع الصلاة، وكذلك اسجدي، وإنما أراد ب(اسجدي) صلاتها لوحدها في بيتها، وهي أفضل للمرأة، والسجود أفضل حالات العبد، وأراد بالركوع صلاتها في المسجد وهو دون السجود في الفضيلة، ودلّ على ذلك قرانه الركوع مع الراكعين³، فنلاحظ أنّه تقدّم ما حقّه التأخير لنتناسب بنية الجملة مع الوظيفة.

¹ ينظر: دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، ص: 303/ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص: 156.

² ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص: 91، 92، وما بعدها/ والتركيبات الوظيفية، المتوكّل، ص: 33.

³ ينظر: التبيان في علم البيان المطلق على إعجاز القرآن، ابن الزمكاني، ص: 151/ والبرهان في علوم القرآن، ص: 1190.

وقوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ... ﴿٥٨﴾ البقرة، والثانية قوله تعالى: "وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ

الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ... ﴿٦١﴾ الأعراف، وقدم قوله:

"وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا" على: "وَقُولُوا حِطَّةٌ" وأخرها في (الأعراف) لأنه قدم في الأولى "

أَدْخُلُوا" فناسب ذلك تبين كيفية الدخول¹.

وقد يكون تقديم عنصر من عناصر الجملة أو تأخيرها مراعاة للفاصلة وما يتصل بها من

قيم صوتية ووظائف تبليغية، تتمثل في رعاية المعنى والانتفاع بجرس اللفظ؛ كما في قوله

تعالى: "...فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ البقرة، وقوله تعالى: "...فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ النساء،

فالشاهدان اشتملا على ألفاظ بعينها اختلفت رتبتهما، وأحدهما لم يأت على الرتبة الأصلية، وكلها

رعاية للفاصلة، وقد يأتي التقديم والترتيب في الأحداث التاريخية لرعاية الفاصلة، وقد تعدل

الآية عن بعض قواعد النحو لرعاية الفاصلة كأن تأتي ألف الإبدال التي تنوب عن التثوين في

كلمات اقترنت بأل التعريف²، كما في قوله تعالى: "...وَتَتَّظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١﴾ الأحزاب.

فكل هذه البنيات ارتبطت دلالاتها بالمقام، وجاءت على النمط الذي يخدم الوظيفة التي

يراد إبلاغها والتواصل بها.

¹ ينظر: الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، تح: السيد الجميلي، ص: 20.

² ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص: 282 . 284.

ب3 . الوظائف التّواصلية لبنيات الفصل والوصل:

تتفق بنيات الفصل والوصل في وظيفة الرّبط بين المفردات والجمل، فالوصل ربط بالأداة، والفصل ربط خفيّ، ولها وظائف أخرى تؤدّيها فتتحقّق وظيفة التّواصل الأساس؛ نذكر منها:

وظيفة أمن اللّبس:

وهو الحرص على أداء الفكرة في وضوح، والمقصود باللّبس تعدّد احتمالات المعنى دون مرجّح، فلا يستطيع المتلقّي أن يقطع بأنّ المقصود واحد بعينه من هذه المعاني المحتملة، ومن هنا كان من الضّروريّ أن يشتمل النصّ على قرينة تشير إلى المقصود، والقرآن الكريم أعظم وفاء بتقديم القرائن عندما يعرض اللّبس في اللفظ أو في التّركيب، ومن مسالك اللّبس تعدّد احتمالات الوصل والفصل، وأوّل ما يرد على الذّهن من هذه الظّاهرة ما يعرف بـ(تعانق الوقف) كما في قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة، إذ يمكن لهذه الآية أن تقرأ بكلّ الصّور التّالية:

ذلك الكتاب - لا ريب فيه - هدى للمتقين.

ذلك الكتاب - لا ريب - فيه هدى للمتقين.

ذلك الكتاب لا ريب فيه - هدى للمتقين.

موضع التعانق هو عبارة "لا ريب فيه" من حيث علاقة الألفاظ في داخلها وعلاقتها بما حولها، ممّا تقدّم عليها أو تأخّر عنها، وقد تفيد إلى جانب ذلك غرض التّعظيم والتّخصيص، حيث استغنت الجملة عن حرف العطف، لأنّ المعنى متّصل، ومنه قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي

أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ

فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران، لا مانع

نحوي من أن يكون لفظ "الرّاسخون" معطوفا على لفظ الجلالة، فلا مانع من الوصل، ولكن

الرّاسخون يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا، وبهذا يقف الإيمان بإزاء العلم، فيكون لهم الإيمان والله العلم بالتأويل¹، وبهذا يزول اللبس ويتعيّن الاستئناف ويمتنع العطف².

وللفصل والوصل دور في توضيح دلالة جمل القرآن، من خلال معرفة مواضع الوقف والابتداء والوصل، ولهذا أثر في علم التفسير، وعلم الفقه، حيث يُعتمد على النصّ القرآني في استخلاص الأحكام، كما في قوله تعالى: "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ أَهْدَىٰ... ﴿١٩٦﴾ البقرة، فالوقف على الحجّ، يجعل الواو للاستئناف، ممّا يعني عدم إشراك العمرة في الحكم، فتكون مستحبة وليست واجبة، أمّا قراءة الوصل وإعمال العطف فينتج عنه إشراكها الحجّ في الوجوب، وليس هذا مقصود الآية، وقد يقتضي التركيب الفصل أو الابتداء، وبذلك يحلّ مشكلة اشتباه الاتّصال الخطّي بين البنيات، والذي قد يؤدّي إلى فهم ما لم يقصد من العلاقات النحويّة، فقد يجعل الوصل ما بعده من المقول الأوّل ومثال ذلك قوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴿١٦﴾ المائدة، فلو وصل قوله: "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ" لصار من مقول اليهود، وإنّما هو إخبار بردّ قولهم: "يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ"، فالوصل يجعل الجملة في موقع مفعول به، ويتربّب عليه معنى غير مقصود، ولذلك يحرص الزركشي على فصل آية العذاب عن آية الرّحمة، لما بينهما من فرق في المعنى، ولما في وصلهما من إشراك في الحكم؛ في قوله تعالى: "... فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ البقرة، لا توصل بقوله: "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴿٨٢﴾ البقرة، لما بينهما من فرق في المعنى³.

¹ ينظر: اجتهادات لغويّة، تمام حسّان، عالم الكتب، ط1، 2007م، القاهرة، ص: 219 . 221.

² ينظر: تحليل النصّ، محمود عكاشة، ص: 100/ وأنظمة الرّبط في العربيّة، حسام البهنساوي، ص: 17.

³ ينظر: الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النّحو، الطّاهر محمّد المدني علي، ص: 16 . 23.

وظيفة البيان والتفسير:

يتحقق عندما يأتي اللاحق بيانا وتفسيرا لكلمة مفردة أو تركيب جملة، والعلاقة الرابطة بين الجملتين عندها لا تحتاج دائما إلى رابط لفظي يوضحها كأداة التفسير (أي) و(أن)؛ ومثال هذه العلاقة قوله تعالى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ^ط مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ... البقرة، ﴿١٤٦﴾" فقولته تعالى "مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا"، كلام مجمل، مبهم يجعلنا نبحث عما يبينه، وهو قوله "مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ"، فالثانية جاءت لتحقيق غاية معينة، وواضح أن الكلام إذا ورد مجملا تحرقت النفس شوقا لمعرفة، وتعلقت به أكثر، وتوجهت إلى ما يرد بعده، ويفسره.

وقد تحتاج جملة التفسير إلى رابط بين المكونين؛ كقوله تعالى: "...وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ^ط البقرة، ﴿١٢٥﴾" فجمله: "أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ..." تفسير لقوله: "عَهْدَنَا"، وعلاقة البيان تكون بين عنصرين داخل نفس الآية كما تكون بين آيتين، وغالبا ما تكون استجابة لاستفهام مقدر، مما يعني أن العلاقة وطيدة بين المبيّن والمبيّن في غير حاجة إلى رابط شكلي¹، ومن ذلك قوله تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ^ط فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ^ع إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^ط البقرة، ﴿١٧٢﴾" بيان لقوله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ^ط البقرة، ﴿١٧٢﴾" ذلك أن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات؟ ف جاء هذا الاستئناف مبينا المحرمات وهي أضداد الطيبات،

¹. ينظر: لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي، ص: 187، 188.

لتعرف الطيّبات بطريقة المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وسلك هذا الطّريق للاختصار بناء على أنّ المحرّم محدود، بينما الطيّبات غير محدودة، وفي ذلك تعريض بالمشركين¹.

وظيفة الإيجاز:

من خلال تشكيل صيغ كلامية تتلاءم مع المعنى المقصود، وعرض المعاني غير منقطعة وفق التّصوّرات والإنجازات التي يتصوّرها المتكلّم، ممّا يساهم في مساعدة المخاطب على تأويلها، كيلا يتشتت الذهن في استيعابها، وربّما لعدم إحراج السّامع عن أن يسأل، كما هي في البنيات المفصولة التي تحتمل جوابا؛ كما في قوله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ البقرة، فصلت الجملة على طريقة حكاية المحاورات، وفيها إيجاز يظهر في اقتضاء الجملة الثّانية جوابا عن سؤال تحتمله الأولى، ودلاليا تشعر بأنّه بادر بالإسلام فورا دون تريث².

وظيفة تثبيت المعنى:

كما هو في البنيات المفصولة التي تشتمل على توكيد لفظي أو معنوي، حيث تأتي الجملة الثّانية مؤكّدة مقرّرة لمعنى في الجملة الأولى لأهميته وخطره، فتزيل ما في نفس المستمع من الشبهة أو الشكّ أو التوهّم، أو الإنكار الذي عرض عليه، وترفع احتمال أن يكون في الكلام مجاز أو سهو أو نسيان؛ وهي على وزن: جاء الأمير نفسه³، كقوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ..." فقوله: "لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ" تأكيد لألوهيته وتمام هيمنته وقِيوميته وأنّه غير ساه⁴، وقد تزيد على التّوكيد غرضا آخر هو التّعيين والتّخصيص.

¹. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 2/ 115.

². ينظر: المرجع السابق، 1/ 727.

³. ينظر: جامع الدروس العربيّة، مصطفى الغلاييني، ص: 558، 559.

⁴. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 3/ 184 والكشاف، 1/ 481.

وظيفة التّبيه:

قد تظهر في العدول عن استخدام حرف مكان حرف آخر؛ كقوله تعالى: "وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ﴿١٤﴾ آل عمران، فهذا الكلام مفرّع عن الكلام السابق، ولذلك كان حريّا بأن يعطف بالفاء، ولو عطف بها لكان أسلوباً عربياً، إلاّ أنّه عدل عن العطف بالفاء تنبيهاً على أنّ مضمون هذا الكلام مقصود لذاته، بحيث لو لم يسبقه كلام لكان هو حريّا بأن يؤمر به، وفيه قابل كفر أهل الكتاب وصدّهم الناس عن الإيمان؛ فقال: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ... ﴿١٩﴾ آل عمران، قابل ذلك بأن أمر المؤمنين بالإيمان والدعاء إليه¹.

ب4 . القوّة الإنجازيّة:

نقصد بالقوّة الإنجازيّة ما يواكب عبارة لغوية ما من دلالات، باعتبار الطبقات المقامية التي يمكن أن ترد فيها هذه العبارة، ولا يتوصّل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، تستوجب من المخاطب القيام بها كي يستنتج أنها من مقصود المتكلم، في حين أن القوّة الحرفيّة تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها².

وبدأ هذا المفهوم في الظهور مع الفيلسوف الإنجليزي أوستين Austin، الذي كان يرى أنّ الأقوال أفعال، إذ بالقول نصدر معلومات، وفي الوقت نفسه نفعل أشياء، أو نجز أعمالاً في وضعيّة تلفظيّة، ثمّ طوّر الفيلسوف الأمريكي سيرل هذه النظريّة، ورأى بأنّ إنجاز اللّغة يتعلّق بتقديم معلومات أو إعطاء أوامر أو طرح أسئلة أو تقديم وعود وغير ذلك، وأنّ هذه الأفعال تخضع لقواعد تتحكّم في استعمال العناصر اللّسانية، واعتبر أنّ كلّ الأفعال تتضمّن مبدأ القوّة

¹. ينظر: تفسير التّحرير والتّوير، 4/ 36، 37.

². ينظر: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، دار المعرفة الجامعيّة، 2002م، ص: 83.

(la force illocutoire) وكلّ ملفوظ يحتوي على درجة من القوّة تمنحه قيمة الفعل¹، وواصلت النظرية تطورها مع غرايس الذي ذهب إلى أنّ النظرية اللغوية لا يمكن أن تهمش الظاهرة التي يلاحظ بمقتضاها وجود جمل تحتل تأويلين دلاليين اثنين²:

- تأويلا دلاليا يطفو على سطح الجملة، تؤشر له بمؤشرات بنيوية.

- تأويلا دلاليا لا يطفو على سطح الجملة، ولا توجد قرائن بنيوية تدلّ عليه.

وبعبارة أخرى يمكن القول إنّنا عندما ننجز جملة، يمكن حسب المقام الذي أنتجت فيه تلك الجملة أن نقوم بفعالين لغويين: فعل لغوي مباشر وفعل لغوي غير مباشر.

ودعا غرايس إلى وضع نحو قائم على أسس تداولية، مؤكداً أنّ التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية لا ينحصر في ما تدلّ عليه صيغها الصورية، فهو أمر متعذر، واقترح أن ينظر إلى العبارات المتلفّظ بها من قبل المتكلّم في علاقته بالمستمع، والمقام الذي تتجز فيه، أي مراعاة ارتباطها بمقامات إنجازها³.

وقد اصطلح غرايس على تسمية هذه الظاهرة بالاستلزام الحواري، فالمعنى في بعض المقامات لا يقف عند تحديد المحتوى القضوي (المعنى الحرفي)، وما قيل، أي (مجموع دلالات مكونات الجملة مضموم بعضها إلى بعض، ويضمّ فعل الإحالة وفعل الحمل)⁴، ولكنه يوجد فيما هو متضمّن من الكلمات المستعملة، فقد تدلّ صيغها على الاستفهام أو الأمر أو النهي، أو غير ذلك، لكنّ التأويل الدلالي الكافي لها يصبح متعذراً إذا اقتصر على هذه الصيغ وحدها، فاستعمال هذه الجمل في طبقة مقامية معينة يخرج معناها من الاستفهام مثلا إلى الالتماس أو غير ذلك⁵.

¹ ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 72، 73.

² ينظر: الأمر والنهي في اللغة العربية، الزهري نعيمة، ص: 159/ وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود

أحمد، ص: 59، 60، 84/ والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أداري، ص: 95، 96.

³ ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أداري، ص: 97 . 99.

⁴ ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، المتوكّل، دار الثقافة، الدار البيضاء، (المغرب)، ط1، 1986م، ص: 105/

ونحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحيى بعيطيش، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، 2005، 2006م، ص:

169/ والأمر والنهي في اللغة العربية، الزهري نعيمة، ص: 160.

⁵ ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، المتوكّل، ص: 93.

وأصبح يميّز في إطار نظرية (الأفعال الكلامية) بين قوتين؛ القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة، أمّا الأولى فهي القوة المدركة مقالياً والتي يدلّ عليها بصيغة الفعل أو الأداة أو التنغيم، أي ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، فما يقال مطابق لما يعنى، والثانية القوة المدركة مقامياً، والتي تستلزمها الجملة في طبقات مقامية معينة، أي ما يريد المتكلّم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر¹، ولا يمكن للمخاطب أن يتوصّل إليها إلاّ عبر عمليّات ذهنيّة استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتّعقد²، والذي يساعد على معرفتها توفّر مبدأ التعاون بين المتكلّم والمخاطب، وهو مبدأ تداوليّ يظهر قبل أو أثناء الكلام، ويشمل قاعدة الكمّ والكيف والملاءمة والصدّق، واحترام مجموعة من الشّروط ذات الطابع الاجتماعي والأخلاقي والجمالي، كتجنّب الغموض واللبّس، واحترام المناسبة، واعتماد الاستدلال، وعليه يجب على كلا الطرفين احترام هذه الشّروط ليظهر القصد والفهم³، وعند خرق قاعدة من هذه القواعد يحدث استلزام آخر، قد يؤديّ إلى قطع العمليّة الحوارية، ويفهم من ذلك أنّ للجملة حمولة دلالية تنقسم إلى معان صريحة؛ هي المعنى الصّريح الحرفي للجملة المدلول عليه بصيغة الجملة ذاتها، ومعان ضمنيّة هي المعنى المستلزم من المقام؛ لا تدلّ عليه صيغة الجملة⁴، وفي إطار ذلك نكون بصدد مستويات دلالية ثلاثة⁵:

- المحتوى القضوي: ويراد به مجموع معاني المفردات التي تتشكّل منها العبارة

- القوة الإنجازية الحرفية؛ كالنهي والأمر

- القوة الإنجازية المستلزمة؛ كالدّعاء والالتماس والتضرّع...

¹ ينظر الأمر والنهي في اللّغة العربيّة، الزّهري نعيمة، ص: 160.

² ينظر: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص: 50، 51/ و استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، الشّهري عبد الهادي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2004م، طرابلس ليبيا، ص: 117.

³ ينظر: الاستلزام الحوارية في التّدالول اللّساني، العياشي أدواري، ص: 97 . 99.

⁴ ينظر: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص: 33، 35، 38، 39/ والمقاربة التّدالوية، أرمينكو فرانسواز، ص: 51.

⁵ ينظر: اللّسانيّات الوظيفية، مدخل نظري، المتوكّل، ص: 26 . 30/ والأمر والنهي في اللّغة العربيّة، الزّهري نعيمة، ص

ص: 160/ والاستلزام الحوارية في التّدالول اللّساني، العياشي أدواري، ص: 97.

وهنا نذكر ما جاء به الأصوليون في هذا المقام، عند حديثهم عن الكلام، حيث عرّفه بعضهم بأنه حروف وأصوات منظومة للتفاهم عمّا في النفوس من الأغراض، وحصره في الأمر وما في معناه من سؤال وطلب ودعاء واقتضاء، والتّهي وما في معناه من كفّ وزجر ومنع، والخبر والاستخبار ومنه القسم والجحود والإنكار والوعد والوعيد¹، واتّجهوا إلى دراسة النصّ لمعرفة ما يريده المتكلّم بأيّ أسلوب بلاغيّ من المخاطب، وهل يريد إفادته مضمون الخطاب، أم يريد حمله على فعل شيء أو تركه، على وجه الإلزام أو التّخيير، ليستنبطوا من ذلك أحكام الوجوب أو الحرمة أو الإباحة²، لأنّ الأمر متعلّق بحياة النّاس في معاشهم ومعادهم، كما نبّهوا على أنّ المعنى تابع لقصد المتكلّم، والمتكلّم عندهم هو الشّارع الحكيم وهو الله تعالى، أو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وقصده يتّضح بالقرائن الكثيرة المحتقّة بالنّصوص الشّرعيّة، وليس بالألفاظ وحدها³.

ويعني هذا أنّ التّأويل الدّلالي الكافي للكثير من الجمل يتطلّب الانتقال من المعنى الصّريح المباشر إلى معنى غير مصرّح به.

كقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى^ط وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^{١٨٩} البقرة، ابتدئت الآية بسؤال واقع عن أمر الأهلّة، وجاءت جملة الجواب منفصلة، تشتمل على فصل باستئناف بيانيّ، وإذا نظرنا إلى ظاهر الجواب أي المعنى المقالي وجدنا له اتّصالاً بالسؤال بوجه من الوجوه، ذلك أنّه يحتمل أنّهم سألوا عن الحكمة من الأهلّة، فجاء الجواب أنّها مواقيت، وذلك ليس ممّا يخفى عليهم حتّى يسأل عنه، فإنّه متعارف لهم، فيتعيّن كون المراد من سؤالهم حينئذ استنثبات كون المراد الشّرعي منها موافقا لما اصطلحوا عليه، وقد يكون السؤال عن السبب وبيان علل اختلاف أحوالها، فيكون الجواب حينئذ غير مطابق

¹ ينظر: الواضح في أصول الفقه، ابن عقيل البغدادي، ص ص: 95، 102.

² ينظر: البحث النّحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدّين، منشورات دار الهجرة، ط2، 1405هـ، ص: 11.

³ ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمّودة، ص: 128.

للسؤال، ويكون إخراجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب، ولأنهم غير مهيين إلى فهم ما أرادوا علمه بمجرد البيان اللفظي، يتولد المعنى الثاني؛ وهو تنبيههم إلى أن ما صرفوا إليه هو المهم، لأنهم في مبدأ تشريع جديد، وكان المهم لهم أن يسألوا عما ينفعهم في صلاح دنياهم وأخراهم، وهو معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة، فصرفهم عن بيان العلة إلى معنى يتعلق بالمقام¹.

وعطفت على جملة "يَسْأَلُونَكَ" جملة "وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا..." وظاهر هذه الجملة لا يدل على أي اتصال بها، فما الرابطة بين أحكام الأهلة وحكم إتيان البيوت من ظهورها؟ ولما كان المعنى المقالي غير كاف لبيان ذلك، يتولد المعنى الثاني المنبعث من المقام ومناسبة نزول الآية، ذلك أنه روي أن أناساً من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم من باب، وجعلوا ذلك من أحكام الإحرام، فلما ذكر أنها مواقيت للحج، ناسب ذلك أن ينبههم إلى هذه البدعة في الإحرام به، وأنه يتوجب عليكم ترك السؤال عن أفعال الله التي لا تخلو من الحكمة والموعظة، والنظر في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء، ويحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من ظهره، وبهذا يكون المعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه، ولم يجسر على مثله²، هكذا ينبعث المعنى المباشر من العبارة، ويتولد منه لازمه، ويلامس السياق، وبعد ذلك ينتج المعنى المعروض به.

ومن القوى الإنجازية للفصل والوصل الردع والتهديد؛ كما في قوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" آل عمران، عطف "وَبِئْسَ الْمِهَادُ" على "سَتُغْلَبُونَ" والأصل في الجملة الإنشائية بنعم وبئس فصلها عما قبلها، وكأن الخروج

¹ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 2/ 194، 195 وما بعدها/ والكشاف، 1/ 393، 394.

² ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 2/ 194، 195 وما بعدها/ والكشاف، 1/ 394، 395.

عن المؤلف في الصياغة مما يحدث هزة نفسية وعقلية تجلب الانتباه، ووصلها بالواو وظيفته التنبيه على مزيد الأجر أو مزيد التهديد والوعيد¹.

لكن كل ذلك قد لا ينطبق على جميع الأفعال اللغوية؛ وهي خاضعة لجانب من جوانب القدرة اللغوية (للمتكلم/ المخاطب)، وتشمل القواعد اللغوية وما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها، مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب؛ وهو ما يسمّى عند جرايس بالاستلزام العرفي، من ذلك (لكن) التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقّعه السامع؛ كقوله تعالى: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ... ﴿٦٧﴾ آل عمران، و(إنما) التي تستلزم أن يكون ما بعدها معلوما ولا ينكره السامع أو ما ينزل منزلته، وتشمل أيضا قواعد غير لغوية؛ تتعلق بالسياقات والمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية².

وقد شرع التفكير في إشكال التمثيل للقوة الإنجازية في نظرية النحو الوظيفي، فتبلور في اقتراح يونج 1981م الذي ذهب إلى أنّ هناك تعالقا بين مفهوم المعلومة الجديدة (البؤرة) ومفهوم القوة الإنجازية، تلاه اقتراح المتوكّل 1986م ثم اقتراح قيت 1986م وهنخفد 1988م وأخيرا اقتراح ديك 1989م الذي تبني طرح المتوكّل الذي تبين له أنّ طرح يونج وإن كان يستجيب لمقتضيات ومنهجية النحو الوظيفي إلا أنّه لا يقوى على التمثيل الكافي للقوى الإنجازية المواكبة للمحتوى القضوي لجمل اللغات الطبيعية، وأنّ يونج لا يعتدّ إلا بالقوة الإنجازية الحرفية للجملة، وقد ساق فلاسفة اللغة العادية واللغويون زمرة من الاستدلالات للبرهنة على أنّ القوتين الإنجازيتين الحرفية والمستلزمة تسهمان معا في تحديد الخصائص الدلالية والتركيبيّة والتّغيميّة للعبارات اللغوية، وتشكّل القوة الإنجازية المستلزمة جانبا هامّا من دلالة العبارة اللغوية، وبهذا فهي تسهم في تحديد الخصائص الصوريّة للعبارات اللغوية، وتعدّ معلومة

¹ ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 84 . 87/ وتفسير التحرير والتّوير، 3/ 176.

² ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص: 33/ واستراتيجيات الخطاب، الشّهري عبد

الهادي، ص: 120.

(واردة) يتوسّل بها في رصد وتفسير زمرة من القواعد النحويّة¹، منها: قواعد الفصل والوصل، وفيما يأتي بيانها.

العلاقة بين القوتين الإنجازيتين:

إنّ الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى غير المصرّح به يطرح إشكالا يتعلّق بماهيّة المعنى الذي يعتمد عندها، أهو المعنى الصريح أم المعنى الثّاني المستلزم، أم المعنيين معا؟². والجواب يظهر في طبيعة العلاقة بين القوتين الإنجازيتين، فالقوة الإنجازيّة المستلزمة مشتقة من القوة الإنجازيّة الحرفيّة، ويتمّ ذلك وفق شروط مقامية، ويبدو أنّ الأوليّة تمنح للقوة الإنجازيّة المستلزمة استنادا إلى مقولة (السابق إلى الفهم)، وهي مقولة واردة في الفكر اللّغوي العربي، ذلك أنّ الدّلالة المقامية مهيمنة على الدّلالة المقاليّة بالنسبة للجمل المنجزة لفعلين لغويين مباشر وغير مباشر، فالقرائن النبويّة تسخّر لخدمة نيّة المتكلّم³.

ثمّ إنّنا لا نتلفّظ لمجرّد تحويل اللّغة إلى استعمال لسانيّ ذاتيّ، بل نتكلّم لنفعل، وهذا الفعل هو حدث يرتبط أساسا بالمقام، ويهدف إلى تغيير شيء ما عند من يخاطبه، فيصبح التلقّظ بهذا المعنى أداة للفعل، ولذلك قد لا يفترن الفعل الكلامي بالمظهر اللّساني عند عمليّة التلقّظ، بل يكون مضمّنا بطريقة غير مباشرة، ومطابقا للأنشطة التي يحيل عليها، ولذلك لم تعد النّظريّة تدرس الأفعال في نطاق بعض التّعابير المنجزة كالطلب والوعد والشكر والتّهنئة والترحيب فقط، بل أصبحت تدرس كلّ الأفعال الكلاميّة المتعلّقة بمكوّنات عمليّة التّواصل، وأصبح فعل الكلام يعني المقاطع الخطابيّة المتّصلة بالمحتوى القضوي⁴.

ومثال ذلك ما قاله موسى عليه الصّلاة والسّلام لقومه، عندما طلبوا منه أن يدعو لهم بأنواع مختلفة من الطّعام، وذلك في قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ

¹. ينظر: الأمر والنهي في اللّغة العربيّة، الزّهري نعيمة، ص: 162 . 164.

². ينظر: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، العياشي أدواري، ص: 17، 18.

³. ينظر: الأمر والنهي في اللّغة العربيّة، الزّهري نعيمة، ص: 271 . 272.

⁴. ينظر: الوسائل في تحليل المحادّثة، خليفة الميساوي، ص: 171.

لَنَا رَبِّكَ تُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَفَائِبِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ^ط قَالَ
 أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ^ج أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ^ط
 وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغْضٍ مِّنَ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عَن بَغْيٍ ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ البقرة،
 فموسى عليه الصلاة والسلام لم يردّهم بصورة صريحة أي لم يردّهم بعبارة (لا أدعو لكم)، لكن
 يحمل كلامه اقتضاء هذا المعنى إلى جانب اكتناف جوابه معاني أخرى كاستبدالهم الشرّ
 بالخير¹، وجملة "قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ" استئناف بياني، جاءت مفصولة عن سابقتها، مصدرّة
 بالفعل قال، تستلزم توبيخا شديدا لأته جرّدها عن المقنعات وعن الزجر، واقتصر على الاستفهام
 التّعجّبي، وقوله: "أَهْبِطُوا مِصْرًا" استئناف يستلزم الإباحة المشوبة بالتوبيخ، وقيل أمر قصد
 منه التهديد على تذكّرهم أيام ذلّهم وعنائهم وتمنّيهم الرجوع لتلك المعيشة، كأنه يقول لهم:
 ارجعوا إلى ما كنتم فيه إذ لم تقدّروا الفضائل النفسية ونعمة الحرية والاستقلال، وعطف جملة:
 "فَإِنَّ لَكُمْ..." بالفاء تعقيبا على جملة "أَهْبِطُوا"، ليستلزم حصول سؤالهم بمجرد هبوطهم،
 وعطف جملة: "وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ..." على الجمل المتقدّمة، لمزيد ارتباطها بها، وتستلزم
 معنى النتيجة والمجازاة للكلام السابق، وهذا وجه العطف، حيث لم يشكروا النعمة ولم يقدّروها،
 وعطفت بالواو دون الفاء، ليكون الكلام خبرا مقصودا، وليس متفرعا على قول موسى عليه
 الصلاة والسلام، ولو عطفت الجملة بغير الواو لكان ذكره تبعا لذكر سببه، فلم يكن له من
 الاستقلال ما يبيّنه البال².

ولا شك أنّ مثل هذه المباحث تفتح مجالا جديدا واسعا في آفاق اللسانيات، وتسهم في مدّ
 جسر يصل بين البحث اللغوي المحض والمنطق، فضلا عن كونها تبرهن على أنّ عملية

¹ ينظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحياي، مقال، ص: 83.

² ينظر: تفسير التحرير والتّوير، 1/ 520 . 527.

التخاطب لا تقتصر على المعطيات اللغوية، بل تتناول أيضا عناصر منطقيّة، وأخرى تخاطبيّة (تداوليّة)، وهو ما أعطى لهذا الحقل بعدا إبستمولوجيا جديدا، يبدو فيه التشديد على تداخل المعارف والعلوم المختلفة، والعلاقة التكامليّة بينها.

وقد سبق لعلماء التراث العربي وخاصّة الأصوليين أن أدركوا هذه الحقيقة وجعلوا منها مزية، رجّحت كفتهم على النّحاة والبلاغيين، فلم يقصروا اهتماماتهم على دراسة البنى اللغويّة، بل اهتموا إلى جانبها بالجوانب التخاطبيّة، والعمليّات الاستنتاجيّة الملازمة لعمليّة الخطاب، وميّزوا بين الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة وإن لم يعرفوا هذا المصطلح، فقد عرفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته، وأطلقوا عليه مصطلحات أخرى لعلّ أقربها إليه: مقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضى الظاهر¹.

ج . السياق والأبعاد التداوليّة التي تحكم الفصل والوصل:

السياق والمقام ومقتضى الحال والتأليف عالم متشابك شديد الأهميّة، يدلّ على بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه، وهو نوعان: سياق لغوي يأتي على مستوى النصّ والعبارة، فيعطي للكلمة أو العبارة معناها الخاص، ويزيل اللبس عنها، وسياق حالي، يتعلّق بالمقام؛ فيزيل اللبس عن الجمل، وبذلك يتجاوز تتابع الأصوات والألفاظ ليشمل الجوّ البيئي والنّفسي المحيط بكلّ من المتكلّم والسّامع، وظروف وملابسات الكلام، من مشاركين وزمان ومكان، فيكون السياق بذلك مفتاحا يفسّر الكثير من العمليّات المصاحبة لأداء اللّغة ضمن وظيفتها التّواصلية، فتتّشأ الدلالات بطريقة سياقيّة، إلى جانب المعنى المعجمي²، ولم يكن هذا الاتّجاه ببعيد عن علماء العربيّة، فقد أكدوا عليه، يقول الشّاطبي: (كلام العرب على الإطلاق لا بدّ فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصّيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة)³، ويقصد بمعنى المساق: ليكون قرينة ضابطة لغرض المتكلّم، وصارفة له إلى حيث يريد وإن لم يكن هو المعنى الأصلي⁴.

¹. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة محمود أحمد، ص: 85، 111.

². ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص: 297/ والخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008م، ص: 25، 26.

³. الموافقات، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفّان، ط1، 1997م، 3/ 419.

⁴. المرجع السابق، ص: 419.

وقد دعا لاينز وفيرث وعلماء الدلالة والنحو الوظيفي والتداولية إلى دراسة الحدث الكلامي من خلال سياقه، لأن اللغة ليست مجرد نظام مستقل عن الإنسان والثقافة والمجتمع، بل هي فعل لغوي اجتماعي، تتجاوز ذلك النسق إلى مستوى يتضمّن عناصر تداولية ووظائف تواصلية، ومن تلك العناصر السياق والمقام والمقاصد، وهي مصطلحات تتجاوز محددات الدلالة إلى دراسة إمكانية الكشف عن قصديّة المتكلم، من خلال إحالة المنطوق إلى السياق لمعرفة مدى تطابقه والظروف التي قيل فيها¹، أي دراسته في الاستعمال، وذلك أوجز تعريف للتداولية، وهذا المفهوم يلتقي مع مجال الفصل والوصل في تتبع حركية اللغة أثناء الاستعمال، بإظهار أطراف العملية التواصلية والعلاقات القائمة بينهم في التحليل لتحقيق الفهم الصحيح للبنيات اللغوية، فالوصف النحوي، أو الوصف المعجمي فحسب غير كاف، بل لابد من أن ينظر إلى أبعاد تداولية تحكمه.

والبحت في السياق يأتي قبل البحث عن الألفاظ وعلاقاتها، فاختلاف السياق عائد إلى الدلالة التي اقتضت هذه الصياغة²، وأكثر الجمل في العربية تستقل بنفسها من حيث تمام المعنى، لكنها إذا اقترنت بسياق قد لا تستقل من حيث الدلالة، وإذا استقلت بمعناها صار لها دلالة غير الدلالة التي تحملها وهي مرتبطة بغيرها، والسياق هو الذي يحكم استقلالها من عدمه، ووسيلته لا تخرج عن ظواهر الفصل والوصل والقطع؛ ولتوضيح ذلك نأخذ المثال التالي؛ قوله تعالى: "...يَبْنِيْ اِنَّ اللّٰهَ اَصْطَفٰى لَكُمْ الدّٰيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٣٢﴾ البقرة، فجملة: "فَلَا تَمُوْتُنَّ" جملة مستقلة بمعناها، لكنها لا تدلّ على المقصود؛ وهي بهذا المعنى محال، ووجودها في سياق يحتم عليها اقترانها بما يتم دلالتها، وهي جملة "اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ"، وجملة "اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ" مستقلة بمعناها، لكنها غير كافية الدلالة على المقصود في هذا السياق، وهو ارتباطها بالجملة التي قبلها، وقوله تعالى: "اَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

¹ ينظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحياي، مقال، ص: 63.

² ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص: 77.

عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي ۚ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ^ط ... ﴿١٥٦﴾ البقرة، فجملة "وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَيَّ

عُرُوشِهَا" جملة مستقلة بمعناها، لكنّها لا تدلّ على المراد في الآية إلا بارتباطها بما قبلها، وهي في نفس الوقت تساهم في تحديد السياق، وحذفها يؤدّي إلى معنى غير مراد، ووجودها يبيّن الغرض من وراء السؤال بعدها، والذي يحكم هذه العلاقات بين هذه الجمل المستقلة في معناها والمترابطة في دلالتها هو السياق المقالي والمقامي، والله أعلى وأعلم.

وفيما يتعلّق بالفصل والوصل فإنّه فعل تداوليّ وعنصر تواصلّي لا تقوم اللّغة إلاّ به، ولا يتحقّق التّخاطب إلاّ في ضوئه، فهو قانون عامّ للتّخاطب، وتخضع بنياته لأبعاد تداوليّة نلخصها في:

ج1. أبعاد تداوليّة للوصل:

- حاجة السّامع:

يعدّ السّامع أحد عناصر السياق، ولا بدّ من استحضاره في عمليّة الفصل والوصل، لأنّه مبرّر معنويّ لعطف جملة على جملة، فالمتكلّم يقول كلاما يراعي فيه حاجة السّامع إلى معرفة المعنى الثّاني بعد معرفة الأوّل، لاقتران المعنيين في ذهنه؛ نحو: زيد قائم وعمرو قاعد، فعمرو وزيد كالشّريكين والنّظيرين في ذهن المتلقّي، وهذا التّبرير تداوليّ ينظر في الكلام من زاويّة التلقّي وعلاقة المتلقّي بالكلام¹، فإذا كان المتحدثّ عنهما في الجملتين نظيرين أو شريكين؛ كقوله تعالى: "...إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَتُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" ﴿١٥٦﴾ البقرة، وجب الوصل بينهما.

- جهة الجمع والمناسبة:

الجامع آلة ذهنيّة يصرّ العلاقات بين أجزاء أيّ خطاب، ويأتي متنوعا؛ بين جامع عقليّ يوحد التصرّور في الخبر والمخبر عنه، ووهميّ يجتهد في الجمع بين الشّيئين في الدّهن بالتّماتل أو شبهه أو التّضادّ أو شبهه، وخياليّ بالتّقارن، فإذا لم يكن بينها ما يجمعها تقطع، وإنّ احترم

¹. ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص، ص: 102، 103، 139.

المتكلم ذلك في عقد الخطاب لم يلق من المتلقي إنكاراً بحلّه¹، كقوله تعالى: "يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ". (آل عمران، بين المسند إليه والمسند وقيودهما في الجملتين اتحاد في التصوير، وقوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... (البقرة، وقوله تعالى: "...تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ... (آل عمران، وقوله تعالى: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً... (البقرة، عطف بين السماء والأرض وهما يجتمعان في الذهن، وبينهما شبه تضاد، فالسَّمَاءُ في العلو والأرض في السفلى).

ويمكن تصنيف الجامع إلى صنفين؛ صنف دلالي يندرج فيه الجامع العقلي والوهمي لأنهما أقرب خطورا بالبال وهما حاضران بالفعل، وصنف تداولي يندرج فيه الجامع الخيالي، لأنه نسبيّ تتدخل فيه اعتبارات زمانية وتشروطه نوعيّة المتلقي، وهو حاضر بالقوة، تتحكم فيه تجربة النَّاسِ في إدراكهم العلاقات بين الأشياء²، (ويكون بسبب الإلف والعادة، كالسيف والرمح في خيال الفارس، والقلم والقرطاس في خيال الكاتب، والسقي والزراعة والحصاد في خيال المزارع، فتتعلق صور هذه الأشياء بخيال أصحابها)³، ويفهم من ذلك أن ليس العامل النحوي وحده مبرراً للجمع بين الجملتين، فقد يكون بين الجملتين ما يسوغ الفصل، إلا أنه يوصل بينهما لمبرر عقليّ أو وهميّ أو خياليّ؛ كقوله تعالى: "وَدَثِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... (البقرة، عطف بالواو ولم تسبق بطلب، والمسوغ هو

¹. ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص ص: 103، 140.

². ينظر: المرجع السابق، ص ص: 119، 125.

³. ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص ص: 109، 110.

الجهة الجامعة بين محتوى الوصفين بالتضاد، فعطفت جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين¹.

- تماثل الأفعال الكلامية:

إذا كان الفعلان الكلاميان متماثلين، أو كانت صيغة الخطاب متماثلة، أي تواكب الحملين نفس القوة الإنجازية، ويعدّ هذا مبرراً تداولياً، يظهر عند وصل جملتين تتفقان خبراً وإنشاءً؛ كقوله تعالى: "يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴿١٢﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ البقرة، أنت الفاء في "فَلَا تَجْعَلُوا" لترتيب هاته الجملة على الأمر بالعبادة في قوله: "أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ" و(لا) ناهية وليست نافية²، فالجملة الأولى فعل كلامي إنجازي مباشر قوته الإنجازية الأمر، والثانية فعل كلامي إنجازي مباشر قوته الإنجازية النهي، وبهذا وصل بين الجملتين لتماثل الفعلين الإنجازيين، وقد يكون الوصل بين فعلين كلاميين تتماثل في قوتيهما الإنجازية في الدلالة على الأمر، كقوله تعالى: "... أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ البقرة، فقوله: (أذْكُرُوا، وَأَوْفُوا) فعل إنجازي قوته الإنجازية الأمر، وقوله تعالى: "وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا... ﴿٤٢﴾ البقرة، فعل إنجازي قوته النهي، وقد يتماثل الفعلان الكلاميان في القوة الإنجازية الدالة على الدعاء؛ كقوله تعالى: "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً... ﴿٨٠﴾ آل عمران، وقوله تعالى: "فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٨١﴾ آل عمران، أو يتماثلان في القوة الإنجازية الدالة على التقرير؛ كقوله تعالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ

¹ ينظر: الكشاف، 1/ 228.

² ينظر: تفسير التحرير والتلوين، 1/ 334.

نَبِيٌّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ
تُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ آل عمران.

- تأويل اختلاف الأفعال الكلامية:

هذا الضرب مبني على علاقة الربط بالملاءمة والمناسبة بين جملتين لما فيهما من تقارب معنوي وتناسب مقامي، ويظهر عندما تكون الجملتان مختلفتين خبرا وطلبا فنقتضي الصورة الشكلية الفصل، ولكنهما تأتيان بالوصل، وتأويل ذلك راجع إلى المقام الذي يشتمل على ما يزيل هذا الاختلاف بتضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الخبر، ليصل الخطاب إلى صورته العميقة، أي تتباين قوتاهما الإنجازيتان الحرفيتان، وتكون القوة الإنجازية المستلزمة للحمل المعطوف عليه تماثل القوة الإنجازية الحرفية للحمل المعطوف¹، وهذا من الأفعال الكلامية غير المباشرة، قوتها الإنجازية قد تكون التوبيخ أو المدح أو غير ذلك؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا... ﴿٨٢﴾ البقرة، عطف قوله: "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"؛ وهي جملة إنشائية، تقدّر بـ: أحسنوا، أو (وأحسنوا)، على قوله: "لَا تَعْبُدُونَ"، وهي جملة خبرية لفظا، إنشائية معنى، لأنها تؤوّل بمعنى: لا تعبدوا، لأنها مضمّنة معناه، وكذلك جملة: "وَقُولُوا" جاءت بصيغة الطلب معطوفة، على تأويل جملة "لَا تَعْبُدُونَ" بـ"لا تعبدوا"²، وجاز عطف الإنشاء على الخبر، لتضمّن الأولى معنى النهي، والثانية معنى الأمر، فرغم تباين الحملين شكلا جاز العطف بينهما لوجود جهة جامعة، ولأنّ الفصل لو جاء هنا لأوهم خلاف

¹. ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، خلود العموش، ص: 73، 74/ والوصلات في تحليل

المحادثة، خليفة الميساوي، ص: 24.

². ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي، ص: 118.

المقصود¹، وقوله تعالى: "...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" البقرة، وصل فعل الأمر "اتَّقُوا" وهو فعل طلبي إنشائي، بالفعل "يُعَلِّمُكُمُ" وهو فعل خبري، لكن قوته الإنجازية الوعد بإنعام الله سبحانه، ووصل ذلك بجملة "وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" لأن قوتها الإنجازية مدح وتعظيم شأنه عز وجل، فوجه العطف فيها يدرك بتأويل الفعلين الكلاميين، رغم اختلافهما في الظاهر، وقد ذكر الألوسي هذا المعنى في تفسيره²، وعلى هذا لا يمنع الاختلاف خبراً وإنشاءً من عطف الجمل إذا كان لها نفس القوة الإنجازية، والغرض البلاغي.

- مراعاة حال المتكلم والمخاطب:

يتعلق الوصل هنا بطرفي الخطاب المرسل والمتلقي، إذ يراعي المتكلم حالة المخاطب، كما يراعي قصده عند نظم كلامه، وحتى لا يوقعه في الوهم يأتي بكلام موصول يبعد الوهم ويأمن اللبس في فهم الفصل، والمتلقي بناء على هذا النظم يفهم المعنى الموجه إليه، ومثاله الجواب بالتفي عن سؤال؛ نحو: ألك حاجة أفضيها؟ لا، وحفظك الله.

- مراعاة السياق الثقافي:

للسياق دور بارز في فهم علاقة الوصل بين صورتين بما يتوافق مع الموقف التواصلية، وخاصة السياق الثقافي؛ حيث يحتاج الوصل إلى متلقٍ خاص، وهذا من شأنه يساعد على الإفصاح عن القصد، فبه يتم ترتيب أجزاء الكلام وفق تصور يجعل المتلقي يجد سهولة في فهم الجامع أو القصد من هذا الربط كونه ينتمي إلى بيئة الخطاب، فمستعمل اللغة يأخذ من وعائه الثقافي ما يعبر به، ومعرفتنا لثقافته تساعدنا على فهم عباراته، وفق شيفرة خاصة، توفرها هذه الثقافة، كما لاختلاف الحال والأسباب دور في ثبوت صور معينة في الخيال؛ مثال ذلك تلقي فريقين مختلفين (بدوي، وحضري) لقوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)

¹ ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، المتوكل، ص: 118.

² ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، 3/ 62.

الغاشية، ففي هذا الخطاب عناصر متباعدة يصعب على من يعيش في بيئة حضرية فهم العلاقة بين الإبل والسّماء والجبال والأرض، لأنها لا تتقارن في خياله، ولكنه يدركها بالتيقّظ الذهني كفعل كلامي غير مباشر، بينما هي واضحة عند أهل الوبر، لأنّ مطعمهم وملبسهم ومشربهم من المواشي، وأكثرها نفعاً للإبل، وانتفاعهم بها بحاجة إلى رعي وشرب، فكان جلّ غرضهم نزول المطر من السّماء، وإذا كانوا مضطّرين إلى مأوى تحصّنوا بالجبال، ولهذا لا يستغربون هذا العدّ وهذا الترتيب، لأنّ هذه الصّور متقارنة ومجمّعة في خيالهم، وهذا الجامع بينها هو جامع تداولي يظهر دور المتلقّي ونوعه في كشف العلاقات بين عناصر خطاب يبدو لأول وهلة أن لا جامع بينها¹.

ويظهر دور السياق كذلك عند تعدّد المعطوف عليه، حيث يحتاج ذلك إلى تبرير يرتكز إلى السياق المقالي أو السياق المقامي، من ذلك قوله تعالى: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ البقرة، يشير الرّازي أنّ قوله: " وَاتَّخِذُوا" معطوف على قوله: "...أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ البقرة، أو معطوف على قوله: "...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... ﴿١٢٤﴾ البقرة، والمعنى أنّه لما ابتلاه بكلمات وأتمهنّ، قال له جزاء لما فعله: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"، وقال: "اتَّخِذُوا"، ويجوز أن يكون أمر به ولده، ويجوز أن يكون هذا أمر من الله تعالى لأمة محمّد صلى الله عليه وسلّم أن يتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعتراض في خلال قصّة إبراهيم عليه السّلام، ونلاحظ أنّ الاحتمال الأوّل منها هو المعتمد، أي أنّ العطف على ما تقدّم في النصّ في الآية 122، إذ في الآية أمر بالذّكر يسوّغ عطف أمر عليه ولو كانت المسافة بينهما بعيدة، وفي هذه الحالة يكون الخطاب بالفعلين موجّهاً إلى بني إسرائيل، أمّا الاحتمالان الباقيان في عطفه فمرتكان

¹ ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص: 122، 125/ والخطاب القرآني، دراسة في العلاقة

بين النصّ والسيّاق، خلود العموش، ص: 74 . 76.

إلى المقام واحتمالات ما يوحي به، ومن ثمّ يتعدّد المخاطب بالأمر، ففي الحالة الأولى يكون (وَأَخَذُوا) جزاء لإبراهيم عليه السّلام على طاعته والتزامه بتنفيذ الأوامر الإلهية، ويكون المخاطب هو ولد إبراهيم عليه السّلام، لأنّ القصة متمحورة حوله، وفي الثانية يكون (وَأَخَذُوا...) خطابا موجّها إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلّم، ومن ثمّ يعدّ اعتراضا تشريفا لإبراهيم عليه السّلام والمسلمين معا¹.

وقد تكون الجملتان متماثلتين خبرا ممّا يوجب الوصل، والمقام يقتضي القطع، لأنّ الوصل بينهما بأيّ أداة يفسد المعنى المراد ويخرج الكلام عن مقصوده، لأنّه يقحم موضوعا أجنبيا في بنية خطاب الأولى، وحتى تستمرّ العمليّة التواصليّة تقطع إحداها عن الأخرى مراعاة لسياق الخطاب، وفساد وصل الثانية بالأولى عندها ليس راجعا إلى الرّوابط النّحويّة، وتتابع الألفاظ، فقد تكون الجمل إذا نظرنا إليها بمعزل عن سياقها، صحيحة من حيث الرّوابط النّحويّة والمعجم والدّلالة، ولكن إذا نظرنا إليها ككلّ نجدها غير منسجمة، وإذن مسألة الوصل والفصل ليست مسألة إتقان ذكر العاطف وتركه، بل هي مهارة معرفة اتّساق وانسجام الخطاب والجمل مع سياقاتها المختلفة².

ج2 . أبعاد تداوليّة للفصل:

- تقدير السّؤال في المحاورّة:

اقتضاء تداولي يأتي في سياق المحاورّة، حيث يخرج الخطاب على شكل أزواج سؤال مقدرّ/ جواب ظاهر، دون أن يربط رابط شكليّ بينهما، ومع ذلك يأتي الخطاب منسجما مع المتلقّي، ويظهر بعده التداولي في تلك الاعتبارات والدّواعي الاحتياطيّة التي يستند إليها لمعرفة موضع الفصل؛ حيث يراعى فيه طرفا الخطاب، فالمتكلّم يوجّه عنايته إلى المتلقّي؛ وغرضه تحقيق الفهم والإفهام، وأمن اللبس وعدم الوقوع في الغموض، محاولا تنبيهه أو إغناؤه عن الكلام، موجزا كلامه من غير حشو، مراعيًا قصده والمعنى الذي يريد إيصاله في انسجام عن

¹ ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي، ص: 171، 172.

² ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، خلود العموش، ص: 72، 73.

طريق آليّة تقدير السّؤال، وهذا مبدأ تداولي مهمّ أقرّته نظريّات التّخاطب التّداولي والاستلزام الحواري، وخاصّة فيما يتعلّق بمبدأ المناسبة واستخدام عبارات واضحة لا لبس فيها¹، فتأتي الجملة الثّانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى؛ كقوله تعالى: "مُخَدِّعُونَ اللَّهَ... ﴿٦﴾ البقرة، بعد قوله سبحانه وتعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ البقرة، كأنّه قيل: لم يدّعون الإيمان وليسوا كذلك؟ فقيل: "مُخَدِّعُونَ اللَّهَ"، ومثله قوله تعالى: " وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ البقرة، جرّدت جملة "قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ.." من العاطف لوقوعها في مقام الحوار مجاوبة لقولهم: "كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا"، وقوله تعالى: "...قَالَ يَمْرُؤُا لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٧٠﴾ آل عمران.

إنّ تقدير السّؤال لا يصرّ إليه إلاّ لأبعاد تداوليّة، ذكرها السّكاكي، منها ما يتعلّق بالسّامع وهي: تنبيهه على موقعه، أو إغناؤه عن السّؤال، أو إسكاته فلا يسمع منه شيء، ومنها ما يتعلّق بالمتكلّم وتنبيهه بإمكان إثارة كلامه استفهاماً في ذهن السّامع، فيبادر إلى الجواب قبل السّؤال لضمان الاستمرار في نفس الكلام ولئلاّ ينقطع، ومنها ما يتعلّق بالخطاب نفسه؛ والقصد تكثير المعنى بتقليل اللفظ، والاستغناء عن تكرير السّؤال بين كلّ قولين، لأنّ تكراره يثقل الخطاب بكلام حقّه أن يستغنى عنه اعتماداً على ما يقتضيه المقام، وعلى هذا يكون تقدير السّؤال مستندا إلى مبادئ تداوليّة².

والافتراض المسبق للمتكلّم عن السّامع؛ بعد تداولي يجسّد مبدأ التّعاون وقواعد المحادثة، ويظهر دور المتكلّم باختياره آليّة الاستفهام المضمرة التي تسمح له بإنتاج خطابه وفق

¹ ينظر: الخطاب التّداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثّالث الهجري إلى القرن السّابع الهجري، أحمد واضح، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011م، 2012م، ص: 269/ والخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، خلود العموش، ص: 70، 72/ ولسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص: 140.

² ينظر: لسانيّات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطّابي، ص: 116.

إستراتيجية مختلفة يلمح فيها بدلا من التصريح، فهو يتحكم في إدارة الكلام حيث يرسل الجملة الأولى المثيرة لسؤال، ثم يجيب مباشرة دون أن يترك فرصة للسامع بأن يسأل، مما يجعل المخاطب يفهم قصده من غير ذكر السؤال، وبهذا يظهر التفاعل بين المتكلم والسامع في عملية التواصل، فيساهم زوج الاستفهام المقدّر/ والجواب في جعل الكلام متصلا بعضه ببعض دون رابط شكلي، وهو وسيلة قوية من حيث الربط، وقد يكون الغرض من ذلك أمن اللبس¹.

ويشترط في المخاطب ترقب الأسلوب وصياغته، فالجملة الأولى تكون مكتنزة فيها بعض الغموض، وليست كافية للوضوح بحيث يمكن الوقوف والسكوت عندها، بل تثير فيضا من الاستفسارات التي تثار في نفس المتلقي، تشركه في الصياغة من غير تصريح به، إذ يظلّ مكنونا في الأسلوب، ثم تأتي الجملة الثانية تجيب عن السؤال وتطفئ أشواق النفس، فيؤكد المعنى من الناحية العقلية ويحقق المتعة النفسية، فتتواصل المعاني بتولد الثانية من الأولى، وكأنها أصل ينبثق منه فرع، وهذه هي اللحمة التي بين الجملتين².

إنّ الفصل هنا قائم على ما تقتضيه الحال التي يجري فيها الخطاب، وما يقتضيه ضرب معين من التّخاطب المبني على تبادل القول بين طرفين (المقاولة)، ويمكن تفسيره تفسيراً تداولياً يتعلّق بالمتكلم والمقام وبنية الخطاب التي تفرض على المتكلم بناء معيناً يتناسب والمقام³.

- اختلاف الأفعال الكلامية:

إذا كان الفعلان الكلاميان غير متماثلين، أو كانت صيغة الخطاب غير متماثلة، أي يكون بين الحملين تباين تام في الأفعال الكلامية، لاختلافهما خبرا وإنشاء؛ كقوله تعالى: "...قَالُوا أَنْوْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ... ﴿١٣٠﴾ البقرة، فقوله: "أَنْوْمِنُ" استفهام، أو فعل كلامي إنجازي مباشر، قوّته الإنجازية: الإنكار، وجملة: "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ" خبرية،

¹ ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي، ص: 109، 110.

² ينظر: أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، صباح عبيد دراز، ص: 116/ ودلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص ص: 308، 309.

³ ينظر: الوسائل في تحليل المحادثة، دراسة في إستراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، ص: 23.

أو فعل كلامي تقريرى، ولو عطف لأدخل في الحكاية وصار حديثاً منهم بأنهم السفهاء؛ وهذا يجعل المتلقي يفهم معنى غير مقصود.

وقد تكون إحدى الجملتين خبرية لفظاً طلبية معنى، وتكون الجملة الأخرى خبرية لفظاً ومعنى؛ حيث تنتقل دلالة الفعل الكلامي الحرفية من الخبر إلى الطلب، كالدعاء المستلزم من القوة الإنجازية التي تفهم من المقام، وهو بعد تداولي يغني عن الإطناب؛ كقوله تعالى: "...يُضْهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ^ع أَنِّي يُؤْفَكُونَ^ر التوبة، فجملة: "قَتَلَهُمُ اللَّهُ^ع" خبرية لفظاً إنشائية معنى، تستلزم الدعاء.

- تغيير صيغة الخطاب:

مبّرر تداولي آخر يمنع من العطف، وهو تغيير صيغة الخطاب من الحكاية إلى الخبر، ومثله قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ^ح أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^ب البقرة، فقوله: "إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ" خبر من الله تعالى، وقوله: "إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ" حكاية عنهم، ولو عطف لفسد المعنى، لأن صيغة الخطاب مختلفة، وقد تأتي آيات من نظائر هذه الآيات، كقوله تعالى: "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ^ط وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ^ط آل عمران، بالعطف لأن صيغة الخطاب واحدة وهي الخبر، وبناء على هذا يمكن أن نعتبر أن من المبادئ التداولية التي تحكم فصل الكلام أو وصله هو صيغته، فإذا كانت الجملتان خبراً أو حكاية وصل، وإن كانتا مختلفتين فصل¹.

- التوكيد والبيان:

علاقة ترتبط بالمقام، ومن المعلوم أن التوكيد يكون حيث يقتضي المقام إبعاد الشك، والبيان والإيضاح حيث يكون الكلام مجملاً فيه إبهام، فنتحرق النفس شوقاً لمعرفة، وتتعلق به أكثر،

¹. ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي، ص: 116.

وتتوجّه إلى ما يرد بعده، ويفسّره، وهذا معيار تداولي، يجعلنا نبحث عما يبينه؛ كقوله تعالى: ".... قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٤﴾ البقرة، فقوله: "إِنَّا مَعَكُمْ" معناه الثبات على اليهودية، وقوله: "إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ" ردّ للإسلام وإنكار له، يفيد تأكيد أنهم معهم، لأنّ دفع نقيض الشيء تأكيد لثباته، وقوله تعالى: "وَدَثِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ... ﴿٦٥﴾ البقرة، فقوله: "كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا..." بيان لشأن آخر من شؤون الذين آمنوا.

يظهر لنا ممّا سبق أنّ موضوع الفصل والوصل ظاهرة مقامية، ويعدّ من قضايا التحليل التداولي، ومن خصائص الرسالة اللغوية، ومعرفتهما ضرورية، لما لهما من علاقة بتركيب الجمل، حيث يستند إليهما في فهم النصوص، ودليل على بلاغة الكلام ومطابقتها لمقتضى الحال، ولكلّ منهما مقام ومقتضيات، والمتكلم المجيد من استطاع أن يوصل ويفصل بين أجزاء الكلام من غير خلط، وتمكّن من معرفة مقتضيات ذلك، فينشئ كلامه على الشكل المناسب، مراعيًا المقام وكلّ ما من شأنه تحقيق التّواصل، ويكيّف بناء الرسالة بحسب المعاني التي يؤلّف بينها.

د . أدوات الوصل بين الفعل الكلامي والبعد التداولي:

بناء الكلام يستدعي بالضرورة إمّا الوصل بين أجزائه، أو الفصل بينها، وذلك بتوظيف ألفاظ وأدوات مناسبة، تكشف جزءا من مقاصد المتكلم، ولها قوّة تشارك بها في إنجاز أفعال مختلفة، وقد اعتبر سيرل كلّ ملفوظ يحتوي على درجة من القوّة فعلا إنجازيا، واللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعيّة تشتمل على أدوات دالة على معانٍ أي على قوى إنجازية مختلفة بتعبير المعاصرين، والتي سماها النحاة (حروف المعاني)، وهي كثيرة وصالحة لبناء صنوف من الكلام، لمقامات تواصلية متباينة حسب إرادة المتكلم وقصده، ولذلك تعدّ تلك المعاني والإفادات أفعالا متضمّنة في القول بتصور تداولي، ومن ثمّ فنحن لا ننظر إليها على أنّها

مجرد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي أفعال كلامية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتية، هدفها التأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو تأكيده، أو تشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد، أو وعيد، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية أو معان أخرى¹.

والأدوات الرابطة في الفصل والوصل، لا تقتصر على حروف العطف وحدها، بل تتعداه إلى أدوات أخرى كالاستفهام والشروط وغيرها، ولذلك نجد ابن الأثير والعلوي قد مدا هذا المبحث إلى حروف الجر باعتبار قدرتها على وصل الكلام، والخروج إلى معان سياقية لا تكتسب من الدلالة المعجمية، وإنما من السياق الوظيفي²، ومثال ذلك؛ الاستفهام الذي هو من مواضع الربط، فقد يفيد التعجب؛ كقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانِ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" البقرة، فقوله: "أَوْلَوْ كَانِ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ"، كلام للرد عليهم باستفهام يقصد منه الرد ثم التعجب، فالهمزة مستعملة في الإنكار وتومئ بالتعجب، والمراد بالإنكار الرد والتخطئة لا النفي³.

وحروف العطف أكثر أثرا في الربط، ومساهمة في إنجاز أفعال الكلام، لها قوة في الدلالة والتأويل، تتفق في عمل الوصل، وتختلف في توزيعها داخل الخطاب حسب درجة قوة كل أداة، هذه القوة التي تحددها مقامات الاستعمال، فإذا كان المقام مقام تطويل جيء به (ثم)، لأن الفعل الكلامي يستغرق وقتا أطول ومهلة بين الحديثين؛ كقوله تعالى: "مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ... آل عمران، وإذا

¹ ينظر: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار التنوير، ط1، 2008م، الجزائر، ص: 265 . 267/ والاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال

العسكري، سامية بن يامنة، ص: 175/ والوسائل في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي، ص: 73.

² ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص: 68، 69/

³ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 2/ 106.

كان المقام مقام تقصير جيء بـ(الفاء)، لتدلّ على تسارع الأحداث وترتيبها من غير تراخ؛ كقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُؤْتُونَ إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۗ... ﴿٨٥﴾ البقرة، وإذا كان المقام مقام جمع جيء بالواو، لأنها لا تفيد ترتيباً معيناً، وتستعمل في مقامات عديدة؛ كقوله تعالى: "ثُمَّ أَنْتُمْ هَنُؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَيْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۗ... ﴿٨٥﴾ البقرة، وهكذا بقيّة حروف العطف، وقد سبق الحديث عنها في فصل سابق، وهي تقوم بدور معرفي في توزيع المعاني داخل الخطاب وتصل بينها، وتستغلّ في تحديد نوع المقام، بالكشف عن السابق من القضايا واللاحق، والاستعمال الصّحيح لها يساعد المتكلم على الإفصاح عن قصده، ويساهم في عمليّة القراءة والفهم والتأويل، فيتطابق الكلام بمقتضى الحال¹.

وبناء على ما دعت إليه اللسانيّات التداوليّة في مفهوم الفعل الإنجازي، فإنّه قد يأتي الحرف فعلاً كلامياً ينجز به كما ينجز بجملة، ويحمل قوى إنجازيّة مستلزمة ومتباينة بحسب مقام التلقظ، وما يلحق الكلام من نبر وتنغيم، ومثال ذلك؛ حرف الوصل (أو)، فمرّة يستعمله المتكلم في مقام يخيّر المخاطب بين أمرين، ومرّة يبيح له فعلين، ومرّة يطلب به معرفة ليزيل به شكاً، أو يصحّح به خطأ، وهو بذلك ينجز فعلاً كلامياً لا ينجزه إلاّ بهذا الحرف؛ ففي قوله تعالى: " وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ... ﴿٨٥﴾ البقرة، يستلزم التقسيم، أي تقسيم أو توزيع القولين ليرجع السامع كلّ قول إلى قائله، فاليهود قالت: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً، والنصارى قالت: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان نصارى، وجمع القرآن بين قولهما على الإيجاز، بجمع ما اشتركا فيه، وهو نفي دخول الجنّة عن غيرهما، فكلمة (أو) من كلام الحاكي، وليست من مقولهم المحكي، فلو كانت من مقولهم لاقتضى أنّ كلا الفريقين لا ثقة له

¹ ينظر: الوسائل في تحليل المحادثة، خليفة الميساوي، ص: 180، 181/ والربط حروفه ومعانيها في الأبنية اللغويّة من

منظور اللسانيّات الحديثة، نعيمة سعدية، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، عدد: 23، 2012م، ص: 15.

بالتجاة وأنه يعتقد إمكان نجاة مخالفه، وهذا خلاف المعلوم من أن أهل كل دين لا يشك في نجاته، ولا يشك في ضلال مخالفه، وبهذا تكون الآية لفقت القولين ثقة بأن السامع يرد كل قول إلى فريقه، وأما من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين، فعلم من حرف (أو) توزيع القول بين الفريقين¹، وفي قوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ... البقرة، معطوفة على قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ... البقرة، أفادت التخيير في التشبيه، كأنه قيل: أرايت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية²، وفي قوله تعالى: "... قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ لَبِثْتُمْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ... البقرة، أفادت الشك مما يدل على جهله بالأمر، فلو كان يعلم مقدار ما لبث ما تردد، وفي قوله تعالى: "... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ... البقرة، أفادت الإبهام، لجهل السامع بالأمر، وفي قوله تعالى: "... فَكُ رَقَبَةٍ ۚ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ... البقرة، أفادت الإباحة، وفي قوله تعالى: "كَذَلِكَ مَا أَتَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ... البقرة، أفادت التفصيل بعد الإجمال، وفي قوله تعالى: "فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... البقرة، أفادت الإضراب، وقد تستعمل (أو) بمعنى الواو عند أمن اللبس وعدم وقوع السامع فيه، ويفهم ذلك بالارتكاز على المعنى³.

ونلاحظ أن دلالاته ارتبطت بمواقف تواصلية تداولية، وهذا مرجعه إلى أن الحرف الرابط لا يسهل ضبط وتخريج معناه، لأنه لا يدل على معنى في ذاته، بل يدل على معنى في غيره، ومعناه يكون في سياقه، فتختلف دلالاته باختلاف السياق⁴، والتعامل معه مرتبط بمقتضيات

¹. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 1/ 673.

². ينظر: تحليل النص، محمود عكاشة، ص: 286/ وتفسير التحرير والتنوير، 3/ 34 / والكشاف، 1، 449.

³. ينظر: تحليل النص، محمود عكاشة، ص: 286/ وتفسير التحرير والتنوير، 1/ 563، 659، 660، و3/ 282، 4/ 79.

⁴. ينظر: تحليل النص، محمود عكاشة، ص: 292.

الرسالة اللغوية ككل، والتي تتطلب من المتكلم تكييف أجزائها بحسب المقصد المطلوب، أو بحسب الوظيفة التواصلية والغرض الإبلاغي، وهذا يتطلب المعرفة الواعية بالحاجة التي ينتج على أساسها الكلام من جهة، والأفعال الكلامية التي تحقق المقصد لدى المتلقي من جهة أخرى¹.

8 . الفصل والوصل عند المتوكل:

الوصل في تنميط الجمل المركبة يعني توارد حمول متعدّدة، ورغم استقلال بعضها عن بعض ترتبط فيما بينها بواسطة رابط بنيوي (أداة عطف)، أمّا الفصل فتوارد حملين مدمج أحدهما في الآخر، وفي هذا النمط من الجمل تنقسم الجملة إلى حمل رئيسي وحمل فرعي، وهذه الحمول قد تكون حدودا وقد تكون أجزاء من الحدود، وهذه الحدود قد تكون موضوعات وقد تكون لواحق².

ويلاحظ أنّه ربط هذا الباب بالعطف، لذلك نحاول البحث فيه، دون الخروج إلى أدوات أخرى.

أ . العطف في اللغة العربية من منظور النحو الوظيفي:

تتضافر الخصائص التداولية والخصائص الدلالية والخصائص التركيبية لتحديد البنية الصورية لجملة العطف، وقواعد البنيات العطفية في اللغة العربية كالاتي:

أنماط العطف:

ينقسم العطف بالنظر إلى طبيعة العناصر المتعاطفة إلى عطف حدود؛ مثل: شَرِبَ خَالِدٌ شَايَاً وَلَبَنًا، وعطف محمولات؛ مثل: الرَّمَّخَشَرِيُّ نَحْوِيٌّ وَمُفَسِّرٌ، وعطف حمول؛ مثل: دَخَلَ زَيْدٌ وَخَرَجَ عَمْرُو / هِنْدٌ شَعْرَهَا أَشَقْرٌ وَعَيْنَاهَا زَرْقَاوَانٌ³.

¹ ينظر: الاتصال اللساني وآلياته التداولية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، سامية بن يامنة، ص: 175.

² ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكل، ص: 235.

³ ينظر: المرجع السابق، ص: 259.

قاعدة تكوين البنيات العطفية:

تشتقّ البنيات العطفية، حسب مقترحات النحو الوظيفي عن طريق توسيع عنصر من عناصر بنية ما بمتواليّة من العناصر منتمية إلى نمط العنصر الموسّع نفسه، بإضافة حدّ آخر أو محمول أو حمل ينامط الحدّ أو المحمول أو الحمل السابق¹. ونلاحظ أنّ هذه القاعدة قريبة جدًا من تعريف العطف عند النحاة العرب القدامى، كما أنها تذكر المناسبة أو الجامع بلفظ ينامط.

ب . القيود الضابطة لقاعدة العطف:

تخضع أنماط العطف إلى قيود دلالية وتركيبية وتداولية، وهذه القيود متفرّعة عن مبدأ التناظر. ب1 . عطف الحدود²:

القيود الدلالية لعطف الحدود:

يخضع عطف الحدود لقيود تناظر الوظائف الدلالية، ويقصد به أن تكون الحدود المتعاطفة حاملة لنفس الوظيفة الدلالية، فلا يسوغ العطف بين حدّين حاملين لوظيفتين دلاليّتين مختلفتين، كأن يعطف حد (قوة) على حد (منفّذ)، أو حد (متقبّل) على حد (مستقبل)، أو حد (زمان) على حد مكان، ولذلك تعتبر التراكيب التالية فيها لحن:

حَطَمَتْ هِنْدٌ وَالرَّيْحُ الْبَابَ / أَعْطَى زَيْدٌ عَمْرًا وَكِتَابًا / يَسْتَقْبِلُ الْمُدِيرُ الزُّوَارَ فِي مَكْتَبِهِ وَفِي الصَّبَاحِ.

القيود التركيبية: يجب أن يتماثل الحدّان في الوظيفة التركيبية، فيحملان الوظيفة نفسها، فلا يعطف مفعول على فاعل.

القيود التداولية:

يجوز العطف بين الحدود المسند إليها الوظيفة التداولية نفسها، كعطف حد مبرأ على حد مبرأ، وحد محور على حد محور، نحو: أَيْنَ وَمَتَى النَّقِيَّتَ عَمْرًا؟ لَيْلَى وَفَاطِمَةُ اسْتَقْبَلَا خَالِدًا/

¹. ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 260.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 261 . 262.

تَغَيَّبَ زَيْدٌ وَعَمَّرُو، ويمنع عطف حدود مسند إليها وظائف تداولية مختلفة؛ نحو: قَابِلَ مَنْ وَزَيْدًا
عَمَّرُو؟ فهذه الجملة خارقة لقيد تناظر الوظائف التداولية إذ عطفت بؤرة على محور.

ب2 . عطف المحمولات¹:

يسوغ عطف المحمولات الدالة على الواقعة نفسها، كعطف محمول عمل على محمول عمل؛ مثل: ذَهَبَ وَعَادَ خَالِدٌ، أو عطف وضع على وضع: خَالِدٌ كَاتِبٌ وَشَاعِرٌ، أو عطف حالة على حالة: خَالِدٌ قَصِيرٌ وَنَحِيفٌ، ويمنع العطف بين محمولات تدلّ على وقائع متباينة؛ مثل: خَالِدٌ قَصِيرٌ وَمُنْطَلِقٌ، وبالإضافة إلى شرط التماثل في الواقعة يجب أن تتناظر المحمولات المعطوف بينها في الحقل الدلالي، بمعنى أن يكون هناك تناسب بينهما ليصحّ العطف، فالعطف بين الذكاء والفرح في: خَالِدٌ ذَكِيٌّ وَفَرِحَ، لاجن، كما لا يعطف بين محمولات دالة على وقائع مترادفة أو متناقضة؛ مثل: زَيْدٌ جَالِسٌ وَقَاعِدٌ/ خَالِدٌ أَعْرَبٌ وَمُتَزَوِّجٌ، وعلى هذا يكون قيد العطف بين المحمولات خاضعا لقيد تناظر الوقائع، فيعطف بين المحمولات الدالة على وقائع من الصنف نفسه، ويجب أن تكون منتمية إلى الحقل الدلالي نفسه شرط ألا تكون مترادفة ولا متناقضة.

ب3 . عطف المحمول: يخضع العطف بين حملين إلى²:

قيد تناظر المحتويات القضيوية:

حيث تكون المحمول المتعاطفة متناظرة من حيث محتوياتها القضيوية، فتكون محمولات دالة على وقائع من الصنف نفسه منتمية إلى الحقل الدلالي نفسه، وموضوعاتها تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه أو محيلة إلى مجال خطاب واحد، ويمتنع العطف بين حملين إذا كان محمولاهما دالين على واقعتين مختلفتين من حيث النمط أو من حيث الحقل الدلالي؛ مثل: زَيْدٌ فَرِحَ وَعَمَّرُو جَالِسٌ، كما يمتنع العطف بينهما إذا كان موضوعاهما ينتميان إلى حقلين مختلفين؛ مثل: الشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَالْعِلْمُ نُورٌ، أو كانا محيلين إلى مجالين خطابيين مختلفين؛ مثل: هِنْدٌ شَعْرُهَا أَشْفَرٌ وَزَيْنَبٌ عَيْنَاهَا سَوْدَاوَانٌ.

¹ ينظر: المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 262 . 263.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 264.

تماثل القوة الإنجازية لعطف الحمل:

يشترط في عطف الحمل أن تتماثل من حيث قوتها الإنجازية الحرفية، فلا يسوغ العطف بين قوتين إنجازيتين مختلفتين؛ مثل: أَلْفَتْ كِتَابًا وَكُتِبَ قَصِيدَةٌ/ هَلْ أَلْفَتْ كِتَابًا وَكُتِبَ قَصِيدَةٌ، ويتعلق الأمر كذلك بالقوة الإنجازية المستلزمة، فيجوز العطف بين حملين تختلف قوتاهما الإنجازيتان الحرفيتان إذا كانت القوة الإنجازية التي يستلزمها أولهما مماثلة للقوة الإنجازية الحرفية المواكبة لثانيهما؛ نحو: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالِي كُلَّهُ وَوَهَبْتُكَ جُلًّا كَثِيرًا؟ وفي المقابل يمتنع العطف بين حملين تتماثل قوتاهما الإنجازيتان الحرفيتان إذا كانت لأحدهما قوة إنجازية مستلزمة مختلفة؛ مثل: كَيْفَ اسْتَقْبَلْتَ هَذَا وَكَيْفَ تَجْرُو عَلَى لَطْمِهَا؟ حيث عطف سؤالًا إنكاريًا على سؤال حقيقي.

ونستنتج مما سبق أنه يجب أن يكون للحمول المتعاطفة قوى إنجازية واحدة ليسوغ عطفها¹.

القيود التداولية لعطف الحمل²:

يقتضي عطف الحمل تناظرًا في الوظائف التداولية، حيث تكون للحمول المتعاطفة الوظيفة التداولية نفسها أو تكون متضمنة الوظيفة نفسها، فيعطف بين حملين يحملان بؤرتي جديد؛ مثل: أَكَلَّ عَمْرُو دَجَاجًا وَشَرِبَ خَالِدٌ شَايًا، أو يحملان بؤرتي مقابلة؛ نحو: إِنَّ سَيْبِيَه نَحْوِي وَإِنَّ الْجُرْجَانِي بَلَغِي، ويمتنع العطف إذا كان أحد الحملين بؤرة جديد والثاني بؤرة مقابلة؛ نحو: سَيْبِيَه نَحْوِي وَإِنَّ الْجُرْجَانِي بَلَغِي.

ويسوغ العطف بين حملين يحملان بؤرة جديد أو بؤرة مقابلة؛ مثل: اسْتَقْبَلَ خَالِدٌ هَذَا وَوَدَّعَ زَيْدٌ زَيْنَبَ/ دَجَاجًا أَكَلَّ عَمْرُو وَشَايًا شَرِبَ خَالِدٌ، ويمتنع حين يختلف الحملان في البؤرة؛ فلا يسوغ: نَحْوِي سَيْبِيَه وَالْجُرْجَانِي بَلَغِي.

ج . بنية الجمل المعطوفة:

تتميز بنية الجمل المعطوفة بخاصيتين أساسيتين: استقلالها وتناظرها، حيث تستقل بنية الجملة المعطوفة عن بنية الجملة المعطوف عليها استقلالًا تامًا، وهذا يعني أن كلاً من

¹ ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكل، ص: 265.

² ينظر: المرجع السابق، ص: 265 . 266.

الجملتين تجتزئ من البنية النموذج ما تجتزئه الأخرى، كما أنّ عطفها يخضع لمبدأ التناظر السابق ذكره، حيث إنّ للجملة المعطوفة والجملة المعطوف عليها نفس البنية النموذج المتضمنة لنفس المستويات ونفس الطبقات ونفس العلاقات (الوظائف) الدلالية والوجهية والتداولية، وبذلك يكون العطف ناجحاً، وخرق قيد التناظر يؤدي إلى تراكيب غير سليمة وإن حصل التكافؤ بين المتعاطفين، ولذلك تعدّ التراكيب الآتية تراكيب فيها لحن، حيث تتباين الجملتان المتعاطفتان من حيث نمط الخطاب والقوة الإنجازية والوجهة والوظائف التداولية¹:

خَرَجَ خَالِدٌ مِنَ الْبَيْتِ، وَمَنْ أَنْبَأَكَ بِالْأَمْرِ؟ / جَاءَتْ هِنْدٌ وَهَلْ عَادَ عَمْرٌو؟ / مَا أَجْمَلَ هِنْدًا
وَرَيْئِبُ دَمِيمَةٌ / شَرِبَ خَالِدٌ لَبَنًا وَشَايَا شَرِبَ عَلِيٌّ (بنبر شايا).

د . الأدوات العاطفة وإدماجها²:

هي: الواو، والفاء، وثمّ، وحتىّ، وأمّ، وأو، وبل، ولا، ولكن.

ولهذه الأدوات سياقات تظهر فيها، بحسب نوع الأداة والوظيفة التي تؤديها، ويقابل الوظيفة هنا معناها بتعبير النحاة القدامى.

وسائط العطف بها: العطف بين عنصرين نوعان: عطف وصلي وعطف فصلي؛

عطف الوصل: يكون بالواو والفاء وثمّ، وذلك لاشتراكها في عامل الزمن، فالواو للعطف في حالة التزامن، والفاء في حالة الترتيب مع الفور، وثمّ في حالة الترتيب مع التراخي.

عطف الفصل: يكون ب: أو، وبل، ولكن، وأمّ، ويتحكّم في توزيع هذه الأدوات طبيعة السياق الذي تكون فيه، فالأداة (أو) تستعمل في سياق إثبات، والأدوات (بل، لكن، ولا) تستعمل في سياق نفي، في حين تستعمل الأداة (أم) في سياق التسوية، أو في سياق الاستفهام.

والملاحظ أنّ هذه الوسائط تؤشّر للقوة الإنجازية، وهذه الأدوات مخصّصات للحمول على مستوى البنية الوظيفية.

وفيما يخصّ العطف بهذه الأدوات الواصلة والفاصلة فيتحكّم فيه مقولات العطف بين الحدود والمحمولات والحمول، فمن هذه الأدوات ما يعطف به بين حدّين وبين محمولين وبين

¹ ينظر: التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، المتوكّل، ص: 116 . 118، ص: 128، 129.

² ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 266 . 267.

حملين كالواو، ومنها ما لا يعطف به بين الحمول كالأداة (لا)؛ مثل: خَالِدٌ كَاتِبٌ لَا شَاعِرٌ، ولا نقول: خَالِدٌ كَاتِبٌ لَا عَمْرُو شَاعِرٌ، ومنها ما لا يعطف به إلا بين حدين اسمين كالأداة (حتى)؛ نحو: أَكْرَمَ زَيْدٌ الْقَوْمَ حَتَّى الْأَطْفَالِ¹.

ويتدخل عدد المعطوفات في تحديد الأداة العاطفة، فمن الأدوات ما يعطف بين عنصرين فقط، ومنها ما يعطف بين أكثر من عنصرين؛ مثل: زَارَ خَالِدٌ زَيْدًا وَعَمْرًا وَأَبْرَاهِيمَ.

ويقترح المتوكّل إدماج هذه الأدوات العاطفة في مستوى البنية المكوّنية عن طريق تطبيق قواعد إدماج العاطف التي تدمج إحدى الأدوات طبقاً للمعلومات المتوفرة في مستوى البنية الوظيفية حول الوسائط التي عرضها هنا في العطف بهذه الأدوات².

هـ . البؤرة في بنيات العطف³:

تأتي بؤرة جديد أو بؤرة مقابلة بعد استيفاء شروط التناظر الدلالية والتركيبيّة والتداولية، ويخضع عطفها إلى قيد: إذا كانت البؤرتان من نفس النوع، وإذا كان لهما نفس المجال.

فتعطف بؤرة جديد مسندة إلى مكوّن على بؤرة جديد مسندة إلى مكوّن؛ نحو: حَضَرَ الدَّرْسَ عَلِيٌّ وَعَاقَبَ زَيْدٌ.

وتعطف بؤرة مقابلة مسندة إلى مكوّن على بؤرة مقابلة مسندة إلى مكوّن؛ نحو: شِعْرًا قَالَ عَمْرُو وَرِوَايَةً كَتَبَ زَيْدٌ.

وتعطف بؤرة جديد على بؤرة مسندتين إلى حملين: حَضَرَ الضُّيُوفُ وَأَسْتَقْبَلَهُمْ زَيْدٌ
كما تعطف بؤرة مقابلة على بؤرة مقابلة مسندتين إلى حملين: أَذْهَبَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ أُمُّ بَقِيَّتٍ فِي الْبَيْتِ؟

ويندر عطف بؤرة جديد على بؤرة مقابلة مسندتين إلى مكوّنين: أَشْيَاءُ شَرِبْتُ وَمَاذَا أَكَلْتُ؟

ويندر عطف بؤرة جديد على بؤرة مقابلة مسندتين إلى حملين: أَحْضَرَ الضُّيُوفُ وَهَلْ اسْتَقْبَلَهُمْ زَيْدٌ؟

¹. ينظر: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، المتوكّل، ص: 268.

². ينظر: المرجع السابق، ص: 268، 269.

³. ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، المتوكّل، ص: 159، 160.

ويندر عطف بؤرة جديد مسندة إلى حمل على بؤرة جديد مسندة إلى مكوّن أو العكس؛ مثل:
هَلْ تَمَّ الاجْتِمَاعُ وَمَنْ تَغَيَّبَ؟

ويندر عطف بؤرة مقابلة مسندة إلى مكوّن على بؤرة جديد مسندة إلى حمل أو العكس: أشعرًا
فُلْتُ وَهَلْ كَتَبْتَ رِوَايَةً؟

تعدّ نظريّة النّحو الوظيفي نظريّة ذات فائدة لسانیّة هامّة؛ فقد نجحت في استقطاب كثير من الباحثين الذين تبنّوا مبادئها، واهتمّت بتغطية جوانب أساسيّة في الظاهرة اللّغويّة، وسدّت ثغرات خلّفتها النظريّات اللّسانیّة غير الوظيفيّة في جوانب حيويّة كالكلّام، وسياق الحال، وملابسّات الخطاب...، وإدراج ذلك كلّه ضمن وصف الظواهر اللّغويّة وتفسيرها.

ويقع مبدأ (تبعيّة البنية للوظيفة) الذي صاغته نظريّة النّحو الوظيفي في موقع متميّز، إذ يعدّ أقوى المبادئ الإجرائيّة حضورا في الممارسة التّطبيقيّة، وتطبيق هذا المبدأ على مختلف اللّغات أثر في مسار الدّراسات اللّغويّة، بما فيها العربيّة، واستثماره في دراستها يسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابيّة التّواصلية، ويكشف جهود العلماء القدامى الذين نحا في دراساتهم منحى وظيفيا . صراحة أو ضمنا. وبذلك يكون أداة ومفتاحا لقراءة وفهم التّراث العربي.

ومعرفة الخصائص التّداوليّة للبنية يساعد كثيرا المتكلّم على صياغة عبارته اللّغويّة وما يقتضيه المقام، ويساعد المتلقّي في الوصول إلى المعنى المقصود، وإدراك القوّة الإنجازيّة عبر التّأويل الصّحيح لهذه البنية، ومن ثمّ تجاوز شكل الجملة ونظامها الدّاخلي البنيوي الذي يحكمها ويعكس العلاقة القائمة بين مكوّناتها، إلى النّظام الذي يربطها بالعالم الخارجي ويسمح لها بالتّفاعل مع مختلف الطّروف، فيجعلها تتّخذ شكلا أوسع يفوق السّياق الذي توجد فيه.

ومن أشهر ظواهر اللّغة التي تعكس حقيقة مقولة: تبعيّة البنية اللّغويّة . في صرفها ومعجمها ونحوها . للوظيفة المنوطة بها، ظاهرة الفصل والوصل، التي تتّخذ بنياتها أشكالا مختلفة ثلاثم المقام والأغراض والوظائف المناسبة لها.

والناظر في تحليلات وتفسيرات النّحويين والبلاغيين والأصوليين يظهر له في دراستها وكشف أسرارها تلاقي نظرتهم مع نظريّة النّحو الوظيفي المعاصر بجانبه؛ البنيوي والتّداولي، والتي تدعو إلى دراسة المعنى والتّراكيب بمراعاة مستويات اللّغة مجتمعة مع أسبقية الجانب

التداولي على الجانب التركيبي والدلالي، وأي إهمال لأحدها يوقع في الخطأ والابتعاد عن المعنى المقصود.

ورغم ما يؤلف بين بنيات الفصل والوصل في كونها أنماطا مقامية؛ إلا أنها ليست مترادفة يحلّ بعضها محلّ بعض في نفس الطبقة المقامية، فكلّ بنية أو نمط يستعمل في طبقة مقامية تخالف الأخرى، وتحقق غرضاً تخاطبياً يباين الأغراض التي تُحقّق بواسطة البنيات والأنماط الأخرى، وهذا المبدأ الوظيفي هو ما جعل المتوكّل يعيد النظر في أنواع البور، وتوسيعها لتضمّ بوراً تتيح التمييز بين مختلف التراكيب وتقضي بعدم الترادف التداولي بين العبارات اللغوية المتباينة بنيويًا، إذ إنّ كلّ نمط مقالي معيّن يطابق نمطا معيّنًا من المقامات والأغراض.

ومن أهمّ النتائج التي وصل إليها هذا البحث:

. دراسة الفصل والوصل في القرآن الكريم، يساعد على فهم النصّ في مستوياته اللغوية المتعدّدة .
. النحوية، والصرفية، والبلاغية والتي ترشد إلى فهم المتكلم ومقاصده العليا بقرائن نصية ولفظية.

. الدّراسة الصّحيحة ينبغي أن تبدأ من المعنى للوصول إلى المبنى، فنتطلق من دور المتكلم، ثمّ نتناول دور المتلقّي في تحويل المبنى إلى معنى، لأنّ المعاني هي الغاية، وهي عالميّة يشترك فيها كلّ البشر بينما المباني تختلف باختلاف اللّغة، والمعاني تنشأ من خلال علاقات الفصل والوصل الصّحيحة نحوياً ودلاليًا.

. الفصل والوصل أسلوب بلاغي، وضرب من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، والذي يحدّد المعاني تحديداً كاملاً لتبيين الأسرار في استخدام التراكيب والأدوات والفرق بين كلّ أداة، ولماذا استخدمت في موضع ولم تستخدم في موضع آخر؟

. للفصل والوصل أهمية في علوم مختلفة منها ما له علاقة بجوهر العقيدة في التفسير والمعنى، وسنّ الأحكام الواجب اتباعها، ومنها ما يتعلّق بالنحو والبلاغة، ومن دون مراعاة قواعدهما يضطرب المعنى، ولا يتأتّى للتراكيب استقامة.

. الفصل والوصل يعطي كذلك مساحة واسعة للتعبير عن المعاني المتعدّدة؛ فيدقّقها، ولا يكون المعنى متماثلا البتّة، فيختلف كلّ منهما عن الآخر شيئا من الاختلاف؛ قليلا أو كثيرا، كما تختلف مواضع النّوع الواحد فلا يحلّ أحدها مكان الآخر وإنّ جاز بنويّا فإنّه يمتنع دلاليّا وتداوليّا.

. للفصل والوصل سمة أسلوبية بالغة الأثر في معرفة خواصّ تراكيب الكلام، ويكشف فاعلية السياق والمواقف الوجدانية التي ترتبط بها هذه الصّور، وتصوير شخصيات المشهد في صورة حضورية واضحة، تبين ما عليها من شدّة أو لين، أو رحمة أو غضب، أو اضطراب أو هدوء، أو إيمان أو نفاق، ونحو ذلك.

. لأسلوب الفصل والوصل سمة التغلغل والانتشار في كافة سياقات القرآن . تقريبا . وكان له دور بارز في أساليب الحوار .

. الصلّة وشيجة بين النّحو والعلوم اللّغوية وغير اللّغوية في النّحو الوظيفي، والغرض فهم الظاهرة اللّغوية، والفصل بينها مضرّ، فالنّحو ليس تتبعا للحركة الإعرابية فقط، بل وظيفته الأساسية إبراز الفروق بين المستويات التّداولية للتراكيب بحسب الأنماط المقامية التي ترد فيها.

. اهتمام البلاغيين بمسألة الوصل والفصل بصورة أعمق من النّحاة، وأقرب إلى الدّرس اللّساني الوظيفي الحديث، إذ اعتنوا بالجوانب المعنوية والبراغماتية المتحكّمة في تنظيم القول والجمل وترابطها، وهذا لا يعني تطابق التّصورات والمبادئ، فالإطار المعرفي للمنظومة العربية يختلف عن الغربية في المنطلقات والأغراض.

. جمع الأصوليون والبلاغيون بين الإجراء البنيوي والإجراء الوظيفي، والبعد الخطابي التّداولي في تفسير ودراسة النّصوص القرآنية، من خلال النّظام والعلاقات الدّاخلية، ومقتضى الحال

والمقام وملابسات الخطاب، وهي أسباب النزول، وغرضهم دراسة المعاني الوظيفية للتصوص القرآنية، والظواهر التي عالجوه هي أغراض تواصلية يسعى المتكلم إلى تحقيقها.

. الظواهر التي درسها القدامى (بلاغيون وأصوليون) هي بلغة المعاصرين أفعال كلام، يقصد بها تخصيص الخطاب أو تنبيه المخاطب أو التأكيد أو البيان أو الإغراء أو التحذير أو التنبيه
.....

. كل هذا يشجع على إعادة النظر في كيفية دراسة النحو، وإمكانية دمج بعض أبوابه المتقاربة، إذ يمكن ضمّ التراكيب المقامية في زمرة واحدة على أساس أنّ هذه الأنماط تستخدم جميعها وسائل لتعديل معتقدات المخاطب.

. يقف الاستخدام الوظيفي وراء تفسير كثير من ظواهر اللغة؛ العربية وغير العربية، فمستخدم اللغة يلجأ إليها للتعبير بها عن مقاصده، وإفهام المخاطب غرضه، ولهذا الجانب أيضا دور في دراسة وتعليم اللغة، فالمعنى ينتج عن اتحاد المعنى الحرفي للألفاظ والتراكيب والاستخدام الوظيفي لها، وإهمال أحدهما من شأنه إحداث لبس لدى المتلقّي، وخاصة في الترجمة، إذ يؤدي إلى نتائج غير موفّقة، فلا بد من الاهتمام بالمعنى المعجمي والاستعمال الوظيفي التداولي للعبارات.

. قانون الفصل والوصل هو الاتّصال والانفصال والعطف، يقابله في النحو على الترتيب: الارتباط والانفصال والربط، يتعلّق ببناء الجملة، ويرتبط بكلّ أبواب النحو، وليس هناك مبرر فني لاقتصاره على العطف أو عطف الجمل بالواو فقط، لأنّه يحكم العلاقات السياقية النحوية بين المعاني داخل الجملة الواحدة، وبين الجمل داخل النصّ، وغرضه الإبانة والفهم، ولهذا نجد تنوّعا في الأدوات عند الأصوليين الذين اعتمدوا على دلالة الجملة لا معناها فحسب، وهذا من شأنه أن يختصر علينا فهم حقيقة النحو الوظيفي، إنّه نحو المعنى، يربط بين الجانب اللفظي والمعنوي.

وهذا يشجع على إعادة النظر وإمكانية إقامة حوار تقارضي بين الدراسات العربية والغربية.

وفي الأخير أستغفر الله العظيم عن كلّ خطأ أو سهو أو تقصير، وألتمس العذر منكم وآمل أن أtdارك نقائص هذا البحث في مستقبل الأيام، وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحبه ويرضاه، وتجاوز عنا في كلّ خطأ أو زلل، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الأطهار وصحبه الأخيار وسلّم تسليمًا كثيرًا.

قائمة المصادر والمراجع:

اتّبع في الترتيب الألفبائي للحروف، دون اعتماد (ال) التعريف وألفاظ (أبو وابن) والإدغام.

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

التفاسير:

1 . الألويسي أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دت.

2 . الرازي محمّد فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفتاح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت لبنان، 1981م.

3 . الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.

4 . الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وعليه تعليقات كتاب الانتصاف للمالكي، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 2009م.

5 . ابن عاشور محمّد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية، 1984م.

المعاجم:

6 . أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1987م.

7 . الأزهري أبو منصور محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دت.

8 . البستاني بطرس، محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربيّة، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، 1987م.

9 . ابن فارس أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللّغة، تح عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1979م.

10 . ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة، دت.

أصول الفقه:

11 . الأنباري أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، تح: محيي الدّين عبد الرّحمان رمضان، دمشق، 1971م.

12 . الرّازي فخر الدّين محمّد بن عمر بين الحسين، المحصول في علم أصول الفقه، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسّسة الرّسالة، دط، دت.

13 . الرّزكشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدّمياطي، دار الحديث، 2006م.

14 . السيّوطي أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر، الإتيقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، دط، دت.

15 . الشّاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمّد اللّخمي، الموافقات، تق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفّان، ط1، 1997م.

16 . الشّوكاني محمّد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، تح: أبو حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2000م.

17 . طاهر سليمان حمّودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية، دط، الإسكندرية، دت.

18 . العبيدان موسى بن مصطفى، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002م.

19 . ابن عقيل البغدادي الحنبلي أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمّد، الواضح في أصول الفقه، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرسالة، ط1، بيروت لبنان، 1999م.

20 . عمر بن عبد العزيز الشيلخاني، مباحث التّخصيص عند الأصوليين، دار أسامة للنشر والتّوزيع، ط1، الأردن عمّان، 2000م.

21 . الغرناطي المالكي أبو القاسم محمّد بن أحمد بن جزى الكلبى، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تح: محمّد المختار بن محمّد الأمين الشنقيطي، ط2، المدينة المنورة، 2002م.

22 . مصطفى جمال الدّين، البحث النّحوي عند الأصوليين، منشورات دار الهجرة، ط2، 1405هـ

23 . النّحاس أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل، القطع والانتشاف، تح: عبد الرّحمان بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، ط1، الرياض، 1992م.

النحو والبلاغة والنقد والأدب:

24 . أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير، البلاغة والتّطبيق، ط2، 1999م.

25 . الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمّد أمين الورد، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1985م.

26 . بدوي طبانة، البيان العربي؛ دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مطبعة الرسالة، ط2، 1958م.

- 27 . البطليوسي أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السيّد، كتاب الحلّ في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، دط، بيروت، دت.
- 28 . التفتازاني سعد الدّين، مختصره على تلخيص المفتاح، وابن يعقوب المغربي، مواهب الفتح، والسبكي بهاء الدّين، عروس الأفراح، وحاشية الدّسوقي على شرح السّعد، شروح التّليخيص، ج3، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، دط، دت،
- 29 . التّفتازاني.....، حاشية السيّد على المطوّل، مطبعة الحاج محرم، 1310هـ.
- 30 . توفيق الفيل، بلاغة التّراكيب، دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب مطبعة العمرانيّة، القاهرة، 1991م.
- 31 . الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي ط7، القاهرة، 1998م.
- 32 . الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، 2000م.
- 33 . ابن جنّي أبو الفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، دط، دت.
- 34 . ابن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، دط، دت.
- 35 . الحريري أبو محمّد القاسم بن علي، كتاب درّة الغوّاص في أوهام الخواص، مطبعة الجوائب، ط1، قسطنطينيّة، 1299هـ.
- 36 . حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط2، 2004م.
- 37 . حسن عبّاس، النّحو الوافي، ط3، دار المعارف، مصر، دت.

- 38 . الخطيب محمد عبد الفتّاح، ضوابط الفكر النّحوي، دراسة تحليليّة لأسس الكليّة التي بنى عليها النّحاة آراءهم، تق: عبده الرّاجحي، دار البصائر، دط، القاهرة، 2006م.
- 39 . الرّضي شرح كافيّة ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، هجر للطّباعة، دط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، 1993م، وطبعة أخرى، تح: يحيى بشير مصري، الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، 1996م.
- 40 . الرّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ في الدّراسات القرآنيّة والنّقد الأدبي، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمود زغلول سلام، دار المعارف، ط3، مصر، 1973م.
- 41 . الرّمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت لبنان، 1998م.
- 42 . ابن الزّمكاني، التّبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تح: أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط1، بغداد، 1964م.
- 43 . زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللّغة، دار النّهضة العربيّة، دط، بيروت لبنان، 1985م.
- 44 . ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النّحو، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، ط3، بيروت، 1996م.
- 45 . سعد الدّين مسعود بن عمر، المطوّل على التّلخيص، مطبعة الحاج محرم، 1310هـ.
- 46 . السّكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن عليّ، مفتاح العلوم، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرّسالة، ط1، بغداد، 1982م.
- 47 . السّهيلي أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد الله، نتائج الفكر في النّحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت لبنان، 1992م.

- 48 . سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1982م.
- 49 . شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، التبيين في البيان، تع: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
- 50 . شفيع السيّد، البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
- 51 . شكر محمود عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار دجلة، ط1، الأردن، 2009م.
- 52 . شوقي المعمرى، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار الحارث، ط1، دمشق، 1997م.
- 53 . صباح عبيد دراز، أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، مطبعة الأمانة، ط1، مصر، 1986م.
- 54 . حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، دط، دت.
- 55 . عاطف فضل محمد، النحو الوظيفي، دار المسيرة، ط2، 2013م.
- 56 . عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة والنشر، ط1، 1993م.
- 57 . عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة، دط، القاهرة، 1998م.
- 58 . عبد اللطيف محمد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، نحو العربية، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 2001م.

59. عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالِيّة، علم المعاني، مكتبة الآداب، ط2، 1991م،
60. عبد المتعال الصّعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة محمّد علي، ط8، دت.
61. عتيق عبد العزيز، في البلاغة العربيّة، علم المعاني، البيان، البديع، دار النّهضة العربيّة
د ط، د ت،
62. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصّناعتين، تح: علي محمّد
البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1952م.
63. ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرب، تح أحمد عبد الستار الجواربي، وعبد الله الجبوري،
ط1، 1972م.
64. عفّت الشّرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النّهضة العربيّة،
دط، بيروت، 1981م.
65. ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك،، دار التّراث، ط20،
القاهرة، 1980م.
66. عيسى علي الكاعوب وعلي سعد الشّتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربيّة، المعاني .
البيان . البديع، الجامعة المفتوحة، دط، 1993م.
67. الغلاييني مصطفى، جامع الدّروس العربيّة؛ موسوعة في ثلاثة أجزاء، دار ابن الهيثم،
ط1، القاهرة، 2005م.
68. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، الأردن،
2007م.
69. فخر الدّين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، ط5، 1989م.
70. الفزّاء أبو زكريّا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983م.

- 71 . فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، ط4، 1997م.
- 72 . القزويني الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، دط، دت.
- 73 . الكرمانی تاج القراء برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان، تح: السيد الجميلي، مركز الكتاب، القاهرة، دط، دت، وطبعة أخرى، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، دط، دت.
- 74 . ابن كمال باشا شمس الدين أحمد بن سليمان، أسرار النحو، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر، ط2، 2002م.
- 75 . المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ط2، القاهرة، 1994م.
- 76 . المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللّغة والأدب، تع: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 1997م.
- 77 . محمد حسين علي الصّغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرّخ العربي، ط1، بيروت لبنان، 1999م.
- 78 . محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب . دراسة بلاغيّة . مكتبة وهبة، ط 2، 1987م.
- 79 . محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنيّة في تفسير الزّمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغيّة، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، 1988م.
- 80 . محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحويّة هامّة، مؤسّسة الإيمان، طبعة مزيدة، بيروت لبنان، 1992م.

- 81 . المرادي الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت لبنان، 1992م.
- 82 . مصطفى حميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1997م.
- 83 . الميداني عبد الرّحمان حسن حبّكة، البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، ط1، 1996م.
- 84 . الهاشمي السيّد أحمد، جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي، ط أ، القاهرة، 2010م.
- 85 . ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، الإعراب عن قواعد الإعراب، تح: علي فودة نيل، عمادة شؤون المكتبات، ط1، جامعة الرياض، 1981م.
- 86 . ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محيي الدين، عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، 1991م.
- 87 . يحيى بن حمزة، كتاب الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديويّة، 1914م.
- 88 . ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، دط، دت.

في اللّسانيّات والنّحو الوظيفي:

- 89 . إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط6، القاهرة، 1978م.
- 90 . أحمد عفيفي، نحو النصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي، مكتبة زهراء الشّرق، ط1، القاهرة، 2001م.
- 91 . أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيّات، طبعة مزيدة منقّحة، دار الفكر، ط 3، دمشق، 2008م.

- 92 . أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، دط، القاهرة، 1997م.
- 93 . أرمينكو فرانسواز، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: علّوش سعيد، الرّباط، مركز الإنماء القومي، دط، دت.
- 94 . بحيري سعيد حسن، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2005م.
- 95 . بنّاني محمّد الصّغير، المدارس اللّسانيّة في التّراث العربي وفي الدّراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001م.
- 96 . بوقرة نعمان، المدارس اللّسانيّة المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.
- 97 . بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب؛ دراسة معجميّة، جدارا للكتاب العالمي، ط1، عمّان الأردن، 2009م.
- 98 . التّواتي بن التّواتي، المدارس اللّسانيّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، الجزائر، 2015م.
- 99 . جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات، التّسابق والتّطور، ترجمة: محمّد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1417هـ.
- 100 . حركات مصطفى، اللّسانيّات العامّة وقضايا العربيّة، المكتبة العصريّة، ط1، بيروت، 1998م.
- 101 . حسام البهنساوي، أنظمة الرّبط في العربيّة، دراسة في التّراكيب السّطحيّة بين النّحاة والنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، مكتبة زهراء الشّرق، ط1، القاهرة، 2003م.
- 102 . حسان تّمّام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة وأسلوبية للنّصّ القرآني، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1993م.

- 103 . حسان تّمّام، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2007م.
- 104 . خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008م.
- 105 . خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيّات الخطاب، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2012م.
- 106 . دفة بلقاسم، بنية الجملة الطلبيّة ودلالاتها في السّور المدنيّة، منشورات مخبر الأبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمّد خيضر بسكرة، 2008م.
- 107 . سامية بن يامنة، الاتّصال اللّساني وآليّاته التّداوليّة في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت، دت.
- 108 . سمير شريف إستيتية، الأصوات اللّغويّة، رؤية عضويّة ونظقيّة وفيزيائيّة، دار وائل، ط1، 2003م.
- 109 . الشّهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيّات الخطاب، (مقاربة لغويّة تداوليّة)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، طرابلس ليبيا، 2004م.
- 110 . عبد الجليل مرتاض، الوظائف النّحويّة في مستوى النصّ، دار هومه للطباعة والنشر، 2011م.
- 111 . عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنّشر الجزائر، 2007م.
- 112 . عكاشة محمود، تحليل النصّ؛ دراسة الرّوابط النصّيّة في ضوء علم اللّغة النصّي، مكتبة الرّشد، ط1، 2014م.

- 113 . العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 2004م.
- 114 . العياشي أداري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، ط1، الرباط، 2011م.
- 115 . المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1985م.
- 116 . المتوكل أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، (المغرب)، 1986م.
- 117 . المتوكل، الوظيفة والبنية، (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ، الرباط، 1993م.
- 118 . المتوكل أحمد، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي (هامش)، كلية الآداب، ط1، الرباط المغرب، 1993.
- 119 . المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، مطبعة الكرامة، ط1، الرباط، 2003م.
- 120 . المتوكل: التركيبات الوظيفية؛ قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، ط1، الرباط، 2005م.
- 121 . المتوكل أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، ط1، الرباط، 2006م.
- 122 . المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت لبنان، 2010م.

- 123 . المتوكّل أحمد، اللّسانيّات الوظيفيّة المقارنة، دراسة في التّميّط والتطوّر، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1، بيروت لبنان، 2012م.
- 124 . محمّد خطّابي، لسانيّات النصّ، مدخل إلى انسجام الخطّاب، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991م.
- 125 . محمّد محمّد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م.
- 126 . مسعود صحراوي، التّداوليّة عند علماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار التّوير، ط1، الجزائر، 2008م.
- 127 . مهيب عمر، البنيويّة في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط3، الجزائر، 2010م.
- 128 . المهيري عبد القادر وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، ط2، تونس، 1990م.
- 129 . نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، 2002م.
- 130 . نصر الدّين بن زروق، دروس ومحاضرات في اللّسانيّات العامّة، مؤسّسة كنوز الحكمة، ط1، الجزائر، 2011م.

باللّغة الفرنسيّة:

- André Martinet , éléments de linguistique générale, Armand colin, paris, . 131
1980

الرسائل والأطروحات:

إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتأوير، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1999م.

أحمد واضح، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011م/2012م.

الزهرى نعيمة، الأمر والنهي في اللغة العربية، سلسلة الأطروحات والرسائل: 2، جامعة الحسن الثاني، عين الشق.

الطاهر محمد المدني علي، الفصل والوصل بين علم القراءات وعلم النحو، دراسة صوتية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004م.

عبد الله عبد الرحمن أحمد، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الزماني إلى عبد القاهر، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007م/2008م.

محمد علي فالح مقابلة، الدلالة التركيبية لدى الأصوليين في ضوء اللسانيات الحديثة، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2006م.

يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، 2005/2006م.

يوسف عواد سالم القماز، النكات البلاغية في فنّ الفصل والوصل، رسالة دكتوراه، جامعة السند جامشورو، باكستان.

المقالات والبحوث:

الجندي طه، البعد التداولي في النحو الوظيفي (بحث)، مجلة كلية دار العلوم الشهرية، القاهرة، عدد 27، 2010م.

جهاد محمد فيصل النصيرات، وهديل فايز محمد منصور، قضايا الفصل والوصل بين الجرجاني والسكاكي، مقال، الجامعة الأردنية.

السعيد وعزوز، الحقائق المكلفة في بيان إعجاز فواصل الآيات المنزلة، بحث، جامعة القرويين، مراكش، 2007م.

عبد القادر عبد الله فتحي، الفصل والوصل في القرآن الكريم (سورتي النبأ وعبس أنموذجا)، مقال مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج: 8، العدد: 4.

عماد عبد يحيى الحياي، الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، مقال، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 20، عدد 1، 2008م.

فاضل صالح الستمرائي، الفرق بين الذكر والتسبيح، مقال نشر على موقع روائع البيان القرآني، <http://albayanalqurany.com/clause>

القضمانى رضوان، وأسامة العكس، نظرية التواصل . المفهوم والمصطلح . مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية . سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (1)، 2007م.

لزهر كرشو، أنسجة الارتباط وآليات الرّبط في تركيب الحديث النبوي الشريف، مقال، جامعة حمه لخضر، الوادي.

محمد خان، الأدوات النحوية؛ بنيتها ووظيفتها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مقال، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد: 4، 2009م.

محمد رضا الحوري، ومنصور أبو زينة، الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني، دراسة بلاغية تفسيرية، مقال.

مسرت جمال، بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن، مجلة الداعي، دار العلوم، جامعة بشاور، مقال، العدد 6، 2010م.

نعيمة السعدية، الربط حروفه ومعانيها في الأبنية اللغوية من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد: 23، بسكرة، 2012م.

يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل من كتاب سيبويه، مقال، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج 7، عدد 1، 2011م.

مقدمة:	أ - ط
مدخل:	3 - 47
توطئة:	3
1 . الأسس النظرية لمفهوم الفصل والوصل:	3
2 . إدراك العرب القدامى مواطن الفصل والوصل:	4
3 . الفصل والوصل عند العلماء القدامى:	6
أ / الفصل والوصل عند النحاة:	7
أ . 1 . عند سيوييه:	8
أ . 2 . عند الفراء:	12
أ . 3 . عند الأخفش:	17
أ . 4 . عند المبرد:	18
أ . 5 . مصطلحات النحاة التي تتعلق بالفصل والوصل:	23
أ . 6 . دور المعنى والمناسبة في العطف عند النحاة:	25
أ . 7 . العطف ومعنى التشريك في الحكم:	26
ب / الفصل والوصل عند الأصوليين:	27
ج / الفصل والوصل عند علماء البلاغة:	33
ج . 1 . علاقة الفصل والوصل بالبلاغة:	33
ج . 2 . الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني:	35
ج . 3 . الفصل والوصل عند السكاكي:	40
ج . 4 . موازنة بين الجرجاني والسكاكي:	42
4 . الوصل والفصل بين الجمل في النسق القرآني:	47

- الفصل الأول: الرّبط والارتباط في النّحو العربي مقابل للفصل والوصل في البلاغة 49 - 129
- 1 . الفصل والوصل عند النّحاة واللّغويين المحدثين: 50
- 2 . مفهوم الرّبط والارتباط والقطع: 52
- أ . مفهوم الرّبط: 52
- ب . مفهوم الارتباط: 53
- ج . القطع: 54
- 3 . مواضع الارتباط وعلاقاته: 54
- أ / الارتباط بعلاقة الإسناد: 56
- ب / الارتباط المفعولي وعلاقاته: 56
- ب1 . علاقة التّعدية: 57
- ب2 . علاقة الظرفيّة: 58
- ب3 . علاقة السببيّة: 59
- ب4 . علاقة التّحديد: 59
- ج / الارتباط التّبعي وعلاقاته: 60
- ج1 . علاقة الوصفية: 60
- ج2 . علاقة الإبدالية: 61
- ج3 . علاقة التّأكيد: 63
- د / ارتباط الملابس والتّمييز: 64
- هـ / الارتباط الإضافي: 66
- 4 . أدوات الرّبط: 67
- أ / الرّبط بالضمير البارز وما يجري مجراه: 67
- أ 1 / مواضع الرّبط بالضمير البارز: 68
- أ 1 . 1 / الخبر الجملة: 68
- أ 1 . 2 / التّعت الجملة: 70

- 71 أ 1 . 1 /3 /الحال الجملة:
- 73 أ 1 . 1 /4 /جملة الاشتغال:
- 74 أ 1 . 1 /5 /التوكيد المعنوي:
- 74 أ 1 . 1 /6 /الجملة التفسيرية:
- 76 أ 1 . 1 /7 /جملة جواب الشرط:
- 77 أ 1 . 1 /8 /في التنازع:
- 77 أ 1 . 1 /9 /معمول بعض الصيغ الصرفية:
- 78 أ 1 . 1 /10 /بدل البعض وبدل الاشتمال:
- 79 أ 1 . 1 /11 /جملة الصلة:
- 80 أ 2 /ما يجري مجرى الضمير البارز:
- 80 أ 2 . 1 . 1 /ضمير الشأن والقصة:
- 81 أ 2 . 2 . 2 /ضمير الفصل:
- 82 أ 2 . 3 . 2 /الاسم الموصول:
- 82 أ 2 . 4 . 2 /اسم الإشارة:
- 84 أ 3 /ما ينوب عن الضمير:
- 84 أ 3 . 1 . 1 /تكرار لفظ المبتدأ:
- 85 أ 3 . 2 . 2 / (ال) التعريف النائية عن الضمير:
- 85 ب /الربط بالأدوات والحروف ومواضعه:
- 85 ب 1 / . عطف النسق:
- 86 ب 1 . 1 . 1 /حروف العطف:
- 87 - 98 ب 1 . 2 . 1 /معاني حروف العطف وأحكامها:
- 98 ب 1 . 3 . 1 /أضرب عطف النسق:
- 98 ب 1 . 3 . 1 /أ . عطف المفردات وصوره:
- 99 ب 1 . 3 . 1 /ب . العطف بين الجمل ومواضعه:

- ب1 . 3 ج . عطف الجملة على المفرد وبالعكس: 104
- ب2/ . أدوات الشرط: 104
- ب2 . 1 . أدوات الشرط الجازمة: 106
- ب2 . 2 . معاني أسماء الشرط الجازمة: 106
- ب2 . 3 . أدوات الشرط غير الجازمة: 107
- ب2 . 4 . الفاء في جواب الشرط الجازم: 109
- ب2 . 5 . مواضع ربط جواب الشرط الجازم بالفاء: 110
- ب2 . 6 . ربط جملة الجواب بإذا الفجائية: 111
- ب2 . 7 . ربط الجزاء بالشرط بعد أداة غير جازمة: 112
- ب3/ . فاء السببية: 113
- ب4/ . واو الحال: 114
- ب5/ . واو المعية: 115
- ب6/ . الحروف المصدرية: 116
- ب7/ . حروف الجرّ: 117
- ب8/ . أدوات الاستثناء: 118
- ب9/ . ربط القسم بجوابه: 119
- 5 . أدوات القطع: 121
- أ . القطع والاستئناف في حروف العطف: 121
- ب . قطع الجملة بالابتداء وصوره: 124
- ج . القطع بين الطلب والجواب: 127
- د . الجملة الاعتراضية: 127
- 6 . تشابك علاقات الارتباط والربط: 129

الفصل الثاني: الوصل والفصل عند البلاغيين: 131 - 221

- توطئة:..... 132
- 1 . مفهوم الوصل والفصل لغة:..... 132
- أ . الوصل لغة:..... 132
- ب . الفصل لغة:..... 133
- ج . مفهوم الفصل والوصل في اصطلاح البلاغيين:..... 135
- 2 . العطف مدار الفصل والوصل:..... 141
- أ . العطف بالواو:..... 141
- ب . شروط تحقق العطف:..... 143
- ج . الواو بين التشريك والربط:..... 144
- 3 . الوصل والفصل بين المفردات والجمل:..... 145
- أ . الوصل بالواو بين المفردات في القرآن الكريم:..... 145
- أ . 1 . عطف الصفات والأخبار:..... 146
- أ . 2 . عطف المتقاربات دلالة:..... 149
- أ . 3 . الأسرار الفنيّة البلاغيّة في ذكر الواو وحذفها:..... 150
- أ . 4 . وصل المفردات في سورتي البقرة وآل عمران:..... 152
- أ . 5 . الوصل بين المفردات بدون عاطف (الفصل):..... 154
- ب . الوصل والفصل في الجمل:..... 156
- ب . 1 . العطف بين الجمل باب الوصل والفصل:..... 156
- ب . 2 . الوصل في الجمل التي لها محلّ من الإعراب:..... 157
- ب . 3 . العطف بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب:..... 158
- ب . 4 . أحوال الجمل:..... 161
- 4 . الجامع بين المفردات والجمل:..... 162
- أ . الجامع العقليّ:..... 163

- 163 ب . الجامع الوهمي:
- 164 ج . الجامع الخيالي:
- 165 5 . أسس ضبط باب الفصل والوصل:
- 168 6 . مواطن الفصل:
- 168 أ . الاتّصال التّام:
- 169 أولاً . أن تكون التّانيّة مؤكّدة للأولى:
- 173 ثانيا . أن تكون التّانيّة بيانا للأولى:
- 177 ثالثا . أن تكون التّانيّة بدلا من الأولى:
- 180 ب . الانقطاع التّام بلا إيهام:
- 181 أولاً . أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء:
- 186 ثانيا . أن لا يكون بين الكلامين مناسبة ما:
- 189 ج . شبه الاتّصال التّام (أو الاستئناف البياني):
- 198 د . شبه الانقطاع التّام:
- 200 هـ . التوسّط بين الاتّصال التّام والانقطاع التّام:
- 203 7 . مواطن الوصل:
- 203 أ . إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي:
- 204 ب . التوسط بين الاتصال التّام والانقطاع التّام:
- 205 أولاً: إذا اتّفتت الجملتان خبرا وإنشاء:
- 205 أ / اتّفاقهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى:
- 206 ب / اتّفاقهما خبرا أو إنشاء معنى لا لفظا:
- 208 ثانيًا؛ عطف مضمون القصّة:
- 210 ج . الانقطاع التّام مع الإيهام:
- 211 د . الجملة المقترنة بواو الحال:
- 213 ارتباط جملة الحال:

- 216 الجملة الحالية في سورتي البقرة وآل عمران: 216
- 220 8 . محاسن الوصل وعيوبه: 220
- الفصل الثالث: الفصل والوصل من منظور الاتجاه الوظيفي البنيوي والتداولي؛ البنية والوظيفة والقوة الإنجازية. 223 - 320**
- 224 توطئة: 224
- 224 1. مفهوم الوصل في اللسانيات الحديثة: 224
- 225 2 . مفهوم البنية والوظيفة: 225
- 226 أ . مفهوم البنية: 226
- 226 ب . مفهوم الوظيفة: 226
- 228 3 . النظرية الوظيفية: 228
- 229 4 . المبادئ العامة للوظيفية: 229
- 229 أ . مبدأ أدوات اللغة: 229
- 229 ب . مبدأ وظيفة اللغة الأداة: 229
- 229 ج . مبدأ سياق الاستعمال: 229
- 230 د . تبعية البنية للوظيفة: 230
- 231 5 . الوظيفية البنيوية، حلقة براغ وأندريه مارتيني أنموذجاً: 231
- 231 1 . 5 . وظيفية حلقة براغ: 231
- 232 أ . مفهوم البنية عند مدرسة براغ: 232
- 233 ب . مفهوم الوظيفة عند مدرسة براغ: 233
- 233 ج . نظرتها الوظيفية للجملة (علاقة البنية بالوظيفة): 233
- 243 5 . 2 . وظيفية أندريه مارتيني: 243
- 243 أ . وظيفة اللغة: 243
- 243 ب . التحليل الوظيفي للجملة عند مارتيني: 243
- 243 ب 1 . التركيب الإسنادي: 243

- ب 2 . الوظيفة الصيائية والصرفية: 247
- ج . التقطيع المزدوج: 253
- ج 1 . التقطيع الأول: 254
- ج 2 . التقطيع الثاني: 260
- د . علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني: 264
- 6 . وظائف اللغة عند جاكسون: 270 - 274
- 7 . بنية ووظيفة الفصل والوصل من منظور النحو الوظيفي التداولي: 275
- أ . أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي التداولي: 275
- ب . الجملة والبنية في النحو الوظيفي التداولي من البناء والوظيفة إلى القوة الإنجازية: .. 276
- ب 1 . بناء الجملة: 276
- ب 2 . تبعية البنية للوظيفة: 278
- ب 3 . الوظائف التواصلية لبنيات الفصل والوصل: 286 - 290
- ب 4 . القوة الإنجازية: 290
- العلاقة بين القوتين الإنجازيتين: 296
- ج . السياق والأبعاد التداولية التي تحكم الفصل والوصل: 298
- ج 1 . أبعاد تداولية للوصل: 300
- ج 2 . أبعاد تداولية للفصل: 306
- د . أدوات الوصل بين الفعل الكلامي والبعد التداولي: 310
- 8 . الفصل والوصل عند المتوكل: 314
- أ . العطف في اللغة العربية من منظور النحو الوظيفي: 314
- ب . القيود الضابطة لقاعدة العطف: 315
- ج . بنية الجمل المعطوفة: 317
- د . الأدوات العاطفة وإدماجها: 318

319 هـ . البؤرة في بنيات العطف:
321 خاتمة:
326 قائمة المصادر المراجع:
342 فهرس البحث:

الملخص:

يتّجه هذا العمل إلى دراسة ظاهرة الفصل والوصل وفق مبادئ النحو الوظيفي البنيوي والتداولي، الذي يدعو إلى دراسة العبارة اللغوية ورصد خصائصها التركيبية والدلالية مرتبطة بالسياق وبوظيفتها التواصلية؛ على أساس أنّ الوظيفة تحدّد بنيتها الصرفية والتركيبية، مفترضا وجود توقّعات بين المتخاطبين وأصولا خطابية تحكم سلوكهم، معنتيا بالأداء، ومستفيدا من دراسات فلاسفة اللغة الطبيعية، الذين لاحظوا وجود فعّلين لغويين لبعض الأقوال: فعل لغوي مباشر وآخر غير مباشر، فميّزوا بين قوتين إنجازيتين تسهمان معا في تحديد الخصائص الدلالية والتركيبية والتنغيمية للعبارات، وهذا الطرح قريب من طرح التراث العربي، ويتيح لنا فرصة إقامة حوار تقارضي بينهما في دراسة هذا الموضوع، ولا شك أنّ مثل هذه المباحث تفتح مجالا جديدا في آفاق اللسانيات، وتسهم في مدّ جسر يصل العلوم ببعضها.

Résumé

Ce travail a pour but ,étudier le phénomène de la séparation et la liaison selon les principes de la grammaire fonctionnaliste ,syntaxique et pragmatique qui vise à étudier l'expression linguistique et montrer ses caractéristiques syntaxiques et sémantiques liées au contexte et par sa fonction de la communication , en considérant que la fonction identifie sa structure morphologique et syntaxique ,supposant l'existence des prévisions entre les interlocuteurs et des principes de discours qui guident leur comportement ,en traitant la fonction et en bénéficiant des études des philosophes de la langue naturelle ,qui ont constaté l'existence de deux verbes de parole : Verbe de parole direct et un autre indirect ,alors ils ont distingué entre deux forces opérationnelles qui contribuent ensemble à l'identification des caractéristiques sémantiques ,syntaxiques et l'intonation des expressions ,et cette thèse est très proche de celle de l'héritage arabe ,ce qui nous permettons l'occasion d'établir une conversation d'emprunt entre eux dans l'étude de ce thème . Il est évident que ces recherches ouvrent un nouveau domaine dans l'horizon de la linguistique et contribuent à réaliser un pont qui relie les sciences les unes avec les autres .